الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة1 الحاج لخضر

كلية العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

انحراف التدين؛ أسبابه ومظاهره و آثاره

ـ دراسة موضوعية في القرآن الكريم ـ

أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

تخصص كتاب وسنة

إعداد الطالبة

هدى بونوارة

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الباسط دردور

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
أ.د عبدالرحمان معاشي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة باتنة1 الحاج لخضر
أ.د عبد الباسط دردور	أستاذ التعليم العالي	مقررا	جامعة باتنة1 الحاج لخضر
د. سعيدة درويش	أستاذ(ة) محاضرأ	عضوا	جامعة باتنة1 الحاج لخضر
أ,د عبد الناصربن طناش	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة الأميرعبدالقادرقسنطينة
أ.د زين الدين بن موسى	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة الأميرعبدالقادرقسنطينة
د. عمارقاسمي	أستاذ محاضرأ	عضوا	جامعة الأميرعبدالقادرقسنطينة

السنة الجامعية: 2023م ـ2024 / 1444هـ ـ1445هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة1 الحاج لخضر

كلية العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

انحراف التدين؛ أسبابه ومظاهره و آثاره

ـ دراسة موضوعية في القرآن الكريم ـ

أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

تخصص كتاب وسنة

إعداد الطالبة

هدى بونوارة

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الباسط دردور

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
أ.د عبدالرحمان معاشي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة باتنة1 الحاج لخضر
أ.د عبد الباسط دردور	أستاذ التعليم العالي	مقررا	جامعة باتنة1 الحاج لخضر
د. سعيدة درويش	أستاذ(ة) محاضرأ	عضوا	جامعة باتنة1 الحاج لخضر
أ.د عبد الناصر بن طناش	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
أ.د زين الدين بن موسى	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
د. عمار قاسمي	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

السنة الجامعية: 2023م .2024 / 1444هـ ـ 1445هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾

آل عمران: ١٩

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾

الحج: ٧٨

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد خير الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

ينطلق التفسير الموضوعي من الواقع الخارجي بكل مجالاته وحيثياته، ليعمل على رصد حصيلة التجربة البشرية وما أنجزته من أعمال، أو أبدعته من أفكار، أو حققته من نتائج، ليعود إلى القرآن الكريم فيتخذه حَكَمًا؛ لتقييم تلك الحصيلة وتقويمها بهدف الوصول إلى نظرية قرآنية توحيدية تخص الموضوع الذي هو محل الدراسة؛ فالبداية إذن كانت من الموضوع المرتبط بالواقع الخارجي، لكن العودة تكون إلى القرآن الكريم، فينشأ عن ذلك مفهوم توحيدي؛ يوحد بين التجربة البشرية والقرآن الكريم، ليس باعتبار التجربة البشرية عِدْل القرآن أو نِدًّا له، ومن ثم إمكانية خضوع القرآن لمنطق هذه التجربة، إنما المقصود أن نعرض التجربة البشرية على القرآن، لنوحد بينهما في سياق البحث، ومن ثم نخلص إلى الموقف القرآني من هذه التجربة أو تلك، وهنا تكمن أهمية التفسير الموضوعي باعتباره قادرا على التجدد والتطور باستمرار، لأن التجربة البشرية تغنيه بما تتوصل إليه، وتكتشفه في كل طور من أطوارها، وفي كل مجال من مجالاتها، ومن هذا المنطلق اخترت موضوع هذا البحث الموسوم بـ:

انحراف التدين؛ أسبابه ومظاهره وآثاره ـ دراسة موضوعية في القرآن الكريم ـ

فالتدين، نعني به أن يتخذ العبد لنفسه دينا ينقاد له طوعيا، وبهذا الانقياد تتحدد علاقة المتدين بالدين فهما وممارسة، ويكون التدين سلبيا أو منحرفا؛ إذا ما كانت علاقة المتدين بدينه:

- خاضعة لغلبة الهوى وحظوظ النفس.

- أو خاضعة لبعض التصورات والقناعات الجاهزة المتسلطة على العقول، ومن ثم تصادر من الإنسان تفكيره الموضوعي الحر الذي يساعده على تعقل الأمور وفهمها على حقيقتها التي تبدو عليها، لا على أحكام جاهزة ومواقف سابقة.

- أو خاضعة لإكراهات الموروث الاجتماعي والثقافي.

ومن ثم لا تترتب عن هذا النوع من التدين أية آثار أخلاقية وسلوكية تنسجم مع مضمون الدين وأحكامه كوضع إلهي، يمثل الحقائق السامية، والقيم الربانية المتعالية عن أهواء البشر وأمزجتهم، وما درجوا عليه من بعض العادات الاجتماعية السيئة.

وقد صور القرآن الكريم في كثير من سوره وآياته موقف الإنسان من الدين كوضع إلهي بلغه الأنبياء، أو من الدين كوضع بشري؛ وقد تراوح هذا الموقف عبر التاريخ فهما وممارسة بين التفاعل السلبي والإيجابي، بداية من المراحل المتخلفة من النمو الفكري والنفسي للإنسان، الذي كان يقف أمام ظواهر الكون والحياة بدهشة كانت تثير فيه المخاوف، لكنها في الآن نفسه كانت تحفزه على التأمل والتساؤل، ومع مرور الزمن انتقل إلى مراحل لاحقة كان يخضع فيها لحالات الضعف التي تعتريه، والإحساس بالعجز، وهذا ما صادر منه إرادة التحرك بحرية للبحث عن الحق، والحقيقة، وعن المعرفة الاعتقادية الصحيحة، وبين الحالة السابقة، واللاحقة لا ينتفي وجود بعض النماذج التي هي مصاديق كاملة، ومطابقة لتعاليم الدين (الأنبياء) كما لا تنتفي أيضا المواقف المعبرة عن فطرية التدين السليم.

إشكالية الدراسة:

تروم هذه الدراسة معالجة إشكالية مدى تطابق تدين الإنسان مع دين رب الإنسان، باتخاذ القرآن الكريم معيارا وشاهدا على سلوكات المتدينين وتصوراتهم، وقيّما ومقوّما لها، لما

للتدين المنحرف عن دين الحق من آثار خطيرة على المسار التكاملي للفرد، وللمجتمع ولبناء الحضارة الإنسانية عموما، مما يتطلب صياغة تصور عام حول تصوير القرآن الكريم للتجربة البشرية مع الدين؛ موقفا، وفهما، وممارسة، وتقويما. وهنا تتفرع العديد من التساؤلات أهمها:

هل للدين مفهوم إشكالي يتعذر تحديده؟ ما الفرق بين الدين والتدين؟ وكيف نحدد العلاقة بين الدين والتدين؟ إذا كان التدين الإيجابي السوي يستمد مرجعيته من أطروحة الدين، الكاملة، المنزهة التي تمثل مطلق الحق والخير، فمن أين يستمد التدين السلبي المنحرف مرجعيته؟ لماذا ينحصر التدين الإيجابي في نمط واحد، بينما تتعدد أنماط التدين المنحرف؟ هل يكفي الإيمان برسالة الأنبياء أو تبني أطروحة الدين التي بلغها الأنبياء لضمان التدين السليم؟ هل التدين المنحرف مرحلة عابرة من تاريخ البشرية، أم أنه خط مستمر يتكيف في مضمونه، وفي تمظهره مع ملابسات وظروف كل عصر، ومن ثم يفضي إلى نتائج تتفاعل مع طبيعة المرحلة التاريخية للبشرية؟ وإذا كان الحال كذلك فكيف نستشرف مآلات التدين المنحرف، وآثاره انطلاقا من واقعنا الخارجي، واعتمادا على ما يعضد ذلك في القرآن الكريم؟

أهداف الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدراسة في سعيها إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

1- بيان الفرق بين أطروحة الدين؛ كوضع إلهي تولى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تبليغه، والتدين ككسب يعبر عن الفهم والممارسة البشرية للدين.

2- إبراز ماهية التدين الفطري الإيجابي والكشف عن مصاديقه، وآثاره.

3- إبراز أنماط التدين السلبي المنحرف، والكشف عن أسبابه، وما أفضى ويفضي إليه من نتائج وآثار.

4- الوقوف على المعالجة القرآنية لأنماط التدين المنحرف الذي يتخذ لنفسه ألوانا، وعناوين مختلفة باختلاف بواعثه وأسبابه، لكنها تتفق في النتائج والآثار والحقيقة الجوهرية لمنشأ التدين المنحرف.

الدراسات السابقة وجديد هذه الدراسة

لقد وقفت ـ بحسب اطلاعي ـ على بعض الدراسات التي تناولت جوانب من هذا الموضوع؛ اذكر منها:

- الدين والوحي والإسلام لمصطفى عبد الرزاق.
- الدين والتدين، التشريع والنص والاجتماع لعبد الجواد ياسين.
- الفكر الديني وتحديات الحداثة لمجموعة من المفكرين
- دين ضد الدين لعلي شريعتي.
- الإنسان والدين لجوادي آملي
- الدين من خلال القرآن الكريم وتطبيقاته الاجتماعية؛ وهي رسالة دكتوراه للباحث بشير عثمان، اهتديت إليها بعد أن شارف بحثي على النهاية، لذلك لم أعد إليها للاستعانة بها.

فهذه الدراسات وغيرها من الدراسات المهمة تناولت -حسب تقديري- علاقة الإنسان بالدين من خلال بعض المصاديق الواقعية والتاريخية؛ أي من خلال الرصد والمتابعة للسلوك الفردي أو الاجتماعي للمتدينين عبر التاريخ، وقد يتقاطع بحثي مع بعض القضايا التي تناولتها تلك الدراسات، لذلك سعيت قدر الإمكان لأنْ يكون هذا البحث مستقلا عن الدراسات السابقة في تناول موضوع التدين، وعلاقته بالدين الحق من خلال النماذج المذكورة

في القرآن الكريم تحديدا؛ لعلي أضيف إلى ما سبقها من الدراسات المهمة، بحثا في التفسير الموضوعي يتناول موضوع التدين وإشكالاته باعتماد المقاربة القرآنية.

دوافع اختيار الموضوع

يمكنني أن أفرّع هذه الدوافع إلى دوافع ذاتية، وأخرى موضوعية.

1- الدافع الذاتي

سبق لي أن خضت تجربة البحث في التفسير الموضوعي في مرحلة الماجيستير، حيث كان موضوع رسالتي بيت النبوة في القرآن الكريم، وقد تأكد لي حينها أهمية التفسير الموضوعي في حصر الظاهرة المدروسة، وبيان المعالجة القرآنية لها بما يغني الباحث عناء قراءة العديد من التفاسير التجزيئية، التي على قيمتها وأهميتها يكون الموضوع الواحد فيها مشتتا في معاني جزئية، يصعب جمعها وحصرها لإنشاء تصور عام حول الموضوع المراد دراسته في القرآن الكريم، ومن هذا المنطلق أردت أن أستأنف التجربة في مرحلة الدكتوراه، وفي موضوع مستوحى من دراستي السابقة التي تطرقت في بعض جوانبها لما تعرض له الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - من محن وابتلاءات كان سببها التدين المنحرف لبعض أتباعهم وأقوامهم.

2- الدوافع الموضوعية

أ . لقد اتضح لي في دراستي السابقة لقصص الأنبياء في القرآن الكريم، أن التحدي الحقيقي الذي واجه الأنبياء في مسيرتهم الدعوية مع أعدائهم، بل أحيانا حتى مع بعض المؤمنين بدعوتهم، يتمثل أساسا في نظرة هؤلاء إلى الدين، أو في فهمهم له، أو في كيفية ممارسته، والتشرع بأحكامه تحت تأثير عوامل نفسية، أو سياسية أو اجتماعية...الخ وعليه أردت أن أخص ظاهرة التدين بالدراسة الموضوعية في القرآن الكريم، بوصفها ظاهرة مستمرة ومتكررة؛

تتعدد أنماطها، ومظاهرها، وأساليبها لكن في نهاية المطاف تتفق في النتائج والآثار وفي صدامها مع أطروحة الدين التي جاء بها الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

ب ـ لقد لاحظت أن عصرنا وواقعنا ليس بمنأى عن الخلط بين الدين كوضع إلهي، والتدين ككسب بشرى؛ ذلك لأن حقيقة الدين تختلف عن حقيقة التدين؛ إذ الدين هو مضمون يضم التعاليم وأحكام الشريعة، بينما التدين هو جهد الإنسان في الالتزام بتلك التعاليم؛ أي أن التدين كسْب إنساني؛ لذلك فإن هذا الفارق بينهما في الحقيقة الجوهرية لكل منهما، يفضي إلى اختلاف في الخصائص، وعليه فالتدين كثيرا ما يعيد صياغة الدين ويُشَكِّل له صورة جديدة، تحت تأثير حظوظ النفس، وغلبة الهوى، فضلا عن قصور العقل، ومحدودية الفهم والتفكير، ويُضَاف إلى ذلك الاعتبارات الخارجية المرتبطة بالمحيط الاجتماعي، والسياسي، والأجواء الثقافية العامة وغيرها من العوامل الأخرى، فهو تدين مستقل بذاته، لا يخضع للقيم والأحكام التي جاء بها الوحي، ومن ثم علاقته بالدين هي علاقة إلغاء وتناقض، وقد أدى عدم إدراك بعض المتدينين لهذه الحقيقة إلى اعتقادهم أن فهمهم للدين هو ذاته حقيقة الدين.

ج ـ إن بعض التصورات الناشئة عن التدين المنحرف قد تؤدي دورا حاسما، وفاعلا، ومؤثرا في عملية تشكيل الوعي الديني، والسياسي، والاجتماعي، والأخلاقي الذي على أساسه قد يعيش المتدين وهم احتكار الحق والحقيقة، ويتم على إثر ذلك صياغة مواقف استعلائية استكبارية لا تخلو من العدوانية التي قد يمارسونها على مخالفيهم.

منهج الدراسة

إن المنهج الرئيس الذي اعتمدته هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي، لما يتطلبه الموضوع من تتبع شواهد القرآن الكريم المتعددة حول الدين والتدين، والوصول بها إلى كليات تمثل معايير ومقاييس لحقيقة التدين. لكن هذا لا يمنع من استخدام مناهج أخرى بالعَرَض كآليات للبحث،

منها المنهج الاستنباطي، والمنهج الوصفي المتضمن المنهج التحليلي والتاريخي؛ ذلك أن الدراسات الموضوعية في القرآن الكريم تقوم على التجميع، والوصف، والتحليل، والاستقراء، مع الاستئناس بالمنهج التاريخي الذي يتيح للباحث إمكانية الاستعانة بأسباب النزول لتفسير النص القرآني وبيان موقفه من الوقائع التاريخية، أو كيفية معالجتها، حسب سياقها ومآلها التاريخي.

خطة البحث

لقد حاولت تأطير المادة العلمية لهذه الدراسة في ثلاثة فصول؛ فكان الفصل الأول موسوما بـ: **مفهوم الدين والتدين وحاجة الإنسان إلى الدين**، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث؛ تناولت في المبحث الأول: مفـهوم الدين، وفي المبحث الثاني: تناولت مفهوم التدين، أما المبحث الثالث: فقد كان مخصصا لتناول فطرية التدين وحاجة الإنسان إلى الدين، وقد وسمت الفصل الثاني بـ: **أسباب انحراف التدين ونماذجه من خلال القرآن الكريم**، وقسمته إلى مبحثين؛ تناولت في المبحث الأول: الأسباب الذاتية لانحراف التدين ونماذجه من القرآن الكريم، وفي المبحث الثاني تناولت: الأسباب الاجتماعية والسياسية لانحراف التدين ونماذجه من القرآن الكريم، أما الفصل الثالث الموسوم بـ: **أثر التدين المنحرف على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم**، وقد قسمته إلى مبحثين؛ تناولت في المبحث الأول: أثر التدين المنحرف على الفرد، وفي المبحث الثاني تناولت: أثر التدين المنحرف على المجتمع.

وقد اعتمدت جملة من المصادر والمراجع التي خدمت البحث في جوانبه المختلفة، ويأتي في صدارتها بعض تفاسير العلماء القدامي من أمثال: الطبري، والقرطبي، والرازي، وابن كثير، وابن عطية، وبعض تفاسير المحدثين؛ كتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وتفسير الظلال لسيد قطب، وتفسير الشعراوي، كما اعتمدت كتب الحديث المشهورة؛ كصحيحي البخاري ومسلم، ومسند أحمد، ومستدرك الحاكم على الصحيحين، واستعنت بمجموعة من المعاجم اللغوية والمعاجم المتخصصة لضبط بعض المفاهيم، وأذكر منها: لسان العرب لابن

منظور، القاموس المحيط للفيروز آبادي، معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني، المعجم الفلسفي لجميل صليبا، التعريفات للجرجاني.

وقد رافقني في إعداد هذا البحث الأستاذان الفاضلان: الدكتور **فؤاد بن عبيد، وعبدالباسط دردور**؛ فأما الأستاذ الفاضل فؤاد بن عبيد قد رافقني في هذا البحث مذ كان فكرة، إلى أن أنهيت منه فصلين، وقد كان له علي فيهما فضل التصويب والتوجيه والإثراء والتقويم، أسأل اللهَ سبحانه وتعالى أن يتقبل منه وأن يجازيه عني خير الجزاء، وله مني خالص الشكر والتقدير والعرفان، وقد واصل مرافقتي لاستكمال ما تبقى من البحث أستاذي الفاضل الدكتور عبدالباسط دردور، الذي أقدم له خالص الشكر والعرفان على قبوله مواصلة الإشراف، وعلى حرصه الكبير في تعهد هذا العمل بالرعاية والعناية الفائقة، حتى استوى بحثا مُعَضَّدًا بملاحظاته وتوجيهاته القيمة التي أثرت مضامينه، وزادته ضبطا وتقويما.

كما لا يفوتني تقديم واجب الشكر لأساتذتي الأفاضل؛ أعضاء لجنة المناقشة على ما سيتكرمون به من ملاحظات علمية، ستكون —بلا ريب– قِيمَةً مضافة إلى البحث، وسأتلقاها إن شاء اللهُ تعالى برحابة صدر، مع التأكيد أنني أتحمل بمفردي ما في البحث مِن هَنَّات ونقائصَ، قد تكون بسبب قصور وعجز مني في الالتزام الكامل بما قدمه لي الأستاذان الفاضلان من ملاحظات، لذلك أعتذر لهما سلفا إنْ لم أكن موفقة في العمل بكامل توجيهاتهما، أو كنت قد أخفقت في إظهار البحث على الصورة التي يجب أن يكون عليها.

أسأل الله عز وجل أن يلهمنا مراشدَ أمورنا، وأن يسدد خطانا، ويوفِّقَنا لما ينفعنا.

باتنة في: 04 جمادى الأولى 1445هـ
الموافق لـ: 18 نوفمبر 2023م

الفصل الأول

مفهوم الدين والتدين وحاجة الإنسان إلى الدين

المبحث الأول: مفـهوم الدين

المبحث الثاني: مفهوم التدين

المبحث الثالث: فطرية التدين وحاجة الإنسان إلى الدين

المبحث الأول: مفهوم الدين

ويتضمن

المطلب الأول: الدين لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: الدين والمصطلحات ذات الصلة

المطلب الثالث: التمييز بين الدين الحق والدين الباطل

الفصل الأول. مفهوم الدين والتدين وحاجة الإنسان إلى الدين

المبحث الأول: مفهوم الدين

تم تخصيص هذا المبحث لمقاربة مفهوم الدين، وهو يتكون من ثلاثة مطالب؛ **المطلب الأول** كان مخصصا لتحديد مفهوم الدين في اللغة الاصطلاح، أما **المطلب الثاني** فقد كان لإبراز الفرق بين الدين والمصطلحات ذات الصلة، وقد كان **المطلب الثالث** مخصصا لبيان الفرق بين الدين الحق والدين الباطل.

المطلب الأول: الدين لغة واصطلاحا

يتكون هذا المطلب من ثلاثة فروع؛ في الفرع الأول تم عرض التعريف اللغوي للدين، أما الفرع الثاني فقد تم تخصيصه لبيان مكمن الإشكالية في تحديد المفهوم الاصطلاحي للدين، مع عرض بعض التعريفات والمفاهيم الاصطلاحية المختلفة للدين عند العلماء المسلمين، وفي الفرع الثالث تم تناول مفهوم الدين عند فلاسفة الغرب.

الفرع الأول . الدين لغة

حدد ابن فارس أصل الجذر الصوتي لمادة "دين" فقال: « الدال والياء والنون أصل واحد إليه ترجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذل، فالدين الطاعة»[1] وجاء في لسان العرب لابن منظور أن: « دَيَنَ: الدَّيان: من أسماء الله عز وجل معناه الحَكَم القاضي، وسُئل بعض السلف عن علي بن أبي طالب . عليه السلام . فقال: كان دِيّان هذه الأمة بعد نبيها؛ أي قاضيها وحاكمها... والدَّيان: القهار وقيل: الحاكم والقاضي، وهو فَعَّالٌ مَنْ دان الناس أي قهرهم على

1 ابن فارس أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت، دط، 1399هـ، 1979م، مادة (دين)، 2/ 319.

الطاعة. يقال: دِنْتُهم فدانوا أي قهرتهم فأطاعوا؛ ومنه شِعْر الأعشى الجرمازي يخاطب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سيد الناس ودَيَّان العرب ... والدين: الجزاء والمكافأة... والدين لله من هذا إنما هو طاعته والتعبد له... » [1] وقد أورد أصحاب المعاجم العديد من المعاني المعجمية للفظة "دين" منها: الذل والاستعباد، الحساب والجزاء، الطاعة والتعبد، الورع، القهر والغلبة، الانقياد والاتباع، الدأب والعادة، العز ...[2] وغيرها من المعاني المتعددة للمشترك اللفظي "دين" التي يلتقي جلُّها في الملمح الدلالي العام المتمثل في الانقياد والعبودية والخضوع، بصرف النظر عن طبيعة هذا الانقياد والخضوع؛ أهو طوعي نابع من إرادة ذاتية واعتقاد شخصي، أم أنه قهري فرضته اعتبارات أخرى تتعلق بإرادة خارجية ؟ وفي كل الأحوال تتحدد طبيعة هذا الانقياد بحسب طبيعة الموروث الديني، وبحسب السياقات النفسية، والثقافية، و الاجتماعية، و السياسية ...

وقد وردت لفظة الدين في القرآن الكريم بمعاني مختلفة، تؤكد تعدد دلالاتها المعجمية التي نذكر منها:

- **الجزاء** في قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ **[سورة الفاتحة: 4]** أي مالك يوم الجزاء، وقول الله جَلَّ جَلالُه: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴾ **[سورة الذاريات:6]**
- **الطاعة والعبادة** في قوله عز وجل: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ **[سورة النحل:52]**

1 ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي، إبراهيم شمس الدين، نضال علي، الدار المتوسطية للنشر والتوزيع تونس، ط1، 2005م، مادة (دين)، 2/ 1352، 1353.

2 ينظر: نفسه، 1353/2، 1354.

وينظر: الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 8، 1426هـ 2005م، مادة (دين)، ص 1198.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾

[سورة الزمر: **2، 3]**

- **الإسلام** في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [سورة آل عمران: **19]**
- **الحكم والقضاء والسلطان** في قوله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ ﴾ **[**سورة يوسف: **76]**
- **الشريعة** في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [سورة الحج: **78]**

وانطلاقا مما تقدم لا بد من الإشارة إلى أن الجذر اللغوي **(د ي ن)** له دلالة أو معنى مركزي يتمثل في الخضوع والانقياد الذي يبديه الإنسان إزاء معتقدات وتعاليم آمن بها وصدَّقها، وبهذا الاعتبار يمكن تفسير باقي المعاني بما يجعلها قريبة من مصاديق الأصل، ومن ذلك معاني: الشريعة، والعبودية، والذل، والطاعة، الثواب والعقاب... فهذه المعاني لا تتناقض مع جوهر المعنى المركزي وروحه، بل تثبت أن الجذر المعنوي الواحد لمفردة الدين في استعمالاتها القرآنية المختلفة، يعبر عن الصلة العميقة والمحكمة بين هذه العناصر الثلاث:

- **المعتقدات** (وما تستلزمه من إيمان وتسليم وخضوع وانقياد بعد فهم واقتناع)
- **الأفعال** (كل السلوكات العملية التي تعبر عن التزام التشريع والتعبد به)
- **النتائج** المترتبة عنها (الحساب وما يتبعه من جزاء أو عقاب في يوم المعاد).

الفرع الثاني . الدين اصطلاحا

المفهوم البشري للدين هو مفهوم إشكالي؛ لذلك يتوجب توضيح مكمن الإشكال أو الأسباب التي حالت دون ضبط مفهوم جامع للدين، تتفق عليه المنظومات المعرفية بروافدها ومرجعياتها المختلفة، وعليه يمكن مقاربة هذه الأسباب في جملة نقاط هي:

- **تعدد الأديان:** فقد تشعبت الأديان وتعددت، بل انبثقت من الدين الواحد فرق ومذاهب، امتزج بعضها بالمزاج والمخيال والتفكير البشري حتى صار الإنسان . أحيانا . منتجا للدين أو مَصْدرا له، مع أن الأصل فيه أن يكون مستقبِلا للدين، متمثِّلا لتعاليمه، وعليه كان من الطبيعي أن نجد أنفسنا أمام تعدد التعاريف مادام الموضوع أو المصداق (الدين) المراد تعريفه متعدد في مضامينه وفي أشكاله التي يتعذر حصرها عبر التاريخ.
- **تعدد الرؤى المعرفية:** أمام ظاهرة تعدد الأديان التي يمتلك بعضها جذورا غيبية إلهية وحْيَانيَّة، ويمتلك بعضها الآخر صبغة ذات تمثلات طارئة عارضة ترتبط بظروف الناس وملابسات حياتهم والمرحلة التاريخية التي يعيشونها، ومن ذلك ظهور بعض التيارات الفكرية التي آمن بعضها بمحورية الطبيعة، وآمن بعضها الآخر بمحورية الفرد، وبعضها الآخر آمن بمحورية المجتمع، فسميت هي الأخرى أديانا... أمام ذلك كلِّه « وضعت الأديان المذكورة تحت مجهر التمحيص والتحقيق، وبدأت تُدَرَّس على الصعيد المعرفي من جهات مختلفة، كما هو الحال في فلسفة الدين، علم الاجتماع الديني، وعلم النفس الديني، وأدى تنوعها وسعتها إلى إنكار بعضهم إمكانية تقديم تعريف واحد للدين» .[1] لأن الأمر لم يعد مرتبطا بطبيعة الدين الذي سنعرفه فحسب، بل صار مرتبطا أيضا بطبيعة الرؤية المعرفية التي سيتم اعتمادها في تعريفه.

---

1 جوادي آملي، حقيقة الدين، ترجمة عادل لغريب، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية بغداد، دط، 1436هـ . 2015م، ص 13.

- **تجزيئ المفهوم**: قد نجد أنفسنا أمام بعض التعريفات التجزيئية التي ينطلق أصحابها من مجالهم التخصصي؛ فالذي يشتغل في الفقه مثلا قد يقدم لنا الوجه التعبدي من الدين، أما الذي يشتغل في علم الكلام مثلا قد يقدم لنا البعد الاعتقادي في الدين وما يقوم عليه من استدلالات عقلية، وقل مثل ذلك عن المتصوف الذي قد يقدم لنا الدين على أنه تجربة في السلوك لبلوغ مقامات معينة في الرحلة اللامتناهية إلى الله.

- **تداخل مفهوم الدين والتدين**: قد نجد أنفسنا أمام تعريفات للدين مصدرها هو الدين ذاته، بينما تعريفات أخرى قد يكون مصدرها التدين؛ لأنها تعبر عن تجربة الانسان مع الدين تلقيا وتفاعلا، وفهما، وممارسة، ويرى عبد الجواد ياسين في هذا الشأن أنه يمكن أن نستمد تعريف الدين من الدين، ولكن لا شيئ أصعب من ذلك، لأن الدين الذي سنستمد منه التعريف هو بعينه الذي يحتاج إلى تعريف، وعليه فإن أية محاولة في هذا الاتجاه سوف تسفر عن تعريف للدين مصدره التدين وليس الدين[1]

- بعض التعريفات لم تقدم مفهوما للدين بمعزل عن بعض ظواهر الثقافة الإنسانية؛ فمنها تلك التي تجعل التاريخ وعموم التراث البشري جزءا من الدين، كما نجد تلك التي تعرف الدين على أنه جزء لا يتجزأ من الأنثروبولوجيا التي تؤرخ للإنسان ككائن ثقافي، وعليه يتم تقديم الدين في مثل هذه الحالات على أنه مُنْجَز بشري، تتلون مضامينه وخصوصياته بحسب التلونات الثقافية، وبحسب تعدد التجارب البشرية عبر التاريخ.

وعليه وانطلاقا مما سبق سأحاول إيراد مجموعة من التعريفات، التي تؤكد إشكالية المفهوم الذي يتلون أو يتعدد بحسب الانتماء الديني، أو الإيديولوجي لصاحبه، وفضلت أن أقسمها بين تعريفات

---

1 ينظر: عبد الجواد ياسين، الدين والتدين، التشريع والنص والاجتماع، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء (المغرب)، ط2، 2014م، ص5.

تقدم بها علماء المسلمين؛ المتقدمين والمتأخرين، أوردتها في الفرع الثاني من هذا المطلب، وتعريفات أخرى لفلاسفة الغرب بمختلف تياراتهم ومشاربهم سأوردها في الفرع الثالث من هذا المطلب.

فقد عرف الجرجاني الدين على أنه: «وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ» [1]

وعند الرازي: «دين الله هو الإسلام، لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران: 19] ولقوله: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: 85] وللدين أسماء أخرى منها الإيمان... ومنها الصراط... ومنها كلمة الله... ومنها النور... ومنها الهدي... » [2]

وهو عند التهانوي « وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة، باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل، وهذا يشتمل العقائد والأعمال» [3]

وقد عرفه الهيثمي على أنه: «وضع إلهي سائق لأولي الألباب إلى الخيرات باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات » [4]

1 الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوريع القاهرة، دط، دت، ص92.

2 الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، ط1، 1401هـ ـ 1981م، ، 32/ 157.

3 التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج مكتبة لبنان بيروت، ط1، 1996م، 1/ 814.

4 ابن حجر الهيثمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، تحقيق: مجموعة من الباحثين، المكتبة التجارية الكبرى مصر، دط، 1357هـ ـ 1983م، 1/ 20.

والدين عند ابن الجوزي هو: «ما التزمه الإنسان، يقال دان الرجل لله عز وجل؛ أي التزم ما يجب لله عز وجل عليه» 1

وفي معجم لغة الفقهاء: «وضع إلهي يرشد إلى الحق من الاعتقادات والخير في السلوك»2

وقد عرفه رشيد رضا على أنه: «وضع إلهي يُحسِن الله تعالى به إلى البشر، على لسان واحد منهم، لا كسب له فيه، ولا صنع، ولا يُنقل إليه بتلق ولا تعلم» 3

والدين عند حامد ألغار هو « مجموعة من الأحكام والعقائد التي وضعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ بين يدي الإنسان لهدايته وإيصاله إلى السعادة الدنيوية والأخرويّة ...وإنّ الدين والدنيا والحياة أمور مندكّة في بعضها، وقد جاء الدين لإصلاح الحياة، وهدايتنا في بوتقة الدنيا، وإنّ معرفة الأسلوب والنموذج الصحيح للحياة لا يتسنّى من دون الوحي، والعمل بأحكام الدين ... الدين شامل للمعارف العقلية، والشهود القلبيّ والعمليّ الشرعيّ»4

أما عبد المجيد النجار فقد عرف الدين على أنه « هدي إلهي، يتصف بالمثالية والكمال، فهو تعاليم يتمثّل فيها الحقّ المطلق بناء على الكمال الإلهي في العلم الشّامل بأحوال الوجود، والمحيط بمصلحة الإنسان في مختلف منقلبات حياته»5

---

1 ابن الجوزي جمال الدين، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م، ص 295 .

2 محمد رواس قلعجي و محمد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس بيروت، ط2، 1408هـ - 1988م، ص212.

3 محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، دار المنار (القاهرة)، ط2، 1366هـ - 1947م، ، 2/ 69.

4 عبد الحسين خسروبناه، حقيقة الدين؛ تفصيل فلسفي لاهوتي كلامي، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية بيروت، العدد3، 1437هـ - ربيع 2016م، ص 157.

5 عبد المجيد النجار، فقه التدين فهما وتنزيلا، منشورات قرطبة الجزائر، ط2، 1427هـ 2006م، ص5

لقد أوردتُ هذه التعريفات متتابعة لما بينها من تشابه وانسجام يعود بالأساس إلى كون أصحابها من مدرسة واحدة؛ هي المدرسة التوحيدية لذلك تبدو متناغمة إلى حد كبير في ضبط المفهوم العام للدين، مع بعض التفاوت الطفيف بينها تفصيلا أو إجمالا فقد:

اتفقت في كون مصدر الدين وواضعه هو الله عز وجل. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ **[سورة التوبة: 33]**

- وأشارت في معظمها إلى أن المستقبِل أو القابل للدين، ومتلقيه هو الإنسان العاقل الذي ينقاد لأحكام هذا الدين ويلتزم بها.
- وأكدت أن تحصيل الإنسان الخير والمنفعة والنعيم لذاته، يكون بالتزامه الطوعي تعاليم الدين وأحكامه.
- وأوضحت أن اعتناق الدين مسألة اختيارية تتم باقتناع شخصي يفضي إلى التزام طوعي، وإلا لما كان الدين موجِّها لأصحاب العقول.
- وأوضحت أيضا أن للدين مُبَلِّغا عن الله، ويتمثل هذا المبلِّغ في عباد الله المـُخلَصين الذين يصطفيهم الله عز وجل لمقام النبوة وتبليغ الرسالة.

والملاحظة العامة التي يمكن الخروج بها أيضا مما سبق أن تلك التعريفات – هي في الواقع – تخص الدين المنزل (الوحياني)، لذلك لم نجد فيها أية إشارة للدين كمفهوم عام يعبر عن كل الأديان؛ سماوية كانت أم وضعية.

بينما نجد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور يقدم تعريفا للدين كمفهوم عام فيقول «والدين: حقيقته في الأصل الجزاء، ثم صار حقيقة عرفية يطلق على: مجموع عقائد، و أعمال يلقّنها رسول من عند الله ويَعِد العاملين بها بالنعيم و المعرضين عنها بالعقاب، ثم أطلق على ما يشبه ذلك مما يضعه بعض زعماء الناس من تلقاء عقله، فتلتزمه طائفة من الناس، و سمّي الدين دينا لأنّه يترقب

منه متّبعه الجزاء عاجلا أو آجلا، فما من أهل دين إلّا و هم يترقّبون جزاء من رب ذلك الدين، فالمشركون يطمعون في إعانة الآلهة ووساطتهم و رضاهم عنهم» [1]

مع أن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أفرد الدين الوحياني الإلهي بتعريف يخصه ويحدد حقيقته، إلا أنه لم يتجاهل الأديان الوضعية البشرية، التي عرفها هي الأخرى بما يعبر عن التقائها مع الديانات السماوية في فكرة الالتزام بمضمون الدين، وما ينص عليه من أوامر ونواهٍ، يترتب عنها الحساب وما يتبعه من ثواب أو عقاب، وذلك بحسب ما ينص عليه كل دين من الأديان المختلفة.

وقد ذهب الشيخ متولي الشعراوي هذا المذهب فعرف الدين على أنه «كلمة لها إطلاقات متعددة؛ فهي من "دان" تقول دنت لفلان: رجعت له وأسلمت نفسي له، وائتمرت بأمره... قد توجد أديان يخضع لها الناس، ولكنها ليست أديانا عند الله... إن معنى ذلك أن هناك دينا لغير الله فيه خضوع واستسلام، وفيه تنفيذ لأوامر، ولكن ليس دينا لله، ولا دينا عند الله. إن الدين المعترف به عند الله هو الإسلام» [2] فالمفهوم العام للدين الذي يتحقق فيه معنى الخضوع والتسليم، هو مفهوم مشترك بين الدين الحق، والدين الباطل، لكن لا دين عند الله إلا الدين الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لعباده، وأرسل أنبياءه ورسله للدعوة إليه؛ وهو الإسلام.

وقد قدم يوسف القرضاوي هو الآخر تعريفا للدين من حيث كونه مفهوما عاما تشترك فيه كل الأديان فقال: «الدين هو جوهر الوجود وهو روح الحياة والإنسان من غير دين ضائع في هذه الدنيا، ولذلك كان الدين أمرا عاما في تاريخ البشر لم يخلُ مجتمع من المجتمعات؛ أيًّا كان نصيبه من المدنية، وربما كان مجتمعا بدويا، ربما كان مجتمعا همجيا بدائيا، لكنه لم يخل من الدين

1 محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، دط، 1984م، 3/ 188، 189.
2 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم مصر، دط، دت، 1353/3.

كما قال أحد المؤرخين؛ قد وُجدت في التاريخ مدن بلا حصون ومدن بلا مدارس ومدن بلا قصور، ولكن لم يوجد في التاريخ مدن بلا معابد، هذا يشير إلى أن الدين شيء أساسي في حياة البشر يتعلق بالفطرة البشرية، الدين في معناه العام هو الاعتقاد أو الإيمان بقوة غيبية علوية لها هيمنة على البشر يخضع الناس لها ويشعرون بالافتقار، إليها ولذلك يبتهلون لها، ويقدمون لها صور من التنسكات والعبادات والقرابين إلى آخره، هذا المعنى العام الذي يشترك فيه الديانات الكتابية والديانات الوثنية» [1]

لقد قدم القرضاوي تعريفا عاما يشمل كل الأديان، ومن منطلق كون الدين حاجة فطرية لدى الإنسان الذي لم يُعرَف عنه منذ غابر العصور أنه استغنى عن الدين؛ في البدو كان أم في الحضر؛ لأن الإنسان يرى أنْ لا معنى لوجوده، ولا معنى للوجود والحياة إلا بالدين الذي يبث فيها الروح، ثم يضيف القرضاوي أن الدين في معناه العام الذي تشترك فيه الديانات السماوية والوضعية يقوم على: (الاعتقاد بوجود قوة غيبية، الخضوع لها والشعور بالحاجة إليها، التقرب إليها بالعبادة)، ويلتقي القرضاوي مع علي شريعتي في كون « المجتمعات الإنسانية القديمة على اختلاف أنواعها وأنماطها، كانت تأتلف على أساس عنصر مشترك هو (روح الدين) الموجودة في ضمير الإنسان القديم مهما كان نوع المجتمع الذي ينتمي إليه؛ طبقيا أوقبليا حضريا أو بدويا» [2] فالأمر يعبر عن توافق إنساني عام في إبداء الحاجة إلى الدين، لكن هذا التوافق يقابله اختلاف وتشتت في تعيين الدين الواجب اتباعه، لذلك نجد أنفسنا أمام ظاهرة تعدد الأديان عند البشر، مع أن الدين عند الله هو دين واحد.

---

1 يوسف القرضاوي، التدين المغشوش، تم النشر بتاريخ: 2007/04/19 https://www.aljazeera.net/programs/religionandlife
تمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 18 جانفي 2018م في الساعة: 22.09.

2 علي شريعتي، دين ضد الدين، ترجمة حيدر مجيد، مؤسسة العطار الثقافية، ط1، 1423هـ، 2007م، ص 26.

وقد عرف محمد حسين الطباطبائي الدين كمفهوم مطلق عام فقال: «الدين هو مجموعة المعتقدات، والقوانين التي تناسبها، مما له جانب عمليّ في الحياة» [1]

فكل دين؛ سواء أكان إلهيا سماويا، أم بشريا أرضيا لا بد أن يتوفر على تصور اعتقادي، وبموجب هذا التصور يتم سن بعض الأحكام أو التشريعات التي تناسب الاعتقاد وتنسجم معه، ثم على معتنق هذا الدين أن يلتزم في سلوكه العملي تلك الأحكام والتشريعات التزاما طوعيا يعبر عن إيمان الفرد بها وتفاعله معها، وقد أغفل صاحب هذا التعريف فكرة الحساب وما يتبعه من ثواب أو عقاب.

وقد قدم محمد عبدالله دراز بدوره تعريفا عاما للدين موضحا أنه « جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها» [2]

فالدين – في نظر دراز – هو منظومة نظرية تخضع لأحكام أو نواميس، تحدد وتوضح ما تتصف به تلك القوة الإلهية من صفات متعالية يؤمن بها الأتباع ويُـقِـرُّونَـها، والدين ـ في نظره ـ هو أيضا منظومة من الأحكام والتشريعات التي تحدد الكيفية التي تتحقق بها صلة العابد بمعبوده، ولم يُشِرْ في تعريفه هذا إلى مسألة الحساب، وتبدو وظيفة التشريع أو القواعد العملية — حسب هذا التعريف– محصورة في الجانب التعبدي فقط؛ أي في علاقة العابد بالمعبود.

وعليه وانطلاقا مما تقدم يمكن تقسيم الديانات بمختلف مضامينها وأشكالها، – باعتبار مصدرها – إلى قسمين رئيسين هما:

---

1 عبدالحسين خسروبناه، حقيقة الدين؛ تفصيل فلسفي لاهوتي كلامي، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية بيروت، العدد3، 1437هـ ـ ربيع 2016م، ص 157.

2 محمد عبد الله دراز، الدين؛ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم الكويت، د ط، ط ت، ص 52.

أ. ديانات إلهية

ارتبطت بالوحي وهي ذات بعد غيبي يعتقد بها الإنسان، ويلتزم تعاليمها، ويضبط سلوكه بمقتضى أحكامها، وهي تشتمل على ثلاثة أقسام؛ قسم يتعلق بالعقائد وما يترتب عن الاعتقاد بوجود الله من رؤية توحيدية لحقائق عالم الوجود، وقسم يتعلق بالأحكام الأخلاقية وتهذيب النفس، وقسم آخر يتصل بالتشريع وبيان الأحكام التي تضبط علاقة الفرد بالله، وعلاقته بالآخرين.

ب . ديانات بشرية

هي نتاج العقل البشري ونتاج مخياله وهواه، ويتم تقديمه في صورة مجموعة من العقائد والقوانين التي يتم سنها ووضعها، ليعبر من خلالها المجتمع أو الإنسان عن:

- شعوره الفطري بالحاجة إلى الدين، الذي يقابله شعور بالعجز والقصور الذي حال دون معرفته الدين الحق.
- شعوره بالخوف من بعض الظواهر الطبيعية التي تحيط به؛ مثل ظاهرة تعاقب الليل والنهار، وذلك بسبب جهله القوانين التي تحكم نظام الطبيعة، فضلا عن جهله بعضَ الأسرار الغيبية المرتبطة بما وراء الطبيعة.
- حاجته المُلِحَّة لنظام حياة عام يستمد سلطته من قوة غيبية يخضع لها الجميع خضوعا طوعيا، لذلك نشأت بعض الديانات البشرية تحت تأثير ظروف وملابسات الحياة الاجتماعية، وكان الهدف من نشوئها تنظيم حياة الناس الاجتماعية وشؤون معيشتهم، وربما طلبا للجاه أو الاستبداد بالحكم وبالرأي لاستغلال العامة باسم الدين.
- الرغبة والسعي لتحقيق المصالح والمنافع الخاصة لأولئك الذين يجتهدون كي يصنعوا دينا ويضعوه من وحي أفكارهم وأخيلتهم، وإملاءات أهوائهم، والإنسان الذي يمنح نفسَه جدارة صناعة الدين، إنما يزعم الربوبية وهو بذلك يتخذ إلهه ومعبوده هواه.

الفرع الثالث: مفهوم الدين عند فلاسفة الغرب

نجد أنفسنا أمام كم هائل من التعريفات التي قدمها مفكرون وفلاسفة غربيون للدين، لذلك سأحاول عرض بعضها بحسب تجانسها في المضمون العام.

أولا . تعريف الدين باعتبار الإنسان مستقبلا وممارسا له

وهي مجموعة تعريفات لأعلام ومفكرين غربيين؛ تشير في غالبها الأعم إلى الأدوار أو الوظائف الفردية والاجتماعيّة المنوطة بالدين، كما يوضح بعضها الآخر الوظائف والآثار الإيجابية أو السلبية التي تُنسب إلى الدين، ومن الأعلام الغربيين الذين عرفوا الدين من هذه الزاوية نذكر:

كانط: **Immanuel Kant** (**1804م**) الذي عرف الدين على أنه « الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية.» [1]

وقد وصف **كارل ماركس Karl Marx** (1883م) الدين بأنه: «آهة المقموع، وقلب عالم لا قلب له...إنه الدين الذي يخدّر البشر» [2]

ويرى **ماكس مولر**: **Max Muller** (1900 م) أن «الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، هو التطلع إلى اللانهائي وهو حب الله» [3]

بينما يعتقد **إميل دوركايم Émile Durkheim** (1917م) أن للدين وظيفتين أساسيتين: أولاهما تجميع الناس وخلق التضامن الاجتماعي، وثانيهما منح المتديّنين وسيلة لإدراك العالم ورؤيته، حيث تفضي الهويات الدينية إلى خلق هويات اجتماعية لدى أفراد الجماعة المؤمنة. ومن ثم،

---

1 محمد عبد الله دراز، الدين؛ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص 34.

2 مالوري ناي، الدين الأسس، ترجمة هند عبد الستار، مراجعة جبور سمعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت، ط1، 2009، ص 93.

3 محمد عبدالله دراز، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص 35.

ينتمي الفرد إلى جماعة ما، لأنه يحمل شعاراً دينياً يتفق مع الشعارات الدينية التي يحملها أفراد الجماعة نفسها. ونتيجة لذلك، فإن هاتين الوظيفتين معاً تجعلان أي مجتمع قابلاً للعيش فيه، بما أن الدين يعتبر شكلاً من أشكال الوعي الجماعي الذي يُبقي المجتمع في حالة من الوحدة الكاملة.[1]

سالمون ريناخ Salomon Reinach (1932م) يقدم لنا الدين على أنه مجموعة من الأوامر والنواهي التي تقف مانعاً في وجه الأداء الحرّ لقدراتنا[2] .

ويرى **بيار بورديو Pierre Bourdieu** (2002 م) أن الظاهرة الدينية هي سلطة رمزية، وأن المجال الديني القدسي هو نوع من الرأسمال الرمزي؛ أي سلع رمزية، يتم إنتاجها وتداولها واستهلاكها، بل التنافس عليها، تماما كما هو شأن السلع المادية[3]

والدين عند **إميل لويس برنوف**: **émille-Louis Burnouf** «هو العبادة، والعبادة عمل مزدوج؛ فهي عمل عقلي يعترف به الإنسان بقوة سامية، وعمل قلبي، أو انعطاف محبة يتوجه به إلى رحمة تلك القوة» [4]

ويعرف **ألبرت ريفيل Albert Réville** الدين على أنه: توجيه الإنسان لسلوكه «وفقا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية، يعترف لها بالسلطان عليه، وعلى سائر العالم، ويطيب له أن يشعر باتصاله بها» [5]

1مالوري ناي، الدين الأسس، ص 76

2 عبد الحسين خسروبناه، حقيقة الدين، مجلة الاستغراب، العدد3، 1437هـ - ربيع 2016م، ص 154.

3 علي حرب: نقد الحقيقة (النص والحقيقة)، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1، 1993، ص 60

4 دراز محمد عبد الله دراز، الدين؛ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص 35.

5 نفسه، ص 35.

المتأمل للتعريفات السابقة يلاحظ أنها عرفت الدين من منطلق كون الإنسان مجالا له؛ لذلك نجد فيها بعض الإشارات والعبارات التي هي في حقيقتها لا تُعَرِّف الدين كمضمون مستقل، بقدر ما تعبر عن الموقف الإيديولوجي من الدين؛ وهذا ما لاحظناه عند كارل ماركس وبيار بورديو، فكل منهما قدم موقفا انطباعيا يصور الدين على أنه مشروع مفتعل، لاستغلال البشر استغلالا تبرره السلطة الرمزية للمقدس الديني، بينما نجد تعريفات أخرى تصف علاقة الإنسان بالدين من جانبين:

الجانب الأول: يتمثل في الإنسان المتدين؛ أي الذي يتمثل قيم الدين وتشريعاته في سلوكاته مع ذاته، ومع غيره، وقبل ذلك مع الله، وهذا ما يبدو جليا في هذه العبارات المبثوثة في التعريفات السابقة: (الشعور بواجباتنا، العبادة، عمل قلبي، عمل عقلي، التطلع إلى اللانهائي وهو حب الله).

أما الجانب الثاني: فيتمثل في الإنسان الذي يتلقى الدين بوصفه وظيفة تنظم شؤون حياته، وهذا ما أوضحته مجموعة من العبارات والإشارات التي تكررت بشكل لافت في التعريفات السابقة، ونذكر من ذلك: (مجموعة أوامر ونواهي تقف مانعا... الدين جامع موحِّد لأتباعه، معتقدات وأفعال يوظفها بعض الناس، تجميع الناس، خَلْق التضامن الاجتماعي ...)

ثانيا. تعريف الدين بوصفه ماهية مجردة

يعرف الأب **فرانسوا شاتل: Francois Chatel** الدين على أنه «مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه» [1]

1 محمد عبد الله دراز، الدين؛ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص 34.

والدين في نظر **ميشال مايير**: **Michel Meyer** «هو جملة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله، ومع الناس، وفي حق أنفسنا» [1]

تالكوت بارسونز Talcott Parsons (1979م) يرى بأنّ مجموعة من المعتقدات والرموز(القيم التي تنشأ منها بشكل مباشر)، وهي تشتمل على التمييز بين الأمر التجريبي، والأمر المتعالي على التجربة.[2]

هذه التعريفات حاول أصحابها مقاربة الدين كماهية مستقلة أو قائمة بذاتها، تعبر عن نفسها بنفسها، وليس من خلال ممارسة الناس لها؛ فالدين في التعريف الأول هو مجموعة أحكام تشريعية دون إشارة إلى البعد الاعتقادي، بينما في التعريف الثاني هو تصور اعتقادي، يتبعه تشريع يحدد تكليف الفرد في الجانب العبادي، وفي الجانب المعاملاتي، أما التعريف الثالث يبرز هو الآخر البعد الاعتقادي للدين، وما يترتب عن ذلك من وجود قيم رمزية؛ بعضها قيم مقدسة متعالية مرتبطة بالكمال المطلق، وبعض هذه القيم الرمزية تراعي الممكن في عالم الإمكان الذي تتمثله التجربة البشرية بنجاحاتها أو إخفاقاتها، باستقامتها أو انحرافها.

ثالثا . تعريف الدين بوصفه مفهوما مركبا

يرى **كارل دوبي لاري**: **Karel Dobbelaere** أن «الدين نظام موحَّد من المعتقدات والآداب المرتبطة بحقيقة سامية ومتعالية على التجربة، هي توحِّد كلّ أتباعها، والمؤمنين بها، لتأسيس مجتمع أخلاقيّ موحَّد» [3]

---

1 محمد عبد الله دراز، الدين؛ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص 36.

2 عبد الحسين خسروبناه، حقيقة الدين، مجلة الاستغراب، العدد3، 1437هـ ـ ربيع 2016م، ص 153، 154.

3 نفسه، العدد3، 1437هـ ـ ربيع 2016م، ص 153.

كما يرى **ماستراو** أيضا أنّ الدين مركّب من أمور ثلاثة؛ هي: الاعتراف بقدرة أو (قدرات) ليست تحت تصرّفنا، والعلم بخضوعنا ومقهوريّتنا لهذه القدرة أو (القدرات)، وطلب الارتباط بها، ويتحصّل من هذه العناصر الثلاثة ما يلي: الدين إيمان نظريّ بقوّة أو قوى مجرّدة عنّا، ومسيطرة علينا، وينتج عن هذا الإيمان أمور؛ هي: منظومات وقوانين محدّدة، وأفعال معيّنة، وأنظمة خاصّة تربطنا وتصلنا بتلك القوّة أو (القوى)[1]

لقد وضح صاحب التعريف الأول أن الدين مفهوم مركب، ذلك لأنه نظام يتشكل من مجموع مكونات أو عناصر، تتمثل في:

- المعتقدات.
- القيم الأخلاقية والرمزية المتعالية.
- الأتباع الذين يجمعهم الإيمان والتصديق المشترك بالمعتقد، مع تمثل قيمه، والتزام تعاليمه بالشكل الذي يمنحهم مجتمعا توحده القيم الروحية والأخلاقية المشتركة.

وفي التعريف الثاني تأكيد على المفهوم المركب للدين والقائم على ثلاثة عناصر هي:

- وجود قوة غيبية متسلطة على الإنسان مجردة ومنفصلة عنه.
- الاعتراف بهذه القوة وضرورة العمل على معرفتها.
- سن التشريعات وتنظيم الأحكام العبادية التي تجعل الإنسان مرتبطا بالقوة الغيبية.

وقد انتبه عالم الاجتماع (دوركايم) إلى هذه التجاذبات في تحديد مفهوم الدين لذلك أكد أن أي تعريف للدين يجب أن ينطبق على جميع الديانات، من أكثرها بدائية إلى أكثرها تطورا وتعقيدا، ويضيف (دوركايم) أنه لكي نستطيع صياغة مثل هذا التعريف، ينبغي لنا أن نبحث عما هو مشترك بين الديانات المعروفة جميعا، ونُسْقِط من حسابنا تلك الأفكار والمعتقدات التي يختص

1 عبد الحسين خسروبناه، حقيقة الدين، مجلة الاستغراب، العدد3، 1437هـ ـ ربيع 2016م، ص 155.

بها دين دون آخر، فكل الأديان في نظره تلتقي في خصية مشتركة هي التعبير عن طبيعة الأشياء المقدسة وعلاقتها ببعضها، أو علاقتها بالأشياء الدنيوية.[1]

فقد أشار (دوركايم) إلى مسألة مهمة وهي ثنائية المقدس والدنيوي التي تؤطر الممارسة الدينية في كل الأديان، ويرى إمكانية اعتمادها في تحديد ملمح عام لمفهوم الأديان، ومن ثم صياغة تعريف مشترك يعبر عن كل الأديان مهما كانت مختلفة.

وفي كل الأحوال يظل مفهوم الدين خارج المنظومة التوحيدية مفهوما إشكاليا، تتجاذبه التيارات والمذاهب الإيديولوجية المختلفة، حيث يحاول كل منها أن ينتج مفهوما لا يعبر عن حقيقة الدين بوصفه معطى إلاهيا ذا قيم متعالية، بقدر ما يعبر عن رؤية هذه التيارات للدين وموقفها منه؛ وهو موقف إيديولوجي لا يعبر عن رؤية معرفية موضوعية محايدة.

1 ينظر: فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة دمشق (سورية)، ط 4، 2002م، ص 26.

المطلب الثاني: الدين والمصطلحات ذات الصلة.

تم تخصيص هذا المطلب لإبراز الفرق بين الدين والمصطلحات ذات الصلة، لذلك كان الفرع الأول مخصصا لبيان الفرق بين الدين والملة، والفرع الثاني لبيان الفرق بين الدين والشريعة، أما الفرع الثالث فكان مخصصا لبيان الفرق بين الدين والنِّحلة.

الفرع الأول ـ بين الدين ومصطلح الملة

جاء في لسان العرب أن: «المِلّة: الشريعة والدين، الملّة: الدين كَمِلَّة الإسلام والنصرانية، واليهودية، وقيل: هي معظم الدين، وجملة ما يجيء به الرسل، وتملل وامتلَّ: دخل في الملّة... والمملول من المِلّة أراد كأنه مثال مُمَثَّل مما يُعبد في ملل المشركين.» [1]

لقد تبين لنا في التعريف اللغوي للدين أنه يرتبط بمعاني كثيرة، وهي ـ في غالبها الأعم ـ قريبة من معناه المركزي المتمثل في الخضوع والانقياد، أما الملّة فقد قدمها صاحب اللسان على أنها مرادفة للدين، وبالتحديد ما يرتبط به الدينُ من تشريع، ثم أشار أن الملة قد تعني معظم الدين والشرائع التي جاء به أنبياء الله، وقد تعني أيضا ما يُعبد في مِلَل المشركين المختلفة.

وقد ورد ذكر المِلَّة في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [سورة الحج: 78]

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

[سورة البقرة 120]

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة (ملل)، 4/ 3779، 3780.

فالآية الأولى وردت فيها الملة بمعنى التشريع الذي جاء به نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ بينما الملة في الآية الثانية دلت على الديانات السماوية المحرَّفة، وعليه يكون القرآن الكريم قد وظف الملة بالمعنيين اللذين أشار إليهما صاحب لسان العرب، وفي كل الأحوال أرى أنه يتعذر تعيين الفرق بين الدين والملّة باعتماد التعريف اللغوي لكل منهما، وعليه سأحاول الاعتماد على بعض التعريفات الاصطلاحية التي قد نجد فيها ما يخدم غايتنا.

فقد حاول الراغب الإصفهاني توضيح ما بين الملّة والدين من توافقات واختلافات فقال: «الملّة كالدين وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – الذي تسند إليه نحو ﴿ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران:95] وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾ [سورة يوسف:38] ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها، لا يقال ملّة الله، ولا يقال ملتي وملة زيد كما يقال: دين الله ودين زيد، ولا يقال الصلاة ملّة الله ... وتقال: الملّة اعتبارا بالشيئ الذي شرعه الله.» [1]

فالملة عند الإصفهاني مثل الدين، ذلك إذا كنا نعني بها ما بلغه الأنبياء عن الله من أحكام، أو تكليف شرعي للتقرب إليه عز وجل بالعبادة والمعاملة طلبا لمرضاته، ويرى الإصفهاني أن الملة شبيهة للدين باعتبار الجامع بينهما؛ والمتمثل في الشريعة التي مصدرها الله عز وجل. مما يعني أن الملة لا تعبر عن الجانب الاعتقادي.

أما الفرق بين الملة والدين عند الإصفهاني فيتمثل في كون:

1 الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت، ط4، 1430هـ ـ 2009م، مادة (ملل)، ص 273 ـ، 274.

- الملة تعبر عن الشريعة، ولا تعبر عن الاعتقاد بخلاف الدين الذي يشمل الاثنين.
- الملة تضاف إلى النبي ـ حصرا ـ باعتباره مُبَلِّغا للشريعة عن الله.
- الملة لا تضاف إلى الله؛ فلا نقول ملة الله، بينما نقول: دين الله.
- ولا تضاف الملة أيضا إلى فرد من أفراد الأمة مهما كان مقامه، أومرتبته في العلم أو الفقاهة أو الوجاهة؛ كأن نقول: ملة زيد أو ملة سعد... في حين يمكن أن نقول: دين زيد أو دين سعد...
- تطلق الملة على عموم التشريع لا على خصوصه؛ فنقول ملة الإسلام ولا نقول ملة الصلاة ، أو ملة الصوم، أو ملة الحج... بينما يمكن أن نقول: الصوم دين، الصلاة دين، الحج دين...

وقد حاول الجرجاني بدوره أن يوضح ما بين الدين والملة من توافق وتمايز فقال: «الدين والملة متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث أنها تطاع تسمى دينا، ومن حيث أنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهبا، وقيل: الفرق بين الدين والملة والمذهب، أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد» [1]

فالجرجاني يرى:

- أن الدين هو ذات الملة باعتبارهما صادرين من مصدر واحد، وباعتبارهما أيضا موجبان للطاعة والانقياد.

1 الجرجاني، التعريفات، ص 92 ـ 93.

- أن الفارق بين الملة والدين يتمثل في كون التشريع متى تمت طاعته فهو دين بصرف النظر عن كثرة المطيعين أو قلتهم، وبالمقابل يصبح التشريع ملة متى كان جامعا، وعنوانا مقدسا ورمزيا لكل من يندرج تحته من المنتسبين المطيعين والمنتسبين غير المطيعين.
- الفارق الآخر بين الدين والملة في نظر الجرجاني يتمثل في كون الدين يُنسَب إلى الله عز وجل، بينما تُنسَب الملة للنبي المبلِّغ عن الله.

التهانوي: «الملة بالكسر وتشديد اللام ... وهي في الأصل اسم من أمللت الكتاب بمعنى أمليته... ومنه طريق مملول معلوم... ثم نقل إلى أصول الشرائع باعتبار أنه يمليها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يختلف الأنبياء – عليهم السلام – فيها، وقد يطلق على الباطل؛ كالكفر ملة واحدة، ولا يضاف إلى الله، فلا يقال ملة الله، ولا إلى آحاد الأمة، والدين يرادفها صدقا، لكنه باعتبار قبول المأمورين؛ لأنه في الأصل الطاعة والانقياد، ولاتحادهما صِدْقًا قال تعالى: ﴿ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ **[سورة الأنعام:161]** ...والملل جمع ملة الأديان المتعددة بتعدد أصحاب الشرائع» [1].

لقد قارب التهانوي في هذا التعريف بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية للملة وخلاصة الأمر عنده: أن الملة في اللغة تعني الطريق، وتعني الإملاء، ثم تم نقل المعنى إلى أصول الشريعة التي كان يمليها النبي – عليه الصلاة والسلام – لتكون طريقا ومنهاجا، ويرى التهانوي أن الملة مثل الدين من حيث دلالة الانقياد والطاعة، وهي أيضا مثل الدين من حيث إمكانية إطلاقها على الكفر؛ فنقول مثلا: ملة الكفر أو الكفر ملة واحدة، مثل قولنا: دين الكفر والباطل، ومن ذلك قوله تعالى موجِّهًا الخطاب للكفار على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم– :

1 التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 2/ 1639.

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [سورة الكافرون: 6]

أما الفرق بين الملة والدين عند التهانوي فيتمثل في كون:

- الملة لا تنسب إلى الله؛ وعليه لا نقول: ملة الله.
- الملة لا تنسب إلى الآحاد من الأمة؛ أي إلى فرد من الأفراد مهما علا شأنه وارتقى مقامه.

الفرع الثاني ـ بين الدين ومصطلح الشريعة

جاء في لسان العرب أن « الشريعة ... هي المواضع التي يُنْحدَر إلى الماء منها... والشِّرعة والشريعة في كلام العرب: مَشْرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، وربما شرَّعوها دوابهم حتى تشْرَعَها وتشرَب منها، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكونَ الماء عِدًّا لا انقطاع له ... والشريعة والشِّرعة ما سن الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر... ويقال: فلان يشترع شرعته ويفتطر فطرته ويمتل ملته، كل ذلك من شِرعة الدين وفطرته ومِلته» [1] جاء في معجم مقاييس اللغة أن « الشريعة هي مورد الشاربة، واشتق من ذلك الشِّرعة في الدين والشريعة.» [2]

وقد وضح الراغب الاصفهاني أن الشريعة سُميت شريعةً « تشبيها بشريعة الماء من حيث أن من شَرَع فيها على الحقيقة والمصدوقة رَوِي وتطهَّر» [3] وهذا ما ذهب إليه محمد الطاهر

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة (شرع)، 2/ 2013، 2014.

2 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (شرع)، 3/ 262.

3 الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 450.

بن عاشور؛ حيث أشار إلى المعنى المعجمي للشريعة فقال هي: «الماء الكثير من نهر أو واد، يقال شريعة الفرات، وسميت الديانة شريعة على التشبيه، لأن فيها شفاء النفوس وطهارتها»[1]

فالمعنى اللغوي العام للشريعة والمتمثل في موارد الشاربة التي تكون ـ حسب الراغب الاصفهاني وابن عاشور ـ قد شُبِّهت بها شريعة الدين استصحابا لوظيفة الماء واستئناسا بمعانيها المتمثلة في السقي والري والتطهير، وهي ذات الوظيفة المتوخاة من الشريعة الحقة التي تروي الروح وتشبعها، كما تطهر النفس وتهذبها، وبالإضافة إلى ذلك أشار كل من ابن منظور وابن فارس إلى المعنى الخاص للشريعة من حيث اتصالها بالدين، وبالتحديد إلى ما يرتبط بالدين من أحكام سنها الله، وأمر عباده أن يلتزموها ويعملوا بها؛ كالصلاة والصوم والحج والزكاة... وغيرها من الأحكام العبادية والمعاملاتية المعبرة عن الالتزام العملي بأحكام الدين، تأكيدا لصدق الإيمان والاعتقاد، وسعيا للقرب الإلهي وابتغاء مرضاة الله عز وجل.

وفي التعريفات للجرجاني جاء أن « الشرع في اللغة عبارة عن البيان والإظهار، يقال: شرَّع الله كذا أي جعله طريقا ومذهبا، ومنه الشِّرعة... الشريعة هي الائتمار بالتزام العبودية، وقيل الشريعة هي الطريق في الدين» [2] لقد أشار الجرجاني إلى مسألتين مهمتين؛ **الأولى** هي وظيفة الإظهار و التبيين التي تؤديها الشريعة من حيث كونها توضح أحكام الدين بقصد الإفهام، ثم توضح كيفية العمل بها بقصد الالتزام، أما **الثانية** فهي تحديد الغاية من الشريعة والمتمثلة في امتثال أوامر الله عز وجل والعمل بها تعبدا، حتى تكون الشريعة طريق المتعبدين للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالعبادات التي شرعها لهم.

1 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 6/ 223.

2 الجرجاني، التعريفات، ص 108، 109.

وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير الذي أكد أن الشريعة هي « ما شرع الله لعباده من الدين؛ أي سنَّهُ لهم وافترضه عليهم، يقال: شرع لهم يشرع شرعا إذا أظهره وبيَّنَه، والشارع هو الطريق الأعظم، والشريعة مورد الإبل على الماء الجاري... وشرع في الأمر والحديث: خاض فيه » [1] فالشريعة عند ابن الأثير تبين وتوضح أحكام الدين التي سنها الله، وألزم بها عباده، وهي أيضا الطريق أو المنهاج المتبع للوصول إلى الغاية، وهذا التوصيف لا يخلو من مجاز يراد به أن الشريعة هي الطريق الذي يسلكه المتعبد ليتصل بالله وبالدين الحق، تشبيها بالطريق التي يسلكها من يَرِدِ الماء.

ووصْف الشريعة بوصْف من هذه الأوصاف المتمثلة في: الطريق أو الطريقة أو المنهاج القويم المجرد عن أهواء البشر، لم يكن مقتصرا على الجرجاني أو ابن الأثير فحسب، بل نجده متداولا في العديد من المعاجم، وذلك استنادا إلى قوله تعالى:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ **[سورة المائدة: 48]**

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **[سورة الجاثية: 18]**

فالشِّرْعة في لسان العرب « معناها ابتداء الطريق، والمنهاج الطريق المستقيم » [2] والشرع في مفردات ألفاظ القرآن هو « نهج الطريق الواضح، يقال: شرَعت له طريقا، والشرع مصدر، ثم جُعِل اسما للطريق النهج فقيل له: شِرْع، وشَرْع، وشِرْعة واستُعير ذلك للطريقة الإلهية في الدين» [3] وفي التحرير والتنوير الشرعة والشريعة هي المنهاج؛ أي «الطريق الواسع وهو هنا تخييل أريد به

---

1 ابن الأثير محي الدين بن أبي السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ط1، 1383هـ. 1963م، 2/ 460.

2 ابن منظور، لسان العرب، مادة (شرع)، 2/ 2014.

3 الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 450.

طريق القوم إلى الماء... فمنهاج المسلمين لا يخالف الاتصال بالإسلام، فهو كمنهاج المهتدين إلى الماء» [1]

وقد حاول صاحب معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم أن يوضح ويدقق في مدى تقارب الدلالة واختلافها بين الشريعة، والمنهاج مؤكدا أن «الشِّرعة هي أحكام الدين وقواعدُه، والمنهاج: هو فهم الإنسان للدين وطريقة توصلِه إليه، ودلائلِه على أحكامه... وبين الشِّرعة والمنهاج تقارب دلالي، حيث يشتركان في معنى الطريق والطريقة، وتختلف الشِّرعة في كونها الأصل والمورد والمنهاج والدلائل الدالة على ذلك المورد، وكيفية التوصل إليها» [2]

وعليه فإن ما سبق إيراده من التعاريف فيه تأكيد على الحقيقة الجوهرية للشريعة، ومقصدها العام المتمثل في توفير أسباب السكينة والاطمئنان و الهداية إلى الدين الحق، لذلك تم توصيف الشريعة بالطريق أو المنهاج الذي يُنْعَت هو الآخر:

– في لسان العرب بأنه **مستقيم** والاستقامة ينتفي معها الزيغ والانحراف. قال تعالى:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ **[سورة المائدة: 48]**

– وفي مفردات ألفاظ القرآن بأنه **واضح** والوضوح ينتفي معه التيه والضلال وكل ما يترتب عن اتباع الأهواء من زيغ وانحراف.

قال تعالى:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الجاثية: 18]

1 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 6/ 223.

2 محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، دط/ 2008، ص 303، 304.

– وفي التحرير والتنوير بأنه **واسع** والسعة أو الفسحة ينتفي معها الضيق، وما يترتب عنه ويتبعه من مشقة وحرج.

قال تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ **[سورة البقرة: 185]**

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ **[سورة الحج: 78]**

والشريعة في كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم هي « كل طريقة موضوعة بوضع إلهي ثابت من نبي من الأنبياء، ويطلق كثيرا على الأحكام الجزئية التي يتهذب بها المكلف معاشا ومعادا»[1]

وهي ما شرع الله لعباده من الأحكام، وقيل هي السنة، والطريق في الدين، ويطلق الشرع أيضا على الدين والملة، إلا أن الشريعة والملة تضافان إلى النبي والأمة فقط، على حين أن الدين يضاف إلى الله تعالى أيضا، والشرعي هو المنسوب إلى الشرع تعبيرا عن كل ما صدر عنه من أحكام.[2]

فالشريعة إذن ليست مرادفة للدين كي تعبر تعبيرا مفصلا ودقيقا عن كل معانيه وأبعاده الروحية في عالمي الغيب والشهادة، بل هي جزء من الدين، وتمثل بعدا من أبعاده العملية المتضمن للأحكام التشريعية التفصيلية؛ أي ما شرعه الله لعباده، وبينه لهم من الأوامر والنواهي والحلال والحرام، التي يترتب عنها الالتزام العملي للمتدين تسليما وخضوعا لهذا التكليف المترتب عن البعد الاعتقادي للدين الذي آمن به، ولأن الشريعة هي تَمَثُّلٌ عملي لأحكام الدين تم وصفها

1 التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 1019.

2 ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 1018، 1019.

بالمنهاج والطريق المستقيم، والواضح، والواسع الذي تتحقق بها الهداية الحقة إلى دين الله عز وجل الذي هو دين واحد عند كل الأنبياء، وإنْ اختلفت شرائعهم وتنوعت بحسب المرحلة والظرف وما يقتضيه الحال، لذلك تُنسب الشريعة إلى النبي، ولا تضاف إلى الله.

الفرع الثالث ـ الفرق بين الدين ومصطلح النِّحْلة

جاء في لسان العرب «فلان ينتحل كذا وكذا؛ أي يدين به، وقيل: نِحْلة أي دينا وتدينا ... والنِّحلة الدعوى، وانتحل فلان شعر فلان، أو قول فلان إذا ادعاه أنه قائله، وتنحله ادعاه وهو لغيره... ونَحَلَه القولَ ينحله نحلا: نتسبه إليه، ونَحَلْتُه القول أَنْحَلُه نحْلا إذا أضفت إليه قولا قاله غيره وادعيته عليه، وفلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا إذا انتسب إليه... انتحل فلان كذا وكذا: معناه قد ألزمه نفسه... ويقال ما نِحْلتُك أي ما دينك؟»[1]

وجاء في النهاية في غريب الحديث والأثر أن «النُّحْل: العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق، يقال: نحله ينحَلُه بالضم، والنِّحلة بالكسر: العطية ... النِّحْلة هي النسبة بالباطل»[2]

وفي معجم مقاييس اللغة «...انتحل كذا إذا تعاطاه وادَّعاه، وقال قوم: انْتَحَله إذا ادَّعاه محقا، وتَنَحَّلَه إذا ادَّعاه مبْطِلا»[3]

وقد ورد ذكر النِّحلة في قوله تعالى:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾

[سورة النساء: 4]

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة (نحل)، 4/ 3866.

2 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 29/5.

3 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (نحل)، 5/ 29.

والمعنى كما وضَّحَه ابن فارس أن نقول: «نَحَلْتُ المرأة مهرَها نِحْلةً، أي عن طيب نفس من غير مطالبة» [1]

بعد عرض ما تقدم من تعريفات لغوية يمكن القول: إن أهم المعاني التي يمكن أن تستفاد وتستخلص في الجانب المتعلق بموضوعنا أن النِّحلة والانتحال قد تعني:

الدين الذي ندين به، وننتسب إليه، ونلزم أنفسنا به وهذا ما أشار إليه ابن منظور، وتعني أيضا ما قد يدعيه المرء من دعوى كاذبة وباطلة، وعليه فإن الجمع بين المعنيين؛ أي الدين الذي يدين به المرء من جهة، والدعوى أو الادعاء الباطل من جهة ثانية، سيمنحنا أو يقربنا من المعنى الدقيق للنِّحلة وهي الارتباط بدين باطل ناشئ من ادعاء كاذب وأهواء تخالف الفطرة ودين الحق.

ولعل هذا ما أشار إليه الشهرستاني في مقدمة كتابه: الملل والنحل حين قال: «فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل، وأهل الأهواء والنِّحل، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تديَّن به المتدينون، وانتحله المنتحلون، عبرة لمن استبصر، واستبصارا لمن اعتبر» [2]

اللافت في قول الشهرستاني أنه قرن النِّحل بأهل الأهواء، ثم أردف قوله بعبارة: (ما تديَّن به المتدينون، وانتحله المنتحلون) والانتحال في اللغة هو الادعاء الكاذب كقولنا: انتحل فلانٌ شِعرَ فلانٍ، أو قولَ فلانٍ إذا ادّعاه.[3]

---

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (نحل)، 5/ 29.

2 الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: أبو محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية القاهرة، دط، دت، 1/ 19.

3 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نحل)، 4/ 3866.

والنِّحلة كما جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا قد تطلق على «طائفة من الناس يجمعهم مذهب واحد... أو تطلق على طائفة من الناس تجمعهم عقيدة باطلة أو عقيدة مخالفة لعقيدة الجماعة، فتكون حينئذ مرادفة للبدعة.» [1]

يرى صاحب المعجم الفلسفي أن النحلة تسمية تطلق على طائفة من الناس تجمعهم عقيدة باطلة، ولم يقل بأنها تسمية تطلق على العقيدة الباطلة التي تجمع طائفة من الناس، ذلك لأن تقدير الكلام بالنسبة إليه ربما هو (أهل النحلة) لذلك اعتبرها تسمية تطلق على طائفة من الناس، وليس على معتقدهم، لكن في كل الأحوال ما يستفاد من تعريفه أن النحلة تسمية تتعلق بضلال طائفة من الناس، بسبب عقيدتهم الباطلة التي هي انحراف عن العقيدة الصحيحة الحقة، وهي عقيدة الجماعة كما عبر عنها جميل صليبا.

أما عبد الرحمان الجامي فيرى أن أهل النِّحل ليسوا تابعين لكتاب ديني[2] مما يعني أنهم هم من وضعوا دينهم وصنعوه تحت تأثير الأهواء وغلبة حظوظ النفس، وربما تحت تأثير الجهل، أو الشعور بالحاجة إلى الدين، إذا لم يجد هذا الشعور ما يقابله من أسباب الهداية للوصول إلى معرفة الدين الحق، لذلك فالنِّحْلة تعني كل ما اعتقده بعض الناس، وآمنوا به من أساطير وآلهة وأوثان، وكل ما وضعوه من تشريعات ضالة مضلة، ثم ألزموا أنفسهم بها من باب الاستجابة لحاجتهم الفطرية الملحة في ممارسة التدين، ثم لسد الشعور بالفراغ الروحي الناشئ عن الجهل بالدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده.

وعليه وانطلاقا مما تقدم يمكن القول:

---

1 جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني بيروت، دط، 1982، 2/ 460، 461.

2 التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 1639.

إن النِّحلة من حيث كونها معتقدا هي من صنع البشر، لذلك تمثل الباطل مطلقا، بينما الدين قد يكون وحيانيا مصدره الله، بلغه عنه الأنبياء ومن ثم هو دين الحق، أما إذا كان الدين من صنع البشر، صادرا عنهم فهو دين باطل وانحراف، وكذلك الشأن في الملة التي قد تكون ملة حق إذا ارتبطت برسالة الأنبياء، وقد تكون ملة كفر إذا ارتبطت بغير الأنبياء، بينما الشريعة ارتبطت بالدين الحق فقط وما جاء به من أحكام تعبدية ومعاملاتية، لذلك كان لزاما أن يتناول البحث مسألة الدين الحق والدين الباطل كما نص عليها القرآن الكريم.

المطلب الثالث ـ التمييز بين الدين الحق والدين الباطل

تم تخصيص هذا المطلب لبيان الفرق بين الدين الحق ودين الباطل؛ فكان **الفرع الأول** منه لتوضيح مفهوم كل منهما، أما **الفرع الثاني** فقد خصصته لتوضيح خصائص الدين الحق، في حين كان **الفرع الثالث** مخصصا لتوضيح خصائص الدين الباطل.

الفرع الأول ـ مفهوم الدين الحق ودين الباطل

أولا . مفهوم الدين الحق

يؤكد القرآن الكريم في العديد من آيه المحكم أن ما جاء به الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – هو الدين الحق ومصدره الله عز وجل، وحقانية هذا الدين نعني بها أن أطروحته الاعتقادية ومنظومته التشريعية تطابق نظام الوجود، وتنسجم مع نواميسه وتفاصيله، سواء أتعلق الأمر بعالم الغيب، أم بعالم الشهود وما يشمله من سنن الكون والحياة والأنفس، والقرآن الكريم من أوله إلى آخره يُعد شاهدا استدلاليا لتأكيد هذه الحقيقة[1]. ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **[سورة الروم: 30]**

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ **[سورة فصلت: 53]**

لقد دعا القرآن الكريم في معظم آياته إلى تأمل نظام الكون والخلق والحياة، لاكتشاف آيات الله الكثيرة التي يهتدي إليها الإنسان بفطرته فتحيله إلى خالق هذا الكون ومدبر آياته، وفي

1 ينظر على سبيل المثال: سورة آل عمران/ 193، سورة الأنعام / من 96 إلى 100، سورة الأعراف / 56، سورة النحل/ من 3 إلى 16، سورة الشمس / من 1 إلى 10.

الوقت ذاته ليعلم هذا الإنسان حقانية دين التوحيد الذي ينسجم مع فطرته من جهة، ويطابق الواقع ونظام الوجود بسننه من جهة ثانية، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الحق ومصدرٌ لكل حق؛ يمثل القوة المطلقة والقدرة الفاعلة التي أوحت بالدين وسَنَّت وشرَّعت أصوله الاعتقادية والتشريعية والأخلاقية، بينما الإنسان هو القابل الذي يتلقى مضمون الدين باعتباره يمتلك قدرة التفكير والمعرفة، ومن ثم اتخاذ الموقف الذي نعني به اختيار هذا الدين، الذي وصفه المولى تبارك وتعالى في عدة مواضع من محكم التنزيل بالدين الحق، فقال عز وجل:

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ **[سورة البقرة: 147]**

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ **[سورة آل عمران: 60]**

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ **[سورة يونس: 94]**

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ **[سورة هود: 17]**

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ **[سورة الحج: 54]**

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ **[سورة السجدة: 3]**

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾

[سورة التوبة: 33]

فالإسلام أشرف الأديان على الإطلاق لأن معجزة صدقه كما يقول محمد الطاهر بن عاشور هي: «القرآن، وهو معجزة تدرَك بالعقل، ويستوي في إدراك إعجازها جميع العصور، ولخلو

هذا الدين عن جميع العيوب في الاعتقاد والفعل فهو خلي عن إثبات ما لا يليق بالله تعالى، وخلي عن وضع التكاليف الشاقة، وخلي عن الدعوة إلى الإعراض عن استقامة نظام العالم »[1] لذلك أكدت الآيات السابقة على حقانية الدين الذي مصدره الله عز وجل، فتكررت فيها عبارة: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ست(06) مرات، وجاءت مقترنة في أكثر من موضع بالتحذير من الشك والارتياب في دين الله عز وجل أو عدم الإيمان به ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ ؛ لأنه دين الحق الذي أظهره الله على الدين كله، وهو الدين الذي جاء لينذر ويقيم الحجة على من لا نذير له، لذلك لا مناص من الإيمان به اعتقادا وتَشرُّعا، وبه يتحقق اطمئنان القلوب وسكينة النفوس ﴿فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ *لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ﴾

ثانيا . مفهوم الدين الباطل

لا بد من التأكيد في مستهل الأمر أن الدين الباطل قد يمثل مطلق الباطل كما هو حال الديانات الوثنية، وقد يكون في أصله دين حق لكن مع مرور الزمن شابه بعض الباطل الذي لا يعود إلى ذات الدين، وإنما يعود إلى أمزجة المتدينين وأهوائهم كما هو حال الديانات السماوية التي تم تحريفها.

وكما وضح القرآن الكريم المعايير التي على ضوئها يمكن أن نعرف الدين الحق، فإنه قدم لنا بالمقابل المعايير التي على ضوئها يمكن أن نعرف الدين الباطل؛ هو أن يتبنى الإنسان مجموعة تصورات اعتقادية وهمية خيالية، تفتقد الاستدلالات التي تمنحها صفة المعقولية، كما أنها تشريعات وقوانين غير حكيمة لا يتوفر فيها شرط المصلحة ولا تنضبط بميزان العدالة، وهي في عمومها

1 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 10/ 173.

* **تُخْبِت**: بمعنى تلين وتخشع (ينظر: الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (خبت)، ص 272.)

منظومة مضطربة، متناقضة، منفعلة، غير مطابقة لا للعقل، ولا للواقع ولنظام الحياة والوجود برمته.

قال عز وجل:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ **[سورة النجم: 19 ـ 25]**

فالإنسان هو مصدر الدين الباطل؛ حيث يؤدي دورا فاعلا في صناعته وإنتاجه، ووضع قوانينه، وتقديم تأويلات جاهزة له، وفي الوقت الذي يؤدي دور الفاعل في صناعة الدين، يؤدي أيضا دور القابل أو المستقبل والمتلقي له، بما يحقق له رغباته ومنافعه، لذلك لا يمتلك هذا النوع من البشر أي استعداد للالتفات إلى الحق، والاهتداء إلى طريق الله عز وجل، وتكون أمانيهم التي هي من وحي هواهم سببا في خسرانهم لحياتهم الدنيا والأخرى.

يقول تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ **[سورة الجاثية: 23]**

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾**[سورة البقرة: 79]**

فالآيات السابقة تشير في معظمها إلى أن منشأ الدين الباطل هو الإنسان الذي يخضع لهواه، تحقيقا لمصالح ذاتية ودنيوية عارضة، هي في حقيقتها تتعارض مع مقاصد الدين وتعاليمه وأحكامه، ولا شك أن الذي يتبع هواه تراه يصبح على حال ويمسي على حال آخر، لأنه يتقلب

بتقلب شهواته، ويميل حيث تميل نفسه ويميل مزاجه. وبذلك تتعدد آلهته التي يخضع لها بتعدد الأهواء وتقلبات الطبع والمزاج، وفي ذلك تعبير عن الميل العظيم إلى الشهوات.

الفرع الثاني ـ خصائص الدين الحق

بما أن الدين الحق من مصدر واحد، ينسجم مع الفطرة، ويطابق الواقع يمكن أن نجمل خصائصه في خاصيتين اثنتين، أو عنوانين كبيرين تتكثف فيهما كل المعاني والخصائص الجزئية الكثيرة التي تؤكد حقانية الدين، وتتمثل الخاصيتين في:

أولا. الهداية وحُسْن المعاش والمعاد (سعادة الدنيا والآخرة)

فالنتيجة التي يحققها الدين الحق لمعتنقيه الذين أخْلَصوا وصدَقوا والتزموا، هو الهداية واستقامة الأمر، وصلاح الحال في الحياة الدنيا، يتبعه نعيم دائم في الآخرة.

قال تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: 25]

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام: 122]

لقد أشارت الآيتان؛ الأولى والثانية إلى أن ما يَسعد به الناس في حياتهم الدنيا، وفي حياتهم الأخرى هو:

1 ـ الارتقاء بفضل الدين الحق ـ على مستوى الفعل والسلوك ـ إلى مقام القسط والعدل الذي به تنتشر قيم الخير، ويَعم الصلاح، وتُحفظ به الحقوق وتصان النفوس؛ وليس ذلك على مستوى السلوك الفردي فحسب، بل على مستوى الحركة الاجتماعية بشكل عام.

2 ـ الارتقاء أيضا بفضل الدين الحق ـ على مستوى الموجودات القلبية والعقلية ـ إلى مقام المعرفة والشهود والإدراك السليم؛ لأن الذي شهد الحق وأدركه بصدق، ثم اعتقد ذلك بصورة صحيحة، لن تكون مظاهر حياته إلا تجليات للنور الإلهي، وعليه يكون المؤمن الذي ارتقى إلى هذا المقام ـ بحسب الرؤية القرآنية ـ نورا للمجتمع الذي يتحرك فيه.[1]

من كان في دنياه على هذا الحال من العدل والخير والصلاح والاستقامة والنورانية، فإن مآله هو ما بشره به الله عز وجل من رحمة ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم.

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾

[سورة التوبة: 21]

ثانيا. وحدة الدين الحق

فالدين الحق مصدره واحد؛ الحق عز وجل، لذلك كان مضمون الدين الذي بلَّغه الأنبياء هو مضمون واحد، وبعنوان واحد هو الإسلام. فقال جل جلاله:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ **[سورة آل عمران: 19]** وكل دين عداه هو دين باطل لن يكون مقبولا عند الله عز وجل الذي قال في محكم تنزيله:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

[سورة آل عمران: 85]

فالإسلام هو الدين الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وإليه ينتسب من تبعهم وآمن برسالتهم، « والإسلام في لغة القرآن ليس اسما لدين خاص، إنما هو اسم

1 ينظر: جوادي آملي، حقيقة الدين، ص 20، 21.

للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء» [1]، وهذا ما نجده مذكورا في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن ذلك:

قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ **[سورة الأنبياء: 25]**

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ **[سورة النحل: 36]**

وقوله عز وجل على لسان نبيه نوح عليه السلام:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ **[سورة يونس: 71، 72]**

وقوله على لسان إبراهيم ويعقوب – عليهما السلام – وهما يوصيان بنيهما:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ **[سورة البقرة: 132]**

وقوله على لسان موسى – عليه السلام – وهو يخاطب قومه:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾ **[سورة يونس: 84]**

وقوله على لسان حواريي عيسى – عليه السلام–:

---

1 محمد عبد الله دراز، الدين؛ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص 175.

﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾
[سورة آل عمران: 52]

فدعوة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – هي واحدة من حيث الأصول الاعتقادية المتعلقة مثلا بوحدانية الله عز وجل وعدالته، والنبوة، والمعاد، بينما التشريع قد يختلف في بعض الأحكام الخاصة التي تعود خصوصيتها هي أيضا لخصوصية المكان والزمان والحال، وقد أمر الله عز وجل عباده أن يُسْلِموا لله عز وجل، ويؤمنوا بهذا الدين لينتسبوا إليه. فقال:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ **[سورة البقرة: 136]**

فهذه الآيات جميعها تؤكد أن أتباع الأنبياء عبر التاريخ يُنسَبون إلى الإسلام وبه يوصفون؛ لأن الدين الذي جاء به الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ دين واحد؛ هو (التوحيد) من مصدر واحد هو (الله عز وجل) يخدم غاية واحدة هي (سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة) « وبالجملة نرى اسم الإسلام شعارا عاما يدور في القرآن على لسان الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية، ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة، يوجهها إلى قوم محمد، ويبين لهم فيها أنه لم يُشَرِّع لهم دينا جديدا، وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم» [1]

فقال عز وجل:

﴿ * شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ ﴾ **[سورة الشورى: 13]**

1 محمد عبد الله دراز، الدين؛ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص 175، 176.

فالدين الواحد يعني الأمة الواحدة التي لا فرقة ولا اختلاف فيها، وعليه فإن المخرج من الاختلاف والتباين كما يقول محمد متولي الشعراوي: «هو أن يخرج كلٌّ منا من هوى نفسه أولا، ثم نرد القضية التي اختلفت فيها أهواؤنا إلى من لا هوى له، وربك سبحانه وتعالى هو وحده الذي لا هوى له» [1]

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: 71.]

فالوحدة وعدم الفرقة مرهونة بإقامة الدين الجامع الذي تلقاه الأنبياء من معين واحد، وعنده تنتهي الأهواء، وكل ما له صلة بحظوظ النفس ومصالح الأفراد أو الجماعات، هذه المصالح التي لا تعبر بالضرورة عن الصلاح، بقدر ما تعبر عن المفهوم المتدني للمنفعة التي تتعارض ومنظومة الدين، ومن ثم لا تتحقق فيها قيم الخير والصلاح.

الفرع الثالث ـ خصائص الدين الباطل

أولا. الضلال وسوء المعاش والمعاد

فالمتدينون بالدين الباطل؛ وبخاصة أولئك الذين تأخذهم العزة والكبرياء بما هم عليه من كفر وضلال، لا ريب أن حياتهم تنبني على باطل، بل إن كل كيانهم المعبر عن حركتهم وحضورهم في هذا الوجود، لا يتحقق إلا وفق ما تمليه منظومة هذا الدين الباطل، لذلك من الطبيعي أن يعيشوا حالة ضلال وتيه، وضياع، وانحراف في الحياة الدنيا، يتبعه الخسران وسوء المآل والمعاد في الحياة الأخرى.

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 14/ 8535.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢ ﴾ [سورة الجاثية: 31، 32]

وقال عز وجل على لسان نبيه إبراهيم – عليه السلام– وهو يحاجج أباه آزر:

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة الأنعام: 74]

ثانيا. تعدد الدين الباطل

يقول عز وجل:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنعام: 153]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام: 159]

من الطبيعي أن نشهد تعدد الدين الباطل؛ ذلك لأن القضايا التي « تختلف فيها الأهواء: هي القضية التي يخدم بها كل قائل فكرةً عنده فقط، وإنْ كانت ضارةً بغيره، فمادام الأمر قائما على الأهواء، فلابد أن تختلف؛ فكلٌّ له هواه الخاص» [1]

فالدين الباطل إذن مرتبط بأكثر من مصدر، مما يعني ارتباطه بأكثر من مزاج وهوى، وارتباطه أيضا بأكثر من ثقافة ومجتمع، فضلا عن ارتباطه بطبيعة العصر الذي ظهر ونشأ فيه، مع ما يتبع ذلك من ملابسات العصر وظروفه السياسية والاجتماعية، وما هو عليه حال العقل

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 7/ 8534.

البشري من تطور، أو تعثر، أو ما يخضع له من تأطير وتوجيه وتنميط، أو ما يتاح له من أدوات المعرفة والتفكير عبر العصور والمراحل التاريخية المختلفة.

ثالثا. غياب الالتزام والمسؤولية

من يصنع دينه بنفسه، سيسعى حتما لبسط سلطته على الناس باسم سلطة هذا الدين، لذلك تراه بقدر ما يعمل ليُلزم بها غيرَه، يعمل أيضا على أن يضع نفسه في مقام يمنحه حق تجاوز سلطة هذا الدين، أو ربما يمنحه سلطة موازية قد تفوق سلطة هذا الدين باعتباره مصدرا لهذا الدين ومؤسسا له، لذلك تراه متحررا من أية مسؤولية معنوية، أو التزام أخلاقي اتجاه قوانين هذا الدين، وهو بذلك يمثل المصداق العملي الذي عبرت عنه الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ **[سورة الأنبياء: 23]**

أما من يُفترض أنهم أتباع هذا الدين فهم يجدون أنفسهم أمام دين كان قد وضعه صاحبه وفق اهتماماته الفكرية، وميولاته النفسية والجسدية، التي لا تعبر بالضرورة عن اهتماماتهم وميولاتهم، لذلك تجدها في غالبها الأعم تختلف عما هي عليه أحوالهم، أو عما تقتضيه مصالحهم، ومن ثم من الطبيعي أن لا تتناغم كل النفوس، وكل الأهواء والأمزجة مع دين هو في الأصل نتاج مزاج وهوى جهة ما لتحقيق غرض ومنفعة ما.

قال سبحانه تعالى:

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ **[سورة الإسراء: 83، 84]**

وعليه لا يُظهر الأتباع التزاما طوعيا صادقا بهذا الدين، ولا يندفعون نحوه بإرادة ذاتية تعكس أثر الدين وتمكنه في نفوسهم، بل كل ما يظهرونه – أحيانا – من التزام هو في الواقع التزام

صوري، قهري، درءا لمكروه قد يصيبيهم، أو عقاب قد تسلطه عليهم جهة ما ذات سلطة أعلى تبنت هذا الدين أو ذاك لتلزم به العامة دون أن تلتزم به هي، لذلك ترى كل إنسان من هذا النوع من البشر كما تشير الآية السابقة «يعمل على ما يشاكل أخلاقه التي ألفها، وهذا ذم للكافر، ومدح للمؤمن... لأنه الخالق لكم، العالم لما جُبِلتم عليه من الطبائع، فهو الذي يميز بين المؤمن الذي لا يُعرِض عند النعمة ولا ييأس عند المحنة، وبين الكافر الذي شأنه البطر للنعم، والقنوط عند النقم» [1] وعليه فإن من يتبع الدين الباطل لا يخضع لهذا الدين، بقدر ما يخضع لطبائعه ويتصرف بمقتضاها، ولا يشعر بأية مسؤولية معنوية اتجاه هذا الدين إلا بالقدر الذي ينسجم مع طبائعه ويلبي مطالبه النفسية، وهذا ما يختلف عليه الحال في الرؤية القرآنية التي لا تستثني أحدا من مسؤولية القيام بالتكليف الديني بمن في ذلك أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – دون أن يتزعزع هذا الإيمان قيد أنملة بسبب نعمة حلت، أو نقمة نزلت.

قال عز وجل:

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ **[سورة الأعراف: 6]**

رابعا. مناهضة الدين الحق

مَن ينتج الدين بما تمليه مصلحته ويوحي به هواه، أو يحرف الدين الحق ليتوافق مع حظوظ النفس وما تشتهي وتهوى، ومن يعمل على جعْل أحكام الدين وتشريعاته متناغمة مع ما ترغب فيه نفسه وتستدعيه مصلحته التي لا صلاح له فيها، من الطبيعي أن يتخذ موقفا عدائيا اتجاه الدين الحق، واتجاه رسالات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هذه الرسالات التي جاءت لتغير النفوس التي حادت عن الفطرة السوية، وجاءت لتغير واقع الناس، ومن ثم كان لزاما على البشر أن يخضعوا لها، لا أن يُخضِعوها لأنفسهم، وهنا يكمن السبب الجوهري الذي يثير الكثير من

1 الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة بيروت، ط4، 2007م، 839/15.

المواقف المناهضة للدين والمعادية لدعاته، أو التأسيس للمشاريع الموازية للدين والمزاحمة له. قال سبحانه تعالى:

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝٧٠ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٧١ ﴾ [سورة المائدة: 70، 71]

فدين الله عز وجل؛ هو الدين الحق الذي جاء ليغيّر، ويوجه، ويربي، ويُقوّم، ويقود؛ إنه الدين الحق والصراط المستقيم، الذي يصل الإنسان بالله عز وجل ويقربه منه، فيضمن لنفسه الهداية والاستقامة والرضوان وبذلك تتحقق له سعادة الدارين؛ الدنيا والآخرة.

أما الدين الذي يصنعه أو يتصرف فيه البشر، بل إن كل السبل الأخرى هي حتما سبل تسلك مناحي واتجاهات مختلفة، تتنوع فيها أشكال الضلال والتيه والضياع، لتفضي إلى نتيجة واحدة هي إبعاد سالكيها عن سبيل الله عز وجل؛ أي تبعدهم عن الدين الحق الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده، وتحول حجب النفس بينهم وبين الحق، فلا يلقون سمعا إلى صوت الحق، ولا بصرا أو بصيرة إلى نورانية الدين الحق، ومن كان أمره على هذا الحال فقد حق عليه الشقاء في الدنيا، وحق عليه العذاب في الآخرة.

المبحث الثاني: مفهوم التدين

ويتضمن

المطلب الأول: التدين في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: التدين في القرآن الكريم

المطلب الثالث: الفرق بين الدين والتدين

المبحث الثاني: مفهوم التدين

تم تخصيص هذا المبحث لتوضيح مفهوم التدين، باعتماد ثلاثة مطالب؛ حيث كان **المطلب الأول** لتحديد مفهوم التدين في اللغة وفي الاصطلاح، أما **المطلب الثاني** فقد كان لبيان مفهوم التدين في القرآن الكريم، وفي **المطلب الثالث** تم تناول الفرق بين الدين والتدين.

المطلب الأول: التدين في اللغة والاصطلاح

تم تخصيص هذا المطلب لتحديد مفهوم التدين في اللغة وفي الاصطلاح؛ لذلك كان **الفرع الأول** في ضبط المفهوم اللغوي للتدين، أما **الفرع الثاني** فقد كان لضبط المفهوم الاصطلاحي للتدين في بعده الإيجابي، كما كان **الفرع الثالث** في ضبط المفهوم الاصطلاحي للتدين في بعده السلبي.

الفرع الأول: التدين في اللغة

جاء في لسان العرب: « دان بكذا دِيَّانة، وتديَّنَ به فهو دَيِّنٌ ومُتديِّن، وديَّنتُ الرجلَ تدْيينا إذا وكَّلتُه إلى دينه ... والدِّين ما يتديَّن به الرجل» [1]

وجاء في معجم مقاييس اللغة أنه « دان له يدين دينا إذا أصحب وانقاد وطاع، وقومٌ دِينٌ؛ أي مطيعون ومنقادون» [2]

وفي مفردات القرآن « الدين يقال للطاعة والجزاء، واسْتُعير للشريعة... لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة» [3]

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة (دين)، 2/ 1353 ـ، 1354.

2 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (دين)، 2/ 319.

3 الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، 1/ 322.

تفيد الصيغة الصرفية المشتقة من الفعل الثلاثي المجرد المزيد بحرفين، التي ترد على وزن " **تَفَعَّلَ** " معاني كثيرة، ومن بين هذه المعاني التي تفيدها، معنى **المطاوعة** ومعنى **الاتخاذ** أيضا[1] ، وهذا له صلة بالمعنى المعجمي للفظة التدين؛ وعليه يمكن القول: إن صيغة "تَدَيَّنَ" من الفعل الثلاثي المجرد "دَيَنَ" تفيد معنى المطاوعة كما تفيد أيضا معنى الاتخاذ؛ ذلك لأن المتدين **اتخذ** لنفسه دينا بشكل **طوعي** انقيادي وبإرادة ذاتية لا إكراه ولا إلزام فيها، ومن ثم فالتدين بحسب ما يمكن أن يُستفاد، ويُسْتَنتَج من التعاريف المعجمية التي أوردتها في هذا الصدد يعني أن يتخذ الفرد لنفسه دينا ثم يُلزم نفسه بالطاعة؛ بكل ما تعبر عنه الطاعة من معاني الخضوع والتذلل والانقياد لأوامر الدين، والتزام أحكامه وتمثُّلِها في سلوكه العملي باعتبار هذا الفرد قابلا للدين ومتلقيا له، وعليه فإن من يعمل بأحكام الدين وينقاد لتعاليمه فهو يتديَّن به، أي يتخذه لنفسه دينا، ومن ثم يوصف بهذا الفعل؛ أي فعل التدين الذي يمارسه ويقوم به طاعة وانقيادا، لذلك نقول عنه: إنه متديِّن اعتبارا أو توصيفا لعلاقة التفاعل والالتزام التي تربطه بدينه.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [سورة التوبة: 29]

فلفظة "**يَدِينون**" في هذه الآية الكريمة – بصرف النظر عن السياق - هي تشير إلى علاقة الفرد بالدين فهما والتزاما وممارسة، وهذا ما نعبر عنه بالتدين.

الفرع الثاني: التدين في الاصطلاح[2] ببعده السلبي

الحديث عن التدين يعني الحديث عن علاقة الإنسان بالدين، بوصفه المجال القابل أو الطرف المتلقي والمتمثِّل لعقائد الدين وتعاليمه الأخلاقية وأحكامه التشريعية، التي يكون لها أثرها

1 ينظر: عزيز خليل محمود، المفصل في النحو والصرف، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر، دط، دت، 4/ 14، 16.

2 لم أعثر على التعريف الاصطلاحي للتدين في بعض المعاجم الاصطلاحية المشهورة مثل: معجم التعريفات للجرجاني، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي، المعجم الفلسفي لجميل صليبا.

في بناء تصورات الإنسان المتدين، وتكوين وجدانه، وتوجيه سلوكه بشكل عام، فالإنسان كما يقول عبد الجواد ياسين « هو الذات التي تتدين؛ أي التي تتصل بالدين في ذاته... عن طريق النص، يتم ذلك على المستويين الفردي والجماعي بشكل تفاعلي مركب، تحمل الذات الفردية حساسيتها الخاصة التي تُكوِّن تصورها المتفرد للمطلق الديني، وعند التعامل مع النص بشقيه المطلق والاجتماعي، يتلون المضمون النصي بلون الذوات المدرِكة والمعبرة التي تتأثر تلقائيا بإكراهات الواقع الاجتماعية ذات الطابع الكلي، فالنص ذاته من حيث هو بناء لغوي حامل لمضمون معرفي وتكليفي يخضع لآليات اشتغال اللغة وهي كائن اجتماعي تاريخي خاضع بدوره لضرورات التعدد والتطور» [1]

فالإنسان – حسب ما جاء في تعريف عبد الجواد ياسين – يقيم علاقته بالدين من خلال النصوص التي تعبر عن مضمون هذا الدين، لكن بلغة هي في أصلها كائن اجتماعي تتأثر بثقافة مستعمليها وعاداتهم فضلا عن سياقات تداولها، كما أنها معطى جاهز لا يمكنه أن ينقل حقائق الدين كما هي، بحيث تكون منفصلة عن تأثير الإنسان في توجيه مقاصدها ومعانيها، ويرى أن علاقة الإنسان بالدين تنتظم في صورة تفاعلية مركبة؛ تبرز فيها علاقة الإنسان بالله، وعلاقته بنفسه، ثم علاقته بغيره من الناس، ويستصحب الإنسان انطباعه الخاص ومشاعره الخاصة في تشكيل تصور يخصه حول الدين، وبذلك يكون النص الديني حسب عبد الجواد ياسين قد انبصم ببصمة الذات مرتين؛ الأولى عند إدراكه وتلقيه، والثانية عند التعبير عنه[2]

لذلك يمكن القول: إن الإنسان المتدين لا يعبر تديُّنُه بالضرورة عن مضمون الدين كما هو، بل المتدين يعبر عن أحكام الدين وتعاليمه، ويتمثلها في أفعاله بحسب إدراكه وفهمه لها، وبحسب درجة الالتزام بها، وذلك بعد أن تكون قد امتزجت بمشاعره واصطبغت بها، كل ذلك

1 عبد الجواد ياسين، الدين والتدين التشريع والنص والاجتماع، ص9.

2 ينظر: نفسه، ص 10.

بفعل الخضوع والاستجابة الاضطرارية لبعض العوامل الخارجية المحيطة به التي تدفعه لتكييف الدين وتوظيفه بما يحقق مصلحته وفق ظروفه تلك، وبذلك يصبح الإنسان المتدين الواقع تحت تأثير ظروف الواقع، ومتطلبات الذات؛ الموضوعية منها وغير الموضوعية، هو من يُوجه الدينَ ويُكَيِّفُه بما يظنه المتدين مصلحةً له، بدل أن يكون الدينُ هو الموجِّه الذي تتكيف ظروفُ المتدينِ وفق تعاليمه وأحكامه.

وبناء على ما تقدم يمكن القول: إن عبد الجواد ياسين حصر مفهوم التدين في صورة نمطية سلبية مذمومة لمتدين قد يحَرِّف الدينَ أو ينحرف عنه لأسباب ذاتية، أو لأسباب أخرى ترتبط بعوامل خارجية قد تكون اجتماعية، أو سياسية وغيرها من الظروف والعوامل الخارجية التي لها أثرها في ضبط تصورات الفرد وسلوكاته ومواقفه.

وقد قدم محمد جواد لاريجاني مفهوما للتدين السلبي الذي هو – حسب تقديره –ارتباط المتدين بالدين على أنه نتاج ثقافي؛ مثل اللغة والعرف، والعمارة التقليدية والفن المحلي، وغيرها من مقومات الهوية الثقافية التي قد تكون جميلة، لكن قد نجد لها بديلا، بل قد نجد الأجمل منها في ثقافات أخرى، فالدين بهذا المفهوم يعد جزءا من هوية الفرد الثقافية، وخصوصية من خصوصياتها، وعليه حين يكون توجه الفرد إلى الدين من منطلق كونه إرثا ثقافيا، ويقدسه على هذا الأساس؛ فإنه يكون قد جانب الصواب المتمثل في المدخل المعرفي للدين بوصفه حقيقة يترتب عنها ممارسة التدين بوعي وفهم وتبصر.[1]

فإذا كان الإقبال على الدين من منطلق كونه إرثا ثقافيا، فإنه سينتج عن ذلك نموذج سلبي مذموم للمتدين الذي يتعصب للدين، ويعيش وثوقية زائدة، تجعله يظن أنه يحتكر الدين

1 ينظر: محمد جواد لاريجاني، التدين والحداثة، ترجمة علي رضائي، الغدير للدراسات والنشر بيروت، ط1، 1421هـ- 2001م، ص 34 ـ 42.

الحق، مع أنه في الواقع يجهل حقائق الدين، ولا يمتلك تصورا واضحا وناضجا حولها، بل لا يستطيع الاستدلال على صحتها إلا بترديد ما توفر بين يديه من نصوص قد لا يفهمها فهما سليما وعميقا، فهناك كما يقول محمد الغزالي: «من يؤمن بالله عن تقليد، ما أعملَ فكرا ولا أدار بصرا ! ما قيمة هذا الإيمان؟ البعض رفضه، ولم يمنحه قيمة، والبعض قبله على إغماض ولم يعدَّ صاحبه كافرا، وسواء أخذنا بهذا الرأي أو ذاك فإن المقلد في إيمانه امرؤ من الدهماء لا يقود ركْبا ولا يصدر رأيا، إنه تابع وحسب» [1] فهو لم يكلف نفسه عناء البحث، والتدبر، والتفكر والتساؤل ليجعل علاقته بالدين قائمة على الوعي بمضامينه؛ فهو -كما أسلفت الذكر – اكتفى بأنْ ينطلق من مسلَّمة مؤداها أن الدين الذي ينتسب إليه هو خيار محسوم وإرث جاهز، يتلقفه بجهل وبغير وعي عمن كان له السبق في اختيار الدين، ثم توريثه للخلف من بعده وإلزامهم به دون معرفة ذاتية، وقناعة شخصية تؤدي إلى فهم حقائق الدين، ومن ثم ممارسة التدين بوعي وتبصر.

ويرى يوسف القرضاوي أن قيمة التدين مرهونة بالآثار المترتبة عنه؛ إذْ لا قيمة لأي تدين يقتصر فيه صاحبُه على إقامة الصلاة وغيرها من الشعائر الدينية، دون أن يكون لذلك أثر في توجيه أخلاقه، وتحصيله الفضائل التي يُرجى تحصيلها من الدين[2]، وهذا ماذهب إليه أيضا محمد الغزالي حين أكد أن هذا الصنف من المتدينين لا قيمة لتدينهم؛ لأنه لا تنهض به الحياة، ولا يتحقق به رشاد المجتمع، فالمؤمنون المقلدون والمصلون الذاهلون ينفعلون ولا يفعلون، يُقادون ولا يقودون، ويعيشون وفق ما يقال لهم، لا وفق ما توحيه ضمائرهم.[3]

1 محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق القاهرة، دط، دت، ص 47.

2 ينظر: القرضاوي، التدين المغشوش، تم نشره بالموقع الالكتروني لقناة الجزيرة بتاريخ: 19/ 04/ 2007 https://www.aljazeera.net/programs/religionandlife تمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 18 جانفي 2018م في الساعة: 22.09.

3 محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، ص 47.

وعليه وانطلاقا مما سبق يمكن القول: إن التدين السلبي المذموم هو:

- كل تدين يخضع فيه صاحبه لحظوظ النفس وغلبة الهوى، فيصطبغ الدين بالمشاعر الذاتية ويعاد إنتاجه وفقها.

- كل تدين يتعامل فيه المتدين مع الدين من منطلق كونه قناعة جاهزة محسومة، لأنه إرث ثقافي واجتماعي لا خيار له غيره ولا بديل له عنه.

- كل تدين لا تترتب عنه آثار أخلاقية وسلوكية تنسجم مع مضمون الدين وأحكامه.

الفرع الثالث: التدين في الاصطلاح ببعده الإيجابي

حين استعرضت مفهوم التدين السلبي كما قدمه عبد الجواد ياسين لا حظت بالمقابل أنه أغفل صورة التدين الممدوح للمتدين السوي الذي يمكن تقديمه كمصداق عملي يطابق تدينُه تعاليم الدين وأحكامه، ولعل أنبياء الله ـ عليهم الصلاة السلام ـ وأتباعهم الصادقون الذين أخلصوا لهم، وتمسكوا بهديهم يمثلون الصورة القدوة للتدين المحمود السوي، يقول عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ **[سورة فصلت: 30]**

وقد قام مجموعة من الباحثين بمقاربة مفهوم التدين، من زاوية حُسْن الظن بالمتدين الذي - هو في كل الأحوال - يسعى بصدق ليحقق في ذاته وواقعه ما تيسر من تعاليم الدين، وعليه استأنس هؤلاء الباحثون بالفكرة التي تطرح التدين على أنه « مكسب إنساني في تكييف الحياة بتعاليم الدين، يتصف بالمحدودية والنسبية، ذلك لأن الإنسان في كسبه الديني يغالب عوائق الواقع المادية؛ متمثلة في شهوات النفس من جهة، وفي عناد البيئة الكونية في الاستجابة لمطالبه من جهة

أخرى، فهو يحقق في التدين قدرا من مطلوبات الدين، تتناسب مع ما يمضي فيه الجهاد لترقية الذات، وتزكية المجتمع، واستثمار الكون اقترابا في ذلك من الله» 1

فالتدين – حسب هذا الرأي – هو جهد ومكابدة يبديها الفرد المتدين بِنَيَّة التمكين لتعاليم الدين، وتكييف ذاته وواقعه معها، وبما أن الجهد البشري محدود فمن الطبيعي أن لا يكون تدين الإنسان تدينا كاملا يطابق مضمون الدين مطابقة تامة، وبخاصة إذا علمنا أن الفرد المتدين يجد نفسه في مواجهة مع متطلبات الحياة المادية بكل إغراءاتها التي تستثير فيه غريزة الاشتهاء بكل تمثلاتها، وعليه فإن الإنسان وهو يكابد ويجاهد في ممارسة الدين، هو في نهاية الأمر يسعى ليحقق في ذاته وواقعه ما أمكن تحقيقه من تعاليم الدين.

ويرى محمد جواد لاريجاني أن التدين الإيجابي؛ هو التدين المبني على أساس الارتباط بالحق الذي يستقطب كل طالب له مهما كان انتماؤه القومي والثقافي، ولا مدخل إلى دين الحق سوى مدخل المعرفة الذي يجعل التدين قناعة شخصية، ومن ثم يُقبل المتدين على ممارسة الدين بوعي وتبصر، ويسعى لأن يلتزم تعاليمه بصدق وإخلاص.2

إذن النموذج المعبر عن التدين الإيجابي حسب ما أورده ـ محمد جواد لاريجاني ـ هو اعتناق الدين باقتناع وبوعي وتبصر ينبني عن معرفة سابقة يتوخى فيها المتدين إصابة الحقيقة والاهتداء إليها، لكن الأمر لا ينتهي ولا يتوقف هنا، بل على المتدينين تدينا عقلانيا كما يقول: مصطفى ملكيان أن لا يعتبروا « أنفسهم "أصحاب الحقيقة" وإنما يفهمون تدينهم بمعنى أنهم

1 أحمد أرضاء مختار، آمنة محمد عبدالله العاني، أحمد خالد رشيد العاني، مفهوم التدين، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية ماليزيا، المجلد3، العدد 4، أكتوبر 2017. ص 44.

ملاحظة: هذا القول نسبه الباحثون إلى الشيخ الددو وهو يلقي محاضرة في مسجد ازويرات بموريتانيا، بينما نسبه النجار عبد المجيد في الصفحة 6 من كتابه: فقه التدين فهما وتنزيلا إلى حسن الترابي.

2 ينظر: محمد جواد لاريجاني، التدين والحداثة، ترجمة علي رضائي، ص 34 ـ 42.

"طلاب حقيقة"، فتدينهم لا يعني أنهم امتلكوا الحقيقة، بل أنهم شرعوا بطلبها، وانطلقوا في حركة سلوكية للوصول إليها، وبعبارة أدق، لا يُدخلنا التدين مملكة نضمن فيها الأمن والفلاح لأنفسنا، مهما فعلنا ومهما كانت تصرفاتنا ومواقفنا، بل الصحيح هو أننا عند دخول الدين نشرع بطلب الحقيقة والكدح اليها ولا نمتلكها دفعة واحدة» [1]

فالاهتداء إلى الدين ثم التدين به ليس هو المنتهى الذي تتحقق عنده الغايات المرجوة من الدين، والمتمثلة بشكل عام في سعادة الدارين؛ الدنيا والآخرة، إنما التدين هو بداية السير في الطريق الذي تُزْجى به مقاصد الدين وغاياته، وعليه فإن رحلة الإنسان في المعرفة، وتحصيل الفهم، وبناء الوعي هي رحلة متواصلة لتثبيت ما سبق من القناعات التي انبنى عليها اختيار الدين الحق، ثم إثراء ما تم اكتسابه من المعارف التي تحققت بها تلك القناعات، وذلك بالبحث المستمر في معرفة واكتشاف التطابق الموجود بين حقائق الدين وحقائق الواقع.

فالتدين الإيجابي كما يصوره عبد المجيد النجار « هو جهاد لإنجاز الدين فيه معاناة يكابدها الإنسان عبر واقعه الذاتي والموضوعي، وفي ذلك الجهاد يصوغ من تصرفاته الفردية، والاجتماعية، والكونية في مكابدته لواقع النفس، والمجتمع أفعالا جزئية غير منحصرة يحقق بها كليات الدين، ويقترب بها قُدُما نحو المثال الكامل، على قدر ما يُصيب في اجتهاده، وما يُخلص في جهاده، في حركة لا تَستنفد أغراضَها بتحقيق الكمال، ولكن يتجدد زخَمُها، ويشتد بما يُحسن الإنسان من أساليب التدين في تزكية النفس وتعمير الأرض.» [2]

إذا كان مصطفى ملكيان قد ركز على مفهوم التدين من حيث كونه فهما وتصورا، يتحقق على مستوى العقل لممارسة التدين بعقلانية، فإن عبد المجيد النجار قد ركز على مفهوم

---

1 مصطفى ملكيان، التدين العقلاني، ترجمة عبد الجبار الرفاعي، عرض مهدي، الموقع الالكتروني لمؤسسة الحوار المتمدن، العدد 2004، 2007/08/11م، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=105462 العودة إلى الموقع كانت يوم: الجمعة 18 جانفي 2019 في الساعة 05.21.

2 عبد المجيد النجار، فقه التدين فهما وتنزيلا، ص 6، 7.

التدين من حيث كونه ممارسة عملية لإنجاز الدين، وفي ذلك –كما يرى – مكابدة لا تخلو من جهد ومشقة، ذلك لأن المتدين وهو يسعى لتحقيق كليات الدين، وبلوغ المثال الكامل في تمثل تعاليم الدين وأحكامه، يجد نفسه في مواجهة ما يعتري النفس البشرية من ضعف، ونزوع نحو متطلباتها المادية التي قد لا ينسجم بعضها مع تعاليم الدين.

وعليه يكون التحدي والرهان هو مدى قدرة المتدين في تكييف متطلبات النفس ورغباتها لأحكام الدين، بدل تكييف الدين لمتطلبات النفس، وفي كل الأحوال بقدر ما يكون المتدين مخلصا في تدينه، فإنه من الصعوبة بمكان أن يضمن تدينا كاملا، ومُنَزَّها بالمطلق من تأثير حظوظ النفس وغلبة الهوى، ومع ذلك يرى عبد المجيد النجار أن المتدين الصادق في تدينه يسعى بشكل مستمر ومتواصل، لتجديد محاولته، وإبداء إصراره ورغبته في الارتقاء إلى النموذج الأمثل الذي يتحقق به كمال التدين بتزكية النفس وعمارة الأرض.

ويرى يوسف القرضاوي أن الصورة الإيجابية للتدين تتحقق من خلال الالتزام بأحكام الدين وتعاليمه، على أن يظهر أثرُ ذلك في حياة الناس، وفي علاقتهم ببعضهم، فالتدين الصحيح يجب أن يظهر في علاقة المتدين بربه، ثم في علاقته بأهله وإخوانه وعموم الناس، بل في علاقته أيضا بالحيوان وبالبيئة بشكل عام، ويبقى المتدين الصادق هو ذلك الذي يتوجه بدينه لله مخلصا له إياه[1] مصداقا لقوله عز وجل:

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام: **162**]

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [سورة البينة: **5**]

1 ينظر: القرضاوي، التدين المغشوش، تم نشره بالموقع الالكتروني لقناة الجزيرة بتاريخ: 2007/04/19.
https://www.aljazeera.net/programs/religionandlife/ تمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 2018/01/18م في الساعة: 22.09.

لقد قارب القرضاوي مفهوم التدين من خلال آثاره الأخلاقية المترتبة عن آداء العبادات، وعليه فالتدين الصحيح في نظره هو الذي تؤدي فيه العبادات وظيفتها في تزكية النفس وتربيتها، ونهي المتدين عن الفحشاء وكل المنكرات، وتوجيهه إلى الخلق الحميد، ومن ثم تنضبط علاقاته مع العالم الخارجي بما يجعلها متناغمة ومنسجمة مع علاقته بالله عز وجل.

فالقرضاوي لم يطرح التدين من زاويه الوعي بالدين؛ أي أن تنبني علاقة المتدين بالدين على فهم ومعرفة سابقة، كما أنه لم يطرح التدين أيضا من حيث كونه حالة مُجاهَدة ومُكابَدة يخوضها المتدينُ ضد النفس وما تهوى وتشتهي، إنما اكتفى بطرحه من زاوية الالتزام العملي بأحكام الدين وتعاليمه، ثم جعل الحكم على صحة التدين من خلال النتائج التي يفضي إليها، ذلك لأن تحصيل الآثار المرجوة من الدين دليل على وعي سابق بالدين، ودليل على حالة مُجاهَدة سابقة للنفس لتكييف نوازعها وفق أحكام الدين.

وعليه وانطلاقا مما تقدم نخلُص إلى أن التدين الإيجابي يرتكز على:

1 – معرفة الدين وفهمه والوعي بكامل حقائقه الاعتقادية والتشريعية والأخلاقية، ومن ثم الاقتناع به، بما يحقق الاندفاع الروحي والوجداني اتجاه الدين.

2– تَمَثُّلِ تعاليم هذا الدين والالتزام بأحكامه، – طبعا– هذا بعد الاقتناع بالدين، وما يتبع ذلك من همة، ومجاهدة، واندفاع روحي، ووجداني اتجاه الدين.

3– الآثار الإيجابية المتمثلة في استقامة الفرد المتدين، وفي جعْل علاقاته بالعالم الخارجي علاقة إيجابية فاعلة، منضبطة بأحكام الدين، وبما يرضي خالقه عز وجل.

المطلب الثاني: التدين في القرآن الكريم

خُصِّصَ المطلب الثاني لبيان مفهوم التدين في القرآن الكريم، وقد كان **الفرع الأول** لتوضيح المفهوم العام للتدين في القرآن الكريم، أما **الفرع الثاني** فقد كان لتوضيح بعض صور التدين المحمود التي أثنى عليها القرآن، لذلك كان **الفرع الثالث** لبيان بعض صور التدين المذموم كما عرضها القرآن الكريم.

الفرع الأول : مفهوم التدين في القرآن الكريم

لم يقدم القرآن الكريم – حسب تقديري – تعريفا مباشرا أو مفهوما نظريا صريحا للتدين، إنما قدّم أوامر ونواهي توضح الصورة التي يجب أن يكون عليها التدين الأمثل الذي دعا الله إليه عباده، بل خلق الجن والإنس لأجل ذلك، فقال عز وجل:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ **[سورة الذاريات 56 إلى 58.]**

فالتدين من حيث هو التزام عملي بأحكام الدين، عبر عنه الله بالعبادة التي تعني «طاعة العابد للمعبود في أمره ونهيه، وهذه هي العبادة الحق، وهي مطلوب الله من العباد، لذلك لا يقبل الله إلا ما كان له خالصا، وهذه العبادة الحق لا يأتي بها كل الخلق، بل يأتي كلٌّ منهم على قدر روحه، وعلى قدر نظره للإله الحق الذي يعبده، والناس كبشر متفاوتون في هذه المسألة...إذن علة الخلق هي العبادة... فالعبادة ليست له سبحانه إلا لمصلحة الخلق جميعا؛ لأنها هي التي تسعدهم في الدنيا، وتنجيهم في الآخرة... فهي بهذا المعنى تشمل حركة الحياة كلِّها، ولا تقتصر على الصلاة والصيام والزكاة ...» [1]

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 23/ 14615، 14616.

فحركة الإنسان في الوجود يجب أن تخضع لمؤشر الأمر والنهي الصادر عن الله عز وجل، حتى تكون حياة البشر كلها عبادة، أي كلها تدين؛ لأن الدين الحق الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده، لا ينفصل عن سلوك الإنسان ولا عن وعيه، كما أنه لا ينفصل عن الحياة بكل جوانبها ومجالاتها، وتفاصيلها، ومن ثم من الطبيعي أن لا ينفصل الدين عن حركة الإنسان في هذه الحياة وفي هذا الوجود.

فالتدين بهذا المفهوم القرآني ليس حالة عارضة يستدعيها الظرف، أو تتطلبها المناسبة، أو يفرضها الموقف، في وقت مخصوص ومكان مخصوص، بل هو أمر ملازم للخلق، متصل بحركة وجودهم، ومتصل بمصيرهم في هذا الوجود، لأنه هو علة هذا الوجود؛ أي علة خَلْقِ الخلق من الجن والإنس، ومن ثم هو الحقيقة المرجعية التي تنبني عليها الحياة الحقة، ويتحدد بها مصير الـمُكلَّفين في معاشهم وفي معادهم، لذلك يجب أن تنضبط حركتهم في الحياة وفق تعاليم الدين، وهذا ما يُصْطَلَح عليه بالتدين، أو العبادة بالتعبير القرآني الوارد في الآية السالفة الذكر.

وقد عرض القرآن الكريم صورا ومصاديق عملية للتدين بنماذجه وأنماطه المختلفة، ومن تلك الأوامر والنواهي والمصاديق يمكن أن نستخلص صورة التدين المثالي الذي يدعو إليه القرآن الكريم، أو صورة التدين المذموم المنحرف الذي يحذر منه، وهو الموضوع الذي تتناوله هذه الأطروحة في مباحث وفصول لاحقة، لذلك ومن باب توضيح الفكرة أكتفي بعرض بعض الإشارات القرآنية التي توضح الملمح العام للتدين بنوعيه؛ المحمود والمذموم.

الفرع الثاني: التدين المحمود في القرآن الكريم

نجد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي توضح ما ينبغي أن يكون عليه التدين السليم، وبالكيفية التي حددها الله عز وجل لعباده ومن ذلك على سبيل المثال:

أولا. أن يكون سلوك المتدين مطابقا لأصل التوحيد

كقوله عز وجل:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت: **30**]

تنقل الآية على لسان المؤمنين إقرارهم بدين التوحيد؛ أي أن هناك إعلانا وإفصاحا عن الدين الذي تم اختياره وهو دين التوحيد، فماذا يترتب عن اعتناق هذا الدين؟ يجيب القرآن الكريم من خلال هذه الآية بأن الإيمان والإقرار بدين التوحيد يستلزم التدين به؛ أي الالتزام العملي بتعاليمه وأحكامه لضمان التدين المثالي المحمود المعَبَّر عنه في الآية بـ: **الاستقامة**.

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية:

« وتُطلَق الاستقامة بوجه الاستعارة على ما يجمع معنى حُسْن العمل، والسيرة على الحق والصدق... " استقاموا " هنا تشمل معنى الوفاء بما كُلِّفوا به، وأول ما يشمل من ذلك أن يثبتوا على أصل التوحيد؛ أي لا يغيروا ولا يرجعوا عنه... الاستقامة زائدة في المرتبة على الإقرار بالتوحيد؛ لأنها تشمله وتشمل الثبات عليه، والعمل بما يستدعيه، ولأن الاستقامة دليل على أن قولهم: "ربنا الله" كان قولا منبعثا عن اعتقاد الضمير والمعرفة الحقيقية... فقوله: "قالوا ربنا الله" مشير إلى الكمال النفساني، وهو معرفة الحق للاهتداء به، ومعرفة الخير لأجل العمل له» [1]

فالاستقامة تأتي بعد معرفة واعية تتعقل حقائق الدين بعمق ودراية؛ فهي استقامة في التفكير وفي فهم الدين، والاستقامة تعني أيضا التدين بوصفه التزاما عمليا، يطابق تعاليم دين

1 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 24/ 282، 283.

التوحيد والثبات عليها، والتوجه بها إلى الله بصدق وإخلاص، ويترتب عن ذلك كلِّه استقامة الخلق والسلوك، وكل ما له صلة بحركة المؤمن وعمله في ممارسة الحياة، وعمارة الأرض.

ثانيا. أن يُخْلِصَ المتدين دينه لله

ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [سورة البينة: 5]

فاختيار الدين واعتناقه يعني الخضوع لأوامره التي تخدم مبدأً عاما؛ هو عبادة الله عز وجل، والتوجه إليه بصدق وإخلاص طلبا لمرضاته، وقبل ذلك عبادة الله لأنه أهل لأنْ يُعْبد، ومن كان في تدينه مخلصا لله عز وجل، يكون قد حقق تدين الاستقامة الذي يجعله أكثر قربا من الله عز وجل ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾

« وهذه هي قاعدة دين الله على الإطلاق، عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة... فمن حقق هذه القواعد فقد حقق الإيمان كما أمِر به أهلُ الكتاب، وكما هو في دين الله » [1] الذي بلغه الأنبياء والمرسلون–عليهم الصلاة والسلام –

ثالثا. أن يسعى المتدين لتحصيل كمال الدين وتكامله

قال تعالى:

---

1 الشعراوي محمد متولي، تفسير جزء عم، دار الراية للنشر والتوزيع (مصر)، دط، 1429هـ، 2008م، ص 473.

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ **[سورة البقرة: 1 ـ 5]**

فقد حددت الآية المقام الذي يرتقي إليه المتدين المتمسك بدين الله عز وجل، إنه مقام الهداية والتقوى الذي يتحقق له بفعل الارتباط بكتاب الله المنزل الذي يمثل - بلا ريب - الحق المطلق، والمَعين الصافي الذي تُنهل منه تعاليم الدين، وقد عرضت الآيات سمات المتقين المتمثلة أساسا في الانسجام النفسي، والوحدة الشعورية الإيجابية الناشئة عن الإحساس بكمال الدين، الناشئ بدوره عن الجمع بين الإيمان بالغيب والقيام بالتكليف، والإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، ثم بعد ذلك اليقين بالآخرة و غيرها من المعاني التفصيلية المتفرعة عن هذه العناوين الكبرى التي اختصرت ما يتصف به المتدينون بدين الحق، وتتمثل هذه العناوين الكبرى في:

1- الإيمان بالغيب

جاء في تفسير الشوكاني لهذه الآيات: « والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولا واعتقادا وعملا... وتدل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل، والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل» [1]

فالإيمان بعالم الغيب « واليقين بالآخرة هو مَفْرَق الطريق بين من يعيش بين جدران الحس المغلقة، ومن يعيش في الوجود المديد الرحيب. بين من يشعر أن حياته على الأرض هي كل ما له في هذا الوجود، ومن يشعر أن حياته على الأرض ابتلاء يمهد للجزاء، وأن الحياة الحقيقية إنما هي هنالك وراء هذا الحيز الصغير المحدود[2] » لذلك فإن الإيمان بالغيب واليقين بالآخرة لا يعني الانفصال عن عالم الشهادة، بل بين هذين العالَمين علاقة تكامل واتصال؛ ذلك لأن

---

1 الشوكاني، فتح القدير 1/ 26.

2 سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق (القاهرة)، ط37، 1429هـ. 2008م، 1/ 41.

المتدين يمارس حياته، ويؤدي شعائره الدينية في عالم الشهادة من منطلق كون الإيمان بالغيب هو نقطة البداية التي تُنْشِئ الدافعية إلى ذلك، وفي الوقت ذاته هو المنتهى أو المعاد والمآل الذي تؤول إليه أعمال البشر، وما يتبعها أو يترتب عنها من جزاء وحساب.

2- إقامة الصلاة

يمكن القول: إن الصلاة عنوان تتكثف فيه كل المعاني التي ترمز للشعائر والعبادات التي تتحقق بها صلة العبد المؤمن بخالقه، ويترتب عن الحرص على القيام بها وفق شروطها، آثار سلوكية أوجزها القرآن الكريم في عنوان عام هو حفظ الإنسان من الوقوع في الفحشاء والمنكر.

قال عز وجل:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ **[سورة العنكبوت: 45]**

فَتَرْك الفحشاء والمنكرات كما يقول الرازي: « داخل في الصلاة ... ذلك لأن كمال السعادة لا يحصل إلا بترك ما لا ينبغي، وفعل ما ينبغي، فالترك هو التقوى»[1] الذي هو علامة، أو مؤشرا للتدين السوي والفاعل؛ لأنه يُخَلِّف أثرا إيجابيا يكشف نعمة التدين وأهميته.

3- الإنفاق مما رزقه الله

فالإنفاق من رزق الله بقدر ما يعبر عن علاقة العبد بخالقه؛ لِمَا في ذلك من تعبير وإقرار عملي بفضل الله عليه، فإنه يعبر أيضا عن علاقة الخير والإحسان التي تربط العبد بغيره من الناس؛ ذلك لأن المؤمن تنشأ لديه الدافعية إلى الإنفاق أو فعل الخير بشكل عام حين يتكون لديه إيمان قلبي أن ما بيده هو من جود الله وكرمه عليه وإحسانه إليه، فيحاكي جود من أجاد عليه وأحسن

1 الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 2/ 26.

إليه، ومن ثم يَحْمل نفسَه على الجود والإحسان تعبدا وقربة إلى الله عز وجل « فالمتقي هو الذي يكون فاعلا للحسنات وتاركا للسيئات، أما الفعل فإما أن يكون فعل القلب، وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ وإما أن يكون فعل الجوارح، وأساسه الصلاة والزكاة والصدقة؛ لأن العبادة إما أن تكون بدنية وأجَلُّها الصلاة، أو مالية وأجَلُّها الزكاة» [1] وتبقى الصيغ التي يتحقق بها الإنفاق متعددة؛ كأنْ تكون مثلا بعنوان الصدقة أو الزكاة أو الهدية.

4- الإيمان بما جاء به الأنبياء والرسل

رسالة الأنبياء واحدة؛ هي رسالة التوحيد، وهي من مصدر واحد هو الله عز وجل، وتخدم غاية واحدة هي عبادة الله وعمارة الأرض باستخلاف الإنسان فيها، لذلك فالمؤمن من يُسَلِّم و يصدِّق ما جاء به أنبياء الله، ولا يفرق بين أحد من رسل الله .

والخلاصة أن التدين المحمود الذي ارتضاه الله لعباده، والمشار إليه في الآيات التي تم عرضها على سبيل التمثيل، ينطلق من مبدأ التوحيد كتصور اعتقادي، يُمَكِّن المؤمن المتدين من الارتباط المتوازن والمتكامل بين عالمي الغيب والشهادة، ويترتب عنه تكليف شرعي، وانضباط سلوكي وأخلاقي يعبر عن الالتزام العملي بتعاليم الدين، كما جاء بها أنبياء الله ورسلهُ.

الفرع الثالث: التدين المذموم في القرآن الكريم

أما ما ورد في القرآن الكريم من الإشارات الدالة على التدين المنحرف بصوره ونماذجه المذمومة، فنجد:

---

1 الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 2/ 26.

أولا. مفارقة حقيقة الدين وجعْل الدين سببا للتفريق

فقد وصف القرآن الكريم أولئك الذين تفرقوا بعد أن فارقوا وابتعدوا عن حقيقة الدين الذي جعلوه رهن أهوائهم، ومصالحهم التي ليست من الدين في شيئ، وليس لها في الدين ما يبررها، لذلك تأولوا النصوص ووظفوها بما يجعل الدين خاضعا لأمزجتهم ويخدم أهواءهم، مع أن الأصل أن يكون المتدين خاضعا بجوارحه ومشاعره وأفكاره لأحكام الدين وتعاليمه.

قال عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ **[سورة الأنعام: 159]**

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: « والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه، وشرْعُه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق» [1]

فالأصل في الدين الحق أن يكون جامعا وموحِّدًا للجماعة البشرية التي آمنت به، ثم أبدت الحرص للتعبد به والتمسك بتشريعه وتعاليمه، فالذين « يفرقون في الدين إنما يناقضون منهج السماء الذي جاء ليجمع الناس على شيئ واحد؛ لتتساند حركات الحياة في الناس ولا تتعاند، وإذا كان لك هوى، وهذا له هوى، وذلك له هوى، فسوف تتعاند الطاقات، والمطلوب والمفروض أن الطاقات تتساند وتتعاضد» [2] لكن هذه القاعدة اعترضتها عبر التاريخ الكثير من الاستثناءات التي ارتبطت بتجربة الإنسان في إقامة العلاقة بالدين؛ حيث تكررت محاولات الإنسان

1 ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، ط2، 1420هـ- 1999م، 3/ 377.

2 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 7/ 4016.

منذ سالف العصور وإلى يومنا هذا في إعادة إنتاج الدين؛ مفهوما وممارسة، مما أفقده خصوصيته الإلهية المقدسة، وأحاله تجربة بشرية؛ منفعلة، مضطربة، تُشتِّت ولا تَجْمَع، تُنَفِّر ولا تستوعب، تتغير ولا تثْبُت...

وعليه تكون مفارقة حقائق الدين المتأصلة، ومخالفتها سببا في افتراق الناس، واختلافهم وتنافرهم وإشاعة الفتنة بينهم؛ فيتخذ كلٌّ منهم لنفسه عنوانا أو شعارا دينيا، لعله ينال به ما تيسر من الحظ في القداسة، ومن المشروعية التي يحقق بها مصالحه، أو يبرر بها أفعاله غير المشروعة وغير السوية التي دفعت به إلى تكييف الدين وِفْقَهَا.

قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾

[سورة آل عمران: 7]

فهذه الفئة من المتدينين لا تُقبِل على الدين لذات الدين، ولا يهمها أن تحقق مرضاة الله بالدين، بل ما يهمها هو أن تُطوِّع الدين وتكيفَه لكي يصبح خادما لمصالحها الضيقة، ومن ثم تبدي حرصا فائقا كي يكون إقبالها على الدين إقبالا انتقائيا متحايلا؛ بحيث تتقصى المواطن التي تهيئ لها ظروفا وهْمية تتيح لها إمكانية العثور الواهم على مداخل لإثارة الشبهة، وصناعة المغالطة، ومن ثم استغلال الدين وتوظيفه توظيفا سيئا؛ بحيث يصير متناغما، ومنسجما، ومستجيبا لنوازع الهوى وحظوظ النفس.

ثانيا. أولوية الدنيا عن الدين

لم يأت الدين ليناقض الحياة الدنيا أو ليكون خصيما لها، بل جاء ليضبطها وينظمها وينظم حياة الناس فيها، بما يرعى شؤونهم ويحقق مصالحهم بالمعنى الحقيقي والصحيح والعميق للمصلحة، لا بمعناها الذاتي الضيق والسطحي الواهم الذي توحي به النفوس الواقعة تحت سيطرة الهوى، وعليه فإن الأصل أن تكون منظومة الدين مرجعا يضبط ويوجه حضور المتدين وحركته في الحياة الدنيا؛ تفكيرا، وانفعالا، وسلوكا، وموقفا....أما إذا أوقع المتدين نفسه وأخضعها لمنطق التزاحم والتدافع المفتعل بين الدين والدنيا، فإنه يستثقل أحكام الدين، ثم يستهين بها، أو ينفر منها ظنا منه أنها تعارض مصلحته وتعطلها، ولعل ما جاء في سورة الجمعة شاهد من الشواهد التي أوردها القرآن الكريم للتعبير عن هذه الظاهرة.

قال تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سورة الجمعة: **11**]

في هذه الآية يعاتب الله تبارك وتعالى على ما كان قد « وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قَدِمَت المدينة يومئذ» [1] وعليه تكون الآية قد صورت لنا حال المتدين وموقفَه حين وجد نفسه ممتَحَنا ومُخيَّرا بين أمرين:

أولهما: النفس وما تهوى وتشتهي، من متطلبات الدنيا وملذاتها.

وثانيهما: التدين وما يقتضيه من التزام بالتكليف الشرعي.

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 123.

وكانت النتيجة الانصراف عن الدين في اللحظات الخاصة والمتميزة من لحظات التدين التي جمعتهم مع ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ ومنحتهم فضل إقامة شعيرة من الشعائر المقدسة والمعظمة في حضرته وبإمامته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لكن منهم « من انفض لأجل التجارة، ومنهم من انفض لأجل اللهو... وجملة "وتركوك قائما" تفظيع لفعلهم؛ إذْ فرطوا في سماع وعظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي تركوك قائما على المنبر، وذلك في خطبة الجمعة... فأضاعوا علما عظيما بانفضاضهم إلى التجارة واللهو... وأمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يعظهم بأن ما عند الله من الثواب على حضور الجمعة خير من فائدة التجارة ولذة اللهو، وكذلك ما أعد الله من الرزق للذين يؤثرون طاعة الله على ما يشغل عنها من وسائل الارتزاق جزاء لهم على إيثارهم؛ جزاءً في الدنيا قبل جزاء الآخرة، فرُبَّ رزقٍ لم ينتفع به الحريص عليه، ورُبَّ رزقٍ قليلٍ ينتفع به صاحبه» [1]

فالتدين الذي ذمه القرآن الكريم ونبذه هو التدين المنحرف عن تعاليم الدين الحق، وهذا الانحراف يكون على مستويين:

- **المستوى الأول** يتعلق بدائرة الوعي والتصورات النظرية، حيث يغيب الوعي بحقائق الدين، بسب غياب الفهم السليم لأحكامه.
- **المستوى الثاني** يتعلق بالممارسة العملية لبعض السلوكات والمواقف باسم الدين؛ ومَرَدُّ ذلك؛

– إما الجهل وقصور التفكير الذي يترتب عنه عدم الوعي بحقيقة الدين، وعدم إدراك مضامينه وفهمها فهما سليما.

1 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 28/ 229.

- وإما بسبب علل في النفس الواقعة تحت سيطرة الهوى وما يُسَوَّل لها من تأويلات مشبوهة في الدين، أو ما يدفع بالمتدين لأنْ ينساقَ ويندفعَ إلى ما تشتهيه نفسه مخالفا في ذلك أحكام الدين وتعاليمه.

المطلب الثالث . الفرق بين الدين والتدين

لقد كان هذا المطلب مخصصا لتناول الفرق بين الدين والتدين؛ فكان **الفرع الأول** في بيان مصدرية الدين والتدين، **والفرع الثاني** في إبراز خصائص كل منهما، **والفرع الثالث** في توضيح مآلات الدين والتدين.

الفرع الأول . مصدرية الدين والتدين

أولا. مصدرية الدين

الحديث عن مصدرية الدين يحتاج إلى توضيح ماهية الدين الذي سنحدد مصدره؛ فالدين الوحياني أو الدين الحق مصدره الله عز وجل، وقد بلغه عنه الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام- مذ خلق سيدنا آدم إلى أن بعث خاتم الأنبياء سيدنا محمد – عليه وعلى أنبياء الله جميعا أفضل الصلاة وأزكى التسليم- وهو دين الإسلام الذي هتف به كل الأنبياء، وإليه ينتسب كل أتباعهم ومن آمن برسالتهم.

قال تعالى:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة: **136**]

فدعوة الأنبياءِ جَمِيعِهِم كانت إلى التوحيد الخالص، واتقاء الشرك، وإثبات النبوة والرسالة، وبمقتضى ذلك دعوا إلى العمل الصالح، وترك الفواحش والمنكرات، وهم لا يختلفون في هذه الدعوة وجوهرها، إنما يختلفون في طرق حَمْل الناس عليها وهدايتهم بها، وترقيتهم في معارجها، بحسب سُنة الله في ارتقاء البشر بالتدريج جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن[1] لذلك كانت دعوة الأنبياء بعنوان أو بتسمية واحدة هي الإسلام، وإليها ينتسب وبها يُوسَمُ أتباع الأنبياء (المسلمون).

أما دين الباطل فمصدره الإنسان الذي قد تكون له شأنية ما في قومه؛ كأنْ يكون زعيما أو وجيها أو مدّعي علم... فيُنْشِئ دينا لتحقيق مآرب شخصية، وتحصيل منافع ذاتية، وهو إذْ ينشئ دينه ذاك قد ينشئه من وحي خياله وهواجسه وربما تأملاته، وقد ينشئه اعتمادا على تجارب بشرية سابقة في تأسيس أديان جمة عرفتها المجتمعات البشرية عبر كل الربوع وعلى مَرِّ العصور والدهور.

قال عز وجل:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٢٣ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥ ﴾ **[سورة النجم: 19 ـ 25]**

وقد ينشئه بالاعتماد على الدين الوحياني (الدين الحق) الذي يُمْعِن هؤلاء في تحريفه، وتكييفه، وتأويله، وإخضاعه لذواتهم وشهواتهم، بما يفقده مصدريتَه وحقانيتَه، وقداستَه الإلهية، بعد أن تحل محلها الإرادة البشرية، كما حدث مع النصرانية واليهودية مثلا، وقد صور القرآن ذلك في قوله تعالى:

---

1 ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 5/ 144.

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ
مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا
لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا
نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ
أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن
يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي
مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ
هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾

[سورة النساء: 46 إلى 51]

لقد عبرت هذه الآيات عن ظاهرة التحريف التي طالت الديانات السماوية قبل مبعث نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- والتحريف هو « الإمالة والإزالة؛ أي يميلونه، ويزيلونه عن مواضعه، ويجعلون مكانه غيره، أو المراد أنهم يتأولونه على غير تأويله » [1] وبحسب ما ترتضيه نفوسهم وأهواؤهم، وقد كان التحريف فعلا شنيعا استدعى ذم الله عز وجل لهذه الفئة ممن يُفترض أنهم كانوا أتباعا للأنبياء؛ لكنهم زاغوا وانحرفوا واستبدلوا الضلالة بالهدى، فأمعنوا في التحريف عنادا وبغيا واستسلاما لأغراض الدنيا وشهواتهم فيها.

وعليه فإن هؤلاء ليس لهم « من الإيمان إلا قليلا، وهو الإيمان ببعض الكتاب دون بعض، وببعض الرسل دون بعض ... ذكر سبحانه... أنهم أوتوا نصيبا من الكتاب ... لأنهم لم يعملوا

1 الشوكاني، فتح القدير، 5/ 304.

بجميع ما فيه، بل حرفوا وبدّلوا...» [1] لذلك ذمهم القرآن الكريم على سوء صنيعهم، وتماديهم في ضلالهم وعنادهم؛ حيث لم يكتفوا بما هم عليه من ضلال وانحراف بل صاروا دعاة إلى الضلال.

ثانيا . مصدرية التدين

التدين عملية ثنائية مركبة؛ تشمل الدين بوصفه فاعلا، والإنسان بوصفه قابلا أو متلقيا وممارسا للدين، لذلك الحديث عن مصدرية التدين يشمل الدين كما يشمل المتدين أيضا.

1- الدين مصدر للتدين

بما أن التدين تعبير عن علاقة الإنسان بالدين فهما وممارسة، فإن الدين يعد مصدرا آخر للتدين من حيث كونه يتضمن منظومة من التعاليم الأخلاقية، والأحكام الاعتقادية والتشريعية التي يمكن أن نصطلح عليها بمرجعية التدين التي يعود إليها المتدين ويعتمدها في تدينه؛ لأنها هي التي توضح له الصورة والكيفية التي يجب أن يكون عليها تدينه، بدءا من التصورات التي تضبط رؤيته الاعتقادية إلى العالم والكون، وعلى ضوئها يحدد علاقته بالله، وبنفسه وبغيره من الناس، وبالطبيعة أيضا، ثم الأحكام التشريعية التي تحدد وتبين له ما هو مكلف به من الممارسات العبادية والعملية.

2- الإنسان مصدر للتدين

بما أن التدين هو فهم وممارسة بشرية للدين فإن الإنسان يُعَد مصدرا للتدين؛ لأنه هو من يتمثل مضامين الدين:

- في عالم؛ الأفكار والفهم والتصورات من خلال ما يقدمه للدين من شروحات، وتفسيرات، وتأويلات للمعاني الاعتقادية والتشريعية والأخلاقية التي تضمنها الدين.

---

1 الشوكاني، فتح القدير، 5/ 304..

- في عالم الروح، والوجدان والمشاعر، والسلوك العملي، من خلال ما يؤديه من طقوس وعبادات يعظم بها شعائر الله، أو ما يلتزم به من معاملات وأخلاق وفق أحكام الدين.

وعليه يمكن تتبع مصدرية التدين في الدائرة البشرية على عدة مستويات تترجم في عمومها تفاعل الدين بماهية الإنسان في أبعادها الروحية، والعقلية والاجتماعية، وتتمثل هذه المستويات في:

أ – مستوى الفهم والمعارف الدينية

ونعني بها ممارسة التدين في دائرة الوعي والتصورات الناشئة عن الخلفية الاعتقادية، كما نعني به أيضا المعرفة بأحكام الدين وتعاليمه، أو ما يُصْطلَح عليه بالتفقه في الدين.قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة التوبة: 122]

فالفقاهة أو المعرفة الدينية التي يختص بها العلماء ويجتهدون في تحصيلها هي التي تؤطر العامة من المؤمنين وتوجههم في ممارسة تدينهم، لأن فهم الكثير من المضامين الدينية، أو معرفة الأحكام واستنباطها من أدلتها المبثوثة في الكتاب والسنة ليست متاحة للعامة، لذلك يستعين هؤلاء بالعلماء في فهم تعاليم الدين لتشكيل وعيهم بحسب ما تقتضيه تلك التعاليم، ولآداء شعائرهم التعبدية بحسب ما يقتضيه الامتثال المطلوب لأحكام الدين، وعليه فإن مصدرية التدين في الدائرة البشرية تكون أولا على مستوى الوعي والفهم.

ب– مستوى الممارسات العبادية

فالإنسان المتدين يعد أيضا مصدرا للتدين؛ لكونه هو المُكَلَّف من الشارع الحكيم لكي يعمل بأحكام الشريعة، وأن يجسد تعاليم الدين الذي آمن به وأسلم له، لذلك يؤدي المتدين

تكليفه الشرعي في القيام بالعبادة الواجبة التي أمره الله بها؛ مثل الصلاة، والصوم، والحج والزكاة. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [سورة الحج: 77]

﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [سورة النساء: 103]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة: 183]

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ﴾ [سورة الحج: 27، 28]

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [سورة البقرة: 43]

أو القيام بالعبادة المستحبة التي رغَّبَه الله فيها؛ كصلاة النافلة، والصوم المستحب في غير رمضان، والصدقة والعمرة... وغيرها من الطاعات المستحبة. قال تعالى:

﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾

[سورة النساء: 114]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ ﴾ [سورة المزمل: من 1 إلى 8]

لقد كان الخطاب في الآيات السابقة موجَّها للمؤمن بوصفه مستقبلا، أو متلقيا لتعاليم الدين وأحكامه كي يتدين بها تعبدا وقربة لله عز وجل، لذلك أمْكَنَ القولُ: إن الإنسان مصدر للتدين؛ لأنه يتخذ لنفسه دينا يلتزم بطاعته تعبدا.

ج- مستوى الممارسات العملية

لقد سبقت الإشارة إلى أن سعي الإنسان وحركته في الوجود وفي هذه الحياة، يجب أن تنتظم وتنضبط وفق أوامر الله عز وجل ونواهيه، حتى تكون حياة الإنسان كلُّها تدينا وعبادة؛ لأن الدينَ الحقَّ لا ينفصل عن سلوك الإنسان، ولا عن الحياة بكل حيثياتها ومجالاتها، لذلك كان لزاما أن يستحضر المتدين مضامين الدين وتعاليمَه في جميع أعماله، وفي علاقاته بغيره من إخوانه في الدين ونظرائه في الخلق وفي الإنسانية، وأن يستحضرها أيضا وهو يمارس التدين في محيطه وبيئته.

وكل ذلك في واقع الحال هو تعبير عن القيم الفطرية التي فطره الله عليها، ثم وجد في الإسلام ما يعضدها ويُمَكِّن لها؛ ونذكر من ذلك قيم الأمانة، والصدق، والوفاء، ونصرة الحق، والدفاع عن المظلوم، والإحسان إلى الآخرين، وتقديم العون لهم ... وغيرها من القيم الكثيرة التي تجعل الإنسان يَسْعَد بالدين في معاشه، ليَسْعَدَ به أيضا في معاده.

وقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تدعو الإنسان إلى التزام قيم الدين وتعاليمه في سلوكه العملي، وفي علاقاته بغيره؛ كما نجد آيات أخرى تحذر من أن يكون سلوكه العملي منافيا لحقيقة الدين وقيمه المثلى؛ لأن الدين ليس محصورا في الشعائر العبادية التي لها أوقاتها

وأحكامها المخصوصة، بل يتعداها إلى عموم الحياة الإنسانية التي تمتد في حركة الزمان والمكان إلى أن ينقضي أجل الإنسان في هذه الحياة.

قال عز وجل في الدعوة إلى العمل:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة التوبة: 105]

فالمقصود بالعمل هنا كما جاء في تفسير ابن كثير، هي كل الأعمال التي تُعْرَض على الله عز وجل يوم القيامة، لتكون حجة لصاحبها، يلقى ربه وهو راض عنه، أو حجة عليه فيلقى ربه وهو ساخط عليه، لذلك يكون العمل الذي دعت إليه الآية الكريمة هو مطلق العمل الصالح[1] الذي قد يرتبط بعمارة الأرض، أو بعلاقات الإنسان المختلفة في محيطه الاجتماعي، وفي وسطه البيئي، وما يصحب هذه العلاقة من إحسان وإصلاح، وكل ما يمكن أن يندرج تحت عنوان العمل الصالح أو فعل للخير؛ كالوفاء بالعهود والصدق والإخلاص والإحسان.

يقول عز وجل:

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء: 34، 35]

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [سورة يونس: 26]

وفي الوقت الذي يدعو القرآن الكريم إلى قيم الخير والصلاح التي يجب أن تكون هي المؤشر الذي تنتظم وفقه أعمال الناس، فإنه حذر من الأعمال التي ينتفي فيها الخير ويغيب

1 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 209.

عنها الصلاح، والنهي عن هذه الأعمال أو التحذير منها هو – في واقع الحال – دعوة إلى القيام بخلافها؛ فالنهي مثلا عن البخل أو عن الإسراف هو دعوة للإنفاق في اعتدال. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾

[سورة الإسراء: 29، 30]

والنهي عن قتل الأولاد بحجة الخوف من الفقر، أو بحجة اتقاء العار وغيرها من المبررات التي لا مشروعية لها، هو دعوة إلى حفظ النفس، ودعوة إلى العطف على الذرية، وتوليهم بحسن الرعاية والعناية، بل هي قبل كل شيئ دعوة إلى الثقة بالله عز وجل والتوكل عليه، لأنه هو الرزاق لكل مَن كَدَّ وسعى في الأرض، واجتهد في الأخذ بأسباب الرزق وتحصيله. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ **[سورة الإسراء: 31]**

والنهي عن الزنا هو دعوة إلى الطهر والعفاف، وحفظ العِرض. قال عز وجل:

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ **[سورة الإسراء: 32]**

والنهي عن التصرف في مال اليتامى واستغلاله بغير وجه حق، هو دعوة لحفظ الأمانة والوفاء بالعهود. قال عز وجل:

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ **[سورة الإسراء: 34]**

والنهي عن القذف والطعن في أعراض الناس هو دعوة إلى حفظ اللسان، وعموم الجوارح من الخطيئة والزلل. قال عز وجل:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾

[سورة الإسراء: 36]

فالقَفْوُ هو: الاتباع، يقال: قفَّاه يقفوه إذا اتبعه، وهو مشتق من اسم القفا، وهو ما وراء العنق، واستعير هذا الفعل للدلالة عن تتبع عورات الناس، قصد الطعن فيهم والافتراء عليهم، فيدعي المقتفي أنه رأى وهو لم ير، ويدعي أنه سمع وهو لم يسمع، ويدعي أنه علم وهو لم يعلم، لذلك ذكَّر الله سبحانه وتعالى من يقع في هذا الخُلُق الذميم بأنه سيُسْأل عما يُسْنِده إلى سمعه وبصره وعقله[1].

فالمتدين الملتزم بوعي وإخلاص، يعيش بالدين ويعيش فيه ولأجله، لا يتميز عن غير المتدين في ممارسة العبادات المرتبطة بأماكن وأزمنة وظروف خاصة فحسب، بل يتميز عنه في كل حياته؛ لأن الدين بالنسبة إليه هو فلسفة حياة شاملة؛ تمنح تصرفاتِ الإنسان وأعمالَه وأحوالَه - مهما كانت بسيطة – معانيها السامية، فتكون حياته سجدة طويلة؛ لأنها تتجه صوب هدف ديني محدد، وبهذا تكون حياته كلها ذات معنى واحد، وفلسفة واحدة.[2]

وانطلاقا مما تقدم يمكن القول: إن الشواهد القرآنية التي تم عرضها في هذا العنصر وضحت لنا كيف يصبح الإنسان الذي يتلقى تعاليم الدين مصدرا للتدين إذا ما كان مطيعا وملتزما بها في عباداته، وفي عموم حياته وممارساته العملية.

---

1 ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 15/ 100، 101، 102.

2 ينظر: مصطفى ملكيان، التدين العقلاني، ص 5، 6.

الفرع الثاني . خصائص الدين والتدين

أود أن أشير إلى أن الدين الذي أعنيه في هذا المقام هو الدين الحق الذي مصدره الله عز وجل، وقد استثنيت الأديان البشرية، وحتى الأديان السماوية التي طالها التحريف البشري؛ ذلك لأنها صارت – بسبب التحريف – بشرية المصدر، ومن ثم هي إلى التدين أقرب منها إلى الدين، وعليه وبالعودة إلى ما سبق عرضه من تعاريف للدين والتدين، يمكن أن نخلص إلى بعض الفوارق التي تُمَيِّزُ كلاًّ منهما عن الآخر، ونعرضها في جملة نقاط هي:

أولا: الدين الحق مصدره الله، مُبَلِّغُه الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ومجاله الإنسان الذي يتفاعل معه اعتقادا والتزاما، ووعيا وانفعالا.

ثانيا: تختلف حقيقة الدين عن حقيقة التدين؛ ذلك لأن « الدين هو ذات التعاليم التي هي شرع إلهي، والتدين هو التشرع بتلك التعاليم والأحكام في العبادات والمعاملات، فهو كسب إنساني، وهذا الفارق في الحقيقة بينهما يفضي إلى فارق في الخصائص، واختلاف في الأحكام بالنسبة لكل منهما» [1] فكون الدين إلهي المصدر يعني بالضرورة الكمال والتنزيه والحق المطلق والعلم الصحيح الأشمل والأكمل... أما كون التدين فهم وممارسة بشرية للدين فيعني النقص وعدم التنزيه، وكل ما من شأنه أن يكون عالقا بالتدين –كتجربة بشرية– من عوالق تجعلها عرضة للنقد والمراجعة والتقويم.

ثالثا: يتصف الدين الحق بالكمال لأن مصدره الله عز وجل، بينما يتصف التدين بالنسبية وبالنقص؛ لأنه مرتبط بالإنسان الذي يتفاعل مع تعاليم الدين بوتيرة تتراوح بين القوة والضعف، بكل ما تعبر عنه القوة من معاني الوعي والتزكية والاستقامة في تمثل تعاليم الدين والالتزام بها، وبكل ما يعبر عنه الضعف أيضا من معاني الجهل والاستسلام لحظوظ النفس وغلبة الهوى، وغيرها

1 عبد المجيد النجار، فقه التدين مفهوما وتنزيلا، ص 5.

من العوامل التي تسهم بنسب متفاوتة في جعل تعاليم الدين التي يمارسها المتدين مصطبغة بلون الذات ومتأثرة بأهوائها.

رابعا: يتصف الدين بالوحدة؛ لأنه من مصدر ومَعِين واحد هو الله عز وجل، يبلغه إلى عباده عن طريق الأنبياء الأمناء المعصومين الذين يصطفيهم من خلقه، بينما التدين متعدد في تمظهراته ودرجاته؛ لأنه يرتبط بالممارسة « الفردية للإنسان في باب الدين، والتدين بهذا المعنى يتسم بتنوع كبير، بحسب أعداد المتدينين في العالم، فإزاء كل إنسان متدين ثمة تدين يختلف عن التدين الموجود لدى إنسان آخر »[1] ومن ثم يتنوع ويتعدد التدين بحسب مجموع المتدينين، وما يعيشونه من نوازع النفس المتناقضة، فضلا عما يعيشونه أيضا من قصور في العقل والتفكير، وتقصير في الالتزام، لذلك لا يُجمِع المتدينون على فهم واحد للدين، كما أنهم ليسوا على درجة واحدة من الصدق والإخلاص في تمثل تعاليم الدين وتجسيدها، لذلك من الطبيعي أن تتعدد أنماط التدين بتعدد أمزجة المتدينين، وتعدد توجهاتهم وتصوراتهم التي تحدد المستوى والكيفية التي يتفاعلون بها مع الدين.

خامسا: تعبر أطروحة أو رسالة الدين الحق عن منظومة كاملة متكاملة من الحقائق اليقينية، الثابتة، المرتبطة بعالمي الغيب والشهادة بكل ما تتضمنه تلك الحقائق من تفاصيل دقيقة، كما تعبر أيضا عن منظومة كاملة من التعاليم الأخلاقية، والأحكام التشريعية التي سنها الله لعباده كي يتشرعوا بها ويلتزموها، بينما التدين بوصفه كسبا وفهما وممارسة بشرية تراه عند المتدينين من غير الأنبياء والمصطفين لا يثبت على وتيرة واحدة مطردة، بحيث يصل درجة تجعله يرقى إلى مستوى ومقام الترجمة العملية المطابِقة لتلك الحقائق اليقينية الثابتة مطابقة حقيقية تامة، أو لدرجة تجعل المتدين يجسد حقائق الدين كما هي في الوحي، وكما بلغها أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام–

1 مصطفى ملكيان، التدين العقلاني، ص 112.

الفرع الثالث . مآلات الدين والتدين

الحديث عن مآلات الدين والتدين هو – في واقع الحال – حديث عما سيؤول إليه حال الإنسان في معاشه ومعاده بعد أن يتخذ لنفسه دينا يتدين به، فمصيره يتحدد أولا بحسب الدين الذي يختاره، ثم يتحدد بحسب درجة التزامه بأحكام الدين وتعاليمه إنْ كان الدين الذي اختاره هو دين الحق الذي ارتضاه الله لعباده، والقرآن الكريم حافل بالآيات التي توضح مآل المتدينين بدين الحق، ومآل المتدينين بدين الباطل، وهذا ما سأحاول بيانه في هذا العنصر.

أولا. مآل المتدينين بدين الحق

لقد وضع القرآن الكريم **"الفلاح"** عنوانا كبيرا تتكثف فيه الدلالة، ويختزل جميع المعاني الجزئية والتفصيلية التي توضح المآل الذي سيؤول إليه المتدينون بدين الحق، وقد جاء في بعض معاجم اللغة ما يؤكد أن الفلاح يحمل حمولة دلالية مكثفة منها معاني الفوز، والنجاة، والبقاء في النعيم والخير ... ومعنى: "حي على الفلاح في الآذان" هلم إلى الفوز بالخير، والبقاء الدائم فيه[1]، وقد ورد في مفردات ألفاظ القرآن أن الفلاح « ضربان دنيوي وأخروي؛ فالدنيوي هو الظَّفَر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا؛ وهو البقاء والغنى والعز... وفلاح أخروي، وذلك أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل» [2].

فإذا كان النجاح دنيويا فإن الفلاح يجمع بين الدنيا والآخرة؛ لأنه ثمرة لنجاحات معتددة، وهو إدراك لكل مأمول، وفيه معنى السعة، ومعنى التيسير، ومعنى البقاء، والخير، وقد ينجح الإنسان

---

1 ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (فلح)، 4/ 450. وينظر: الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 644.

وينظر: محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص 362، 363.

2 الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 644.

ولا يكون مفلحا؛ لأن النجاح مجرد الظفر بالحاجة، بينما الفلاح يتضمن كل الملامح والمعاني الدلالية المذكورة.[1] كما توضحه هذه الآيات. في قوله تعالى:

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ ﴾

[سورة المؤمنون: من 1 إلى 5]

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ **[سورة الشمس: 9]**

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ ﴾ **[سورة الأعلى: 14، 15]**

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ **[سورة البقرة: 189]**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

[سورة آل عمران: 200]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ **[سورة المائدة: 90]**

﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾ **[سورة البقرة: من 1 إلى 5]**

لقد أوضحت الآيات السابقة أن المتدين بدين الحق، هو الذي يؤمن بالغيب، ويقيم الصلاة، وينفق مما رزقه الله، ويؤمن برسالة التوحيد للنبي الخاتم ومن سبقه من الأنبياء؛ ويؤمن بالآخرة والمعاد وما فيها من جزاء وحساب، ويتحلى بكل الأخلاق التي يدعو إليها الدين الحق باقتناع عقلي وقلبي، يرقى بصاحبه إلى درجة اليقين والاطمئنان الكامل والتام إزاء حقائق القرآن الكريم، لذلك يتلقاها في ثبات لا يتسرب إليه الريب والقلق والاضطراب، ومَن كان على هذا

---

1 ينظر: محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص 362، 363.

الحال، وارتقى إلى هذا المقام هو من دون شك سيُقْبِل على القرآن الكريم وما يحمله من تعاليم وأحكام بقوة وهِمَّة وعزم قصد العمل بها، والامتثال لها، طاعة لله عز وجل وقربة إليه.

وقد وصف القرآن الكريم هذه الفئة من المتدينين بدين الحق بأنهم من المتقين، ومن المهتدين على الهدى الشرعي المتمثل بالدرجة الأساس في «الإرشاد إلى ما فيه صلاح العاجل الذي لا يَنْقُضُ صلاح الآجل» [1] أي هو فلاح في الدنيا وفلاح في الآخرة كما جاء في الآية الكريمة:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة: 5]

فالفلاح كما أسلفت الذكر هو عنوان عام تتكثف فيه كل المعاني التي تنبئ بمآل المتدينين بدين الحق؛ فالمفلحون هم من يرضى الله عنهم، هم السعداء والفائزون في معاشهم ومعادهم، هم أهل التوفيق والهداية، هم أهل التقوى والاستقامة، هم أهل الخير والصلاح، هم أهل الفضل والإحسان...

ثانيا ـ مآل المتدينين بدين الباطل:

لقد وضع القرآن الكريم أيضا عنوانا كبيرا تتكثف فيه الدلالة، ويختزل جميع المعاني الجزئية والتفصيلية التي توضح المآل الذي سيؤول إليه المتدينون بدين الباطل، وهذا العنوان المعبر عن هذا المآل يتمثل في **الخسران**، الذي ورد في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، كما توضحه هذه الآيات. قال عز وجل:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ ﴾ [سورة الحج: 11، 12]

1 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 1/ 226.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: 52]

﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة الزمر: 65]

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة يونس: 95]

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [سورة يونس: 45]

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة آل عمران: من 85 إلى 88]

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

[سورة الكهف: من 103 إلى 106]

فكل من لم يخلص عبادته لله عز وجل، وكل من أشرك بالله وكذَّب بآياته، واتخذ لنفسه دينا غير دين الإسلام، وكل من ارتد عن دين الحق وكفر بعد الإسلام، وكل من استهزأ واستخف بآيات الله ورسله، هو –حتما– متدين بغير ما يرضي الله عز وجل، أو متدين بدين الباطل، لا خير ولا صلاح يُنْتَظر من عمله، ولا توفيق ولا هداية تُرْجى من سعيه؛ كلُّ حركته في الوجود هي

حركة ضلال، وغواية، وانحراف تنتهي به إلى مآل محتوم هو: **الخسران** المبين الذي هو في حقيقته لعنة من الله، ومن الملائكة ومن الناس، تصيب هؤلاء وتلازمهم في دنياهم وفي أخراهم، فعنوان الخسران هنا يختزل كل النتائج القاسية، والأحوال السيئة المرتبطة بالمعاش وبالمعاد.

المبحث الثالث . فطرية التدين وحاجة الإنسان إلى الدين

ويتضمن

المطلب الأول: فطرية التدين

المطلب الثاني: حاجة الإنسان الوجدانية إلى التدين

المطلب الثالث: حاجة الإنسان المعرفية والتربوية والروحية إلى الدين

المبحث الثالث ـ فطرية التدين وحاجة الإنسان إلى الدين

تم تخصيص هذا المبحث لبيان فطرية التدين لدى الإنسان مع إبراز حاجته الملحة إلى الدين، وهو يتكون من ثلاثة مطالب؛ في **المطلب الأول** تم تناول فطرية التدين، أما **المطلب الثاني** فقد كان في إبراز حاجة الإنسان الوجدانية إلى التدين، وقد كان **المطلب الثالث** مخصصا لبيان حاجة الإنسان المعرفية والتربوية والروحية إلى الدين.

المطلب الأول ـ فطرية التدين

تم تخصيص هذا المطلب لتناول فطرية التدين، وهو بدوره يتكون من ثلاثة فروع؛ **الفرع الأول** تناولت فيه التعريف اللغوي والاصطلاحي، أما **الفرع الثاني** فقد خصصته لبيان مفهوم الفطرة في القرآن الكريم، وفي **الفرع الثالث** حاولت أن أوضح دافعية النفس الإنسانية إلى التدين.

الفرع الأول ـ مفهوم الفطرة في اللغة والاصطلاح

أولا. الفطرة في اللغة

جاء في لسان العرب أن الفِطْرة تعني « الابتداء، والاختراع ... والفِطرة بالكسر: الخِلْقة ... والفِطرة ما فطر الله عليه الخلقَ من المعرفة به، وقد فطره يفطُرُه بالضم فَطْرا أي خلقه ... وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : كل مولود يولد على الفِطرة، يعني الخِلقة التي فُطِر عليها في الرحم من سعادة أو شقاوة... فمعنى فِطرة الله أي دين الله ... والفطرة منه الحالة، كالجِلْسة والرِّكْبة والمعنى أنه يولد على نوع من الجِبِلَّة والطبع المتهيئ لقبول الدين... وفطر الشيئَ أنشأه، وفطر الشيئَ بدأه...» [1]

---

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة: (فطر)، 3/ 3050 ـ 3052.

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن الفاء والطاء والراء في (فطر) «أصل صحيح يدل على فتح شيئ وإبرازه، من ذلك الفِطر من الصوم... والفطرة: الخِلقة» [1] فالأصل في هذا الجذر اللغوي – حسب ابن فارس – أن يدل على بداية الشيئ وافتتاحه وإبرازه، ومن ثم فالفطرة تعني الخِلقة كما هي في بدايتها، أو أصل نشأتها وخلقتها الأولى.

وبما أن الفطرة في معناها اللغوي تعني الخِلْقة، فمعنى كلمة: (الخَلْق) هي إبداع الشيئ وإيجاده ابتداءً من غير نظير أو مثيل سابق، أي تنتفي فيه صفة التقليد لنموذج سابق أو جاهز، وهذه من صفات الله عز وجل وخصائص قدرته، وصيغة (فِعْلة) التي جاءت بها لفظة (الفِطْرة) تعني كما أشار ابن منظور: الحالة التي يَرِدُ عليها الشيئ؛ أي هيئته، وعليه فالفطرة تعني الهيئة التي خلق اللهُ عليها الإنسانَ حين أودع فيه استعدادات وخصائص معينة أعدَّتْه وهيأتْه للتدين؛ أي جعلته متهيِّأً ومستعدا لقبول الدين اعتقادا وتَشَرُّعا.

ثانيا. الفطرة في الاصطلاح

الفطرة عند ابن الأثير تعني أن الإنسان « يولد على نوع من الجِبِلَّة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو تُرِك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقْها إلى غيرها، وإنما يَعدل عنه مَن يَعدل لآفة من آفات البشر والتقليد» [2] ويضيف ابن الأثير أن «كل مولود يولد على معرفة الله، والإقرار به، فلا نجد أحدا إلا وهو يقر بأن له صانعا، وإنْ سماه بغير اسمه، أو عَبَد معه غيرَه» [3]

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: (فطر)، 4/ 510.

2 بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر،3/457.

3 نفسه، 3/ 457.

وقد ورد أيضا في كتاب "التعريفات" للجرجاني أن الفطرة تعني: « الجِبِلَّة المتهيئة لقبول الدين» [1]

انطلق التعريفان من مُسَلَّمَة تواترتها النصوص، مؤداها أن الفطرة أمر تكويني متأصل في الإنسان؛ هذا الإنسان الذي يولد باستعدادات أودعها الله فيه، وتُمَثل تلك الاستعدادات مطلق الخير والصفاء المعبر عن خصوصيته الإنسانية؛ بكل قيمها التي تأصلت في عمق وجوده التكويني ومنذ بداية خلقه، لكي تكون له سندا ودليلا يعينه وهو يسعى ويتطلع إلى معرفة ذاته في منشئها، وفي الدور المنوط بها، ومآلها الذي تؤول إليه، ثم معرفة ما يحيط بها من عناصر الكون وظواهر الطبيعة، والقوانين التي تضبطها وتنتظم وفقها، وكل ذلك يحيل إلى البحث على معرفة القوة المتحكمة فيها، ومن ثم الاهتداء إلى الدين الحق بوصفه أطروحة إلهية وحيانية متعالية، تحمل كل القيم والمضامين التي تنسجم مع حقيقة الإنسان التكوينية، ومع الاستعدادت الفطرية الكامنة فيه لقبول الدين الحق الذي يُجيب عن كل تساؤلاته، ومن ثم تتشكل لديه الدافعية للتدين تلبية لمتطلبات الفطرة السليمة.

وقد أكد ابن الأثير –كما هو واضح في تعريفه السابق- أن الإنسان إذا نحا في اعتقاده وفي سلوكه منحى آخر مخالفا لما فطره الله عليه، فذلك لطارئ طرأ على هذه الفطرة بسبب عارض من عوارض الدنيا وآفاتها، فيؤدي ذلك إلى إضمار حقيقتها، وإظهارها على غير صورتها المرتبطة بخِلْقتها الأولى، فالأصل في الإنسان كما يضيف ابن الأثير أنه يولد وهو يمتلك الاستعدادات التي تفضي به إلى معرفة الله، والإيمان بوجوده سبحانه وتعالى، وحتى إذا لم يكن الإنسان موفقا في الاهتداء لمعرفة الله المعرفة التوحيدية الحقة بمصاديقها ومفاهيمها، فإن إقراره بمبدأ وجود الإله هو في حد ذاته تعبير عما فطره الله عليه من استعدادات لقبول الدين والرغبة في التدين.

---

1 الجرجاني، التعريفات، ص141.

والفطرة عند الراغب الاصفهاني هي من قولنا: « فَطْرُ اللهِ الخلقَ، وهو إيجاده الشيءَ وإبداعه على هيئة مترشِّحة لفعل من الأفعال.

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ **[سورة الروم: 30]**

إشارة منه تعالى إلى ما فطر؛ أي ما أبدع ورَكَزَ في الناس من معرفته تعالى، وفطرة الله هي ما رَكَزَ فيه من قوته على معرفة الإيمان» [1]

فالفطرة عند الراغب هي إبداع الله في خلق الإنسان على صورة تجعله يمتلك القوة والقدرة على معرفته عز وجل والإيمان به، والاهتداء إلى دينه.

والفِطْريُّ في المعجم الفلسفي «مقابل للمكتسب والفطرة هي الجِبِلَّة التي يكون عليها كلُّ موجود في أول خَلْقِه ... وقيل: إن الفطرة هي الإسلام، أو البَدَأَة التي بدأ الله خلقه عليها، أو ما أخذه الله على ذرية آدم من الميثاق... والفطرية هي الصفة التي تميز الفطريَّ عن غيره» [2]

والفطرة عند ابن عاشور هي «النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، والفطرة التي تخص نوع الإنسان هي ما خلقه الله عليه جَسَدًا وعقلا، فمَشْيُ الإنسانِ برجليه فطرة جسدية، ومحاولتُه أن يتناول الأشياء برجليه خلافٌ للفطرة الجسدية، واستنتاج المسبباتِ من أسبابها، والنتائجِ من مقدماتها فطرةٌ عقلية، ومحاولة استنتاج أمرٍ من غير سببه خلافٌ للفطرة العقلية» [3]

فالفطرة نظام يولد الإنسان به، وهي أمر تكويني متأصل في الإنسان تعني الحالة التي أوجده الله عليها في بداية خلقه، جسدا، وعقلا، وروحا، ووجدانا، أما ما يكون عليه الإنسان من

---

1 الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 640.

2 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 2/ 150، 151.

3 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 21/ 90.

أحوال لاحقة قد تخالف حقيقته الفطرية هي – في واقع الحال – أمور مكتسبة بفعل العوامل الخارجية التي قد تتجه في الاتجاه الذي يعتني بإبراز ما في الفطرة الإنسانية من استعدادات الخير والهداية لتثبيتها وتقويتها، وقد تتجه الاتجاه الذي يُلقي الغشاوة على البصيرة، فيُضْمِر ما في الفطرة الإنسانية من استعدادات الهداية والتدين، كل ذلك بسبب ما يعتري النفس البشرية من أَدْرَانٍ هي نتاج عوارض دنيوية وعوامل خارجية كثيرة، تحول دون بروز الصفاء الفطري، والتمكين لاستعدادات الهداية التي فطر اللهُ الإنسانَ عليها.

قال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ **[سورة الشمس: 7 ـ 10]**

تسوية النفس كما جاء في تفسير التحرير والتنوير تعني أن الله « خلقها سواء، أي غير متفاوتة الخلق ... فالتسوية حاصلة من وقت تمام خِلْقة الجنين من أول أطوار الصبا؛ إذ التسوية تعديل الخِلْقة، وإيجاد القوى الجسدية والعقلية» [1] التي تُمَكِّن الإنسان من القيام بدوره ووظيفته في الحياة؛ فهمًا وممارسةً.

ولعل « من آثار تسوية النفس إدراك العلوم الأولية والإدراك الضروري المدرَّج ابتداء من الانسياق الجِبِلّي نحو الأمور النافعة؛ كطلب الرضيع الثدي أول مرة، ومنه اتقاء الضار كالفرار مما يُكْرَه... وكل ذلك إلهام» [2] أودعه الله في الإنسان كي يتمكن من معرفة الحق والخير ليلتزمه، ومعرفة الفضائل ليقبل عليها، ومعرفة الباطل والشر ليجتنبه، ومعرفة الخبائث لينتهي عنها، كل ذلك بهدف تحصيل التقوى، وتزكية النفس وتحصينها من الانحراف والفجور، كي تبرز حقيقتها

1 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 30/ 369.

2 نفسه، 30/ 370.

الفطرية لتكون هي الفاعلة والمتمكنة والموجِّهة « ولولا ما أودع الله في النفوس من إدراك المعلومات على اختلاف مراتبها لما فهموا ما تدعوهم إليه الشرائع الإلهية، فلولا العقول لما تيسر إفهام الإنسان الفجور والتقوى، والعقاب والثواب» [1]

وقد أورد التهانوي صاحب موسوعة كشاف الاصطلاحات تعريفات أخرى للفطرة، لا تختلف كثيرا عما جاء في المعجم الفلسفي من كونها تعني الإسلام، وتعني البَدَأَةَ التي بدأ الله خلقَه عليها وغيرها من التعريفات الأخرى التي نسبها – حسب تعبيره – إلى أقوام مختلفين[2] نذكر من ذلك قول قوم من أن الفطرة هي: « الخِلقة من الفاطر الخالق، وأنكروا أن يكون المولود يُفطَر على كفر أو إيمان أو إنكار، وإنما يولد المولود على السلامة في الأغلب خُلُقًا وطبعا وهيئة، ليس فيها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة، يعتقدون الإيمان أو غيرَه إذا ميزوا ... ولو فُطِروا على الإيمان والكفر في أول أمرهم لما انتقلوا عنه أبدا، فقد نجدهم مؤمنين ثم يكفرون، ثم يكونون كافرين ثم يؤمنون» [3]

ويبدو أن أصحاب هذا الرأي قدموا رأيا نقضيا يعارضون به رأيا آخر، كان أصحابُه قد عرفوا الفطرة على أنها هي ذاتها الإيمان، في حين أن الإيمان أو الكفر، وكل ما له علاقة بالأمور الاعتقادية بشكل عام هي مشروطة –كما يرى أصحاب هذا الرأي – بالتمييز والإدراك، وتَعَقُّل الأمور وفهمها والوعي بها، لذلك لو كان الإنسان يولد مؤمنا لظل ثابتا على إيمانه ولَمَا انتقل عنه، بل سيكون مُكَلَّفا بأحكام الدين وتعاليمه من لحظة مولده وهو على الإيمان.

1ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 30/ 370.

2 ينظر: التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 2/ 1278، 1279.

3 نفسه، 2/ 1278.

وعليه فإن ما يمكن أن يستفاد من هذا الرأي أن الفطرة هي أن يولد الإنسان على السلامة، وعلى الاستعدادات والمؤهلات التي تجعله مستعدا وقادرا على الفهم والتمييز والاقتناع، ومن ثم تتحقق له القدرة والإرادة الذاتية على اختيار الاعتقاد الصحيح والاهتداء إلى الدين الحق.

الفرع الثاني. الفطرة في القرآن الكريم

وردت مادة (فطر) في القرآن الكريم في عدة مواضع، ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ **[سورة الأنبياء: 56]**

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ **[سورة الانفطار: 1]**

﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴾ **[سورة المزمل: 18]**

﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ **[سورة الأنعام: 79]**

أول ما يمكن أن نلاحظه أن مادة (فطر) وردت في القرآن الكريم بصيغ صرفية متنوعة، لتعبر كما هو الحال في هذه الآيات عن دلالة الخَلْق والإبداع والانشقاق[1] وغيرها من المعاني التي تشترك في مدلول عام؛ هو ابتكار الشيئ وإيجاده من العدم؛ أي من غير تقليد لنموذج سابق، وهذه من شأنية الله عز وجل، وعظيم قدرته سبحانه وتعالى.

وقد وردت مادة (فطر) بصيغة (فِعْلة) الدالة على الهيئة أو الحالة في آية واحدة من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى:

---

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 292، و 5/ 348، و 341/8.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سورة الروم: 30]

والمعنى في قوله «فطر الناس على الدين الحنيف، أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين، وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم، غير مجافية لها، غير نائين عنه، ولا منكرين له، مثل إثبات الوحدانية لله؛ لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح، حتى لو تُرِك الإنسان وتفكيرَه ولم يُلَقَّن اعتقادا ضالا لاهتدى إلى التوحيد بفطرته » [1]

فالخطاب في الآية الكريمة كان موجها إلى كل مؤمن موحِّد كي يسدد وجهه إلى الحنيفية السمحاء التي فُطِر الناسُ عليها، « فوصْف الإسلام بأنه فطرة الله معناه أن أصل الاعتقاد فيه جار على مقتضى الفطرة العقلية، وأما تشريعاته وتفاريعه فهي: إما أمور فطرية أيضا؛ أي جارية على وفق ما يدركه العقل ويشهد به، وإما أن تكون لصلاحه مما لا ينافي فطرته» [2]

فقد سخر الله للإنسان أسباب الهداية إلى الدين الحق؛ وفطر سبحانه وتعالى خلقه على معرفته، وتوحيده وأنه لا إله غيره، وقد ساوى بين خلقه كلِّهم في الفطرة على الجِبِلَّة المستقيمة، بحيث لا يولد أحدٌ إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك[3] . قال – عليه الصلاة والسلام–

« مَا من مَولودٍ إلا يُولَدُ على الفِطرةِ، فأبَواهُ يُهوِّدانِه، أو يُنصِّرانِه، أَوْ يُمجِّسانِه...».[4]

---

1 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 21/ 90.

2 نفسه، 21/ 91.

3 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/ 313، 314.

4 أخرجه البخاري في صحيحه، (صحيح البخاري) كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: 1385، دار ابن كثير (دمشق – بيروت) ط1، 1423هـ – 2002م، ص 327.

وعليه فالأصل في الإنسان أنه مجبول على الخير وصفاء النفس، بكل ما يعبر عنه الخير والصفاء من استعدادات أو مؤهلات الاهتداء للتدين بدين الحق، أما عدا ذلك من المظاهر السلوكية المنافية للخير، المنحرفة عن الحق، هي سلوكات عارضة وطارئة على الإنسان؛ أي ليست من الفطرة وحقيقته التكوينية في شيئ، بل هي ناشئة عن عوامل أخرى ترتبط أساسا بطبيعة التربية والتنشئة، والثقافة السائدة في الوسط أو البيئة الحاضنة للفرد.

وهذه العوامل أو غيرها اختصر الحديث الشريف حضورها في الدور الحاسم للأبوين؛ ذلك لأن الأبوين يمثلان البداية الأولى التي تؤسس للمسار، وللمعالم التي ينضبط وفقها الفعل التربوي، كما أنهما يؤديان دور المؤطر الملازم والمستمر في إنجاز الفعل التربوي الموجِّه لسلوك الفرد في إطار علاقة الأبوة والبنوة، التي لها الأثر الأكبر في التوجه الاعتقادي للأبناء، وما يترتب عن ذلك من تصورات والتزامات.

وقد أورد التهانوي في موسوعته بعض الآراء التي حاول أصحابها تحديد مفهوم الفطرة على ضوء ما جاء في القرآن الكريم، وهذه بعضها:

« وقال قوم: الفطرة هاهنا بمعنى الإسلام؛ لأن السلف أجمعوا في قوله تعالى:

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم: 30] أنها دين الإسلام» [1]

فإذا كان أصحاب هذا الرأي يُعَرِّفون الفطرة على أنها هي الإسلام، مما يعني أن الإنسان يولد مسلما في عالم التكوين، فإن قوما آخرين يرون أن « معنى الفطرة فيه البدأة التي أبدأهم الله

1 التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 2/ 1279.

عليها، أي على ما فطر الله تعالى خِلقتهم عليه من أنه أَبْدَأَ لهم الحياة والموت والسعادة والشقاوة، وإلى ما يصيرون إليه بعد البلوغ من قبولهم من آبائهم واعتقادهم»[1] .

فالفطرة حسب هذا الفريق تعني الاستعدادات أو المؤهلات التي أودعها الله في الإنسان، وبها يمكنه أن يعي ويدرك ويُحَصِّلَ تصوره الاعتقادي حول الحياة والموت، وطريق السعادة وطريق الشقاء، لكن ذلك مرهون أيضا ببعض العوامل الخارجية التي تتحكم في تنشئة الفرد، وتربيته، وتعليمه، وتوجيهه من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ التي يصبح فيها قادرا على الاختيار، لتستمر حياته بعد البلوغ بحسب اختياره ذاك.

« وقال قوم: معنى ذلك أن الله تعالى فطرهم على الإنكار والمعرفة وعلى الكفر والإيمان فأخذ من ذرية آدم – عليه السلام – الميثاق حين خلقهم. فقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ **[سورة الأعراف: 172]** فأما أهل السعادة فقالوا: بلى على معرفته طوعا من قلوبهم، وأما أهل الشقاوة فقالوا: بلى كرها لا طوعا.»[2].

فالإنسان بحسب هذا التعريف فطره الله على قدرة الاختيار والمعرفة، فمنهم مَن آمن إيمانا طوعيا عن وعي وبصيرة، فاهتدى بذلك إلى طريق السعادة، ومنهم من آمن عن إلزام وإكراه، ربما لجهله، وربما لاعتبارات الوراثة، أو الحُجُب التي تحجب عن النفس نعمة الهداية، فيكون الإيمان إيمانا صوريا يجعل صاحبه من أهل الشقاوة.

« وقال قوم: معنى الفطرة ما أخذ الله من الميثاق على الذرية وهم في أصلاب آبائهم»[3] فقد خلق الله الإنسان على وجه صالح للعبادة، حين أودع فيه القدرة على المعرفة

1 التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 2/ 1279.

2 نفسه، 2/ 1279.

3 نفسه، 2/ 1279.

والتبصر والاختيار، ومنحه أسباب الهداية الذاتية، فكان ذلك هو العهد أو الميثاق الذي أخذه الله على البشر حين أخرجهم من أصلاب آبائهم، لذلك تعد الفطرة حجة بذاتها على الإنسان، تنطق عليه بالحق وهو يقف أمام الله تعالى يوم القيامة، ويقول له:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ **[سورة الإسراء: 13، 14]**

إنه الميثاق الذي أخذه الله من بني آدم؛ إذْ قال عز وجل في كتابه العزيز:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ **[سورة الأعراف: 172]**

فلكي لا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة، أخذ سبحانه وتعالى الميثاق من بني آدم جميعا، وهذا الميثاق هو في حقيقته يمثل مخزون الفطرة، الذي هو حجة على الإنسان في كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال تصاحب حركته الوجودية في الحياة الدنيا، ففطرة الإنسان تكشف له طريق الهداية إلى الصراط المستقيم لذلك هي حجة عليه، وتتضاعف هذه الحجية حين يُتاح للفطرة أن تستعين بما يسديه الأنبياء ويبلغونه من توجيهات وتعاليم، تضبط حدود هذا الصراط ومعالمه.

فأنبياء الله على امتداد التاريخ الإنساني بُعِثوا بدين الفطرة إلى نوع إنساني واحد، له رب واحد؛ ثم دعوا الناس جميعا إلى إخلاص العبادة للحق انسجاما مع ميثاق الفطرة، لذلك لا مبرر

ولا معنى لأنْ يختلف الناس في أمر الربوبية، فيتخذ بعضهم ربًّا غير ما يتخذه بعضهم الآخر، أو أن يسلك قوم في عبادتهم طريقا غير التي سلكها غيرهم من العابدين.[1]

لذلك جاء أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – لِيُذَكِّروا الناس ويطلبوا منهم « أن يؤدوا ما تعهدوا به بفطرتهم، فالأنبياء لم يبدأوا من اللاشيئ، بل من إثارة شيئ موجود فعلا» [2] ففطرة الإنسان وبسبب الغفلة والذنوب تكون « محجوبة إلى درجة أنها تُدْفَن تحت كل الميول والأهواء، وحين يُدفَن الشيئ لا يمكنه أن يتفتح ويزهر... ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ **[سورة الشمس: 10]** أي الذي دفن نفسه الباحثة عن الله ... فالمدسوس هو المدفون تحت التراب» [3]

وعليه كان وصْف الله عز وجل لرسالة نبيه الخاتم – عليه الصلاة والسلام – بأنها تذكرة، وكان وصْفه لنبيه بأنه مُذَكِّر للبشر؛ ذلك لأن الميل لتلك الحقيقة الأزلية كامن في الجِبِلَّة البشرية، وإنما رسالة نبينا وكل أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – هي إحياء لهذا الميل، وتفعيل له وتذكير للبشر به [4] لِيُطْلِعُوهُم على ما في جِبِلَّتِهم البشرية من خير، وقابلية للهداية هم غافلون عنها.

ومن ثم « نجد في القرآن الكريم نوعين من الآيات: الآفاقية والأنفسية؛ فالآيات الأولى هي التي تتناول كل ما هو خارجَ ضمير (ذات) الإنسان من جبل وبحر ونبات ... والأرض والكواكب، والآيات الثانية هي التي تتناول ما في ضمير الإنسان وباطنه» [5]

1 ينظر: سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى – القرى الظالمة في القرآن الكريم – دار الهادي للطباعة والنشر بيروت، ط 1، 1412هـ، 1992م، ص 14، 15، 16.

2 مرتضى مطهري، الفطرة، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة بيروت، ط 2، 1412هـ - 1992م، ص201.

3 جوادي آملي، العقيدة من خلال الفطرة في القرآن، دار الصفوة بيروت، د ط، 1429هـ - 2009م، ص 36.

4 نفسه، ص 35.

5 مرتضى مطهري، الفطرة، ص 202.

يقول عز وجل: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ **[سورة فصلت: 53]**

لذلك لم يكن أنبياء الله معلِّمين ومبَلِّغين فحسب، بل كانوا مُذَكِّرين للإنسان بتلك الحقيقة الجوهرية الفطرية الخبيئة في باطنه. قال تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ **[سورة الغاشية: 21]**

وهذه التذكرة لا تخص من كان على سابق عهد برسالات الأنبياء فحسب، بل هي تذكرة للناس كافة. يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ **[سورة فاطر:3]**

فالتذكرة في هذه الآية لم تكن مخصوصة بالمؤمنين فحسب، أو بأهل الكتاب فقط، بل كانت التذكرة موجهة للناس كافة، تخاطب فيهم الفطرة التي هم فيها سواء؛ أي يشتركون فيها من حيث كونها أمرا تكوينيا يرتبط ببداية الخلق، وعليه فالتذكير يوقظ ما في هذه الفطرة من قدرة واستعداد على معرفة الله ومعرفة نعمه، والإيمان به، والاهتداء لدينه.

لذلك فإن كل « ما أتى به الأنبياء كان استجابة لنداء هذه الفطرة، وللرغبة الكامنة في أعماق الإنسان، في الحقيقة إن ما يبحث عنه الإنسان بفطرته، ويسعى إليه جاء به الأنبياء إليه» [1] وفي هذه الحالة يمكن القول: إن الفطرة الإنسانية قد يصلح تشبيهها بغرس مثمر يحتاج عناية ورعاية خاصة تستجيب لخصوصيته الطبيعية، كي ينمو نموا طبيعيا، ويثمر ثماره الطبيعية، بما

1 مرتضى مطهري، الفطرة، ص 196.

يعبر عن حقيقته التكوينية كما هي في الطبيعة، وتلك العناية والرعاية هي ذاتها التي يقدمها أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – للفطرة الإنسانية كي تبقى على صفائها أو على حقيقتها الأولى التي خلقها الله عليها فتتلقى من تعاليم الدين الحق وشرائعه ما يغذيها، ويستجيب لندائها ويحقق لها مبتغاها في الهداية والصلاح والتدين بدين الحق؛ فالأحكام والتعاليم الإلهية ليست تكليفا مُذِلًّا للإنسان، إنما هي غذاء لفطرته، وتشريف لحقيقته بإلباسها ثوب عبودية الحق، وكساء التقرب إلى الله[1] ذلك لأن الإنسان المكلَّف أضحى مشمولا بنداء الله للعمل بأحكام دينه وهذا شرف له.

الفرع الثالث. دافعية النفس الإنسانية إلى التدين

الحديث عن حاجة البشرية إلى الدين يقودنا حتما إلى الحديث عن النقص، أو الافتقار الذي هو من خصوصية الإنسان وطبيعته، ومن ثم يُطْرَح التساؤل الذي مؤداه: هل هذا النقص لا يمكن معالجته إلا بالدين؟ مع العلم أن النقص المقصود هنا ليس نقصا في أصل خِلقة الإنسان التكوينية، لقوله عز وجل:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [سورة الانفطار: 7]

وعليه فالنقص إنما هو النقص المرتبط ببعض متطلبات الإنسان بعد الخلق؛ فقد وهبه اللهُ البدنَ بكل وظائفه الحيوية، لذلك سيشعر حتما بالنقص إذا لم يلق البدنُ حقَّه من الغذاء والرعاية التي تستجيب لوظائفه الحيوية وتساعده على القيام بها، وأنعم الله عز وجل أيضا على عبده بنعمة العقل، وعليه سيشعر الإنسان بالنقص إذا لم يلق عقلُه ما يستحقه من العلم والمعرفة والتوعية، ليؤدي وظيفة التفكير، والاستكشاف، والفهم، والتمييز، والاقتناع، والاختيار، كما وهبه سبحانه وتعالى الوجدان بكل ما جُبِل عليه من مشاعر إنسانية راقية، وسيشعر الإنسان بالنقص إذا لم يتلق

1 ينظر: جوادي آملي، العقيدة من خلال الفطرة في القرآن، ص 103.

هذا الوجدانُ حقَّه من العطف، والحنان، والمحبة، والرحمة، وكل ما له صلة بالغذاء العاطفي الذي تحققه التربية والتنشئة النفسية الصحيحة.

وبالإضافة إلى ذلك كلِّه كرم اللهُ الإنسانَ، وأنعم عليه بنعمة الفطرة والروح، وهو حتما سيشعر بالنقص، بل سيشعر بالقلق وبالفراغ إذا لم يهتد إلى الدين الحق الذي يستجيب لنداء الفطرة والروح وينسجم معها، والأكثر من ذلك كله أنْ يشعر الإنسان بأنه كائن مكلف بكل ما يمنحه التكليف من خاصية التميز عن غيره من الخلائق؛ ذلك لأن الإنسان المكلف ما كان له أن يكون مكلفا لو لم يكن في حقيقته التكوينية، والوجودية خاضعا لتأطير العقل، وتوجيه الفطرة والضمير، وكل ما أودعه الله فيه من مَلَكات واستعدادات للتدين والتعلم، واكتساب الحكمة، فالقرآن الكريم الذي « ميز الإنسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب "العقل" بكل ملكة من ملكاته، وكلِّ وظيفة عرَّفها له العقلاء والمتعقلون قبل أن يصبح العقل "درسا" يتقصَّاه الدارسون كُنْهًا، وعملا وأثرا في داخله، وفيما خرج عنه، وفيما صدر منه، وما يئول إليه» [1] لذلك فالعقل بقدر ما هو تكريم للإنسان بنعمة التعقل والتدبر والتفكر، فإنه مسؤولية وتكليف؛ ذلك لأن العقل كما يقول عباس محمود العقاد هو:

« ... وازع ((يعقل)) صاحبه عما يأباه له التكليف.

العقل فهم وفكر يتقلب في وجوه الأشياء وفي بواطن الأمور.

العقل رشد يميز بين الهداية والضلال.

والعقل ذكرى تأخذ من الماضي للحاضر، وتجمع العبرة مما كان لما يكون، وتحفظ وتعي وتبدئ وتعيد.

---

1 عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن، دار نهضة مصر للنشر، ط 2، 2015م، ص 25.

والعقل بكل هذه المعاني موصول بكل حجة من حجج التكليف، وكل أمر بمعروف، وكل نهي عن محظور.» [1]

وبذلك ينسجم العقل في وظيفته مع ما فُطر عليه الإنسان من حاجة إلى سلطة مطلقة ذات قداسة يرتبط بها، ويخضع لها، ويستجلب رضاها بالصالح من أعماله، ويجتنب سخطها باجتناب المحظور في أعماله.

فالإنسان مفطور « على الشعور بوجود كائن غيبي، وعلى الإحساس بالحاجة إليه، ولا سيما في مواطن الضعف وعوارض الحاجة، وإن الحياة الروحية للإنسان... لن تستقيم إلا بإدراك هذا الكائن، والاتصال به، وعرض الحاجة عليه، والتوجس من جزائه، ولن ينال سلامته النفسية إلا بالإيمان به، وإلا عاش فراغا في نفسه»[2] فهذا الشعور الفطري متأصل في الإنسان، لكنه قد يبرز ويختفي بحسب ما يحيط به من ظروف وعوامل خارجية كثيرة، فقد يَضْمُرُ ويختفي هذا الشعور الفطري لدى الإنسان في حالات الغفلة الناشئة عن «حالات الترف والراحة، ويتحفز في حالات الاضطرار والخوف، وحالات رؤية بدائع الصنعة، بل قد ينكره مكابرة لوجدانه، أو لأجل التخلص من تبعات الإقرار والاعتراف به » [3]

قال عز وجل:

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾

[سورة العنكبوت: 65]

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾

[سورة فصلت: 51]

---

1 العقاد، الإنسان في القرآن، ص 25 ـ 26.

2 محمد باقر، منهج التثبت في الدين (حقيقة الدين)، دار الكتب بغداد، ط 2، 1438هـ ، ص 71.

3 نفسه، ص 71.

فهاتان الآياتان وغيرهما من الآيات الواردة في القرآن الكريم نجد فيها ما يعبر عن هذه الظاهرة الإنسانية المتمثلة في تناوب الغفلة والصحو وتدافعهما في النفس الإنسانية، وذلك بحسب ما يعترض حياة الإنسان أو يصيبها من مظاهر الترف والراحة والدَّعَة، أو مظاهر الفاقة والعُسْرة والمحنة.

المطلب الثاني . حاجة الإنسان الوجدانية إلى التدين

خُصِّصَ هذا المطلب لإبراز حاجة الإنسان الوجدانية إلى التدين؛ لذلك كان **الفرع الأول** مخصصا لبيان حاجة المجتمعات البشرية إلى التدين عبر التاريخ، **والفرع الثاني** لبيان ما يشعر به الإنسان من نقص يكشف حاجته الملحة إلى الدين، أما **الفرع الثالث** فكان مخصصا لبيان حاجة الإنسان إلى التدين لتحصيل السكينة والأمل.

الفرع الأول . حاجة المجتمعات البشرية إلى التدين عبر التاريخ

لقد كانت فكرة الدين مندمجة بالإنسان منذ القدم، وقد أثبتت الأبحاث التاريخية أن الإنسان في مرحلة ماقبل التاريخ، ظهر في آثاره ما يدل على أنه كان متأثرا بفكرة الدين، وقد عثر علماء الأنثروبولوجيا في أنحاء أوروبا الغربية والشمالية على آثار لمقابرَ دفنَ فيها الإنسانُ البدائيُّ موتاه بكيفية معينة وفي اتجاه معين، وقد كانوا يضعون بجانب موتاهم الأدوات التي كانوا يستعملونها في حياتهم، وغيرها من الطقوس والإشارات التي تثبت أن الإنسان آنئذ كان يلتمس من ذلك الخير واتقاء الشر[1]

فعلاقة الإنسان بالدين لم تكن علاقة طارئة أو عارضة ومستحدثة في حياته، بل هي علاقة متجذرة تعني ارتباط الإنسان بالدين وحاجته إليه منذ الأزل، فكل « المجتمعات البشرية

---

1 ينظر: طه الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، دط، 1963، ص من 9 إلى 12.

في جميع مراحلها لم تخل من دين أبدا، أي أن التاريخ لم يحدثنا عن مجتمع عاش بدون دين في أي مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي، وفي أي نقطة على وجه الأرض»[1] ذلك لأن الإنسان ومنذ تاريخه السحيق، الموغل في القدم ظل يبحث في حقيقته الوجودية، متسائلا عن بدايته في الحياة وأصل منشئه فيها ومنتهاه بعدها، كما ظل يتأمل نظام الكون وظواهر الطبيعة باستغراب يؤكد أن فكرة الدين في المراحل المتقدمة من تاريخ الإنسانية كانت ساذجة؛ لأنها تنبني بالدرجة الأساس على ثنائية الخوف والرجاء فقط؛ فالخوف كان من مظاهر الطبيعة المخيفة، كالرعد، والبرق، والرياح، والفيضانات، والظلام، أما الرجاء والاستئناس، والسكينة كان في مظاهر الطبيعة الْخَيِّرَة؛ كالشمس، والقمر، والشجرة، ومنابع الماء، والربيع وغيرها، لذلك اتخذ الإنسان حينها آلهة للخير، وآلهة أخرى للشر[2]، وكان يفكر ويعمل على استجلاب رضاها بتقديم القرابين، وإقامة الشعائر والطقوس.

وقد كان الإنسان في تلك الأطوار من حياته لا يدرك الارتباط السببي للظواهر الطبيعية، فكان كل ذلك يُؤدي إلى طرح تساؤلات تحاول البحث في حدود إمكانات التفكير المتاحة عن علل الظواهر وأسرارها، لكن الإنسان وهو يبحث عن تلك العلل لا يتوقف في تعليله عند حلقة من حلقات العلل، بل كان يبحث دائما عن الأسباب الأولى، أو عن العلة التي تنتهي عندها العلل.

ومع ذلك لا بد من التأكيد أن العقول وهي تتأمل هذا العالم الحسي سعيا إلى الاطلاع على مصدره، وعلى مصيره وغايته ليست على درجة واحدة في هذا السعي:

---

1 علي شريعتي، دين ضد الدين، ص 24.

2 ينظر: طه الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها، ص 10، 12

فأما العقل المتعجل فإنه يقف عند أدنى جزئيات مبادئ الغيب وأقرب غاياته، مكتفيا في كل ظاهرة من الظواهر الكونية المتشابهة بأن يلمح من ورائها سببا يدفعها، ومبدأً يتحكم فيها وينظمها، وهذا العقل المتعجل قلما يسأل ويبحث في أصل ظواهر الكون ومنشئها كنظام عام بوظائف متكاملة، لذلك تتعدد في نظره القوى المدبرة؛ فيصبح للريح إلاها، وللخصب إلاها، وللحياة إلاها، وللموت إلاها، وللشِّعر إلاها...

أما العقول الواعية الطليقة المتسامية تسعى إلى هدفها بروية وتَثَبُتٍ وبصيرة، ولا تقنع بالتفسيرات الجزئية، ولا ترضى بتجزيئ القوانين؛ لأنها تبحث وتستشرف القانون العام والمحوري الذي تخضع له كل القوانين، بل إنها تتطلع إلى اليد التي جمعت تلك القوانين ونسقتها، وجعلتها تتعاون وتتكامل لآداء الوظيفة المشتركة لهذا النظام والبناء الكوني. [1]

فالإنسان يبحث عن الله؛ لأنه واقع تحت تأثير تلك العلة المتأصلة فيه؛ وهي الفطرة، فلولا هذا العامل الداخلي المنبعث من ذات الإنسان كي يدفعه إلى اكتشاف العلل للوصول إلى منبعها، لكان الإنسان يمر بالظواهر الطبيعية بعقل غير متسائل، ودون أن يلقي إليها بالا[2]، لكن ولأنه كائن عاقل كان يتأمل، ويتدبر ويثير التساؤل عما يحيط به من ظواهر عديدة لا متناهية في نظام الطبيعة والوجود، فحين يكتشف أنه لا يمتلك جوابا لتلك التساؤلات التي يثيرها بخصوص الظواهر الطبيعية والوجودية المستغلقة والعصية عن الفهم، ينشأ لديه الإحساس بالنقص والعجز، والخوف، والقلق وغيرها من الانفعالات التي كانت أهم باعث من بواعث الشعور الْمُلِح بالحاجة إلى الدين.

لذلك نجد الإنسان عبر تاريخه الطويل قد خاض رحلة شاقة ومعقدة في البحث عما يستجيب لحاجته تلك، حيث استغرقت المجتمعات البشرية قرونا من الزمن في الحيرة الممزوجة بقلق

1 ينظر: محمد عبد الله، الدين دراز؛ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص 95 ـ 97.

2 ينظر: مرتضى مطهري، الفطرة، ص 212.

السؤال عن أصل النشأة، وعن حقيقة المصير والمآل من أين؟ وكيف؟ وإلى أين؟ وغيرها من التساؤلات التي يمكن القول: إنها عبرت عن الدوافع النفسية المعبرة عن حاجة الإنسان إلى الدين، ومع ذلك لم يكن الإنسان في العصور الغابرة مدفوعا إلى الدين بدافع المعرفة، بقدر ما كان مدفوعا بدافع المشاعر الناشئة عن الملاحظة الحسية لما يحيط به من ظواهر الطبيعة وأسرارها التي لم يكن يدرك كنهها.[1]

وقد تطورت فكرة الدين من حالة بدائية بسيطة ساذجة، كان كل مجتمع بشري يوظفها بما يلائم طباع أبنائه، وبيئتهم، وظروفهم، ومستوى تفكيرهم، حيث كان أفراد هذه المجتمعات وثنيين يعبدون الأحجار والأشجار والشمس... ثم سمت مداركهم فأعرضوا عن الأوثان ليُعَظِّموا الروح، التي توسموها في تلك القوة التي تحرك بعض عناصر الطبيعة؛ مثل الرياح، والمطر، والحرائق... وغيرها، ويضاف إلى ذلك كله أن منهم من كان يرى مثلا قريبا له أو قريبا منه يموت ويرحل ولا يعلم ما حل بهم، وإذا به يراه في منامه وقد تتكرر رؤياه تلك بما يثير لديه تساؤلات صادمة، انتهت به في مرحلة تاريخية ما إلى أن ينسب للروح قدرة التصرف في الكائنات وفي عناصر الطبيعة؛ فاعتقدوا أن للريح إلها، وللبحر إلها، وللخصوبة إلها، وللشمس إلها... وفي مراحل تاريخية لاحقة كان الإنسان يتأمل ويلاحظ النظام المحكم الذي يسير عليه الكون، وبدأ يتساءل هل لتلك الآلهة المتعددة القدرة على التصرف في هذا الكون، والتحكم في نظامه العجيب دون أن تكون خاضعة لسلطة أعلى منها مقاما وشأنا؟ فصار يعتقد بوجود إله فوق الآلهة المتعددة التي تعمل بأوامره، ثم وبتأثير من الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– تطور الاعتقاد عند بعض المجتمعات التي اقتنعت أنه من الضلال أن تعتقد بحاجة الإله الأعظم إلى مساعدة الآلهة،

1 ينظر: طه الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها، ص 11، 12.

فنزهته عن الشريك، وهكذا تدرج الإنسان في سلم الاعتقاد من الوثنية والشرك لينتهي إلى التوحيد[1].

وبذلك طوَّر الإنسانُ علاقته بالدين بعد أن صار قادرا على الفهم والإدراك، وقد أثبت القرآن الكريم هذه الفكرة، في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ
بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا
ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨
إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ
قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ
رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ
أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ٨١ ﴾ [سورة الأنعام: **75 – 81**]

فقد عبرت هذه الآيات عن فكرة تطور علاقة الإنسان بالدين من الحالة الساذجة إلى الحالة الراقية، في إشارة رمزية تبدو في الظاهر أنها تصف إيمان نبي الله إبراهيم – عليه السلام- لكن هذا الوصف في الواقع لا يخصه هو، بل هو نوع من التعريض بقومه لبيان بطلان اعتقادهم[2]، الناشئ عن الملاحظة الحسية البصرية لمظاهر الطبيعة والكون، بعيدا عن الوعي والتفكر، وبعيدا عن البصيرة والتبصر.

---

1 ينظر: طه الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها، ص 12، 13.

2 ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 7/ 561.

فسيدنا إبراهيم –عليه السلام– أراد بهذا التعريض أن يحقق لهم صحوة العقل، ويقظة الوعي، بالشكل الذي يطور علاقتهم بالدين فيرتقون بها من طور السذاجة والانفعالات القائمة على الملاحظة الحسية، إلى طور التدبر والتبصر والاقتناع؛ لذلك بينت هذه الآيات كيف أن الإنسان بفطرته يطلب مبدأً منزها من الفناء والغياب، ومن ثم ينزع إلى الموجود المصون من كل أنواع الزوال، والتغير، والغياب، والاحتجاب، فإنْ كان الشيئ مما يقبل الغروب، والأفول فإنه ليس بمحبوب فطري لدى البشر، ولأن الله هو الخالق، المحبوب الذي لا يفنى ولا يتغير، كان من الطبيعي أن لا ينقطع الارتباط به، وأن يكون نزوع العبد إليه نزوعا دائما، فغياب من تتعلق به المحبة يعني انقطاع الارتباط به.

لذلك فإن الإله القابل للزوال لا يمكنه أن يكون محبوبا، كما لا يمكنه أن يكون خالقا للعالم [1] وهذه هي النتيجة النهائية المستفادة من هذا التعريض الذي استهدف عقول المشركين من قوم النبي إبراهيم –عليه الصلاة والسلام–

وعليه وانطلاقا مما تقدم يمكن القول: إننا إذا استثنينا الإنسان المُؤَطَّر في النسق التوحيدي الذي يبدأ مع سيدنا آدم –عليه السلام– ثم مَن جاء بعده مِن الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الموحِّدين، فإننا نجد سائر البشر عبر العصور، وفي كل أنحاء الأرض وأرجائها قد أنشأوا لأنفسهم وبأنفسهم تصورات اعتقادية متباينة عن الإله، وعن الدين عموما ووضعوا باسم هذا الدين قوانين تحرم وتبيح؛ فكان لكل جماعة بشرية دينها الذي أنتجته بنفسها، ثم كرسته وورَّثَتْه للأجيال من بعدها.

ومن ثم كانت الأديان البشرية المختلفة تنال حظها من الإيمان والتقديس كلما تقادم بها الزمن واعتنقتها أجيال من البشر، لذلك حين نطلع على تاريخ ظهور الأديان وانتشارها في المجتمعات البشرية نجد أنفسنا أمام معتقدات لا حصر لها، انبنت على فكرة الإيمان بأنواع شتى

1 ينظر: جوادي آملي، العقيدة من خلال الفطرة في القرآن، ص 151، 152.

من الآلهة والأرباب، التي تُقدَّم لها القرابين، وتقام لها طقوس مختلفة ومتعددة تعدد هذه الأديان وتباينها، وعليه وجب لفت الانتباه إلى أن الأمر الفطري في المسألة هو تعبير الإنسان عن حاجته إلى الدين، ورغبته في التدين من حيث المبدأ أو من حيث هو استعداد فطري يولد به، أما ما يعتري هذا الاستعداد من إخفاقات في معرفة الدين الحق، والاهتداء إليه فذلك ليس من الفطرة في شيء، بل هو راجع إلى عوامل أخرى كالجهل، والعجز، والتقصير، والمكابرة... وغيرها من العوامل الذاتية والخارجية التي قد تحجب الفطرة، وتَحُول بينها وبين معرفة الدين الحق.

الفرع الثاني. شعور الإنسان بالنقص والحاجة إلى المدد الغيبي:

شعور الإنسان بالنقص وحاجته إلى المدد الغيبي يعود بالأساس إلى كونه مفطورا على التدين، ثم إن معتقداته الدينية التي يعتنقها ويتدين بمقتضاها تقوم على الإحساس بانقسام الوجود إلى مستويين:

المستوى الطبيعي: المتمثل في عالم الظواهر المحسوسة التي يعاينها الإنسان ويتحرك ضمنها.

والمستوى القدسي: وهو عالم الغيب الذي هو مصدر هذه الظواهر المحسوسة، ومصدر التحكم فيها، ومنه تستمد فعاليتها.

ويندرج الإنسان، وأشكال الحياة الأخرى لسائر الموجودات الحية والجامدة في الطبيعة ضمن الظواهر المحسوسة، بينما المستوى القدسي (الغيب) فيتصل بالكون ومظاهر الطبيعة، وكل الموجودات ليمنحها الحياة والفعالية المعبرة عن قوة الإرادة الغيبية السارية فيها، والجامعة بين المستويين في دارة واحدة، باطنها الألوهة، وظاهرها ما لا يحصى من الظواهر الحية والجامدة[1]،

1 ينظر: فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ص 311.

التي استرعت اهتمام الإنسان، وأثارت لديه تساؤلات كثيرة عبرت عن شعوره بالنقص، وحاجته إلى معرفة بعض أسرار الغيب، لذلك كان الدين ولا يزال ضرورة مُلِحَّة للإنسان الذي كان – على مر العصور – « يشعر دوما وفي المستوى الآخر الأعمق لوعيه بِكُلاَّنية الكون، وبلا تمايزه عن الوعي، وليس الدين إلا ظاهرةً عبرت منذ بزوغ الوعي عن هذا الإحساس المتأصل بالتكامل مع العلم والمشاركة في الحقيقة، وإن الدافع إلى التدين وإلى تكوين المعتقد الديني لَيَنْشَأ عن هذا الإحساس بالكُلاَّنية وبالمشاركة في كون واحد حي» [1]

وعليه فالإنسان مذ خلقه الله عز وجل على هذه الأرض، ظل يعبر عن حاجته إلى الله وألطافه الغيبية؛ أي هو يعبر عن حاجته إلى دين الله وتعاليمه؛ ومن ثم كان توجهه إلى الدين الحق، والبحث عنه أمرا فطريا ذاتيا متجذرا فيه، لأن الدين بذاته حاجة أساسية ملازمة للوجود الإنساني، ثم هو حاجة باعتبار ما يوفره للإنسان من احتياجات ومتطلبات كثيرة تنقصه.

فالدين هو الذي ينظم حياته، ويوجه سلوكه، ويضبط غرائزه، ويحدد له أهدافه السامية في الحياة، أي يحدد له رؤيته إلى العالم والكون، وكل ما يحيط به ويتصل به في عالمه الخارجي؛ فلا أحد يمنح الإنسان تلك القيم والمعاني المتعالية، والتشريعات المُلْزِمة غير الله عز وجل الذي خلقه، ووهبه الحياة، وأودع فيه من الاستعدادات والمَلَكات، وأسبغ عليه من النعم الظاهرة والباطنة ما يجعله دائم الشعور بالحاجة إلى الله القوي، الرزاق، الغني، العلي، المتعال الذي يحيي ويميت.

يقول عز وجل على لسان نبيه إبراهيم –عليه الصلاة والسلام–:

﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [سورة البقرة: 258]

1 فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ص 385.

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ﴾ [سورة الملك: **1 – 3**]

فقد وضحت الآياتان السابقتان مسألة مهمة من المسائل الحياتية التي أوردها القرآن الكريم في أكثر من مورد؛ وهي أن الحياة بيد الله عز وجل، وأنه هو الذي يهبها ويأخذها؛ أي يحيي ويميت وهو وحده القادر على ذلك، وهذا سبب كاف لأنْ يشعر الإنسان بالحاجة إلى الله؛ أي حاجته إلى خالقه الذي يمتلك زمام أمره في محياه وما تخبئه له الأقدار، وفي مماته، وما بعده من بعث فيه الجزاء والحساب، وحتى الآية التي نسب فيها القرآن الكريم إحياء الموتى لنبي الله عيسى –عليه السلام– فهي تؤكد أن ذلك تم بإذن الله؛ لأن قدرة نبي الله عيسى –عليه السلام– ليست مستقلة بالأصالة عن قدرة الله، أو هي قدرة في عَرَض قدرة الله، بل هي في طولها وبأمرها وإذنها.

يقول تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّىٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: **49**]

ومن الآيات المعبرة أيضا عن حاجة الإنسان إلى الله قوله عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِىُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [سورة فاطر: **15**]

لقد كان النداء في هذه الآية نداءً عاما موجَّهاً للمؤمن والكافر، للمطيع والعاصي، يحمل إليهم تلك الحقيقة التي يُذل بها الله كبرياء وغرور من استعلى وامتنع عن الإيمان بالله، وتمردوا على منهج الله، فهؤلاء ذكَّرهم القرآن الكريم بعجزهم وبضعفهم، وإنْ كانوا غير ذلك فليتمردوا أيضا على الفقر إنْ أفقرهم الله، وليتمردوا على المرض إنْ أنزله الله بهم، بل وليتمردوا على الموت إذا حان أجلهم، فهؤلاء شاؤوا أم أبوا حتمًا هم مقهورون لربوبيته سبحانه وتعالى.[1]

في كل الأحوال مهما بلغت مستويات الغفلة عند بعض الناس، ومهما بلغت درجة الغرور والمكابرة عند بعضهم الآخر، فإن الحقيقة التي لا مناص منها هي ذلك الشعور المتأصل في النفس الإنسانية؛ أي الشعور الآدمي بالفقر والحاجة إلى الله الذي هو مطلق الغنى، ومطلق الرحمة، ومطلق القوة والقدرة، ومن هذا الشعور تنشأ الدافعية إلى التدين لدى الإنسان السوي الذي يستجيب لنداء الفطرة، لذلك يسعى إلى التعرف على الله، والتقرب إليه بما هو واجب، وممكن، ومستحب من الشعائر والعبادات، والأعمال الصالحة... وكل ما يمكن إدراجه في عنوان الطاعات والعبادات لله عز وجل، وبذلك يكون الإنسان قد اتجه صوب المقصد السامي والأنبل الذي خلقه الله لأجله، وهو التدين الذي تُعد العبادة مظهرا ومصداقا عمليا له.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨ ﴾ **[سورة الذاريات: من 56 إلى 58]**

وبذلك تكون حياة الإنسان المؤمن، أو كل حركاته وسكناته في هذا الوجود هي عبادة لا تنقطع، بل هي صلاة قائمة، وسجدة طويلة، وسعي دائم خالص، يتوجه به العبد إلى ربه سبحانه وتعالى متعبدا، متقربا، يرجو رضاه في كل شأن من شؤون حياته بكل تفاصيلها، وفي

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 20/ 12496.

كل مجالاتها، شعورا منه بضعفه، ونقصه، وحاجته إلى الله الغني عن كل مخلوق، القوي المتين الرزاق لكل مخلوق وإليه المصير والمآب.

الفرع الثالث . حاجة الإنسان إلى التدين لتحصيل الأمل والسَّكينة:

يحتاج الإنسان لأنْ يتدين بدين عادل يحفظ له كرامته، ويضمن له حقه في الحياة الكريمة العادلة، يحتاج إلى دين يجيبه عن كل تساؤلاته، ويؤهله لأنْ يفهم الحياة فهما سليما، ويجعل وجوده فيها مرتبطا بالمعاني الراقية، والمقاصد السامية، ومتى اهتدى الإنسان إلى هذا الدين تحققت له الطمأنينة ونال حظه من السكينة، واستمسك بالأمل الذي يدفع بحركته في هذه الحياة نحو المطامح السامية، وهذا الدين ليس تكليفا مفروضا من خارج الفطرة والروح الإنسانية، بقدر ما هو تلبية إيجابية لنداء الروح والفطرة الإنسانية، ولا شك أن هذا الدين المقصود بتلك المعاني هو الدين الوحياني؛ دين الحق الذي:

يمنح الحياة معانيها التي طالما بحث عنها الإنسان منذ غابر العصور؛ حيث ظل يتساءل: من هو خالق الكون الذي يدبر أمره؟ لماذا الحياة الدنيا؟ كيف نعيش في هذه الحياة؟ وما معنى الموت؟ وماذا بعد الموت؟ وغيرها من التساؤلات التي شغلت بال الإنسان منذ سالف العصور، فكان جواب الوحي في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾

[سورة البقرة: 255]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الرعد: 12، 13]

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: 64]

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [سورة الأعراف: 25]

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الملك: 1– 3]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الأعلى: 14 – 17]

فحين يتلقى الإنسان هذه الآيات وغيرها من الآيات الكثيرة التي تبين وتوضح له أصل الكون وتفسر له بعض ظواهره، ثم أصل النشأة الإنسانية فيه، وما يجب أن تكون عليه حياة الإنسان، وكيف أن أعماله في حياته الدنيا هي التي سوف تحدد مصيره بين الرشاد أو الشقاء في دار البقاء بعد الموت ... فكل ذلك يعني تمكين الإنسان من الاهتداء إلى الدين الذي يمنحه الإجابات الصحيحة التي تجعله يفهم حقيقة وجوده، وتصبح حياته ذات معنى مما يُشعره بالراحة والسكينة، والسعادة والرضى، فتكون حركته التي يعبر بها عن وجوده في الحياة حركةً تتجه صوب وِجْهَة واضحة ومعلومة بمقاصد وأهداف سامية، لا بد أن تكون هي المآل الطبيعي الذي ينسجم مع تلك المعاني الراقية التي أضفاها الدين على الحياة، وهذا ما يمنح الإنسانَ الأملَ، والرؤية المتفائلة اتجاه نظام الوجود وقوانينه، بعد أن يتحقق له الإدراك بأن الله قد مهد له هذا العالم، وسخره له لاحتضانه وفق نظام عادل، تتوفر فيه كل عناصر الحياة التي أوجدها الله

قبل خلق الإنسان لكي تكون بيئة حاضنة له، ويكون هو المسؤول عن طبيعة الحياة التي سيعيشها، فقد تكون حياته ممتعة، ومريحة، ومستقرة طيبة بما يرضي الله، متى عمل وأخذ بالأسباب التي تحقق له ذلك، وإنْ لم تكن حياته كذلك سيعزو الأمر إلى نفسه معترفا بتقصيره، متحملا مسؤولية هذا التقصير في استثمار عناصر الحياة المُسَخَّرة له. يقول عز وجل:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [سورة البقرة: 29]

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية: 13]

فالإنسان المؤمن العاقل الذي يتفكر ويتدبر، بوعي وتبصر ما أودعه الله من سنن وعناصر الحياة في الكون التي سخرها سبحانه وتعالى لأجل راحته وسعادته، سيُقْبِل من دون شك على هذه الحياة باطمئنان وأمل وتفاؤل، يدفعه إلى الحركة والنشاط والعطاء.

- يحقق انسجام الشخصية وتوازنها؛ ذلك لأن الإنسان يولد مُحَمَّلاً بمجموعة من الاستعدادات، والميولات، والرغبات المتنوعة التي – إنْ لم تنتظم- ستتدافع، وتتضارب بالشكل الذي يُحْدِث اضطرابا، وتوترا، واختلالا في شخصية الإنسان، هذا -بطبيعة الحال- إنْ لم يعد إلى الدين الحق الذي يعيده بدوره إلى حقيقته الفطرية، فيوازن بين رغبات الإنسان، وينظمها ويرتبها بحسب درجة أولويتها ليتحقق التكامل، والانسجام، والتوازن بين أفكاره من جهة، ومشاعره من جهة ثانية، وغرائزه من جهة ثالثة، كل ذلك بما يضمن له وحدة شخصيته واستقرارها وانسجامها في سكينة روحية لا تتحقق للنفس إلا في ظل الدين الحق، وضوابطه الشرعية والأخلاقية، التي بمقتضاها تنتظم كل الرغبات والميولات التي أودعها الله في الإنسان. قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[سورة الرعد: 28]

جاء في تفسير فتح القدير للشوكاني أن طمأنينة القلوب يريد بها أنْ « تسكن وتستأنس بذكر الله سبحانه؛ كتلاوة القرآن والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتوحيد، أو بسماع ذلك من غيرهم... وقيل: المراد بالذكر هنا الطاعة، وقيل بوعد الله... وقيل بذكر رحمته، وقيل بذكر دلائله الدالة على توحيده. » [1] فتوحيد الله، والإقرار بربوبيته، وكل ما يستوجبه ذلك من تكليف يُؤَدَّى بالعبادات والطاعات للمولى عز وجل بالتزام أوامره، واجتناب نواهيه، قربة إليه، وسعيا للفوز بمرضاته... كل ذلك هو ذكر يُهَذِّب النفوس ويزكيها، ويحفظ توازنها، هو ذكر تطمئن به القلوب، وتَقَرُّ وتسْكن، يكشف عن استخلاف اللهِ الإنسانَ في الأرض.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ **[سورة البقرة: 30]**

فكان من الطبيعي أن يسعى كل إنسان يؤمن بهذه الرسالة، ويستشعر مسؤولية هذا التكليف لأنْ تكون صلتُه بالله، وأن يكون توجهه إليه عز وجل من أجل السمو بروحه، والارتقاء بها لكي يؤدي رسالة الاستخلاف في الأرض، ويبلغ بها مقامات القرب إلى الله سبحانه وتعالى، وكلما سمت روحه، طلب - وقد تمكنت منه نشوة العابد- المزيد من السمو الذي يرقى بوجوده من النمط الحيواني في بُعده الغرائزي البسيط، إلى الوجود بمعناه الإنساني في أبعاده الروحية والأخلاقية الراقية، بما يعكس هذا الاصطفاء والتكريم الذي ناله الإنسان، وهو اصطفاء وتكريم يعزز إيمانه وثقتَه بربه، ثم يقوي ثقته بنفسه، قال تعالى:

﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ **[سورة الإسراء: 70]**

فالإنسان المؤمن العاقل الذي يستشعر هذا الألطاف وهذا الفضل الذي حباه الله به دون غيره من الخلق، سيتسلح بإرادة العمل والأمل لتحقيق حياة مثالية يبلغ بها درجة الكمال الإنساني،

1 الشوكاني، فتح القدير، 13/ 730.

ومن ثم يرى أن حضوره في هذا الوجود يجب أن لا يتوقف عند سقف ما. لِمَ لا؟ وقد كرمه الله بالعقل، وحباه بتشريع ينسجم مع فطرته، ويضبط علاقته بربه، وبذاته، وبمجتمعه... كل ذلك لتحقيق رسالة الاستخلاف في الأرض بمضامين عبادية، تؤسس للحياة الصالحة، وعمارة الأرض التي تقوم أساسا على الالتزام بأوامر الله عز وجل، والانتهاء عن نواهيه.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ **[سورة هود: 61]**

لقد خصت الآية بالذكر قوم ثمود الذين أرسل الله إليهم نبيَّه صالحا – عليه السلام – لكن عموم الخطاب كان موجها للبشرية جمعاء؛ ففي قوله عز وجل: ﴿ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ؛ «أي ابتدأ خلقكم منها؛ من الأرض التي خلق منها أباكم آدم ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾؛ أي جعلكم فيها عُمَّارا تعمرونها وتستغلونها، فاستغفروه لسالف ذنوبكم، ثم ﴿ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ﴾ فيما تستقبلونه» [1] فقد استخلف الله الإنسان في الأرض للقيام برسالة مقدسة؛ هي عمارة الأرض بكل ما تعنيه عبارة ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ من التشريف والاصطفاء والتكريم للعنصر الآدمي، وبكل ما تعنيه أيضا من عظمة الأمانة وثقل المسؤولية التي تستدعي أن يُخْلِص العبدُ نيته لله، وهو يسعى ويعمل بصدق وجِدٍّ لإشاعة وتوفير كل الأسباب والظروف التي تتحقق بها حياة الخير والصلاح بمضامينها العبادية؛ بحيث تكون حركة الإنسان، وكل أعماله في الأرض تعبدا لله وقربة إليه ابتغاء مرضاته عز وجل.

لذلك لا يشعر المؤمن بالسكينة إلا إذا اطمأن واقتنع بأن الله سبحانه وتعالى لم يهمله، وأنه يؤدي تكليفه وفق ما شرعه الله له، فيزداد سكينة واطمئنانا متى كان على بينة ودراية بما يجب

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 331.

وما لا يجب، وبما يجوز وما لا يجوز من الأعمال، فيطيع الله عز وجل بالإقبال على ما يرضيه، واجتناب ما يغضبه وما لا يرضيه، لذلك كان من حكمة الله عز وجل وألطافه بعباده أنْ بعث أنبياءَه ورسله لأجل ذلك؛ أي لأجل بيان تعاليم الدين الحق، وما جاء به من أحكام ينتظم بها تدين المؤمنين، وتنتظم بها حياتهم بشكل عام، فقال عز وجل:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة البقرة: 213]

فدعوة الأنبياء ورسالتهم هي حجة تضاف إلى حجية الفطرة، فقد بعثهم الله بدين الحق لينذروا، ويبشروا، وليُعَلِّموا الناس، ويرشدوهم، وينصحوهم إلى سبل الخير والرشاد التي فيها صلاح معاشهم، وفيها سعادة معادهم، كل ذلك هو في واقع الحال من باب الأخذ بأيدي الناس إلى طريق الهداية، استجابة لحاجتهم المُلِحَّة إلى الدين، وتناغما مع ما أودعه الله فيهم من استعدادت فطرية للتدين، لذلك تعد رسالة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام- عامل مهم في التمكين للفطرة وتوجيهها إلى الدين الحق.

ومن ثم هي صمامُ أمان يحميها، بل يمنحها السكينة والاطمئنان، ويمنعها من أن تتوجه الوجهة المنحرفة، فاستعداد الإنسان للتدين هو طاقة ذاتية متجذرة في النفس الإنسانية، إنْ لم تشمله عناية الأنبياء سيتجه باستعداداته تلك في اتجاه الانحراف والضلال، بكل ما يترتب عن ذلك من قلق وتوتر واضطراب على مستوى الذات، فضلا عن الآثار السلبية الأخرى على مستوى الواقع الخارجي.

المطلب الثالث: حاجة الإنسان المعرفية والتربوية والروحية إلى الدين

لقد كان هذا المطلب مخصصا لبيان حاجة الإنسان المعرفية والتربوية والروحية للدين؛ فكان **الفرع الأول** منه لإبراز حاجة الإنسان إلى الدين للإجابة عن تساؤلاته المعرفية، أما **الفرع الثاني** فقد حاولت أن أوضح فيه حاجة الإنسان إلى الدين لضبط غرائزه وتوجيه سلوكه، في حين كان **الفرع الثالث** مخصصا لتوضيح حاجة الإنسان الروحية إلى الدين لبلوغ مقامات القرب الإلهي.

الفرع الأول ـ حاجة الإنسان إلى الدين للإجابة عن تساؤلاته المعرفية:

أشير في البداية أن حاجة الإنسان المعرفية إلى الدين لا تقتصر على إفراغ الجهد وبذلِه في الفقاهة، وفي كل ما له صلة بالعلوم الدينية؛ أي أن يكون الدين فقط هو موضوع المعرفة، إنما المراد أيضا اعتماد الرؤية التوحيدية في معرفة العالم، ومعرفة أسراره وقوانينه التي تحكم ظواهره المختلفة، والاطلاع على حقيقة الموجودات والكائنات؛ على النحو الذي يعود بالنفع على الإنسان الذي سيستثمر لاحقا تلك المعارف بما يخدم حياته وأهدافه فيها، وبما يجعل حياته تنتظم وفق تلك المعارف.

ولعل منشأ المعرفة الإنسانية تعود إلى طبيعة الإنسان، أو إلى حقيقته التكوينية التي تجعله يجنح دوما إلى التأمل، والتساؤل، وحب الاستطلاع؛ أي حب التعلم والمعرفة، سعيا منه للحصول على إجابات مقنعة، تطمئن لها نفسه بخصوص ما يطرحه من أسئلة يمكن تقسيمها إلى قسمين:

1- أسئلة وجودية كبرى

وهي أسئلة تتعلق بأصل النشأة والخلق، وتتعلق بالموت وما بعد الموت، ثم الحكمة من ذلك، فهذه الأسئلة ظلت – منذ غابر العصور- تفرض نفسها على كل إنسان عاقل تتفتح

مداركه على هذا الكون، وما فيه من أسرار وظواهر طبيعية، تشد انتباهه، وتسترعي اهتمامه، وتثير حيرته وقلقه، وهذه الأسئلة ليس بمقدور العقل البشري أن يجيب عنها باعتماد العلم الطبيعي والتجريبي؛ لأنها لا تدخل في نطاق أدواته العلمية، كما أنها ليست ظواهر حسية مادية يمكن إخضاعها للتجربة، والملاحظة، والاستقراء... 1 فالوحي هو الطريق الأوحد للإجابة عن هذه الأسئلة الوجودية التي يمكن صياغتها في ثلاثة أسئلة كبرى هي:

أولها: سؤال عن المبدأ، من أين؟

وهذا السؤال نجد له الجواب في العديد من الآيات القرآنية التي بينت بكثير من التفصيل والتدقيق أصل الخلق والتكوين لهذا الكون بعناصره المختلفة، وبِمَا ومَنْ فيه من الخلائق العاقلة وغير العاقلة، الحية والجامدة. يقول عز وجل:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ **[سورة الأعراف: 54]**

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ **[سورة الأنعام: 1]**

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[سورة الأنعام: 73]

1 ينظر: ضياء الخباز، الدين حاجة الإنسان الأزلية، شبكة ضياء، تم النشر بتاريخ: 2018/09/18 http://aldiaa.net/ تمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 23 /11/ 2019 في الساعة: 08.35

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ **[سورة المؤمنون: 12 – 14]**

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ ﴾

[سورة الرحمن: 14، 15]

أشارت هذه الآيات في مجملها إلى بداية الوجود، ومسألة الخلق والإنشاء التي تتجلى فيها قدرة الله عز وجل، وربوبيته سبحانه وتعالى، وتتجلى هذه الربوبية في الابتداء « بالخلق في أضخم مجالي الوجود؛ السماوات والأرض، ثم في أضخم الظواهر الناشئة عن خلق السماوات والأرض وفق تدبير مقصود؛ الظلمات والنور، فهي اللمسة العريضة التي تشمل الأجرام الضخمة في الكون المنظور، والمسافات الهائلة بين تلك الأجرام، والظواهر الشاملة الناشئة عن دورتها في الأفلاك » [1] .

أما اللمسة الثانية للظواهر الناشئة عن خلق السماوات والأرض هي « لمسة الوجود الإنساني... لمسة الحياة الإنسانية في هذا الكون الخامد، لمسة النقلة العجيبة من عتمة الطين المظلم إلى نور الحياة البهيج » [2] ومن مهانة العدم إلى شرف الحياة والوجود حين خلق الله الإنسان ونفخ فيه الروح، فهيأه بذلك للحياة والنماء [3] بكل ما يستلزمه ذلك من خضوع للسنن والقوانين التي أودعها الله في هذا الكون، وفي هذه الحياة، وبمقتضاها يختار الإنسان تصوراته الاعتقادية بكل ما يترتب عنها من تكليف والتزام في حياته الروحية والسلوكية.

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 1030/2.

2 نفسه، 1030/2

3 ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 18/ من 22 إلى 25.

وعليه يمكن القول: إن الإنسان له حاجة معرفية إلى الدين الذي يقدم له إجابات عن الأسئلة الوجودية الكبرى، وعلى ضوء تلك الإجابات تتشكل تصوراته الاعتقادية، وتتحدد رؤيته الفلسفية للكون ويتحقق معنى الحياة في منشئها وفي مآلها.

ثانيها: سؤال عن المنتهى، إلى أين؟

بعد ذلك الخلق والتكوين العجيب، وبعد فترة من الحياة والنماء المُحْكَم، ستصير الخلائق، وسيصير الناس إلى قَدَرِهِم المحتوم؛ وهو الموت الذي به يتعطل ويتوقف كلُّ أثر مادي للخلق والحياة في النشأة الأولى، لكن الله القادر على الخلق الأول، هو قادر أيضا على الخلق الثاني في النشأة الأخرى بعد الموت. قال تعالى:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦ ﴾

[سورة المؤمنون: 15، 16]

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١ ﴾

[سورة الزمر: 30، 31]

﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ **[سورة يس: 83]**

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ **[سورة الروم: 11]**

﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ **[سورة العنكبوت: 20]**

إن لمسة خلق الإنسان من طين، ونقلته العجيبة من عتمة الطين المظلم إلى نور الحياة البهيج، تقابلها لمسة أخرى؛ هي لمسة الأجل الأول المتمثل في الموت، ولمسة الأجل الثاني المتمثلة

في البعث والمعاد، وهما لمستان متقابلتان في الهمود (الموت) والحركة (البعث)، كتقابل الطين الهامد والخلق الحي في النشأة الأولى، وكل هذا من شأنه أن ينقل إلى القلب البشري اليقين بتدبير الله، واليقين بلقائه[1]، ومعاده وما فيه من جزاء وحساب، وهذا مستوى آخر من المعرفة التي لا يمكن للإنسان أن يجدها وأن يحصل عليها في مجال آخر غير مجال الدين.

ثالثها: سؤال عن الحكمة، لماذا؟

لقد وصف الله سبحانه وتعالى ذاته المتعالية بالحكمة، ومن ثم فإن كلَّ ما يصدر عنه، وكلّ ما هو متعلق بإرادته ومشيئته سبحانه وتعالى لا يمكنه أن يخلو من وجود مقاصد سامية تؤكد حكمته عز وجل، بما يمنح الحياة معانيها الراقية المرتبطة بمضمون الدين، لذلك يمكن القول: إنه من صميم الحكمة الإلهية أن يكون خلق الخلق مقترنا بالموت والحياة، وما يفصل بينهما من تكليف، يتبعه الحساب والجزاء. يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ **[سورة الذاريات: 56]**

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ **[سورة البينة: 5]**

العبادة هي « إظهار الخضوع للمعبود، واعتقاد أنه يملك نفْعَ العابدِ وضرهِ »[2] فهي علة الخلق، وهي مطلوب الله من العباد، الذي لا يقبل من العبادات إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم « وتكاليف الله للعباد على ألسنة الرسل ما أراد بها إلا صلاحَهم العاجل والآجل، وحصول الكمال النفساني بذلك الصلاح، فلا جَرَم أن الله أراد من الشرائع كمال الإنسان، وضبط نظامه

---

1 ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 2/ 1030، 1031.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 27/ 26.

الاجتماعي في مختلف عصوره، وتلك حكمة إنشائه فاسْتَتْبَعَ قولَه "إلا ليعبدون" أنه ما خلقهم إلا لينتظم أمرُهم، ووقوفُهم عند حدود التكاليف التشريعية من الأوامر والنواهي؛ فعبادةُ الإنسانِ ربَّه لا تخرج عن كونها مُحقِّقةً للمقصد من خلقه » [1].

وعليه تكون العبادة بهذا المعنى قد عبرت عن حركة الإنسان في الحياة كلِّها، و هي حركة تشمل كلَّ تفاصيلِ حضورِهِ في الوجود، ولا تقتصر على ما يؤديه العبدُ أو يقيمه من شعائرَ محددةٍ في أوقاتٍ مخصوصة، وبكيفيات وأحكام معلومة مثل: الصلاة، والصيام، والزكاة ... فمعرفة الإنسان إذن لعلة خلقه، ومعرفته الحكمةَ من وجوده لا يجدها إلا في دين الله، الذي عرَّفه أيضا بمراد الله وحكمته من حياة الإنسان وموته. فقال عز وجل:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ **[سورة الملك: 1، 2]**

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ **[سورة هود: 7]**

جاء في تفسير فتح القدير للشوكاني أن الله سبحانه وتعالى « خلق الموت والحياة ليعاملكم معاملة من يختبركم؛ أيكم أحسن عملا؟ فيجازيكم على ذلك، وقيل المعنى: ليبلوكم أيكم أكثر للموت ذكرا وأشد منه خوفا. وقيل: أيكم أسرع إلى طاعة الله وأورع عن محارم الله... وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لجميع أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح، لا إلى

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 27/ 26.

الحسن والأحسن فقط، للإيذان بأن المراد بالذات، والمقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين » [1].

وعليه يكون الموت هو الفاصل بين حياة التكليف في دار الفناء، وحياة الحساب والجزاء في دار الخلود والبقاء، فوجه الابتلاء أن يعلم الإنسان أن الله تعالى خلق الناس للموت والحياة؛ أي « الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة، وقدم الموت على الحياة؛ لأن الموت إلى القهر أقرب... وقيل قدَّمَه لأنه أقْدَم؛ لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب. » [2]

لذلك على الإنسان أن يعلم أن الله نقله من الموت إلى الحياة يوم كان ترابا ثم نطفة ثُمَّ عَلَقَةً ثم مُضْغَةً إلى أَنْ أَنشَأْهُ خَلْقًا آخَر ... فكما هو قادر على ذلك، لا بد أن يكون قادرا على أن ينقله مرة أخرى من الحياة إلى الموت، ثم من الموت إلى الحياة، فيَحْذَر مجيئ الموت الذي به ينتهي التكليف، وينتهي اختبار الناس في أعمالهم؛ أيها أحسن وأفضل؟ على اعتبار أن الأعمال الحسنة متفاوتة في الحُسْن من أحْسَنِها إلى أقلِّها حُسْنا، أما الأعمال السيئة فإنها مفهومة بدلالة الفحوى؛ لأن البلوى في أحسن الأعمال تقتضي البلوى في الأعمال السيئة أيضا؛ لأن إحصاءها والإحاطة بها أولى في الجزاء بما يترتب عليها من الاجتراء على دين الله، ومن الفساد في النفس، وفي نظام العالم، وذلك أولى بالعقاب.[3]

فهذه الأسئلة الوجودية الكبرى بأنواعها الثلاث: من أين؟ إلى أين؟ لماذا؟ يجيب عنها الوحي، مخاطبا عقل الإنسان وقلبَه، بدليل "الخلق" ودليل "الحياة" مُمَثَّلَيْن في الآفاق وفي الأنفس، إنه خطاب موحي يوقظ الفطرة، ويواجهها بحركة الخلق والإحياء، وحركة التدبير

---

1 الشوكاني، فتح القدير، 29/ 1510

2 القرطبي أبو عبدالله، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، دط، 1368هـ – 1949م، 18/ 206

3 ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 29/ 15.

والهيمنة، وبسلطان اليقين المستمد من تقرير الله، وتصديق الفطرة البشرية لذلك، هذه الفطرة التي لم تكن تعاني يوما مشكلة الإيمان بوجود إله، إنما مشكلتها هي عدم معرفة الإله الحق.[1]

وبالنظر إلى تلك الأسئلة الكبرى وإجابة الدين عنها، يكون الدين قد منح للإنسان المعنى الحقيقي للوجود، ويكون قد وفر له أيضا حاجته من المعرفة التي كان في الأصل مستعدا لتلقيها بفطرته، لكنه لم يكن قادرا على الوصول إليها؛ لا بمداركه ولا باعتماد جهده الخاص في توظيف، واستخدام أدوات البحث العلمي المتاحة له.

2- *أسئلة اعتقادية تتصل بالدين*

هناك بعض المسائل الاعتقادية التي يتعذر على العقل إدراكها بتفكير أو باستدلال عقلي مستقل؛ نذكر من ذلك:

- بعض صفات الله الجزئية؛ كالسمع، والبصر، والكلام...

- حقيقة المعاد وكيفيته، وبكل التفاصيل المتعلقة بالنشأة في الدار الأخرى.

- الأحكام الشرعية التي تتضمن الكثير من الأحكام التوقيفية التي يُسَلِّم بها المتدين دون أن يطرح السؤال لماذا؟.[2]

فهذه الأمور لا بد أن يستفيدها العقل ويستقيها من الوحي (النقل)، والحديث عن النقل يحيلنا إلى الحديث عن تلقي الأنبياء لدين الله تعالى وتبليغهم إياه؛ حيث كان ذلك على مرحلتين بينهما تطابق تام:

---

1 ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 2/ 1031.

2 ينظر: جوادي آملي، الإنسان والدين، ترجمة عبد الرحيم الحمراني، مؤسسة التاريخ العربي – مكتبة طريق المعرفة، ط1، 1430هـ، 2009م، ص 32.

المرحلة الأولى هي مرحلة تلقي الأنبياء للدين، وهي مرحلة تشير إلى أن الدين محفوظ لدى أنبياء الله كما أنزله الله عليهم.

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة تبليغ الأنبياء للدين، وهذه المرحلة هي التي تنتقل فيها تعاليم الدين وأحكامه من عالم الجعل والتشريع النظري، إلى عالم الفعلية والتكليف.

فالمرحلة الأولى خاصة بمن يصطفيهم الله ليكونوا وسطاء بينه وبين عباده، ولا يترتب عن هذه المرحلة أي أثر من آثار التكليف ما لم يتم تبليغ هذه الأحكام، لتتحول في المرحلة الثانية إلى عالم الفعلية، فالمرحلة الأولى إذن هي الطريق المضمون لوصول تعاليم الدين وأحكامه إلى الناس، ولولا هذا الطريق لانسد باب التواصل بين الله وعباده[1]؛ ذلك لأن بعض التفصيل في الأمور الاعتقادية والفقهية ليس بمقدور العقل أن يدركها بصورة مستقلة مثل الأحكام الفقهية التي يستعين العقل بالنقل لفهمها واستنباطها ، ومنها ما لا يمكنه أن يدركها أصلا مثل كيفية الجزاء والحساب بعد البعث، ومنها ما يستطيع فهمها فقط؛ لأنه كان مهيأً لذلك كعلمه مثلا بحاجة العالم إلى خالق قادر حكيم متسلط، فالدليل النقلي قد يكون تأسيسا لما لا يمكن للعقل البرهاني إدراكه، وقد يكون تأييدا لما يمكن للعقل إدراكه.[2]

لذلك يمكن القول: إن الأنبياء بعد قيامهم بأمانة تبليغ دين الله وعرضه على البشر، يصبح هذا الدين في متناول قواهم المُدْرِكة من طريقين:

- الطريق العام البديهي المتاح لجميع الناس بالفطرة.
- وطريق الاكتساب والتعلم المتوقف على العقل والوعي.

وبالإضافة إلى كل ماسبق يمكن القول: إن الدين الوحياني وبالأخص الإسلام له أيضا حضور مؤثر في الأبحاث العلمية التي تقع في نطاق المعرفة الإنسانية، وإمكانات العقل البشري

1 ينظر: علي عابدي، المبدأ الإنساني وجدل العلم والدين، مجلة الاستغراب الصادرة عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية بيروت، العدد 13، 1440هـ. 2018م، ص 59.

2 ينظر: جوادي آملي، الإنسان والدين، ص 32.

وأدواته العلمية المتاحة له في تحصيلها، ونذكر على سبيل المثال بيان القوانين والسنن التي أودعها الله في هذا الكون لتتحكم في الظواهر الفلكية والطبيعية، وفي النظام العام للحياة. قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ **[سورة يونس: 5]**

وحضور الدين في الجانب المتعلق بالمعرفة الإنسانية قد يكون من باب:

أ – التحفيز على البحث وعلى طلب العلم؛ من خلال التأكيد على فضل قيمة العلم ومقام أهل العلم عند الله. قال عز وجل:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ **[سورة المجادلة: 11]**

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ **[سورة طه : 114]**

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ **[سورة الزمر: 9]**

وفي السنة المطهرة نجد الكثير من الأحاديث الشريفة التي تحث على طلب العلم، ومن ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم– :

((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ))[1].

ب – الدعوة إلى إعمال العقل وتقديم حوافز التفكير بالشكل الذي ينمي لدى الإنسان الإحساس بفضاءات المعرفة وتدبر آيات الله في الكون، وقد ورد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله عز وجل:

1 أخرجه الترمذي في سننه (الجامع الكبير)، أبواب العلم، باب فضل طلب العلم، رقم الحديث 2646. تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1996م، ج4، ص 358.

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الغاشية: 17 – 20]

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [سورة آل عمران: 190، 191]

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾
[سورة البقرة: 164]

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾
[سورة قٓ: 6–8]

هناك مجموعة من الصور التي « رسمتها هذه الآيات – وأمثالها في القرآن — من وجود السماوات طبقات بعضها فوق بعض، وما يتراءى من شمس وكواكب، وما هي عليه من نظام دقيق لم يصبه حتى الآن أي خلل أو اضطراب، ووجود الأرض بما عليها من جبال وبحار، وبصلاحيتها تماما لمقام الإنسان والحيوان هليها، واختلاف الرياح بين آنٍ وآنٍ، ونزول المطر الذي به حياة الأرض، وما عليها من حيوان وإنسان حسب نظام خاص ... هذه الصور وغيرها التي تؤخذ من هذه الآيات توقظ الفكر، وتدعو للنظر والتأمل، وتكون النتيجة أنْ يصل الإنسان

بهذا التفكير إلى أن لهذا العالم – أرضِه وسمائِه وما بينهما – خالقا يستحق وحده أن يكون المعبود »[1]

وقد كان للإسلام دور هام في توجيه الإرادة البشرية، والعلم البشري نحو المقاصد السامية، والأهداف النبيلة الراقية التي تجعل العلم في خدمة الناس، ويعود عليهم بالنفع في حياتهم، بل يعين الإنسان ويساعده في القيام برسالة الاستخلاف في الأرض وعمارتها، بما يليق بكرامة الإنسان.

الفرع الثاني: حاجة الإنسان التربوية إلى الدين:

الحديث عن حاجة الإنسان التربوية إلى الدين هو حديث عن علاقة الأخلاق بالدين، وما يمكن أن يثيره هذا الحديث من جدل حول إمكانية استغناء الأخلاق عن الدين، أو استغناء الإنسان عن الدين في الوصول إلى الأخلاق، على اعتبار أن القيم الأخلاقية مغروسة في النفس الإنسانية، فبعض الناس قد لا يؤمنون بأي دين، ومع ذلك ونظرا لطبيعتهم ونشأتهم التكوينية تجدهم على قدر كبير من التربية الحسنة والأخلاق الراقية؛ فهم مثلا لا يَظلمون بل قد ينصرون المظلوم، لا يكذبون ويمجدون الصدق، لا يسرقون وينبذون فعلة السارق، يحسنون إلى الغير، يساعدون من هو بحاجة إلى المساعدة، يحفظون الأمانة، يحبون العدالة وينبذون العنصرية والتفرقة وغيرها من القيم الأخلاقية التي تنحو منحى إنسانيا عاما...

ومن هذا المنطلق يرى بعض اللادينيين أنه لا الأخلاق تحتاج إلى الدين، ولا الإنسان يحتاج إلى الدين للوصول إلى الأخلاق، لذلك سأحاول في هذا العنصر أن أوضح حاجة الإنسان إلى الدين لتحصيل التربية الحسنة، والتحلي بالأخلاق الراقية، ويمكن إثبات ذلك بعدة اعتبارات:

---

1 حسين أحمد شحادة، اجتماعيات الدين والتدين – دراسات في النظرية الاجتماعية الإسلامية – مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بيروت، ط1، 2010، ص 97.

أولا. اعتبار التشخيص

سن الله سبحانه وتعالى شرائع وقوانين كلية، ثم بعث أنبياءه ورسله لتبليغها، وتمكين الناس من فهمها والاستعانة بها في تهذيب نفوسهم، وتشخيص أفعالهم لتمييز حَسَنِها من قبيحها؛ ذلك لأن اكتساب الإنسان للأخلاق مرهون بمعرفة الميزان الذي يزن، أو يقيس به أثر كل فعل في تهذيب النفس وتحقيق استقامتها، وهذه من الأمور التي لا طاقة للإنسان بمعرفتها، فالله هو الذي يَعْلم في ما يكون كمال النفس الإنسانية واستقامتها، وهو سبحانه الوحيد الذي يعلم كيف تؤثر أفعال الإنسان، وأعمالُه في تربية النفس وتهذيبها وتحقيق كمالاتها، فالقضايا الأخلاقية قسمان:

1- **قضايا أخلاقية كلية:** تخضع للمفهوم المشترك الذي نجده عند كل الناس، بصرف النظر عن اختلافهم في المعتقد، وفي التوجه، وفي الثقافة و... كالتسليم مثلا بأن العدلَ حسنٌ، وأن الظلمَ قبيح.

2- **قضايا أخلاقية جزئية:** وهي قضايا لا يهتدي إليها الإنسان ولا يمكنه معرفتها إلا إذا استعان بالدين، مثل الامتناع عن شرب الخمر، وعن الزنا، وعن الربا و... ولنا أن نستشهد مثلا بحظ الأنثى من الميراث حين نقرأ قوله تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [سورة النساء: 11]

فهذه قضية أخلاقية جزئية ضمن المفهوم الكلي للعدل، لو يكتفي الإنسان بمداركه وبأدواته الخاصة في الفهم والتشخيص سيحكم بأن نصيب الأنثى من الميراث ينافي مقصدية العدل في ملمحه العام، لذلك نرى بعض اللادينيين ودعاة المساواة كثيرا ما يثيرون هذه القضية على أنها ظلم في حق المرأة، لظنهم أن مبدأ المساواة في الحياة العامة هي من مظاهر العدل.

ثانيا . اعتبار الدافعية

ما يميز المتدين عن غير المتدين هو امتلاك المتدينِ الوازعَ الدينيَ الذي يمنحه قدرة السيطرة على غرائزه، ويجعله متحفزا للخير مندفعا إليه، ويحرك فيه همة الإقبال على المحامد ومكارم الأخلاق، وفي الوقت نفسه وبتأثير من هذا الوازع تراه أيضا يتورع من الوقوع في الزلل، ويُحْجِم عن ارتكاب المثالب والرذائل؛ لأن هدفَه في الحياة هو أن يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالطاعات ابتغاء مرضاته وتحصيل ثوابه، ثم لاجتنباب سخطه والنجاة من عقابه،[1] فالإنسان إذن بحاجة إلى الوازع الديني الذي يعينه على تربية نفسه وتثبيتها على الفضيلة، لأن النفس الإنسانية في أصل نشأتها التكوينية فطرها الله على الخير، لكنها قد تزيغ وتنحرف عن الفطرة؛ بسبب ما يطرأ عليها من أحوال، وبسبب ما تمتلكه أيضا من استعداداتٍ مضمرة للانحراف، إذا ما وجدت أسبابا خارجية تدفعها إلى ذلك. قال تعالى:

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ **[سورة الشمس: 7 – 10]**

فقد خلق الله النفس وتولى تسويتها، مع تمام خِلْقة الجنين في أول أطوار الصبا، ثم منح الإنسان القدرة الجسدية والعقلية للقيام بدوره في الحياة، لذلك ينساق بطبيعته الفطرية نحو الخير، ونحو كلِّ أمرٍ فيه صلاح ومنفعة،[2] وعليه يكون الدين عاملا محفزا يقوي في النفس نوازع الخير، ويجعلها تلتزم بشكل طوعي تعاليم الدين وأحكامه، بما يُحَبِّبُ الفضيلةَ إليها، ويبَغِّضُها في الرذيلة

1 ينظر: ضياء الخباز، الدين حاجة الإنسان الأزلية، شبكة ضياء، تم النشر بتاريخ: 2018/09/18 http://aldiaa.net/ تمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 23 /11/ 2019 في الساعة: 08.35

2 ينظر: بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 30/ 369، 370.

ويجعلها تنفر منها، فالدين يمنح الإنسانَ المتدينَ إرادة التسلط على النفس، ومجاهدتها، وحَمْلِها على الخير وعلى الفضائل، وتحصينها من الزيغ ومن الوقوع في الرذائل.

ثالثا . اعتبار الهدف

غير المتدينين الذين يفصلون الأخلاق عن الدين قد ينشدون الأخلاق باعتبارها سبيلا يساعد على تحقيق امتيازات مادية أو معنوية، لأن الأخلاق بالنسبة إليهم لا تعدو أن تكون مجرد قانون وشرط من شروط تنظيم الحياة لتحقيق مصالح مشتركة بين البشر، بينما نظرة المتدين للأخلاق نظرة مجردة ومنزهة عن المنافع والمصالح المادية؛ وهي نظرة لا تؤمن بانفصال الأخلاق عن الدين[1].

لذلك يؤمن المتدين بالأخلاق كقيمة مستقلة قائمة بذاتها، يتقرب بها إلى الله ويبتغي رضاه، وهذا هو الهدف الأسمى الذي يؤكد هو الآخر حاجة الإنسان التربوية إلى الدين؛ لأن الدين هو الذي يرتقي بالقيم الأخلاقية من المستوى البسيط المرتبط بالمدلول والمعنى السلوكي للأخلاق، إلى المعنى الأرقى المرتبط بمدلولها ومعناها الروحي، بمضامينه الملكوتية الراقية في طهرها وقداستها، مما ينزه القيم الأخلاقية عن كل مصلحة ذاتية ضيقة، ويجعلها مظهرا من مظاهر الطاعة والعبادة، فحين يحرص الفرد على إتقان العمل مثلا، يجب أن لا يقتصر حرصه على تحقيق الهدف المادي لهذا العمل، بل يجب أن يتعداه إلى تحقيق هدف آخر؛ وهو التقرب إلى الله عز وجل بهذا العمل المُتْقَن ابتغاء مرضاته.

1 ينظر: ضياء الخباز، الدين حاجة الإنسان الأزلية، شبكة ضياء، تم النشر بتاريخ: 2018/09/18 http://aldiaa.net/ تمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 23 /11/ 2019 في الساعة: 08.35

الفرع الثالث: حاجة الإنسان الروحية إلى الدين

خلق الله الإنسان ببُعدين؛ أحدهما مادي والآخر روحي، ولكل منهما حاجته، فإذا كانت حاجة البدن تتمثل في الأكل والشرب وغيرهما من الملذات المادية المتعلقة بالجسد، فإن حاجة الروح هي السكينة والاطمئنان، وقد اختصر القرآن الكريم حاجة الإنسان الروحية إلى الدين في قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾

[سورة الرعد: 28]

فذِكْر الله الذي به تطمئن النفسُ؛ هو الذكر الذي تتحقق به طاعة الله، هو الذكر الذي نستحضر به رحمتَه عز وجل، هو الذكر الذي يُذَكِّرنا بوعده ومعاده سبحانه وتعالى لعباده، هو الذكر الذي نتدبر به آيات الله، ويجعلنا نُمْعن التأمل والتفكر في دلائل وحدانيته.[1] إنه الذكر الذي يُراد به خشية الله واستحضار رقابته بالوقوف عند أمره ونهيه، ويجوز أن يُراد به ذكر الله باللسان؛ لأن ذلك يُنَبِّه القلوب إلى مراقبة الله، فكل أنواع الذكر هذه يتحقق بها الاطمئنان والسكينة، وقد استعير الاطمئنان هنا للدلالة على اليقين، وعدم الشك؛ لأن الشك يقترن بالقلق والاضطراب[2].

وعليه فإن التأكيد على حاجة الإنسان إلى السكينة والاطمئنان مرده القلق والتوتر الذي يلازمه في حياته، فإذا لم يهتد الإنسان إلى ما يحقق له الراحة النفسية وسكينة القلب واطمئنانَه، قد يتطور عنده القلق ويتحول إلى حالات مرضية يستعصي علاجُها، وهذا القلق والاضطراب ينشأ من باعثين رئيسين هما:

---

1 ينظر: الشوكاني، فتح القدير، 13/ 730.

2 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 137/13.

أولها . الخوف من المستقبل المجهول

قد يَنْعَم الإنسانُ في حاضره بالأمن والسلامة، وبالعيش الرغيد، والرزق الوفير، والمال الكثير، وبالصحة والعافية، وبالأبوة ونعمة الذرية، وربما بالوجاهة وعِظَم الشأن وعلو المقام بين أهله وعشيرته، وربما تمتد الوجاهة في فضاء أوسع بين بني وطنه، وأبناء أمته ... وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ومع ذلك لا طاقة للإنسان، ولا وُسْعَ له في أن يضمن بقاءَ الأمورِ على ما هي عليه.

لذلك ترى غير المتدينين حين يفكرون في المستقبل يكون تفكيرهم باعثا على القلق والتوتر؛ [1] ذلك لأنهم على مستوى التصور والممارسة السلوكية يعزلون أنفسهم، ويعزلون الحياة عن قيم الدين، ومن ثم تكون نظرتهم إلى الحياة بشكل عام، وإلى المستقبل بشكل خاص هي نظرة مادية صرفة، لا يقابلها على المستوى المعنوي الرصيد الروحي الذي يجعلها نظرة موضوعية ومتوازنة، فكونهم يعيشون بلا وازع ديني يعني أنه من غير الممكن لهم أن يستشعروا ألطاف المدد الغيبي، والعناية الإلهية التي تبعد عنهم المخاوف، وكل أنواع القلق والتوتر إزاء المستقبل المجهول؛ لأن ذلك قد يتحول في أحايين كثيرة إلى حرص غير طبيعي وغير أخلاقي، وبوسائل وأساليب غير لائقة، بذريعة حماية ما بين أيديهم من مكتسبات، يظنون ظن السوء أنهم هم مَن حققوها بإرادتهم المستقلة، وهم بذات الإرادة يستطيعون أيضا -كما يزعمون- الحفاظ عليها من الزوال.

وعليه فإن الإنسان لكي يحمي نفسه من القلق ولكي يَطْمَئِنَّ قلبُه، لا بد أن يدرك حاجته لأنْ يتدين بدين يجعله "أولا" عبدا شكورا لله حامدا إياه على نِعَمِه الجزيلة، ويجعله "ثانيا"

1 ينظر: ضياء الخباز، الدين حاجة الإنسان الأزلية، شبكة ضياء، تم النشر بتاريخ: 2018/09/18 http://aldiaa.net/ تمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 23 /11/ 2019 في الساعة: 08.35

عبدا صبورا قنوعا إذا ما أصابه مكروه وحَلَّ به بلاء، فهو في كل الظروف والأحوال عبد مؤمن يطمئن إلى قضاء الله ويرضى بقدره، معتقدا اعتقادا يقينيا أن لجوءه إلى الله سبحانه وتعالى هو لجوء إلى من عنده الرحمة، وله القوة والجبروت، القادر على إغاثته في مواطن الضعف وعوارض الحاجة، هو لجوء إلى من لا يريد لعباده إلا الخيرَ والصلاحَ. قال تعالى:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النمل: 62]

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [سورة الشورى: 19]

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [سورة البقرة: 186]

وعليه فإن ذهاب بعض النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، قد تكون لحكمة إلهية لا يعلمها إلا هو عز وجل، وما على العبد إلا أن يصبر، ويحتسب، ويجدد ثقته بالله، ويتوكل عليه سبحانه وتعالى في سعيه وفي عمله لعل الله يشمله بلطفه وعنايته، فيعوضَه خيرا في الدنيا والآخرة، فشعور المضطر حين يكون بهذا الصفاء الروحي الذي يفوض فيه العبد أمره إلى رب كريم رحيم، قوي عزيز، هو في واقع الحال مظهر من مظاهر الذكر لله عز وجل؛ لأنه شعور ناشئ عن إيمان قوي بأن الله حي قيوم، إليه يلجأ المؤمنون في لحظات الكرب والضيق، متضرعين برجاء الآملين، مستشعرين لطفه وعنايته سبحانه وتعالى ليكشف عنهم الضر والسوء، فمثل هذا الشعور كاف لأنْ يجعل القلوب في كامل اطمئنانها تملأها السكينة ويغمرها الرضا.

ثانيها . التضجر من الماضي السيئ

الإنسان ولاعتبارات كثيرة مُعَرَّض في هذه الحياة للخطأ والزلل، والناس متفاوتون في استعداداتهم النفسية، والسلوكية التي تتحكم في درجة اندفاعهم لاقتراف الخطأ، وتتعدد تسميات

الخطأ بتعدد مظاهره، وبحسب طبيعة ضرره وقوة تأثيره؛ فقد يكون الخطأ متعلقا بالحياة الشخصية؛ كالتقصير في حق النفس مثلا بسبب الكسل واللامبالاة، لكن الخطأ قد يصبح خطيئة إذا تمت ممارسته بكيدية، وسوء نية لإلحاق الأذى بالآخرين؛ كالخيانة، والسرقة، والقتل، والغيبة، والافتراء، والإدلاء بشهادة الزور ... وغيرها من الخطايا والجرائم التي إنْ طال الزمان أم قصر ستظل عالقة بمقترفها، يحمل آثارها السلبية داخل نفسه [1]، طبعا هذا إذا كان المعني صاحب ضمير ينبض بالحياة وفيه بقايا من الحياء.

ومما لا شك فيه أن أهم سبب من الأسباب التي تجعل الإنسان أكثر استعدادا لارتكاب المنكرات هو بُعْدُه عن الدين، لذلك لا يمكن أن نتصور إنسانا عاقلا يتدين تدينا سويا يقع في تلك المنكرات الشنيعة، وإذا ما وقع فيها فلا شك أن ذلك حدث في وضْع، وفي ظروف انتفت فيها صفة التدين عنه، وعليه فإن من يعاني الآثار السلبية جراء اقترافه الخطايا يجد نفسه أمام أمرين هما:

1- تجاهل الدين

فغير المتدين إذا كان من ذوي الضمائر التي قد تعود إليها الحياة بعد مرور فترة من الزمن، ستلازمه الآثار السلبية لتلك الخطايا والجرائم والمنكرات التي اقترفها في حق الآخرين، فقد تأخذه العزة بالإثم فيزداد كبْرا وعنادا يبرر به ما سلف من أفعاله المنكرة، وقد يشعر بالندم والقلق الشديد لكن بُعْدَه عن الدين يُبْقيه في تلك الدوامة من الحيرة، والتوتر، والكآبة، وفقدان السكينة والطمأنينة... فلا يهتدي إلى سبيل يخفف عنه، وربما يمنحه أملا للراحة والخلاص مما هو فيه.

1 ينظر: ضياء الخباز، الدين حاجة الإنسان الأزلية، شبكة ضياء، تم النشر بتاريخ: 2018/09/18 http://aldiaa.net/ تمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 23 /11/ 2019 في الساعة: 08.35

2- العودة إلى الدين

من يعود إلى الدين لا بد أن ينعم بنعمة التدين التي توقظ لديه نوازع الخير الكامنة فيه، فيجد في الدين ما يعينه على العودة إلى الله، والتوبة إليه بكل ما تستلتزمه التوبة من شروط الخضوع لله، والندم، والتذلل في حضرته سبحانه وتعالى، وطلب براءة الذمة ممن أخطأ في حقهم وأساء إليهم، و عقد النية والعزم على إصلاح النفس، وتهذيبها، وتحصينها بذكر الله عز وجل الذي لا ينحصر في كلام يقال وأوراد تُقرأ، بل الذكر كمفهوم عام لا يتحقق إلا بطاعته سبحانه وتعالى في العمل بما أمر، والانتهاء عما نهى؛ يفعل العبد ذلك وكله أمل أن ينال غفران الله الذي يقبل التوبة عن عباده، ويشملهم برحمته التي وسعت كل شيئ. قال عز وجل:

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة المائدة: 39]

فيكفي العبد أن يكون لقلبه حظ من الطمأنينة والسكينة التي تتجدد وتستمر، كلما كان ثابتا في مواصلة السير على الصراط المستقيم وعلى النهج السوي، يحذوه في ذلك أمل الفوز بمغفرة الله ورضوانه عز وجل، فذلك كله من شأنه أن يخفف عنه ألم الشعور بالذنب من جهة، ويشعره من جهة ثانية أنه قد تحصَّن بالذكر الذي صار له حصنا منيعا يصده ويمنعه من العودة مجددا إلى ارتكاب المنكرات والوقوع في المحرمات.

خلاصة الفصل الأول

تناولت الدراسة في المبحث الأول من هذا الفصل مفهوم الدين وخلصت إلى أن الدين له معاني معجمية كثيرة يلتقي جلُّها في الملمح الدلالي العام المتمثل في الانقياد والعبودية والخضوع، وهذا هو المعنى المركزي الذي يقوم عليه الجذر اللغوي " د ي ن"، أما من الناحية الاصطلاحية فقد أكدت الدراسة على إشكالية المفهوم؛ بسبب النظرة التجزيئية وتعدد الرؤى المعرفية، ثم تعدد الأديان وتداخل مفهومها مع التدين؛ فالدين عند علماء المسلمين مصدره الله، يتلقاه الإنسان عن طريق النبي باقتناع يفضي إلى التزام يجلب له الخير والمنفعة، أما فلاسفة الغرب فمنهم من عرف الدين باعتبار الإنسان مستقبِلا وممارِسا له، ومنهم من عرفه بوصفه ماهية مجردة، وآخرون عرفوه بوصفه مفهوما مركبا، أما عن الفرق بين الدين والمصطلحات ذات الصلة فقد خلصت الدراسة إلى أن الملة والنحلة والشريعة ليست هي ذاتها الدين، بل بين الدين من جهة، والملة والشريعة من جهة ثانية توافق في بُعْد واحد هو التشريع، لكن ذلك لا يعني بالضرورة أن الملة هي ذاتها الشريعة؛ لأن الشريعة مرتبطة بالدين الحق فقط، بينما الملة قد تكون ملة حق أو ملة كفر، أما النِّحْلة من حيث كونها معتقدا فهي من صنع البشر، لا تَوَافُقَ بينها وبين الدين الحق مطلقا، وعن الفرق بين دين الحق ودين الباطل خلصت الدراسة إلى أن دين الحق هو الدين الوحياني الذي بلغه الأنبياء بهدف التغيير والتربية وربط العباد بربهم، ليهتدوا ويسعدوا في الدارين، أما دين الباطل فهو من صنع البشر لذلك هو متعدد، تتنوع فيه أشكال الضلال والضياع، ونتيجته واحدة هي إبعاد العباد عن خالقهم، ليكون مصيرهم الشقاء في الدارين.

أما المبحث الثاني فقد كان مخصصا لتناول مفهوم التدين، الذي يعني في اللغة أن يتخذ العبد لنفسه دينا ينقاد له طوعيا، أما التدين في الاصطلاح فهو يعني علاقة الإنسان بالدين فهما وممارسة، وقد يكون سلبيا؛ بسبب غلبة الهوى، أو بسبب كونه قناعة جاهزة وإرثا قائما، ولا تترتب

عنه أية آثار أخلاقية وسلوكية تنسجم مع مضمون الدين وأحكامه، أما التدين الإيجابي فيقوم على المعرفة الواعية بحقائق الدين كاملة، والاقتناع بها، والالتزام بها، بما يحقق استقامة الفرد المتدين، وقد قدم القرآن الكريم العديد من النماذج، والمصاديق العملية للتدين بنوعيه المحمود والمذموم، وبعدها حاولت الدراسة أن تفرق بين الدين والتدين من حيث مصدريتهما وخصائصهما ومآلات كل منهما.

وقد كان المبحث الثالث مخصصا لتناول فطرية التدين وحاجة الإنسان إلى الدين؛ حيث خلصت الدراسة إلى أن الفطرة في اللغة تعني ما أودعه الله في الإنسان من استعدادات وخصائص معينة هيأتْه للتدين، أما اصطلاحا فهي أمر تكويني متأصل في الإنسان يعبر عن حاجته إلى الدين، وامتلاكه قدرة الفهم والتمييز والاقتناع، للاهتداء إلى الدين الحق، وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد أن الفطرة هي خَلْق الإنسان على وجه صالح للعبادة، حين أودع الله فيه القدرة على المعرفة والاختيار، ومنحه أسباب الهداية، فكان ذلك هو العهد أو الميثاق الذي أخذه الله على البشر حين أخرجهم من أصلاب آبائهم، ثم بعث الأنبياء مُذَكِّرِين إياهم بذلك، فكان من الطبيعي أن يندفع الناس وجدانيا إلى التدين تعبيرا أولا عن حاجتهم الفطرية إلى الدين، ثم تعبيرا عن نقصهم الذي يُشعرهم بالحاجة إلى إله قوي يتولاهم بالرعاية.

وبسبب هذه النشأة التكوينية خاض الإنسان عبر تاريخه الطويل رحلة شاقة ومعقدة في البحث عما يستجيب لنداء الفطرة، وما ينشأ عنها من قلق السؤال عن أصل النشأة، وعن حقيقة المصير والمآل من أين؟ وكيف؟ وإلى أين؟ وغيرها من الأسئلة التي تؤكد حاجة الإنسان إلى المدد الغيبي وإلى دين ينظم حياته، ويحدد أهدافه فيها، ورؤيته إلى العالم والكون؛ فلا أحد يمنح الإنسان تلك القيم والمعاني المتعالية، غير الله عز وجل، مما يجعل العبد دائم الشعور بالحاجة لأنْ يتدين بدين عادل يحفظ له كرامته، ويمنحه السكينة والطمأنينة، والأمل الذي يدفع به نحو المطامح

السامية؛ فالدين يلبي حاجة الإنسان من الناحية المعرفية، حيث يقدم إجابات عن تساؤلاته الوجودية الكبرى، وعن تساؤلاته الاعتقادية التي ليست متاحة لمداركه، ويستعين الإنسان بالدين أيضا من الناحية التربوية للتحلي بالأخلاق الراقية، لأن الدين يعين على تشخيص الخُلُق الحَسَن من القبيح، ويحفز على الخُلُق الكريم، بهدف طاعة الله عز وجل، ويضاف إلى حاجة الإنسان المعرفية والتربوية للدين حاجته الروحية؛ المتمثلة في العبادة والذِّكْر لتحصيل السكينة والطمأنينة، بكل المعاني الواسعة والمتداعية للذِّكْر كمفهوم عام يختصر علاقة العبد بربه.

الفصل الثاني

أسباب انحراف التدين ونماذجه من خلال القرآن الكريم

المبحث الأول: الأسباب الذاتية لانحراف التدين ونماذجه.

المبحث الثاني: الأسباب الاجتماعية والسياسية لانحراف التدين ونماذجه.

المبحث الأول: الأسباب الذاتية لانحراف التدين ونماذجه

ويتضمن

المطلب الأول: الأسباب النفسية

المطلب الثاني: الأسباب التصورية

الفصل الثاني. أسباب انحراف التدين ونماذجه من خلال القرآن الكريم

المبحث الأول: الأسباب الذاتية لانحراف التدين ونماذجه

تم تخصيص هذا المبحث لمقاربة تتناول أسباب انحراف التدين وتعرض النماذج المنحرفة كما صورها القرآن الكريم، وذلك في مطلبين؛ خُصِّص الأول لتقديم الأسباب النفسية لانحراف التدين، أما الثاني فتناول بعض الأسباب التصورية التي لها أثرها الاعتقادي المؤدي إلى انحراف التدين، وقد عُضِّد المطلبان بشواهد قرآنية، تعرض نماذج معبرة عن هذا الانحراف بأسبابه المختلفة.

توطئة

لقد سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى أن الإنسان يمثل االوجود القابل للدين، على مستوى الوعي والإدراك، وعلى مستوى المشاعر والسلوك، فيتفاعل معه، وينفعل به، وبحسب طبيعة هذا التفاعل والانفعال تكون درجة الالتزام بالدين، أو الابتعاد عنه، وبحسب ذلك أيضا تتحقق الاستقامة أو التطرف في التدين، لذلك سأحاول في هذا المبحث الوقوف على بعض الأسباب الذاتية التي تؤدي إلى انحراف التدين اعتمادا على ما جاء في القرآن الكريم، الذي لا يعرض من الظواهر والأسباب إلا تلك التي يمكن اعتمادها عنوانا أثيريا يختزل تجربة إنسانية حدثت في فترة تاريخية ما، ثم تحولت إلى قاعدة أو ظاهرة ثابتة وخط عام تنتظم وِفْقَهُ بعض الأنماط السلوكية البشرية التي تتكرر عبر العصور والمحطات التاريخية المختلفة.

المطلب الأول: الأسباب النفسية

يتضمن هذا المطلب ثلاثة فروع توضح الأسباب النفسية لانحراف في التدين؛ إذْ تناول الفرع الأول علاقة الهوى بالنفس، بينما كان الفرع الثاني مخصصا لظاهرتي البغض والحسد، وفي

الفرع الثالث تم تناولُ كلٍّ من الغرور والعُجْب والْكِبْر، وما تؤدي إليه هذه الأمراض النفسية من انحراف في التدين.

الفرع الأول: الهوى وعلاقته بالنفس

لتحديد علاقة الهوى بالنَّفْس لا بد من ضبط مفهومِ كلٍّ منهما، ولو بشكل موجز قد يُعِين على توضيح المعنى المراد، فقد قيل: إن النَّفْس هي الدم؛ ذلك لأنه إذا فُقِد الدمُ من بدن الإنسان فَقَدَ نفسَه[1]؛ أي فقد حياته، أو بعبارة أخرى فَقَد ما كان سببا في حياته، وفي حركته، وقيل أيضا: إن النفس هي الروح[2]، وهي الجوهر البسيط المحرك للبدن[3]، لأن تعلقها بالبدن هو تعلق التدبير والتصرف[4]، وعليه فإن ما يمكن أن نخلص إليه هو أن النفس تعبر عن طاقة الحياة في البدن، المرتبطة بحركة أعضاء الجسم في نموها، وغذائها، ووظيفتها، وبالعقل في تفكيره، وبالوجدان في مشاعره، وبالغريزة في شهواتها.

أما الهوى فهو كلمة تضاف إلى النفس وليست مرادفة لها، لذلك نقول: هوى النفسِ أو أهواء النفسِ، تعبيرا عما هو متعلق بالنفس من الشهوات والرغبات المرتبطة بحركة عناصر الحياة، وتفاعلها ونشاطها الحيوي في البدن؛ فالهوى بما أنه متعلق بالشهوات لا يمكن عَدُّه حالةً طارئة أو عارضة على النفس، بل هو عنصرٌ من العناصر التي تدخل ضمن نشأتها التكوينية، ذلك لأن الشهوة هي حب الشيئ والرغبة فيه، بينما الهوى أن تسيطر هذه الرغبة على القلب[5].

1 ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 6/ 460. وينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 2/ 481.

2 ينظر: الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 118. وينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 2/ 482.

3 ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 2/ 481.

4 ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 1717.

5 ينظر: محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص 304.

لذلك لا يمكن إدانة الإنسان وذمه بسبب الهوى الذي فيه، والذي لازم حركة الإنسان منذ بداية الخلق، إنما يُذم الإنسان إذا ما أطلق العنان لهواه، وأصبح الهوى هو من يوجهه ويحدد طريقه في الحياة، خارج الضوابط الشرعية والأخلاقية، وبالأخص في المسائل المرتبطة بالآراء والاعتقادات، وبعبارة أخرى يكون الهوى مذموما حين تكون شهوات النفس ورغباتها المحسوسة هي التي تسيطر على القلب والعقل، وتجعل صاحبَها يجانب الحق والصواب، وتصبح مجمل آرائه واعتقاداته مجرد تبرير أو تمكين للأهواء المسيطرة على النفس، وكل ذلك على حساب دواعي الفطرة، والعقل، والضمير... وغيرها من العناصر الحية التي تدخل هي الأخرى ضمن مكونات النفس التي لا بد من مراعاتها في بناء نفس إنسانية سوية، بسلوك إنساني متزن ومستقيم، وحين يختل هذا التوازن بين عناصر الحياة في البدن، ولا تنتظم فيه حركة الشهوة، فإن الهوى حينها يقترن بدلالة الذم والإدانة، وهذا ما صار شائعا في تداول الكلمة واستعمالها على الإطلاق.

فهذا ابن فارس -مثلا - حين عرَّف الهوى عرَّفه على أنه لفظ يدل على « خُلُوٍّ وسقوط» [1]؛ فَهَوَى النفس — حسب ابن فارس - يتضمن المعنيين؛ أي فيه خلو لأنه خال من كل خير، وفيه سقوط لأنه يهوي بصاحبه فيما لا ينبغي أن يهوي ويسقط فيه من المحاذير والمنكرات، [2] فالهوى بهذا التعريف يكون قد ارتبط على الإطلاق بدلالة الذم، وبكل ما هو غير محمود، وذلك مجاراة لما هو مألوف ومعروف في استعمال الهوى، وتداوله الشائع على أنه ميل إلى خلاف الحق [3]، وهذا ما ذهب إليه القرطبي في قوله: إن أصل « الهوى الميل إلى الشيئ ... وسمي الهوى هوًى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار، ولذلك لا يُستعمل في الغالب إلا فيما ليس بحق،

---

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (هوى) 6/ 16.

2 ينظر: نفسه، 6/ 16.

3 ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 1745.

وفيما لا خير فيه ... وقد يُستعمل في الحق، ومنه قول عمر – رضي الله عنه – في أسارى بدر: فهوى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت» [1].

لذلك لا بد من التوضيح أنه لا يصح تقديم الهوى –دوما – في صورة مذمومة، اللهم إذا سلك صاحبه مسلكا يستدعي الذم؛ بسبب عدم انتظام حركة الشهوة الكامنة فيه؛ فالهوى كما يقول الجرجاني هو « ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع » [2] أي أن ميل النفس إلى الشهوات ليس أمرا مذموما ومُدانا بالمطلق، بل هو مرفوض ومذموم فقط إذا ما تم التمكين للشهوات خارج الأطر والضوابط الشرعية، أما إذا مالت النفس إلى ما تشتهيه من الرغبات، وما تصبو إليه من المطامح في إطار الشرع والفطرة، فإن الإنسان في هذه الحالة يعيش حقيقته التكوينية التي أنشأه الله عليها، لذلك أكد التهانوي أن الهوى « قد يُطلق بمعنى مطلق الميل والمحبة ليشمل الميل للحق وغيره » [3] وهذا ما ذهب إليه جميل صليبا حين عرف الهوى بأنه «ميل النفس الشديد إلى ما تحب وتشتهي محمودا كان أو مذموما » [4] .

فالله سبحانه وتعالى خلق الأجساد، وأودع في حاجاتها ورغباتها الطبيعية الكثير من الشهوات؛ من شهوة الأكل، والتملك، والتناسل، والرقي في الحياة... حتى تحولت هذه الشهوات إلى «حالة مرتبطة بالحياة ارتباطا ذاتيا في العمق الداخلي للإنسان؛ لأنها هي التي تهيئ لنا الإحساس الدائم بحركة الحاجات في الجسد في ما تتوقف عليه الحياة في امتدادها، فلولا شهوة الأكل والشرب لما كانت هناك رغبة في تناول المأكولات والمشروبات التي يحتاجها الجسم في بقائه، ولولا شهوة الجنس والبنين لما كان هناك أساس لامتداد الوجود الإنساني في التناسل، ولولا شهوة

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 2/ 29

2 الجرجاني، التعريفات، ص 216.

3 التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 1745.

4 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 2/ 528.

التملك لما انطلق النظام الاجتماعي للناس في حركة الواقع الاقتصادي... وهكذا في كل مواقع الشهوات التي ترتبط بالواقع الإنساني في نظامه الداخلي، وامتداداته الخارجية» [1]

فالشهوات بهذا المفهوم هي نعمة من نعم الله التي تعبر عما تحتاجه العناصر الحية التي تتكون منها النفس الإنسانية، وترغب فيه، وتشتهيه؛ لأن ذلك يرتبط بالنظام الداخلي لحياة الإنسان، كما يرتبط أيضا بدوره وامتداده في الحياة؛ فالبدن له متطلباته المادية التي تستجيب لعنصر الغريزة فيه، ولوظائفه الحيوية المتنوعة، والوجدان له مشاعره المختلفة والمتلونة بحسب الظرف، والموقف، والسياق، كما أن العقل له حاجته في التأمل والتساؤل ليعرفَ، ويَعْلَمَ، ويَعِي...

ومن ثم كان لزاما أن تنتظم الشهوات لينتظم الهوى، ويخضع لقاعدة الالتزام بما أقره الدين، وحددته الشريعة في ضبط حركة الشهوة وتوجيهها، حتى لا تكون دافعا للوقوع في الحرام، أو سببا في إفساد الحياة برمتها، لذلك يجب أن تبقى الشهوة في دائرة الحلال، وبالشكل الذي يخدم دور الإنسان في الحياة وامتداده فيها.

فأهواء الناس متباينة بين ما هو مشروع ومحمود وراق؛ وبين ما هو خسيس ودنيئ ومذموم؛ فأما المحمود منها كمن يهوى الخير ويطلب العلم، أو العدل وغيرها من المثل والقيم الراقية، أو غيرها من حاجات الجسم، ورغباته المشروعة وفق القواعد والضوابط الشرعية والأخلاقية، وأما المذموم منها فما كان منها في طلب التمكين لشهوات الغريزة بما يخالف الشرع والحق والأخلاق العامة، وهذه الأهواء الموسومة بالمذمومة هي نتاج سوء انتظام حركة الشهوة، مما يؤدي إلى الغلبة والسيطرة لعنصر واحد من العناصر الحية في البدن على حساب العناصر الأخرى، وبذلك يمتلك العنصر المسيطر القدرة على جمع عناصر النفس وتأليفها، وتوحيدها، وتجنيدها، وتوجيهها صوب هدف واحد، فيكون الهوى المُسيطر قد تمكن من تغيير نظام الميول الطبيعي لكل عنصر من

1 محمد حسين فضل الله، آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط1 /1420هـ - 2000م، 1/ 211، 212.

عناصر النفس، وأعاد ترتيبها ترتيبا جديدا [1] بالشكل الذي يُفقدها ما ينبغي أن تكون عليه من توازن وانسجام، يمنح كلَّ عنصر القدر الذي يستحق من الحركة أو السكون، ومن الضمور أو البروز، ومن التعطيل أو التمكين، بما يحدده الشرع، ويقتضيه الظرف، وبما يستدعيه الموقف، ويستلزمه السياق. يقول عز وجل في وصف النفس وما جُبِلت عليه من استعدادات متساوية للخير والشر:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۞﴾ **[سورة الشمس: 7. 10]**

فقد خلق الله الإنسان وأودع فيه استعدادات مزدوجة ومتساوية من حيث نسبة إمكانية الإقدام على سلوكات معتدلة سوية، أو سلوكات منحرفة غير سوية؛ وهذه الاستعدادات المزدوجة للإنسان ناشئة من طبيعة تكوينه من طين الأرض، ومن نفخة الله فيه من روحه، فهو مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، كما أنه قادر على التمييز بين ما هو خير، وما هو شر، وقادر أيضا على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر على حد سواء، وهذه القدرة كامنة في كيانه، وإلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة، يتمتع الإنسان بقوة واعية مدرِكة موجِّهة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية النفس وتطهيرها، وتنمية استعداد الخير فيها، وتغليبه على استعداد الشر، فقد أفلح، ومن أضعف هذه القوة وخبأها فقد خاب [2].

فحرية القرار ارتبطت بالقدرة على الاختيار، وهي حرية متاحة للإنسان، وتُمَكِّنه من توجيه الاستعدادات الفطرية لديه، ومن ثم التمكين لاستعداد بعينه على حساب الآخر، ومن رحمة الله بالإنسان أنه «لم يَدَعْه لاستعداد فطرته الإلهامي، ولا للقوة الواعية المالكة للتصرف، فأعانه

---

1 ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 2/ 528، 529.

2 ينظر: الشعراوي، تفسير جزء عم، ص 387.

بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة الدقيقة، وتكشف له عن موحيات الإيمان، ودلائل الهدى في نفسه وفي الآفاق من حوله، وتجلو عنه غواشي الهوى فيبصر الحق في صورته الصحيحة» [1]

وعليه وانطلاقا من هذه الطبيعة التكوينية التي جَبَل اللهُ الناسَ عليها، وانطلاقا أيضا مما تهيأ لهذه الطبيعة الإنسانية من أسباب الهداية، وسبل معرفة الحق يكون الإنسان قادرا على تنظيم حركة الشهوة الكامنة فيه، وبانتظامها تنتظم أهواء النفس في اتجاه الخير، فقد خلق الله عز وجل البشر، وأغدق عليهم من نعمه ما لا يمكن عَدُّه وحصره، ولعل من أهم هذه النعم؛ نعمة العقل، ونعمة الحواس، ونعمة المشاعر، ونعمة الفطرة... وعلى رأس هذه النعم كلِّها نعمة الدين الذي يوجه، ويربي، ويقرب العبدَ من الله سبحانه وتعالى، لذلك هو مُكَلَّف بأنْ يهذِّبَ نفسه، ويربيها بما يحفظ الانسجام لعناصر الحياة فيها.

وعليه فإن الذين لم يُوَفَّقوا في اغتنام هذه النعم بوعي، والتزام، واعتدال هم في واقع الحال أرادوا لذواتهم أن تظل « أجسادا تَسمَع وتُبصِر، وتلمس وتشم، وتتذوق وتشتهي، وتتلذذ وتطمع، وقلوبا تحب وتَبْغَض، وهي في ذلك تنطلق من عناصر الغريزة فيها، ومكان الشهوة في داخلها، فتسيطر على الفكر حتى يتحولَ إلى مُخَطِّطٍ للجريمة والانحراف، منفتحٍ على الكفر والضلالة، وتهيمن على القلب فيحب الحرام ويكره الحلال، ويوالي الكافرين، ويعادي المؤمنين، ويهفو إلى الشر، ويتعقد من الخير، وتستولي على الحياة فتبتعد بها عن الخط المستقيم، وتدفعها إلى الخط المنحرف، فلا تلتقي بالله في حركاتها، ولكنها تلتقي بالشيطان في كل أوضاعها ومقاصدها، إنه هوى النفس الأمارة بالسوء » [2] التي تجعل الإنسان يعيش حالة تجاذب وتدافع بين نوازع الخير، ونوازع الشر الكامنة فيه، قال تعالى:

1 الشعراوي، تفسير جزء عم، ص 188.

2 محمد حسين فضل الله آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية، 1/ 216

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الجاثية: 18]

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾

[سورة ص: 26]

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾

[سورة الكهف: 28]

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ [سورة محمد: 14]

فقد عبرت الآيات السابقة في عمومها عما يمكن أن تعيشه النفس الإنسانية من تجاذب النوازع الكامنة فيها وتدافعها، لذلك نلاحظ أن كل آية قد صورت ما يمكن أن يتعرض له الإنسان من عوارض نفسية، ومواقف وجدانية تجعله يقف على مسافة متساوية بين الأمر ونقيضه، ليقرر ويختار إلى أيهما يمكن أن يجنح ويميل؛

- اتباع شريعة الدين الحق، أو اتباع أهواء الذين لا يعلمون.
- الحكم بالحق، أو اتباع الهوى.
- الصبر مع الذين يذكرون الله ويدعون ربهم، أو طاعة الغافلين عن ذكر الله والـمُتَّبِعِين أهواءَهم.
- معرفة الحق والاهتداء إلى دين الله، أو اتباع الهوى لتبرير سوء العمل.

فالإنسان كما سبقت الإشارة يتمتع بالحرية وبالقدرة على الاختيار، لذلك هو يتحمل مسؤولية قراره واختياره، بين أن يكون من أهل الحق والاستقامة، أو أن يكون من أهل الأهواء والضلالة، وهذا «فارق أصيل في الحالة التي يكون عليها الفريقان، وفي المنهج والسلوك سواء، فالذين آمنوا على بينة من ربهم؛ رأوا الحق وعرفوه، واستيقنوا من مصدره واتصلوا بربهم فتلقوا عنه، وهم على يقين مما يتلقون، غير مخدوعين ولا مضللين، والذين كفروا زُيِّن لهم سوء عملهم فرأوه حسنا وهو سيئ، ولم يروا ولم يستيقنوا ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ بلا ضابط يرجعون إليه، ولا أصل يقيسون عليه، ولا نور يكشف لهم الحق من الباطل» [1]

وتقسيم الناس إلى فريقين لا يعني أبدا أن فريق أهل الإيمان، والاستقامة مطالبون بأن يتنكروا لحاجاتهم الطبيعية التي أودعها الله فيهم؛ لأن المسألة ليست «إلغاءً للهوى، وكبتًا للغريزة، ومُصَادَرةً للشهوة، وإسقاطاً للذات ... بل المسألة مسألة تنظيم للنوازع الإنسانية، ليأخذَ كلُّ جانب من جوانب الشخصية مجالَه الحيوي الذي يرتفع بالإنسان إلى مرحلة التوازن في الحياة ... يعيش كلَّ حاجاته ويحقق كلَّ قيمه في الحياة، فلا تعود للحاجات حريتَها المطلقة إلى الحد الذي قد تكون فيه خطرا على المصير في الدنيا والآخرة، ولا تتحول القيم الروحية لديه لتكون سجنا خانقا للذات، بحيث لا تملك أيةَ حركية في اتجاه الحاجات الطبيعية للإنسان» [2]

وحين تفقد النفس الإنسانية توازنها بفعل غلبة الهوى وتسلط شهوات النفس، تجد صاحبها قد وقع في أخطر محظور؛ يتمثل في الحالة التعبدية المضطربة التي تحكمها المزاجية القائمة على المصلحة والمنفعة الدنيوية. يقول عز وجل عن هذه الفئة من الناس:

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 6/ 3291.

2 محمد حسين فضل الله، آفاق الروح، 1/ 217.

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ **[سورة النور: 47–50]**

فهؤلاء وصف الله قلوبهم بأنها مريضة لما هي عليه من تناقض واضطراب جعلتهم يبطنون خلاف ما يظهرون؛ أي إن أقوالَهم تخالفها أعمالُهم لذلك انتفت عنهم صفة الإيمان وإنْ تظاهروا به؛ فإِذَا طُلِبُوا إلى اتباع الهدى، فيما أنزل اللَّهُ على رسوله، أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتِّبَاعِهِ وإذا كانت الْحُكُومَةُ لهم لا عليهم، جاؤوا سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وإذا كانتِ الْحُكُومَةُ عليهم أعرضواَ ودعوا إلى غيرِ الحقّ، وفضّلوا أَنْ يتحاكموا إلى غير النبي –عليه الصلاة والسلام– لِيُرَوِّجُوا بَاطِلَهُم؛ فَإِذْعَانهم بالحق لم يكن عن اعتقاد منهم أن ذلك هو الحق، بل لأنه موافق لأهوائم؛ ولهذا لما خالف الحقُّ أهواءهم، عَدَلوا عنه إلى غيره؛ مما يؤكد أن في قلوبهم مرض، أو قد عَرَضَ لها شك في الدين، أو يخافون أن يجور اللَّهُ وَرَسُولُهُ عليهم في الحكم. وَأَيًّا ما كان فهو انحراف بفعل غلبة الهوى أفضى بهم إلى انتفاء صفة الإيمان عنهم.[1]

وقد أورد القرآن الكريم ضرْبا آخر لفئة من الناس تسلطت عليهم الأهواء، فأوقعتهم في الغفلة عن شكر الله وحمده على نعمه، فهؤلاء لا يذكرون الله إلا إذا زالت عنهم النعم، واشتدت بهم المحن. قال عز وجل:

﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴾ **[سورة فصلت: 51]**

فهذا «ضرب آخر من طغيان الإنسان؛ إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة، وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعِم، وأعرض عن شكره وَنَأى بِجانِبِهِ؛ أي ذهب بنفسه وتكبر وتَعَظَّم.

1 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/ 74.

وإن مَسَّه الضرّ والفقر: أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع » [1]، فصلة هذه الفئة من الناس بربهم قائمة على حالة مزاجية تمليها المنفعة، مما أفقدها أهم ما في الأمر؛ وهو إخلاص الدين، والذكر، والدعاء، والنية لله عز وجل، لأن الإخلاص الحقيقي أن يذكرَ العبدُ ربَّه في سراء تصيبه، كما يذكر في ضراءَ تصيبه.

وعليه فإن الخلاصة التي يمكن أن نخلص إليها؛ هي أن الأهواء ليست حالة طارئة على النفس، بل هي مسألة تكوينية ترتبط بعناصر الحياة في النفس الإنسانية، وبالأخص ما يتعلق بحركة الشهوة فيها؛ فبقدر ما تنتظم هذه الحركة تنتظم وتنضبط الأهواء ويستقيم حال الإنسان في علاقته بربه وبدينه، وبقدر ما تضطرب هذه الحركة تضطرب الأهواء، فَتَحِيد النفسُ عن الفطرة، وتَزِيغُ بصاحبها إلى سبل الضلال والانحراف.

الفرع الثاني . البغض والحسد

من حكمة الله عز وجل أنْ خلق الخلْقَ، وقسَّم أدوارهم في الحياة، وحظوظهم في العيش والرزق بمقادير مختلفة، لا تنتفي فيها عدالته سبحانه وتعالى، بل تتحقق فيها حكمتُه في عمارة الحياة، وتكامل الناس بما يُشِيعُ بينهم مبدأ تبادل المنفعة والمصلحة؛ كلٌّ بحسب مجاله واستعداده وقدرته، لذلك سأتناول هذا العنصر انطلاقا من مبدأين:

أولا: مبدأ التفاضل بين الناس

لا يصح طرح مبدأ التفاضل بين الناس إذا ما تعلق الأمر بالفضل الذي يخرج عن نطاق الإرادة الإنسانية والقدرة البشرية، ليرتبط بقدرة الله عز وجل ومشيئته وحكمته؛ فالله سبحانه وتعالى يصطفي من خلقه مَن هو أهل للاصطفاء كي يحمل أعباء الرسالة، ويؤدي أمانة التكليف والتبليغ،

1 الزمخشري، الكشاف، ص 972.

وما قيل عن فضل الاصطفاء للأنبياء والرسل، يقال أيضا عن كل فضل آخر يؤتيه الله لمن يشاء مِن عباده فيرفع بعضَهم فوق بعض درجات.

لذلك فإن هذا النوع من الفضل لا ينكره ولا يعترض عليه إلا مَن كانت به علة في النفس تجعله جحودا حسودا، فهو فضل لا يتحقق بالكسب، ولا يُنال بالعمل والسعي، ولا يُعاب المفضول فيه بالتقصير، ولا يُمدح الفاضل فيه بالجد والتشمير؛ كاستواء الخِلْقة، وقوة البنية، وشرف النسب[1] وبالمقابل هناك من الفضل ما يتعلق بالكسب وهو توفيق إلهي لكل من جَدَّ، وعمل، وسعى، وهذا النوع من الفضل يحققه الإنسان لنفسه بنفسه، وبتوفيق من الله عز وجل، لذلك يتحقق به التفاضل الحقيقي بين الناس، فيستحق الفاضلُ أن يُمدح بجده، ويُحمد له فضلُه، كما يستحق المفضولُ إنْ كان مقصِّرًا أن يُذم بكسله ويُعابَ فيه تقصيرُه.

وعليه فإن من تستحوذ عليه الأماني، ويضيق صدره بما فضَّل به الله غيرَه، ويطلب ما عند الآخرين بغير وجه حق، متمنيا زوال النعمة عنهم، سينسى – في غمرة تلك الأماني وسطوتها– علاقتَه بربه، وسينسى ما أرشده إليه خالقُه من طرق تحقيق الفضل والارتقاء في الدرجات، بل سينسى ما أودعه الله في نفسه من الاستعداد والقدرة على الكسب، فتحمله آلام تلك الأماني على المركب الصعب، وهو طاعة الحسد بالإيذاء والبغي[2] والبغض، وفي كل ذلك اندفاع لإرضاء النفس، يوازيه ويقابله انقطاع عن تعاليم الدين لينشأ عن ذلك انحراف في التدين، وهذا ما وقع فيه قابيل مع أخيه هابيل.

قال عز وجل في ذكر قصتهما:

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ

1 ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 5/ 59، 60.

2 ينظر: نفسه، 5/ 60.

أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٣٠ ﴾ [سورة المائدة: 27 . 30]

تَعْرِض هذه الآيات نموذجا عمليا يصور عاقبة الاستسلام للحسد وطاعة النفس التي تقع تحت سيطرة هذه الآفة وإكراهاتها المقيتة، وتداعياتها الخطيرة، كما تعرض نموذجا مغايرا يكشف عما في النفس الخيّرة من طيبة وسماحة؛ وقد تجسد هذان النموذجان في ابني آدم المؤمنين بدين التوحيد؛ لكن الارتباط بهذا الدين لم يكن لدى الأخوين بدرجة واحدة من الثبات والقوة على مستوى الالتزام العملي؛ فقد قدَّم « كلٌّ منهما قربانا إلى الله، أملا في قبول الله له، للحصول على رضاه ومغفرته، أو لتحقيق ما يطلبه كل منهما من حاجة، فكانت النتيجة رفض قربانِ أحدِهما وقبول قربانِ الآخر، ولم يتقبل المرفوض النتيجة القربانية برضا وخضوع، بل واجهها بتمرد واحتجاج، يتجه به إلى البغي والعدوان ... ولم يكن هناك أيُّ مبرر لهذا الموقف منه، لأن النتيجة ليست من صنع أخيه، ليحسبَها ذنبا من ذنوبه التي يستحق العقوبة عليها، بل القضية من صنع الله في هذا وذاك، فليكن الحساب مع الله إذا كان يمكنه ذلك أو يحق له... ولكنه الحسدُ الذي يواجه فيه الحاسدُ المحسودَ من غير ذنب جناه، إلا أن الله أنعم عليه، ولم ينعم على الحاسد » [1]

فهذه القصة « تقدم نموذجا لطبيعة الشر والعدوان، ونموذجا كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة، ونموذجا كذلك لطبيعة من الطيبة والوداعة» [2]

---

1 محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن؛ قواعده، أساليبه، معطياته، دار المنصوري للنشر قسنطينة (الجزائر)، دط، دت، 2/ 134.

2 أحمد فايز الحمصي، قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1415هـ – 1995م، 1/ 605.

فعلى المستوى النظري كلاهما يؤمن بالله، ودليل إيمانهما تقديم القربان إلى الله، لكن على مستوى السلوك العملي لم يكن ارتباطهما بالله، وامتثالهما لمشيئته سبحانه وتعالى على درجة واحدة من التسليم والطاعة والالتزام، كل ذلك كان بسبب الغفلة عن الحق، والاستسلام لآفة الحسد المتسلطة على النفس لتُحِيلَها نفسا تَبْغَض وتأمر بالسوء، مندفعة إلى الشر والعدوان.

وقد وقع أبناء النبي يعقوب - عليه السلام – مع أخيهم يوسف – عليه السلام- في المحظور ذاته حين استولى على نفوسهم الحسد، وتمكن منهم البغض فقال عز وجل في شأنهم:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ **[سورة يوسف: 4 . 10]**

لقد انتبه النبي يعقوب –عليه السلام- لما هو عليه حال أبنائه من حسد وبغضاء أصابت نفوسَهم المريضةَ، لذلك كان حريصا على تحذير ولده يوسفَ* من مكر إخوته، ومن عاقبة حسدهم، الذي سيتحول حتما إلى سلوك عدواني؛ عبَّر عنه النبي يعقوب –عليه السلام- بالكيد؛ والكَيْدُ كما جاء في تفسير ابن عاشور هو: «إِخْفاءُ عَمَلٍ يَضُرُّ المَكِيدَ» [1].

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 213/12.

* كان يوسف يومها صغيرا؛ قيل: عمره اثنتي عشرة سنة (ينظر: ابن كثير، تحفة النبلاء من قصص الأنبياء، انتخاب كاتبه الحافظ ابن حجر العسقلاني، مكتبة التابعين القاهرة، ط1، 1419هـ – 1998م، ص 260 ، وينظر: البغوي أبو محمد بن الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تحقيق محمد عبدالله النمر و عثمان جمعة مضيرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، دط/ 1411هـ، 4/ 213.)

لذلك حين قَصَّ يوسفُ رؤياه على أبيه، كان رد أبيه كما جاء في القرآن الكريم:

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾

لقد عرضت هذه الآيات منشأ الحسد لدى إخوة يوسف لأبيه، وكيف يمكنه أن يتحول من حالة نفسية ملوثة، إلى سلوك عملي سمته العدوانية التي تترجم درجة الحسد الذي بلغ بهم مبلغا حاد بهم عن إنسانيتهم، وأنساهم في دينهم، وفي إيمانهم بنبوة أبيهم الذي وقفوا منه موقفا يقدمه في صورة الأب غير العادل، لا في صورة من هو في مقام النبوة ! فأبناء يعقوب انحرفوا عن الفطرة وعن قيم دين التوحيد وتعاليمه وأحكامه؛ لأنهم كما قال القرطبي: «كانوا مسلمين فارتكبوا معصية» [1] هي من أكبر الكبائر؛ لأنها صدرت منهم:

1- في حق يعقوب وهو نبيهم، فكانوا بذلك متجاهلين لنبوته، غافلين عن مقام النبوة، وما هو عليه نبيهم من اصطفاء وتنزيه.

2- في حق يعقوب وهو أبوهم؛ حين أساؤوا الظن به وبعدالته، فدفع بهم ذلك إلى العقوق الذي هو في حقيقته الجوهرية يعني أذية الآباء في أقدس مشاعرهم الفطرية التكوينية، المرتبطة بعاطفة الأبوة.

3- وفي حق أخيهم حين مكروا به وكادوا له وغدروه، مع أنه لم يصدر منه ما يستدعي كل ذلك الحقد، وكل تلك الكراهية، بل هو حسد من عند أنفسهم، فيوسف –عليه السلام- لا جريرة له سوى ما أتاه الله من فضل، واصطفاه إليه من مقام استدعى تلك الرعاية الأبوية والنبوية الخاصة، التي هي في أصلها رعاية إلاهية تندرج ضمن سنن ومتطلبات الإعداد ليوسف النبي، كي يقوم بدوره الرسالي مستقبلا.

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 9/ 133.

لكن أنَّى لهم أنْ ينتبهوا إلى هذه الأبعاد؟ وقد أعمى الحسدُ بصائرَهم، وحجب نورَ الهداية عن عقولهم الغافلة الساذجة، وتسلطت البغضاء على قلوبهم فبدت قاسية؛ فقد صور القرآن تحاورهم وهم يتآمرون على أخيهم بحقد وغباء بَدَيَا واضحيْن في التفسير الذي فسروا به محبة أبيهم لأخيهم، ثم في طريقة التفكير والتدبير للاعتداء على أخيهم الذي يصغرهم سنا. ويقل عنهم قوة وبأسا.

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾

فلسان حالهم إن أبانا قد حاد عن جادة الصواب؛ إذْ فضَّل يوسفَ وأخاه علينا «بمزيد من المحبة على صغرهما وقلة غنائهما، والحال أننا عصبة، عشرة رجال أقوياء أشداء ... نقوم بكل ما يحتاج إليه من أسباب الرزق والحماية» [1] وهنا تبدو السذاجة واضحة في طريقة الاستنتاج ومبررات الاحتجاج؛ إذْ «ما علاقة المحبة بالعدد؟ العكس هو الصحيح، إن العطف والحنان يكون مع الفرادى والضِّعَاف والصغار على حساب العُصْبة والقوة والجماعة» [2] .

وبهذا التفكير الساذج الناشئ عن الحسد يبلغ الحقد مداه * «ويدخل الشيطان، فيختل تقديرهم للوقائع، وتتضخم في حسهم أشياءُ صغيرةٌ، وتهون أحداثٌ ضِخَامٌ، تَهُون الفعلةُ الشنعاءُ المتمثلةُ في إزهاق روح، روح غلام بريئ لا يملك دفعا عن نفسه، وهو لهم أخ وهم أبناء نبي... وتتضخم في أعينهم حكاية إيثار أبيهم له بالحب حتى توازي القتل أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ يقولون هذا الذي

1 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 12/ 260.

2 محمد علي أبو أحمد، في التذوق الجمالي لسورة يوسف، دار الهدى الجزائر، دط، دت، ص55.

* الحسد هو أن يتمنى الحاسد أن تتحول إليه نعمةُ المحسود وفضيلتُه أو يُسْلَبُهما، بينما الحقد أن يمسك الحاقد العداوة في قلبه ويتربص فرصة التمكين لحقده (ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 277) وقد اجتمعت الصفتان الذميمتان في إخوة يوسف؛ إذْ كان حسدُهم له عما هو فيه من فضل باعثا للحقد بكل ما يحمله الحقد من عداوة وتربص الفرصة للاعتداء.

يزاحمكم في محبة أبيكم لكم أعدموه من وجه أبيكم، لِيَخْلُو لكم وحدكم، إما بأنْ تقتلوه أو تلقوه في أرض من الأراضي تكون مجهولة، بعيدة عن مساكننا وعن العمران بحيث لا يهتدي إلى العودة إلى أبيه إنْ هو سلم من الهلاك[1]» وبذلك ﴿ يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ ﴾ «فيكن كل توجهه إليكم، وكل إقباله عليكم ، وتخلو الديار ممن يشغله عنكم أو يشارككم في عطفه وحبه» [2]

فهذه بعض مآلات الحسد التي تفضي بالحاسد إلى انحرافات خطيرة تجرده من إنسانيته، وإذا تجرد المرء من إنسانيته سيتجرد حتما من قيم الدين وأحكامه وتعاليمه، ذلك لأن الإنسانية هي الوعاء الذي يستقبل الدين ويتلقاه، فإذا تلوث الوعاء سيلوث ما فيه وسيفقده تأثيره وفاعليته، ويصبح الدين عند هؤلاء إيمانا شكليا لا يترتب عنه التزام، ولا ينشأ عنه أثر طيب تتحقق به الاستقامة والصلاح، بل إن الدين الذي تتلقاه النفوس المريضة بالحسد سيفقد –وهو في نفوسهم– حقيقته التي كان عليها مهما كانت مقدسة وطاهرة، وسيحاول أمثال هؤلاء توظيف قداسة الدين لتبرير ما هم عليه من أمراض نفسية وانحرافات سلوكية تكتسي صبغة دينية، لكنها في واقع الحال هي مظهر من المظاهر المعبرة عن الانحراف في التدين فهما وممارسة.

ثانيا: مبدأ تسخير بعض الخَلْق لبعضهم الآخر

جاء في القرآن الكريم ما يؤكد هذا المبدأ فقال عز وجل في محكم تنزيله:

---

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 4/ 1973

2 نفسه، 4/ 1973

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٣٢ ﴾ [سورة الزخرف: **31، 32**]

فقد جعل الله سبحانه وتعالى « رزق المعاش في الدنيا يتبع مواهب الأفراد، وظروف الحياة، وعلاقات المجتمع، وتختلف نسب التوزيع بين الأفراد والجماعات وفق تلك العوامل كلِّها؛ تختلف من بيئة لبيئة، ومن عصر لعصر، ومن مجتمع لمجتمع، وفق نُظُمه وارتباطاته وظروفه العامة كلِّها، ولكن السمة الباقية فيه... أنه متفاوت بين الأفراد... والحكمة من هذا التفاوت الملحوظ في جميع العصور، وجميع البيئات وجميع المجتمعات هي ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ ... ودولاب الحياة يدور بالجميع، ويُسَخِّر بعضَهم لبعض في كل وضْعٍ، وفي كل ظرف... فهذا مُسَخَّر ليجمعَ المال، فيأكلَ منه ويرتزق ذاك، وكلاهما مسخرٌ للآخر سواء بسواء » [1]

فهذه سنة من سنن الله في الكون والخلق، تنتظم بها حياة الناس، لأن حكمة الله وتدبيرَه شاءت أن يكون فيهم الأقوياء والضعفاء، والأغنياء والفقراء، كما شاءت أن تتنوع وتتوزع اهتمامات الناس، وأشغالهم وأدوارهم في شتى مناحي الحياة كلٌّ بحسب استعداده ومهارته وقدرته، فسخر بعضَهم لبعض بحسب دواعي الحاجة، لذلك على الإنسان أن يدرك هذه الحقيقة ويفقهها أولا في دائرة الوعي، ثم عليه ثانيا أن يؤمن ويسلم بها ويلتزمها في دائرة السلوك؛ لأن ذلك من شأنه أن يحقق للنفس صفاءها، ويضمن لها سلامتها من أمراض البغض والحسد، ومن ثم سلامة الجوارح، واستقامة السلوك وسلامته من كل فعل عدواني منحرف قد ينشأ عن ذلك.

فالحسد والبغض صفتان ذميمتان متلازمتان، ويكفي المرء المبتلى بالحسد أن يحسد قريبا أو صديقا أو نظيرا له ... بسبب نعمة أكرمه الله بها، وفضلٍ أتاه الله إياه، حتى يتحول هذا الحسد

---

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 5/ 3186 . 3187.

إلى حالة وجدانية مقيتة؛ كلُّها بغض وكراهية تبدأ بتمني زوال النعمة عن المحسود، ثم تتحول في كثير من الأحيان إلى سلوك عدواني فيه أذية بالقول أو بالفعل.

وقد ورد ذكر لفظة الحسد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، نقف عند كلٍّ منها بما يعين على توضيح الفكرة وتأكيدها، أي كيف يكون الحسد سببا في انحراف التدين، ويكفي دليلا على ذلك أنْ يصف المولى تبارك وتعالى فعل الحسد على أنه شر في أصل ماهيته التكوينية؛ بكل ما تحمله كلمة الشر من معاني الإضرار، والإفساد، والأذى وغيرها من المعاني التي تنافي الماهية الخيرية للدين الحق الذي جاء ليغرس في النفوس قيم المحبة، والإخاء، والرحمة، والصلاح وكل ما من شأنه أن يجعل النفوس، ويجعل حياة الناس تمتلئ خيرا، وتتعزز استقامة. قال عز وجل في سورة الفلق:

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [سورة الفلق: 5]

فقد وصف الله سبحانه وتعالى ما يصدر عن الحاسد، وعن فعل الحسد بأنه شر؛ وذلك لأن الحاسد يُظهر « ما في نفسه من الحسد، ويعمل بمقتضاه؛ بترتيب مقدمات الشر، ومبادئ الإضرار بالمحسود قولا وفعلا »[1].

فالحسد يتشكل في أول الأمر كحالة وجدانية انفعالية «إزاء نعمة الله على بعض عباده، مع تمني زوالها، وسواء أتبع الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيظ، أم وقف عند حد الانفعال النفسي، فإن شرًّا يمكن أن يعقب هذا الانفعال»[2] وعليه فإن مَن يقع تحت تأثير هذه الآفة النفسية، وما ينشأ عنها من سلوكات عدوانية، سيجد نفسه يعيش حالة نفور وصدود عن قيم الدين وإنْ ادعى انتسابه إلى الدين؛ فالدين يدعوه إلى كل ما هو خير،

1 الألوسي، روح المعاني، 30/ 284.

2 الشعراوي، تفسير جزء عم، ص 668.

وحق، وصلاح، بينما الحسد يدفع به إلى كل ما هو شر، وباطل، وفساد. وتكفي هذه المفارقة دليلا على ما يمكن للمرء أن يعيشه من انحراف في التدين.

ولعل ما ورد في سورة البقرة يفضح سلوك الحاسدين، ويكشف عن خبثٍ في سريرتهم، ومرضٍ في نفوسهم التي لا يرضيها أن ينعم الناس بنعمة الهداية والإيمان بالدين الحق، فيصل هؤلاء الحد الذي يعملون فيه جاهدين على أنْ يصدوا الناس عن دين الله، ليمنعوا عنهم الخير، ويدفعوا به إلى الشر. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ **[سورة البقرة: 109]**

فقد بعث الله أنبياءه مُبَلِّغين لدين واحد، بقيم وتعاليم واحدة، لتحقيق مقصد واحد هو عبادة الله واستخلاف الإنسان في الأرض، لذلك كان يُفتَرَض في أتباع الأنبياء جميعِهِم أن لا يقتصر إيمانهم على نبي دون غيره من الأنبياء، أو أنْ يدَّعوا أنْ لا دينَ إلا الدين الذي عندهم وما جاء به سائر الأنبياء هو باطل وبهتان ! فهذا انحراف عن رسالة النبي الذي آمنوا برسالته، وتحريف للدين الذي جاءهم به، وزعموا أنهم اعتنقوه وآمنوا به، لذلك جاءت الآية الكريمة لتفضح هؤلاء وتحذر المؤمنين من كيدهم وحسدهم، وقد جاء في سبب نزولها أن طائفةً من أحبار اليهود قالوا للمسلمين بعد وقْعَة أحُد: ألَمْ تروا إلى ما أصابكم، ولو كنتم على الحق لَمَا هُزِمْتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل، ونحن أهدى منكم سبيلا[1].

فمشروعهم إذن هو حَمْل المسلمين على التخلي عن دينهم واستبدال الإيمان بالكفر، وهو مشروع قائم على المغالطة، منبعث من نفسية يملأها الحقد والبغض والحسد؛ أرادوا للمسلمين

1 ينظر: محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي بيروت، دط، دت، 1/ 356. وينظر: الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، 3/ 255، 256 .

أن يرتدوا عن دينهم، بدافع الشهوة، لا بدافع التدين[1] أو طلب الحق، لأنهم أقدموا على ذلك ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾؛ أي هي رغبة ذاتية بدافع الشهوة المتمثلة في الحسد العظيم المنبعث من أنفسهم، وهذا ما حملهم على الجحود ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ ؛ أي من بعد ما تبين لهم أن اسم محمد رسول الله مثْبَتٌ عندهم في التوراة والإنجيل، ومع ذلك كفروا به حسدا وبغيا، لا لشيئ إلا لأنهم وجدوه من غيرهم وليس منهم[2] فقد بلغ بهم الحسد والغيظ مبلغا جعلهم يتمنون ويعملون على أن « يرجع المسلمون إلى الشرك، ولا يبقوا على هذه الحالة الحسنة الموافقة لدين موسى في معظمه نكاية بالمسلمين وبالنبي – صلى الله عليه وسلم-» [3]

فقد كان الحسد إذن سببا في انحراف تدينهم بعد إنكارهم ما جاء في الدين الذي اعتنقوه، وما أتى به النبي الذي كانوا قد آمنوا به وصدَّقوه، وإلا لما دعوا المسلمين إلى التخلي عن الإسلام، مع أنه هو ذات الدين الذي جاء به موسى –عليه السلام- فكيف يُعقل أن يزعمَ المرء انتسابه إلى الدين، ويدعي إيمانه بتعاليمه، وأحكامه وكل مضامينه، ثم يسعى جاهدا لأنْ يبعد الناس عنه ! لا لشيئ إلا لأن النبي الذي جاء في مرحلة تاريخية لاحقة ليواصل مسيرة تبليغ الدين من قوم غير قومه !؟

وقد عرض القرآن الكريم في سورة النساء صورة أخرى من الصور التي يكون فيها الحسد سببا في مخالفة مضمون الدين، ومن ثم الانحراف في التدين، فقال عز وجل:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ

---

1 ينظر: الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، 3/ 264.

2 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 383.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 669، 670.

ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا﴿٥٤﴾ [سورة النساء: من **51** إلى **54**]*

لقد جاء في سبب نزول هذه الآيات أن رجلين من اليهود قَدِما على أهل مكة فقال بعض سادة قريش: هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتب الأولى، سلوهم: أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم، فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه[1].

لذلك جاءت هذه الآيات لتكشف كيف أن الحسد قد سيطر على النفوس، وتمكن منها فصار حجابا حال بين المرء والحق، وحجب عنه دينه الذي يُفترَض أنه آمن به، وبسبب هذه الحالة الوجدانية المقيتة التي تكثف فيها الحسد وطغى البغض، عمل هؤلاء على التأسيس لدعوة مضادة تعارض الدين الذي بُعِث به محمد –عليه الصلاة والسلام– مع أنهم قد ﴿ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ؛ أي لهم صلة وعلاقة بالسماء وبالرسل، وبالكتب المنزلة من السماء على الرسل التي تحمل مناهج الله، ولو كانوا أناسا ليس لهم مثل هذا الحظ لقيل إن كلامهم هذا كان نتيجة انقطاع أسباب السماء عنهم، لكن هؤلاء عندهم نصيب من الكتاب، وأولى مهمات الكتب السماوية أن تربط المخلوق بالخالق[2].

وهذا ما جاء به دين محمد –عليه الصلاة والسلام– الذي هو ذاته الدين الذي بُعِث به نبيهم موسى، وبُعِث به كل الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– فما الذي منعهم أن يؤمنوا به ويؤيدوه؟ لا شك أنه الحسد المنبعث من قلب متمرد على قسمة الله في خلقه، فقد حسدوه –

* **الجِبْت**: له أكثر من معنى أهمها: الشيطان، الشرك، الأصنام، الكاهن، الساحر (ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/ 334).

* **النقير**: هي نقطة صغيرة في النواة (ينظر: نفسه 2/ 336.)

1 ينظر: نفسه، 2/ 335.

2 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 4/ 2312.

صلى الله عليه وسلم- مع أنه جاء مصدِّقا لما معهم[1] ؛ أي لِمَا هو وارد في دينهم، وجاء به نبيهم، فأي انحراف في التدين أكثر من الانحراف الذي يدفع بصاحبه لأنْ يعمل ضد دينه عن نية وقصد، وعن سابق إصرار وتدبير، ويسعى جاهدا على تضليل الناس، وإبعادهم عن الله، بل وتحفيزهم للبقاء على ما هم عليه من كفر وضلالة ؟ فبقاء الناس على الكفر أحب إليهم من إيمانهم برسالة محمد -عليه الصلاة والسلام- التي هي ذاتها رسالة موسى —عليه السلام- كل ذلك كان بسبب آفة الحسد التي جعلت هؤلاء يعترضون على مشيئة الله، مخالفين دينَه، مُضَلِّلِين عبادَه.

الفرع الثالث . الغُرور والعُجْب والكِبْر

أولا. الغرور

الغرور كما جاء في لسان العرب مأخوذ من مادة "غرر" « بمعنى غرَّه يغرُّه غَرًّا وغُرورا، فهو مغرور وغرير: خدعه وأطمعه بالباطل...الغُرور ما غرَّك من إنسان وشيطان وغيرهما ... والغَرور الشيطان يغر الناس بالوعد الكاذب والتَّـمْـنيَّة » [2] وبما أن الغرور كما جاء في معجم اللسان اقترن بمعنى الخدعة أو الانخداع بالوعد الكاذب، وبما يمكن أنْ يُكاد ويُنْصَب من حيل الغواية والإغراء التي تستثير شهوة الطمع بالباطل للإيقاع بالغير، فإن ذلك يستدعي توارد معاني أخرى تقترن بمن يقع ضحيةً للخدعة، والوعد الكاذب.

وهذا ما ورد في الكثير من المعاجم التي أكدت أن من معاني الغرور: الغفلة، والتيه، ونقص الفطنة، مما يجعل المصاب بالغرور ينخدع بما يتوهمه في نفسه من محامد، أو ينخدع بالمال، أو الجاه، أو الشهوة، وكل ما يزينه له الشيطان من سوء الصفات والأفعال، فيكون ذلك سببا في استسلامه لشهوات النفس، وإضاعته ما كان يجب القيام به، وفي الوقت نفسه يقع في ما حُرِّم

1 ينظر: الشعراواي، تفسير الشعراوي، 4/ 2322.

2 ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرر)، 3/ 2874، 2875.

عليه[1]، وما لا يجوز أن يقع فيه، لذلك عرف الجرجاني الغرور على أنه « سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع » [2] .

فسكون النفس بتحصيل ما يوافق الهوى هو سكون واهم؛ لأن صاحبه ينخدع بما يظنه ظن السوء أن له مصلحة فيه، أو بما يظنه أيضا في نفسه من محامد يعتقد – خطأً – أنها رفعت مقامه، وأعلت شأنه، فيسعى لأنْ ينال بذلك مدحا وثناء، لذلك تجد المغرور يعمل على « إظهار ما عنده من الفضائل حتى يكون إعجاب الناس به، سبيلا إلى فرحه بنفسه » [3] وكلما تلقى المدحَ والثناءَ ازداد غفلة، وازداد زهوا بنفسه، منخدعا بها، متوهما أنه بلغ من الكمالات، ومن الفضائل ما يجعله في غنىً عن كل شيئ، وينزهه عن كل زلل.

لذلك ترى هذه الفئة من الناس لا تقبل النقد، ولا النصيحة، بل تتضجر وتتنزعج من ذلك، وهذا ما يجعل الغرور طريقا يؤول بصاحبه إلى النتيجة ذاتها التي يؤول إليها الخداع بصاحبه وهي الوقوع في الشر؛ فلفظي الخداع والغرور «بينهما تقارب دلالي؛ حيث أنهما يشتركان في معنى عام هو الوقوع في الشر، ويختص كل منهما بملمح دلالي يميزه عن الآخر: فالخداع يعتمد على ذكاء المخادع، والغرور يعتمد على غفلة المغرور ونقص فطنته » [4] التي تجعله لا ينتبه إلى ما تتوهمه نفسُه وما تقع فيه من أفعال مذمومة، ومحاذير سيئة، لذلك نبَّه القرآن الكريم في أكثر من موضع

1 ينظر: الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 602. وينظر: الفيروز آبادي مجد الدين، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة، دط، 1412هـ. 1992م، 4/ 129. وينظر: محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص 235. وينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 2/ 57.

2 الجرجاني، التعريفات، ص 135.

3 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 2/ 57.

4 محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص 236

إلى آفة الغرور، وما ينشأ ويترتب عنها من مآلات ونتائج تجعل المغرور يحيد عن الفطرة، وعن تعاليم الدين. فقال عز وجل في محكم تنزيله:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران: 23، 24]

لقد جاء في سبب نزول هذه الآيات أن رجالا من اليهود، وبعد ما ظهر فيهم التمادي في المعاصي، وارتكاب الفواحش، ادعى هؤلاء لأنفسهم أنهم يُعَذَّبون في النار سبعة أيام؛ ويُعَذبون ليوم واحد فقط عن كل ألف سنة، فاغتروا بذلك ولم يأبهوا بما دُعُوا إليه من التحاكم إلى كتاب الله، لإثبات نبوة محمد –عليه الصلاة والسلام– وما يفرضه ذلك عليهم من الإيمان به، والتصديق لرسالته، واتباع شريعته وهديه في إقامة حدود الله عز وجل.[1]

وقد كان افتراؤهم، سببا في الغرور الذي أصابهم في دينهم، ومن ثم كانت لهم الجرأة والتمادي في مخالفة حدود الله، فالذي ثبَّتهم على الانحراف في تدينهم بالدين الحق الذي جاء به نبي الله موسى –عليه السلام– هو ما خدعهم به أسلافُهم، أو ما خدعوا به أنفسَهم مِنْ زعْمِهم أن الدين الذي ينتسبون إليه، والكتاب الذي يؤمنون به، يمنح لهم امتيازات تفضلهم عن غيرهم يوم الحساب، ومن هذه الامتيازات أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات، لذلك حكم القرآن الكريم « بأن مَنْ يجعل الدين جنسية، وينوط النجاة من النار بالانتساب إليه، أو الاتكال على مَنْ أقامه من السلف فهو مغتر بالوهم، مفتر يقول على الله بغير علم كما قال هنا ﴿ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾؛ أي بما زعموا من تحديد مدة العقوبة للأمة في مجموعها، وهذا من

1 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/ 28. وينظر: الواحدي، أسباب النزول، دار الضياء قسنطينة (الجزائر)، دط، دت، ص 58، 59.

الافتراء، الذي كان منشأ غرورهم في دينهم »[1] فبعض الأحكام، والقناعات الاعتقادية، والمتوارثة بين الأجيال كثيرا ما يتم تَلَقُّفُها جاهزة من غير جهد يُبْذَل للاقتناع بها، لذلك ينخدع الناس بها فيتداولونها بينهم بغير وعي وتبصر، لتتحول مع مرور الزمن إلى يقينيات، ومن ثم إلى بديهيات ومسلَّمات تُعَطِّل العقلَ، ولا تقبل المراجعة، أو التأمل وإمعان التفكير فيها لتبنيها عن وعي وفهم ودراية، وهذا من أعظم أسباب الغفلة التي تجعل الإنسان يغتر بما عنده، أو بما هو عليه من أحوال يظنها هي عين الحقيقة والصواب، ومن ثم يرى نفسه مُنَزَّها عن كل زلل، ومُبَرَّأً من كل عيب، ولا حاجة له لمن ينقده أو يعِظُه، ومن كان هذا هو حاله لن يستقيم أمر تدينه ولن تستقيم علاقته بربه سبحانه وتعالى.

وإذا كانت الآيات السابقة قد وضحت كيف يكون وهم امتلاك الحقيقة منشأً للغرور، ومن ثم يكون الغرور سببا في انحراف التدين، فإننا نجد آيات أخرى توضح كيف ينشأ الغرور عن الافتتان بمتاع الحياة الدنيا، التي يتخذها الشيطان مادة غواية وإغراء كي يُبعدَ الناسَ عن خالقهم، ويُضِلَّهم عن دينهم. يقول عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾

[سورة لقمان: 33]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾

[سورة فاطر: 5]

---

1 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 3/ 267.

من الابتلاءات العظيمة التي يتعرض لها الإنسان التعلق بالحياة الدنيا، لما يجده فيها من لهو ومتاع ورخاء وغيرها من أنواع اللذة وما تشتهيه الأنفس، فينشغل بها عن الحياة الأخرى، وتستكين نفسه لذلك، وتصبح الدنيا أكبر همه، بل يصبح حظُّ نفسِه من الدنيا، ومَبْلَغُ شهوتِه فيها هو الميزان الذي يضعه الشيطان بين يدي الإنسان، كي يزن بغير ميزان الحق والحكمة ما يصح من الأمور وما لا يصح، لذلك حذر القرآن الكريم من الاغترار بالدنيا، وكان النهي صريحا مؤكَّدا ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ ؛ أي لا تغرنكم حالة الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها فتتوهموا الباطلَ حقًّا، والضررَ نفعًا، والفسادَ صلاحًا، والضلالةَ هديًا واستقامةً، فإسناد التغرير إلى الحياة الدنيا ليس لتنفيرنا منها «وإنما لنحتاط في الإقبال عليها، وإلا فحب الحياة أمر مطلوب من حيث هي مجال للعمل للآخرة، ومضمار للتسابق إليها » [1] .

ولم يكن إسناد التغرير محصورا في متاع الحياة الدنيا فحسب، بل حذر القرآن من المصدر الحقيقي لكل تغرير وهو الشيطان ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ فالغَرور بفتح الغين كما سبق الذكر المقصود بها الشيطان، أي لا يغرنكم « متاع يُلهي، وشغل يُنسِي، أو شيطان يوسوس في الصدور، والشياطين كثير؛ الغرور بالمال شيطان، والغرور بالعلم شيطان، والغرور بالعمر شيطان، والغرور بالقوة شيطان، والغرور بالسلطان شيطان، ودَفْعة الهوى شيطان، ونزوة الشهوة شيطان، وتقوى الله وتصور الآخرة هما العاصم من كل غرور» [2] فحب الدنيا، والإقبال عليها، والانشغال بها إلى درجة الافتتان بها، يعني الوقوع في قبضة الشيطان، وما يُلقي به من حبال الغواية التي كانت ولا تزال تمثل مشروعَه وهدفَه الذي من أجله سأل اللهَ أن يمدد له أمد وجوده في الحياة، كل ذلك ليفسد على الناس دينَهم ودنياهم، ولهذا الغرض قطع الشيطان عهدا على نفسه وأقْسَمَ بعزة الله، منذ النشأة الإنسانية الأولى أن يستهدف ذرية آدم، إلا من استعصى عن ذلك من عباد الله

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 19/ 11761، 11762.

2 سيد قطب، في ظلال القرآن، 5/ 2798.

المُخْلَصين، فجاء ذلك في القرآن الكريم على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة ص: 82، 83]؛ أي سيزين لهم الشهوات، وسيدفع بهم إلى المعاصي، ويحفزهم عليها، ويُرَغِّبُهم فيها.

لذلك لا ينفع المرءَ أن ينتسب إلى الدين، أو أن يتظاهر بالتدين إذا ما كان للشيطان وللدنيا وشهواتها حظ في نفسه وسطوة عليها، حيث يبلغ هذا الحظ من نفس صاحبه حد الاغترار الكبير، والافتتان العظيم بالدنيا ومتاعها، فيغفل الإنسان حينها عن تكليفه الذي كلفه الله به في حياته الدنيا، ويغفل عما ينتظره في حياته الأخرى من حساب وجزاء، وبسبب غفلته تلك يقع في الفواحش والمعاصي، ومَن كان هذا حاله فقد ضل عن الحق، وانحرف عن الدين وإنْ ادعى انتسابَه إليه، أو أظهر التعبدَ بأحكامه، لأن التدينَ السويَّ أن ينتسب المتدينُ إلى الدين، ويلتزمَ بأحكامه وتعاليمه، ثم يظهر لذلك أثرٌ على سلوكه وأخلاقه.

ثانيا. العُجْب والكِبْر

العُجْب عند ابن فارس يدل « على كِبْرٍ واستكبار للشيئ... وهو أن يتكبر الإنسان في نفسه » [1] وفي لسان العرب العُجْب هو «الزُّهُو بالنفس، ورجل معجَب مزْهوٌّ بما يكون منه حسنا أو قبيحا...وقد أُعجِب فلان بنفسه فهو معْجَب برأيه وبنفسه، والاسم العُجْب بالضم» [2] وقد جاء في المعجم الفلسفي أن العُجْب هو أن « يتصور المرء استحقاق رتبة لا يكون مستَحِقًّا لها ... ويرادفه الزُّهُو والكبرياء والصّلف والتمدُّح ... ولهذه الألفاظ معان متقاربة، فالصَّلَف تَكَبُّرٌ مع ثقل في الروح، والتمدح افتخار المرء بما ليس عنده » [3] .

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: (عجب) 243/4.
2 ابن منظور، لسان العرب، مادة: (عجب)، 3/ 2507.
3 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 2/ 56.

هذا عن العُجْب، أما الكِبْر فهو من التكبُّر والتجبر ونقول: تكبر واستكبر وتكابر فلان؛ أي من التكبُّر والمكابرة والاستكبار [1] الذي هو «طلب الكِبْر من غير استحقاق لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله؛ بل بمعنى عَدَّ نفسه كبيرا ».[2] وجاء في مفردات ألفاظ القرآن أن «الكِبْر والتكبر والاستكبار تتقارب؛ فالكبْر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبرِ؛ التكبرُ على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة» [3].

وقد وضح القرآن الكريم كيف أن إبليس هو أول من أسس لسلوك الكبر والتكبر على الله حين امتنع عن الامتثال لأمره عز وجل، وهو الذي دعاه لأنْ يسجد لآدم – عليه السلام – فأبى واستكبر واستعلى في تحد صارخ لله عز وجل؛ كان قد بلغ مداه حين أعلن إبليس عن ميلاد دعوة الغواية ، كي تكون دعوة موازية ومزاحمة لدعوة الهداية

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

[سورة صَ: 75 ـ 83]

فالملاحظة التي يمكن الخروج بها مما سبق أن بين العُجْب والكِبْر تقارب دلالي؛ لاشتراكهما في معنى عام؛ وهو أن يضعَ المصابُ بالعجبِ والكبرِ نفسَه في مقام غير مقامها، ويمنحها شأنيةً

1 ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة: ك ب ر، ص 468. ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: (كبر)، 3378/4.

2 الألوسي، روح المعاني، 6/ 41.

3 الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 697.

ومقدارا كبيرا من الشأن الذي لا تستحقه في واقع الحال، فيرفعَها إلى مرتبة ليست جديرة بها، ثم يتصرف مع غيره بمقتضى هذا المقام الذي أوهم به نفسه.

وهذا ما وقع فيه إبليس حين ظن بنفسه ظنا كاذبا، وأوهمها باستحقاق مقام أفضل من مقام آدم؛ لكون آدم –عليه السلام- مخلوقا من طين، بينما هو مخلوق من نار، وهنا مفارقة عجيبة توضح بشكل جلي الأثر الخطير للعُجْب والكِبْر في الانحراف عن الدين الحق؛ فإبليس بقدر ما كان يحسن الظن بنفسه، كان يسيئ الظن بالله ! مما دفعه إلى التجرؤ على الله بمعصيته، ومن ثم الجهر بمشروعه المتمثل في العمل على تأسيس خط للمعصية يستدرج إليه ضِعاف النفوس من البشر، « وذلك أنه وسوس لصنف من الناس، وألقى في نفوسهم مقولة أنهم أرقى من البشر ... ووفقا لهذا الاعتقاد ادعى هذا الصنف من البشر الألوهية، وفي عهودهم اندرج الإنسان إلى مستوى أقل من مستوى البهيمة، فإبليس بهذه المقولة ذلَّ الإنسانَ على أيدي الإنسان من منطلق حقده وخصومته لآدم وأبنائه، ولم يقذف الشيطان بفقه﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ على الجبابرة الذين ادعوا الألوهية على امتداد التاريخ فقط، وإنما قذف بفقه ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ على الخاص والعام في الساحة الإنسانية ... بأنْ بث ثقافةً من شأنها أن تمنع السجودَ لله، وإذا كان أصل هذه الثقافة يوم أن رفض السجود، فإن هذه الثقافة حملها في الدنيا الإنسان ضد الإنسان بعد أن دق الشيطان وتدها في الكيان الإنساني» [1].

وبذلك وقف أتباع الشيطان ومريدوه –عبر العصور – ضد الحق الذي يطالبهم بالعبودية لله عز وجل، وآثروا اقتفاء أثر الشيطان في استعلائه وتمرده وبما يستقيم مع ظروف وملابسات عصورهم، لذلك نجد أن هؤلاء ومن منطلق العُجْب والكِبْر الذي أصابهم بفعل غواية الشيطان قد

1 سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم، دار الهادي بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992م، ص 17، 18.

تطاولوا على الأنبياء، وتنكروا لرسالاتهم، وتمادوا - بكثير من الاستعلاء والإحساس الواهم بالأفضلية - في تحْقِير إخوانهم من البشر، وصنفوهم إلى أراذل وأشراف، وظل الأمر على هذا الحال عبر امتداد التاريخ، وكلما هلك هؤلاء، جدد الشيطان مشروعه وبث وساوسه في خلَفهم من بعدهم ليكونَ سلوكُ العُجْب والكِبْر ممتدا في سلوك البشرية عبر التاريخ.

وقد دققت بعض المعاجم المتخصصة في وصف الحقيقة النفسية للعُجْب والكِبْر، ومن ذلك ما جاء في كتاب تهذيب الأخلاق أن العُجْبَ في حقيقته هو «ظن كاذب بالنفس في استحقاق مرتبة هي غير مُسْتحَقة لها» [1] وهذا ما أشار إليه الجرجاني حين عرف العُجْب أيضا على أنه «تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحِقًّا لها » [2] وهذا المعنى غير بعيد عن معنى الكِبْر بوصفه انفعالا نفسيا يعني إدراكَ الإنسانِ خواطرَ تُشْعِره بأنه أعظمُ من غيره [3]؛ أي إن كلَّ مَن يظن بنفسه ظنا كاذبا، حين يضعها في مقام غير مقامها؛ فهو يعيش حالة العُجْب والزُّهُو بها، ومَن كان هذا حاله تراه كلما ازداد عُجْبُه بنفسه وازداد تعظيمُه لشأنه، ازداد كبْرُه على الناس واستصغار شأنهم.

وهذا مما يخالف جوهر الدين وروحَه، لأن الدينَ الحقَّ دعا الإنسانَ لأنْ يتجاوز نفسَه وأهواءه وأغراضه، وأنْ لا يجعل لنفسه أيَّ شأن أمام إرادة الله وعظمته وأمره ونهيه، ومن يصل إلى هذه المنزلة هو المتدين الحقيقي، فصلاة المرء وصدقته وحجُّه وسائر عباداته لا قيمة لها إنْ كان يرى لنفسه شأنا ومقاما أمام الله، بل إن من يرى لنفسه مقاما أعلى من الآخرين، ويحسب لنفسه وأنانيته حسابا دون اعتبار لشؤون غيره من الناس [4]، ستكون عبادته عديمة القيمة، لأنها ستكون

---

1 ابن مسكويه أبو علي أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م، ص 162.

2 الجرجاني، التعريفات، ص 123.

3 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 24/ 173.

4 ينظر: علي الموسوي، المواعظ الحسنة، دار الهادي للنشر (بيروت)، ط1، 1998م، ص 25.

ضئيلة الأثر، ولا تحقق الهدف التربوي العام المتمثل في الامتثال لأوامر الله بالإقبال على الخيرات، والانتهاء عن نواهيه باجتناب الشر والمنكرات، لذلك حذر القرآن الكريم من الأثر السيئ لهذه الآفة على سلوك الإنسان بشكل عام وبالأخص في علاقته بغيره من الناس؛ حيث جاء في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة الإسراء: 37، 38]

لقد أدان القرآن الكريم واستنكر آفة العُجب كحالة نفسية مرضية، تتم ترجمتها في سلوك خارجي مذموم، ومُنَفِّر، ومؤذي؛ ذلك لأن الإنسان إذا أُعْجِب بنفسه «عَمِيَّ عن نقائصها، فلا يسعى في إزالتها، وَلَهَى عن الفضائل فلا يسعى في اكتسابها... وعن العُجب بالنفس ينشأ الكِبْر على الناس، والاحتقار لهم، ومَن احتقر الناس لم يَرَ لهم حقًّا، ولم يعتقد لهم حرمة، ولم يراقب فيهم إلاًّ ولا ذمة، وكان عليهم أظلم الظالمين »[1] .

فحب الإنسان لنفسه حالة طبيعية وغريزة في أصل خِلْقته التكوينية، لكن في غياب التربية السليمة التي توجه هذا الشعور، وفي غياب الامتثال لتعاليم الدين، والالتزام بها قد يتحول حب الإنسان لنفسه إلى حالة مرضية، «وذلك بحمْلِه على الإعجاب والفرح بها، وبكل ما يصدر عنها... ولما كانت هذه العلة ناشئة عن علة العُجب أعْقَب الله تعالى بيان الداء الذي نهى عنه، بذكر الدواء الذي يقلعه من أصله فقال: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ فَذَكَّر الإنسان بضعفه بين مخلوقين عظيمين من فوقه ومن تحته؛ فإذا ضرب برجليه الأرضَ في مرحه فهو لا يستطيع خرْقَها، وإذا تطاول بعنقه في اختياله لن يبلغ طول الجبال، فقد أحاط به العجز من

---

1 عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، دار الكتب العلمية بيروت، ط2/ 1424 هـ ـ 2003م، ص 108، 109.

ناحيتيه، وتذكير الإنسان بضعفه وعجزه أنجع دواء لمرض إعجابه بنفسه» [1] حتى يدركَ مَن به عُجْبٌ أنه ضعيف، وأنَّ الضعيفَ لا يليق له أن يتَكبر، ولا أن يتظاهر بما يوحي بقوة تَوَهَّمَها في نفسه العليلة، فيكون عُجْبه ذاك سببا في استعلائه على الناس وإلحاق الأذية بهم، وهذا مظهر من مظاهر انحراف التدين، لأنه يخالف ما دعا إليه الدين من سماحةٍ ووداعةٍ وتواضع ومعاملة الناس بالرفق واللين وبالأخلاق الحسنة والحميدة.

وقد حذر القرآن الكريم في مواضع كثيرة من الكِبر الذي هو محصِّلة، أو نتيجة للعُجْب بالنفس، لأن لذلك أثرا سيئا في توجيه موقف الإنسان من الدين، وفي ضبط علاقته بالله وبرسله، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ **[سورة النساء: 172]**

يبدو أن الدلالة المركزية للآية ومعناها العام يقوم على لفظة "الاستنكاف" لذلك كان من الضروري — حسب تقديري- توضيح المعنى المراد من هذه الكلمة في هذه الآية، اعتمادا على ما جاء في بعض المعاجم والتفاسير؛ فهي من قولنا: «نَكِف من الأمر واستنكف إذا أنِف منه... وأعرض عنه... والأنِف من هذا كأنه شَمَخ بأنفه دونه» [2]وهو أيضا « التكبر والامتناع بأنَفَة، فهو (أي الاستنكاف) أشد من الاستكبار» [3] لذلك استنكر القرآن الكريم استنكارا مطلقا، يتضمن تحذيرا عاما من أن يصدر هذا السلوك الذميم عن أي إنسان؛ لأنه سلوك ناشئ عن

1 ابن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 108.
2 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: (نكف)، 5/ 479.
3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 59/6.

وَهْم بلوغ المراقي والدرجات الرفيعة، وادعاء امتلاك الحقيقة، ومن ثم الانجرار في ظاهرة الكبر والاستعلاء.

وقد جاءت الآية ردًّا على النصارى في اعتقادهم ألوهية عيسى –عليه السلام– وهي تتضمن ردًّا آخر على عبدة الملائكة المشاركين لهم في هذا الاعتقاد الذي يرفع بعض المخلوقين؛ من مرتبة العبودية إلى درجة المعبودية [1] وقد أوهموا أنفسهم باعتقادهم هذا أنهم امتلكوا الحقيقة التي تغنيهم عن كل حقيقة، وعرفوا النبي والدين الذي يغنيهم عن كل نبي وعن كل دين، فكذَّبُوا ما جاء به النبي الخاتم –عليه الصلاة والسلام– من تعاليم وأحكام اعتقادية تنفي صفتي؛ الألوهية والبنوة لله عن عيسى – عليه السلام – الذي كان قد بشرهم بنبي من بعده اسمه أحمد، وكان لزاما عليهم أن يُصَدِّقوه ويؤمنوا برسالته الخاتمة، ويتعبدوا بالدين الذي جاء به للبشرية جمعاء؛ هذا إنْ كانوا مؤمنين حقا بنبي الله عيسى، وعليه فإن عدم تصديقهم لرسالة النبي الخاتم وتماديهم في الجدل هو مظهر من مظاهر الكِبْر والتكبر عن عبادة الله وعن أنبيائه، مما يؤكد انحرافهم عن دين عيسى – عليه السلام– وإنْ ادَّعوا الانتساب إليه.

لذلك جاء القرآن الكريم ليكشف المفارقة بين زيف ادعاء الانتساب إلى دين التوحيد الذي بلَّغهم إياه نبي الله عيسى – عليه السلام– ومدى استقامة التدين بهذا الدين وصدق الالتزام به؛ فالمفارقة انكشفت مباشرة عندما نسبوا إليه البنوة لله، وجعلوه إلاها « مستندين إلى كونه أحيا الموتى، وأبْرَأَ الأكمه والأبرص، وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة... فهذا الذي صدرت على يديه هذه الخوارق لا يستنكف عن عبادة الله تعالى، بل مَن هو أكثر خوارقا وأظهر آثارا كالملائكة

1 ينظر: الألوسي، روح المعاني، 6/ 38 ـ 40.

المُقرَّبين الذين من جملتهم جبريل –عليه السلام– ... فهذا الموجود من غير أب لا يستنكف من عبادة الله تعالى، ولا الملائكة الموجودون من غير أبٍ ولا أُمٍّ »[1] .

فهم يستنكفون عن عبادة الله؛ لأنهم خير من يعرف حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية «فالعبودية لله مرتبة لا يأباها إلا كافر بنعمة الخلق والإنشاء، وهي المرتبة التي يصف بها الله رسله، وهم في أرقى حالاتهم وأكرمها عنده .. وكذلك الملائكة المقربون ... فما بال جماعة من أتباع المسيح يأبون له ما يرضاه لنفسه، ويعرفه حق المعرفة ؟! »[2]

إذا كان هذا هو حال النبي عيسى، وحال الملائكة المقربين من إبداء العبودية لله عز وجل، فلا يحق لأي مخلوق من البشر أن يستنكف عن عبادة الله، لذلك يمكن القول:

إن هذه الجماعة من أتباع عيسى –عليه السلام– قد انحرفوا في تدينهم بالدين الحق الذي جاءهم به نبيهم، حين استكبروا واعترضوا على ما جاء به النبي الخاتم من بعده، وامتنعوا عن تصديقه ولم يؤمنوا برسالته، كل ذلك بسبب حالة عُجْب ناشئة عن وهم فضل السبق في احتكار الدين الحق، الذي أعادوا إنتاج مفاهيمه ومضامينه بحسب ما تمليه أمزجتهم، وبالقدر الذي سيطرت فيه عليهم آفة العُجْب والكِبر التي ألقت على قلوبهم الغشاوة وأضلتها عن الحق والهداية، وحجبت عن مداركهم حسن التفكير والعلم والدراية.

فهذه صورة من صور التدين المنحرف بسبب آفة العُجْب والكِبْر، يمكن أن نضيف إليها موقفا آخر أورده القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ **[سورة غافر: 56]**

1 الألوسي، روح المعاني، 6/ 40.

2 سيد قطب، في ظلال القرآن، 2/ 820.

قيل: إن المقصود بـ: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ هم مشركون من أهل مكة وقيل: المقصود هم اليهود[1]، لكن في كل الأحوال ما يهمنا في هذا الصدد هو الوقوف عند الكِبر كحالة نفسية تمنع الإنسان من الاهتداء إلى الدين الحق، أو تدفع به إلى الانحراف عن الدين الحق الذي ينتسب إليه؛ فسواء أنزلت الآية في مشركي مكة أم في اليهود تبقى النتيجة واحدة؛ وهي الابتعاد عن الله؛ سواء بالكفْر، أم بالانحراف عن الدين الحق، هذا من جهة ومن جهة ثانية قدمت الآية الكريمة صورة دقيقة وواضحة تبين لنا كيف أنَّ مَن يصيبه الكِبْر يسعى دوما لأنْ يفتعل حُجَجًا واهية يبرر بها عزوفه عن الحق متجاهلا له، أو الوقوف في وجه الحق معارضا له ومحاربا إياه.

فالجدل أسلوب من الأساليب التي يلجأ إليها المكابرون في إبداء كِبْرهم، وتعنتهم الذي يبلغ مداه حين يكون متعلقا بآيات الله التي ليس فيها ما يستدعي الجدل، وليس فيها ما يصلح لأنْ يكون مدارا لمجادلتهم،[2] فضلا على أن يكون الجدل فيها بغير سلطان؛ أي بغير علم وبغير حجة مقنِعة؛ فمصدر الجدل في آيات الله هو كِبْرٌ في صدورهم يمنعهم من قبول الحق، ويمنعهم أنْ ينقادوا لرجل منهم، ربما ظنوا أنفسَهم أفضلَ منه؛ باعتبار أن رؤوس الشرك في مكة كانوا سادة وقادة [3].

وباعتبار اليهود كانوا من أهل الكتاب، فقد عَزَّ على هؤلاء جميعا - بسبب الكِبْرِ الذي في صدورهم- أن يصبحوا مَسُودِين ومُنْقَادين إذا ما آمنوا بدين النبي الخاتم محمد –عليه الصلاة والسلام- وبرسالته الخاتمة لكل الرسالات، والمُبْطِلَة لكل دين حرفته أهواء الناس، أو نشأ من

1 ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 15/ 324. وينظر: الألوسي، روح المعاني، 24/ 78. وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 24/ 172 ـ 175.

2 ينظر: الألوسي، روح المعاني، 24/ 78.

3 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 21/ 13410، 13410.

باطل، ذلك لأن رسالة النبي االكريم – عليه الصلاة والسلام- نصَّتْ على أنَّ مَن ابتغى غيرَها دينا، فقد ضل عن دين الله وانحرف.

فما الذي منعهم إذن من اتباع الدين الذي جاء به النبي الخاتم؟ إنه الكِبْر الذي مهما تمادوا فيه، وتظاهروا به ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ لضعف فيهم، فهو كِبْر كاذب لأن الذي يتكبر ينبغي أن يكون كبيرا فعلا، وينبغي أن يتكبر بشيئ ذاتي فيه، لا أن يتكبر بما هو عارض ربما يُسْلَب منه، ومن كان هذا حاله سيُذِل اللهُ كبرياءَه واستعلاءَه[1] ولن يكون كبيرا حتى لو أوهم نفسه بذلك.

1 ينظر: الألوسي، روح المعاني، 24/ 78. وينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 21/ 13411.

المطلب الثاني: الأسباب التصورية

في البداية لا بد من التوضيح بأن المقصود بالأسباب التصورية هنا ليس ما يتعلق بالفكر، من حيث هو وظيفة العقل البشري التي تتجه نحو معرفة الحقائق، وبناء التصورات حول القضايا الوجودية، وفهم الظواهر وتفسيرها، والكشف عن المجهول، وتوضيح المبهمات... إنما الأسباب التصورية المقصودة هنا هي تلك الأسباب التي تبدو في ظاهرها تصورية، لكنها في أصلها ذات منشإ لا صلة له بالتفكير السليم، لأنها تخضع لإكراهات خارجية تتسلط على العقل البشري، حيث تعمل على توجيهه وتنميطه بالشكل الذي يجعل التفكير منسجما مع تلك الإكراهات الخارجية ومطاوعا لها، ومن ثم يتم تجنيد العقل ليؤدي وظيفة التبرير اللامعقول للكثير من الأمور لاعتبارات لا صلة لها بقواعد التفكير السليم.

ومن هنا يَحِيدُ العقل عن وظيفته في التفكير؛ فلا يتجرد ولايستقل ولا يتمكن من المعرفة، وإدراك حقائق الأشياء، لِيَتَّجِهَ اتجاها آخر بحيث تصبح وظيفتُه ومهارتُه محصورةً في التدليس وصناعة المغالطة، ليس في مجالات التفكير العادية المتاحة للعقل البشري فحسب، بل التدليس والمغالطة يطالان ما يتعلق بالدين اعتقادا وتشريعا.

لذلك كان لزاما أن تتطرق الدراسة إلى بعض الأسباب الفكرية التي لها علاقة بانحراف التدين، اعتمادا على ما أورده القرآن الكريم وساقه من أمثلة تُعد مصاديق عملية تؤكد هذا النوع من الانحراف.

وقد تم تخصيص هذا المطلب لإبراز الأسباب التصورية المؤدية إلى انحراف التدين؛ لذلك وبعد توطئة مختصرة توضح المقصود أو المعنى المراد من عنوان المطلب، كان كل فرع من فروعه الثلاث مخصصا لبيان سبب من بعض هذه الأسباب التي لها أثرها ودورها في انحراف التدين، فكان **الفرع الأول** مخصصا لبيان دور الاعتقاد بنظرية الاصطفاء العام لجماعة بشرية بعينها

اصطفاء مطلقا، ثم كان **الفرع الثاني** مخصصا لبيان دور الاجتهاد البشري خارج نطاق الوحي، أما **الفرع الثالث** فكان مخصصا لبيان تجاهل البعد الغيبي في فهم الدين.

الفرع الأول. التبني اللامعقول لنظرية الاصطفاء العام.

الاصطفاء مفهوم قرآني ورد ذكره في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وهو من الصفو والاختيار والاجتباء، واصطفاءُ اللهِ تعالى بعضَ عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافيا عن الشوب الموجود في غيره، وقد يكون باختياره وبحكمه[1]، وهذا ما ينطبق على الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – الذين اختارهم الله واصطفاهم ليُبَلِّغوا عنه الرسالة ودين الحق والتوحيد الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لعباده.

لذلك كان هذا الاختيار مقرونا بما كان عليه حال الأنبياء من صفاء وطهارة تكوينية وتنزيه من كل شوب، ونقص، وعيب، فكانوا بذلك مصاديق عملية حققت الاستقامة الفعلية المعبرة عن حضور قيم الدين وتعاليمه وأحكامه في كل شأن من شؤون حياتهم العامة والخاصة، ليكونوا بذلك قدوة للناس، وحجة الله عليهم، في تبليغهم الدين الذي كلفهم الله بدعوة الناس إليه، وعليه فإنه وبقدر ما يستجيب الناس لدعوة الأنبياء ويلتزمون تعاليمها وأحكامها سيصدق فيهم مفهوم الاصطفاء، لكن بصورة نسبية، وليست بذات الصورة التي نجدها عند الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام- ذلك لأن عموم البشر:

- مُعَرَّضون للغفلة والزلل.
- ليسوا على درجة واحدة من قوة الاقتناع أو الإيمان بالدين.
- ليسوا على درجة واحدة من الوعي والفهم لمضامين الدين.

1 ينظر: الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (صفا)، ص 488.

- ليسوا على درجة واحدة من الثبات والاستقامة والالتزام بأحكام الدين وتعاليمه.

لذلك لا يمكن تعميم مفهوم الاصطفاء ليشمل جميع الأفراد لأية أمة من الأمم لمجرد اعتناقها دينا من الديانات السماوية، أو لمجرد كون نبي من أنبياء الله قد اجتباه الله واختاره منها، وذلك لعدم إمكانية تَحَقُّقِ الاصطفاء كمفهوم مطلق بكامل معانيه، في دائرة الجماعة البشرية الموسعة، مهما كانت مزاعم هذه الجماعات في الادعاء لنفسها بأنها أمة خصها الله دون غيرها من الأمم بالاصطفاء والخيرية والأفضلية، وذلك اعتمادا على نصوص تأولوها، وقاموا بتفسيرها وحملها على غير معناها الصحيح.

وقد أورد القرآن الكريم هذا الإدعاء على لسان اليهود والنصارى فقال عز وجل:
﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ **[سورة المائدة: 18]**

جاء في سبب نزول هذه الآية أن جماعة من اليهود أتوا إلى رسول الله – عليه الصلاة والسلام – فكلمهم وكلموه ودعاهم إلى الله، وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كما قالت النصارى ذلك[1] وهم بزعمهم هذا أوهموا أنفسهم أنهم منزهون عن الحساب، ظنا منهم أن مجرد الانتساب إلى نبي ما، أو دين ما، يمنحهم صفة الامتياز الذي يعفيهم من الحساب على الأعمال . !

فقد «كان اليهود يعتقدون أنهم شعب الله الخاص؛ ميزهم عن سائر البشر، فليس لشعب آخر أن يطلب مساواته بهم، وإنْ كان أصح منهم إيمانا، وأصلح أعمالا، ولا ينبغي أن يتبعوا محمدا – صلى الله عليه وسلم – لأنه عربي لا إسرائيلي، والفاضل لا يتبع المفضول، والله لا يعاملهم إلا

1 ينظر: ابن كثير تفسير القرآن العظيم، 69/3. والشوكاني: تفسير فتح القدير، 3/ 362.

معاملة الوالد لأبنائه الأعزاء، والنصارى قد زادوا عليهم غرورا؛ فهم قد ادعوا أن المسيح فداهم بنفسه، وأنهم أبناء الله » [1].

وعليه فإن الانحراف عن الدين كثيرا ما يكون ناشئا عن التصورات الواهمة، التي يظن أصحابها أنهم قد نالوا الاصطفاء المطلق بمجرد توفر مجموعة من الاعتبارات التي سبق ذكرها، ومن ثم يبدأ الانحراف في التدين حين لا يكلف هؤلاء أنفسهم أي عناء في طلب الاستقامة، أو الالتزام بمضامين الرسالة التي يزعمون الانتساب إليها، بالشكل الذي يعبر عن الولاء الحقيقي والعملي لأي نبي من أنبياء الله؛ فالانتساب إلى دين الله هو قبل كل شيئ تكليف ومسؤولية والتزام، وليس تحصيلا لامتياز، أو تنزيها لأعمال، وإعفاءً لأصحابها من الحساب، لذلك كان رد القرآن الكريم على مزاعم اليهود والنصارى بهذا الاستفهام الذي ينقض ادعاءهم، ويحذرهم من عاقبة الخروج عن تعاليم الدين وأحكامه:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة: **18**]

فقد نقضت الآية ادعاءهم بأنهم أبناء الله الذين خصهم بالمحبة دون غيرهم من البشر، فهم لو كانوا كذلك لَمَا أعدَّ لهم الله نار جهنم على كفرهم وعلى كذبهم وافترائهم، ولَمَا عذبهم سبحانه وتعالى بذنوبهم، لأن شأن المحب أنْ لا يعذب حبيبه، وشأن الأب أن لا يعذب أبناءه.[2]

وعليه فأنتم – أيها المعنيون بهذا الخطاب – لستم «أبناء الله ولا أحباؤه، بل أنتم بشر من جملة ما خلق، والله سبحانه لا يحابي أحدا، وإنما يغفر لمن يعلم أنه مستحق للمغفرة، ويعذب من يعلم أنه مستحق للعذاب، فارجعوا عن غروركم بأنفسكم، وسلفكم وكتبكم، فكل هذا لا يجزيكم فتيلا ولا قطميرا، وإنما الذي ينفعكم هو الإيمان الصحيح، وصالح الأعمال؛ فالجزاء إنما يكون عليها، لا على الأسماء والألقاب» [3] .

---

1 المراغي أحمد مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ – 1946م، 6 / 85.

2 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 69. وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 6/ 156

3 المراغي، تفسير المراغي، 6 / 85.

فأنتم بشر كغيركم من البشر؛ ترتكبون الذنوب ولستم منزهين عن المعاصي، لذلك تقعون في حكم سائر البشر؛ أي لم ولن تُمَثِّلُوا حالة استثناء أمام حكم الله العادل، بل تدخلون في مشيئته عز وجل، ولن تخرجوا عن مشيئته الغافرة إنْ كنتم بأفعالكم أهلا للمغفرة، كما أنكم لن تنجوا من مشيئته المُعَذِّبة إنْ كانت أفعالكم تستوجب العذاب.

وأمام هذا الموقف القرآني الصريح الذي يفند مزاعم اليهود والنصارى، ترى بعضهم يلجأ إلى التأويل وصناعة الجدل؛ فيحاول نقض موقف القرآن، من خلال الاحتجاج بما جاء في القرآن ذاته من آيات تشير وفق سياقات معينة، وشرطية تاريخية محددة إلى تفضيل اليهود، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

[سورة البقرة: 47]

وقوله عز وجل:

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ **[سورة الجاثية: 16 – 19]**

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ٣٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ٣٤ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ٣٥ ﴾

[سورة الدخان: 32 – 35]

فهذه الآيات في عمومها كانت تذكيرا لهم بما أنعم الله عليهم من نعم كثيرة لم يقدروها حق قدرها، لعل هذا التذكيرَ يكون تنبيها لهم ودافعا «لامتثال ما يَرِد إليهم من الله من أمر ونهي على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم... وهذا التذكير مقصود به الحث على الاتسام بما يناسب

تلك النعمة، ويستبقي ذلك الفضل »[1] ثم إن التفضيل في هذه الآية الكريمة يجب أن نفهمه على ضوء ما تؤكده الظواهر السُّنَنَية التي تحكم شؤون الجماعات البشرية، وترصد ما هي عليه أحوالهم، إذْ نجد كما يقول الشيخ ابن باديس: «أُمَمًا وجماعات وأفرادا من الاختلاف الشديد: فقد اختلفت بَوَاطِنُهم النفسية، كما اختلفت ظواهرُهم الجسدية، وإنك كما تجد أبناء الأمة الواحدة يتشابهون في تركيب أجسامهم، ثم لا بد من فروق لازمة تتمايز بها أشخاصهم، كذلك تجدهم يتشابهون في شؤونهم النفسية مع فروق لازمة تتمايز بها شخصياتهم، ويتبع هذا الاختلاف اختلافهم في إدراكهم وتمييزهم، وأخلاقهم وعاداتهم في ضلالهم وهداهم، وفي درجات الهدى ودركات الضلال»[2] .

وعليه من غير الممكن التسليم مطلقا أن أمة من الأمم يكون أفرادها جميعهم على درجة واحدة من الصلاح أو الفساد، فالآيات أشارت إلى تفضيل بني إسرائيل المخاطَبين، أو سلفهم على أمم عصرهم؛ أي هو تفضيل مجموع على مجموع، وفي عصر محدود، لا يستلزم بأي حال من الأحوال تفضيل كلِّ فرد من بني إسرائيل على أفراد من الأمم الأخرى عبر سائر العصور، كما أوهم هؤلاء أنفسهم، فكان هذا التصور الواهم منشأ غرورهم بظنهم أن ذلكم التفضيل هو تفضيل ذاتي[3]، ومن ثم توهموا أيضا أن إتيان المعاصي، والتقصير في القيام بالعمل الصالح لا يضرهم، ولا يترتب عنه الحساب والعقاب.

لذلك عَقَّب الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة بما يوضح أن تفضيل بني إسرائيل عن العالمين لم يكن تفضيلا على سبيل الإطلاق، فهو فضلهم عمن عاصروهم وقت نزول رسالة – موسى عليه السلام – فَضَّلهم حين أنعم عليهم بنعمة النبوة واختار منهم الأنبياء، ورزقهم من الطيبات. فقال عز وجل في محكم تنزيله:

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 482، 483.

2 عبد الحميد بن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 59.

3 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 483، 484.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[سورة الجاثية: **16 – 17**]

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾[سورة الدخان: **32– 35**]

لكن مقابل تلك النعم بدا منهم الجحود والغرور، وغابت عنهم أخلاق الشاكرين الحامدين لله عز وجل، الملتزمين بتعاليم الدين الحق، وعم بينهم البغي، وشاع فيهم الفساد، وفي كل ذلك شواهد عملية من واقعهم تثبت -كما جاء في القرآن الكريم – انحرافهم عن الدين الحق، لظنهم أن هذا التفضيلَ تزكيةٌ تمنحهم الامتياز، في حين أن الأمر ليس امتيازا بقدر ما هو امتحان وابتلاء للقيام بالتكليف، وتَحمُّل أعباء الانتساب إلى الرسالة، وعليه كان التحذير صريحا من عاقبة الجحود والإنكار لهذا التكليف، كما جاء في الآيات السابقة، التي أكدت أنهم لا يمثلون حالة استثناء أمام مشيئة الله الغافرة والمعذِّبة، وأن الله سبحانه وتعالى سيقضي بينهم بالحق فيما كانوا فيه يختلفون، بغيا بينهم بعد ما جاءهم العلم، وأنعم الله عليهم بالرسالة وأقام عليهم الحجة بالدين الحق الذي ارتضاه لعباده، وبعث أنبياءه ورسله للدعوة إليه.

وقد جاء في القرآن الكريم ما يكشف ويفضح سوء فِعالهم التي تتناقض مع ما يدعونه من تفضيل واصطفاء، فقال عز وجل مخاطبا أهل الكتاب:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [سورة النساء: **171**]

لقد كان الخطاب موجَّها لأهل الكتاب بنهيهم عن الغلو في الدين؛ «لأنه أصل لكثير من ضلالهم وتكذيبهم للرسل الصادقين» [1] تكبرا واستعلاء، وتوهما أنْ لا رسالة سماوية إلا فيهم، ولا نبي إلا منهم، وما عدا ذلك هو – في منطقهم - زيف وادعاء ! لذلك كان النهي في هذه الآية زاجرا، فيه ذم واضح، وإدانة صريحة، تستنكر غلوَّهم وضلالَهم، وفي ذلك ما ينفي عنهم مزاعم الاصطفاء العام الذي طالما تشدق بها هؤلاء.

والغُلُوُّ في الدين كما يقول ابن عاشور: هو «أن يُظْهر المتدين ما يفوت الحد الذي حدده له الدين، ونهاهم عن الغلو لأنه أصل لكثير من ضلالهم وتكذيبهم للرسل الصادقين، وغلو أهل الكتاب تَجَاوزُهُم الحَدَّ الذي طلبه دينُهم منهم: فاليهود طُولِبوا باتباع التوراة ومحبة رسولهم، فتجاوزوه إلى بغضة الرسل كعيسى ومحمد –عليهما السلام – والنصارى طُولِبوا باتباع المسيح فتجاوزوا فيه الحد إلى دعوى إلهيته، أو كونه ابن الله مع الكفر بمحمد – صلى الله عليه وسلم –»[2]

وعليه فإن الغلوَّ في الدين لا يعني بالضرورة الارتباط الشديد بالدين، بل الغلو في كثير من الأحيان هو تعصب للتصورات الذاتية في فهم الدين، و من ثم الغلو في العمل بتعاليمه وأحكامه بما يخالف ضوابط الدين، أي هو تعصب في التدين بما يخالف الدين ذاته، وهذا ما يؤدي بالمغالي إلى الافتراء على الله عز وجل، كي يبرر فهمه الخاص للدين، وما يترتب عن ذلك من ممارسات سلوكية منحرفة تتم باسم الدين، وتُنْسَب إلى الله؛ كادعاء اليهود والنصارى صفة الاصطفاء وتفضيلهم على غيرهم من الأمم، وهذا الادعاء يكشف انحرافهم في مسألتي الاعتقاد بالعدل الإلهي، والبعث والمعاد وما يرتبط به من حساب وجزاء، لذلك كانت الآيات السابقة نفيا لمزاعمهم الباطلة واستنكارا لها.

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 6/ 51

2 نفسه، 6/ 51

الفرع الثاني . الاجتهاد البشري بما يخالف الوحي

لقد أكد القرآن الكريم على ضرورة الامتثال لأوامر الله عز وجل، والانتهاء عن نواهيه، ومن ثم وجوب العودة إلى الوحي، والالتزام بجميع أحكامه وتعاليمه، وعليه لا يجوز تقديم الرأي والهوى على الوحي، لما في ذلك من انحراف عن الحق، ومعصية الخالق سبحانه، فضلا عن كون ذلك سببا في نشوء الاختلاف والنزاع بين أتباع الدين الحق، قال عز وجل:

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ **[سورة النساء: 59]**

فالتنازع في عمومه يشمل كل من يمكن أن يكون بينهم التنازع؛ كتنازع الحكام والأمراء فيما بينهم في أمور الحكم، أو تنازع الرعية مع ولاة الأمر في كل ما يخص شؤونهم المرتبطة بالحاكم، أو تنازع العلماء بعضهم مع بعض في شؤون علم الدين والأحكام الشرعية، أو تنازع عامة المسلمين في أحوالهم الشخصية، وقد عبرت الآية الكريمة عن موضوع التنازع بكلمة (شيء) وفي ذلك تعميم الحوادث، وأنواع الاختلاف التي قد تصيب المسلمين وتعتري حياتهم، وكل هذا الاختلاف والتنازع مأمورون أصحابُه برده إلى الله والرسول؛ أي إلى الوحي سعيا لزوال الاختلاف، وذلك ببذل الجهد والوسع في الوصول إلى الحق الجلي في تلك الأحوال، وذكر الرد إلى الله والرسول﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ المقصود منه مراقبة الله تعالى في انجلاء الحق في مواقع النزاع تعظيما لله تعالى، والرد إلى الرسول يحصل به الرد إلى الله؛ لأن الرسول هو المنبئ عن مراد الله تعالى [1].

وقد كان أول من أسس لسنة الاجتهاد بمخالفة أمر الله عز وجل، والاعتراض على حكمته ومشيئته هو إبليس الذي صار بذلك مؤسسا للمعصية، ومجتهدا في إشاعتها بين بني البشر، منذ أن قطع عهدا على نفسه كي يجعل هذا السلوك المنحرف خطا ممتدا في ذرية آدم، باعتماده

1 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 5/ ص 95 – 100.

مشروع الغواية وما له من مداخل كثيرة وأساليب جمة، تستجمع جميع المثالب وصفات القبح، لاستهداف البشر، يقول سبحانه تعالى:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ **[سورة ص: 71 - 83]**

فمنشأ أو أصل خِلْقة الإنسان - كما توضحه هذه الآية - هو الطين[1] وقد أعْلَمَ الله سبحانه وتعالى الملائكة قبل خلق آدم – عليه السلام – بأصل هذه الخِلقة، «وأمرهم بالسجود له متى فرغ من خلقه وتسويته، إجلالا وإعظاما له، فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس، ولم يكن منهم جنسا، بل كان من الجن، فخانه طبعه، فاستنكف السجود له، وخاصم ربه وادعى أنه خير من آدم، لأنه مخلوق من نار، وآدم مخلوق من طين، والنار خير من الطين في زعمه، وقد خالف بذلك أمر ربه»[2] مجتهدا في تعليل هذا الموقف المخالف لأمر الله عز وجل، بما يدعيه من

1 أورد القرآن الكريم في مسألة خلق الإنسان أنه مخلوق على مراحل؛ من تراب ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ **[سورة: الروم: 20]** ومن طين ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ **[سورة: الصآفات: 11]** ومن حمأ مسنون تحول صلصالا كالفخار ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ **[سورة: الحجر: 26]** ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ **[سورة: الرحمن: 14]**

فهذه في الواقع مراحل للشيئ الواحد وليست اختلاف بدايات ... فالتراب حين يوضع على الماء يصير طينا، فإذا تُرك على الطين حتى عطن وتغيرت رائحته فهو الحمأ المسنون، فإذا جف وتصلب فهو صلصال كالفخار (ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 21 12997/

2 المراغي، تفسير المراغي، 138/32.

أفضلية ذاته ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ لكونه مخلوقا من نار، بينما آدم مخلوق من طين ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾.

فإبليس الذي كان قبل خلق آدم مجتهدا في عبادة الله عز وجل، غلبه الهوى وتمكنت منه حظوظ النفس، فلم يستوعب أو لم يتقبل حكمة الله من خلق آدم وتكريمه، فاعترض على مشيئته عز وجل، بسبب الحسد والكبر والعجب والغرور، وكل أمراض النفس التي لا شك أنها تستحكم لدرجة تغييب الوعي، والفهم السليم للظواهر، ومن ثم تفضي بصاحبها إلى المعصية والانحراف؛ لذلك فإن إبليس بوصفه ظاهرة أو أيقونة دالة على المعصية، وتتكثف فيها كل أشكال المعاصي وأنواعها، دفعته نفسه المريضة إلى إنشاء تصور ذهني قام على المغالطة؛ مؤداه أن جنس المخلوق، أو أصل خلقته تحدد مدى تميزه وأفضليته أو العكس، لذلك تجرأ على الله وخالف أمره، وظن بالله وبالإنسان ظن السوء، حين سَلَّمَ بكل غرور واستعلاء أن النار أفضل من الطين، وعليه فهو بالضرورة أفضل من الإنسان، بل بلغ به الأمر أن اعترض على إرادة الله ومشيئته، معلنا التحدي بالإعلان عن مشروعه المضاد للتكليف الإلهي الذي خص به البشر.

صحيح أن الله خلق آدم من الطين وخلق إبليس من النار « لكن من قال إن الطين أقلُّ من النار، أو أن النار أعلى من الطين؛ لأن المخلوق لا يأخذ منزلة وميزة بجنسه، إنما يأخذ ميزته ممن خلقه، إذن ليس هناك جنس أفضل من جنس؛ لأن الله خلق الجميع، وجعل لكل منهم مهمة في الحياة، فهم في الخلق لله سواء » [1] .

وعليه فإن المخلوقات لا تتحقق المفاضلة بينها من حيث أصل الخلق؛ لأن خالقها واحد وهو الله عز وجل، إنما المفاضلة تتحقق بحسب قيام كل منها بتكليفها، ورسالتها في هذه الحياة بما يحقق مبدأ الطاعة لله عز وجل.

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 21/ 13003

وقد أورد القرآن الكريم بعض الحالات المعبرة عن امتداد مشروع إبليس في سلوك بعض المتدينين من بني البشر الذين خالفوا أمر الله عز وجل، واجتهدوا بخلاف ما ينص عليه الوحي الذي تلقاه أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام- . يقول سبحانه وتعالى:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ **[سورة التوبة: 31]**

الأحبار هم قراء اليهود وعلماؤهم، أما الرهبان من الرهبة؛ وهم العُبَّاد وأصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دين النصارى[1]، «وإنما خص الحِبر بعالم اليهود؛ لأن عظماء دين اليهودية يشتغلون بتحرير علوم شريعة التوراة فهم علماء في الدين، وخص الراهب بعظيم دين النصرانية؛ لأن دين النصارى قائم على أصل الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة» [2].

فهؤلاء الأحبار والرهبان، اتخذهم اليهود والنصارى ﴿ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ؛ أي «سادةً لهم من دون الله، يطيعونهم في معاصي الله، فيُحِلون ما أحلُّوه لهم مما قد حرَّمه الله عليهم، ويحرِّمون ما يحرِّمونه عليهم مما قد أحلَّه الله لهم» [3] ، فكانوا يأخذون بأقوال أحبارهم ورهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنه من الدين، اعتقادا منهم أن أحبارهم ورهبانهم بلغوا مرتبة تمنحهم حق الاجتهاد بما يخالف الوحي، فيحللوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، فحصل من مجموع أقوال اليهود والنصارى أنهم جعلوا لبعض أحبارهم ورهبانهم مرتبة الربوبية في اعتقادهم، فكانت الشناعة لازمة للأمتين، ولو كان من بينهم من لم يقل بمقالهم؛ لأن الأمة تؤاخَذ بما يصدر من أفرادها إذا أقرته ولم تنكره[4].

---

1 ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 11/ 416، 417، وينظر: الشوكاني، الفتح القدير، 10/ 568.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 10/ 170.

3 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 11/ 417.

4 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 10/ 170.

ولا شك أن الاجتهاد بما يخالف الوحي لا يكون بالضرورة ناشئا عن غفلة أو قصور في الفهم، بقدر ما يكون الأمر متعلقا بالهوى وحظوظ النفس التي تتضجر من ضوابط الوحي.

قال عز وجل:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ **[سورة النساء: 65]**

جاء في سبب نزول هذه الآية أن الزبير بن العوام –رضي الله عنه– خاصم رجلا، فقضى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– للزبير، فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته،[1] وقيل أيضا في سبب نزولها أن رجلا من الأنصار[2]، ورجلا من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول بيني وبينك كعب بن الأشرف، وقيل: إنها نزلت في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام، وأرادوا أن يتحاكموا إلى حاكم الجاهلية.[3]

لا شك أن الإصرار على أن يكون الاحتكام إلى غير الله ورسوله، ولا شك أيضا أن الطعن في ما حكم به رسول الله –عليه الصلاة والسلام– هو موقف ناشئ من سيطرة الهوى، على حساب الإيمان، بحثا عن بديل بشري خارج ضوابط الوحي، بما يستجيب لحظوظ النفس ويرضيها، بخلاف الوحي الذي جاء ليحصن النفس من الأمراض، وليوجهها ويربيها وينظم شهواتها، فهؤلاء يفرون من الوحي الذي يتسلط على النفس، ويبحثون عن بديل تكون فيه النفس هي المتسلطة.

وفي كل الأحوال الآية في توجهها ومقصدها العام لا تتوقف عند حادثة بعينها؛ بل تتجاوزها إلى غيرها من المواقف المشابهة التي تتكرر عبر التاريخ، وعليه فإنه ومن حيث المبدأ

1 الواحدي، أسباب النزول، ص 96.

2 هذا الأنصاري ليس بمنافق ولا شاك في نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – فوصْفُهُم له بالأنصاري هو وصْف لخيرة المؤمنين، وما وصفوه بالمنافق، ولكن ما صدر منه هو جهل وغفلة عن الالتزام (ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 5/ 113.)

3 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/ 346.

استنكر القرآن الكريم كل موقف يتجه أصحابه صوب الاجتهاد البشري بتجاهل الوحي، ومن ثم كان الذم مُوَجَّها لكل من عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الاجتهادات البشرية التي هي حتما باطلة ما دامت في عَرَض الوحي ونِدِّيَتِه، لا في طوله وانقياده، فالله سبحانه وتعالى ينكر على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على أنبيائه ورسله، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومة والنزاع إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

وقد وضح القرآن الكريم كيف أن الخروج عن الوحي، يؤدي بالضرورة إلى الفرقة، ويكون سببا في نشوب الاختلاف والفتن، والابتعاد عن الله، ومن ثم الانحراف عن الدين الحق. يقول عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

[سورة آل عمران: 19]

لقد وضح لنا الله عز وجل أن الذين أوتوا الكتاب قد اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم، وبين أن سبب اختلافهم كان ﴿ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾ ولا يُطلَق توصيف الاختلاف إلا إذا كان هناك أمر متفق عليه، والمراد هنا هو الدين الحق؛ كما جاء به الوحي في رسالات الأنبياء – سلام الله عليهم– إذن ما الذي جَدَّ، وما الذي زاد حتى يحدث الاختلاف؟ للإجابة عن ذلك يوضح القرآن الكريم أن حصول الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب، حدث بعد ما جاءهم العلم، وتلك هي النكاية، وذلك هو الشر، فلو كانوا قد اختلفوا من قبل أن يأتي إليهم العلم، لكان لهم العذر، ولكن أن يحدث الاختلاف من بعد ما جاءهم العلم من الحق تبارك وتعالى، فتلك هي نوازع الهوى التي قد يَسْلَم منها بعضُهم فيكون على حق، و قد تصيب بعضَهم الآخر فيكون على باطل، وربما تصيبهم جميعا فيكون الجميع على باطل، فالكتب السماوية ليست من أفكار البشر،

حتى تكون ساحة اختلاف، فهي من عند الله، لذلك لا يوجد فيها خلاف، أو تعارض. قال عز وجل:

﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [سورة النساء: 82]

فهذا تنبيه إلى أن كل ما ينبت أو يصدر من البشر للبشر، هو محل جدل وخلاف، يتبعه إما قبول وطاعة وامتثال، وإما ترك وصدود وإنكار، أما ما يأتي من عند الواحد الأحد لا يمكن أن يحدث فيه خلاف أبدا، إلا إذا طرأ عليه طارئ زيادة، أو حذف، أو تغيير بفعل أهواء البشر ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ والبغي هو طلب الاستعلاء بغير حق[1].

وكثيرا ما يكون ذلك سببا في الخلاف بين بعض أهل العلم الذين يشتغلون على علوم الدين، ومن مظاهر ذلك الإفتاء بما يخالف الوحي، ويوافق أهواء العامة، أو أمزجة الحكام، وقد يصل بهم الأمر الحد الذي يؤدي إلى تقسيم الأمة، وإحداث الفتن فيها؛ بسبب تلك الفتاوى التي لا قد تنحو المنحى الذي تتحقق فيه سنة الاختلاف المتنوع، بقدر ما تنحو المنحى الذي ينشأ عنه التعارض والتناقض، فهذا النوع من الفتاوى لو وافقت ما أنزله الله لما حدث ما يحدث من الخلافات، والفرقة والفتن بين أتباع الدين الواحد، «فإذا رأيت أي خلاف بين رجال دين... فاعلم أن القول الفصل في هذا الأمر هو ما عبر عنه القرآن: فمن البغي يَهُبُّ الهوى الذي تنشأ منه الأعاصير، إن مَن يحب الاستعلاء بغير الحق هو الذي يحاول البغي؛ فيدعي لنفسه أنه أرقى في الفكر، أو يستعلي عند من يملكون له أجرا، أو يستعلي عندما يوافق حاكما في رأي من الآراء، ويبرر للحاكم حكما من الأحكام». [2] وهذا ما نبهنا إليه رسول الله – عليه الصلاة والسلام – حين قال:

1 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 3/ 1358 – 1362.

2 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 3/ 1363.

«البِرُّ ما سَكَنَتْ إليهِ النَّفْسُ، واطْمَأنَّ إليهِ القلبُ، والإِثْمُ ما لَمْ تَسْكُنْ إليهِ النَّفْسُ، ولَمْ يَطْمَئِن إليهِ القلبُ، وإنْ أَفْتَاكَ المُفْتُون» [1]

فالمؤمن بفطرته هو حَكَم نفسه؛ بنعمة الفطرة يزن الأمور، ويميز المواقف؛ فكلما سكنت نفسُه، واطمأن قلبُه، فثمة البِرّ والطاعة، وكلما انتفت السكينة عن النفس، وغاب الاطمئنان عن القلب، فثمة الإثم والمعصية والضلالة، وإنْ أفتاه المفتون، لأن المفتي – في واقع الحال - لا يحقق سكينة النفس وراحة القلب لمجرد كونه مفتيا، بل يحقق ذلك بالقدر الذي ينضبط فيه بالحق، ويلتزم ما جاء به الوحي، فبذلك فقط يمكنه أن يصيب الحقيقة.

لذلك على المؤمن أن يحذر وينتبه إلى أن بعض العلماء الذين تمكنت منهم حظوظ النفس لن يترددوا في إصدار فتاوى مضللة، تخالف الوحي، وتطبعها أمزجة شخصية، وتمليها أهواء صنعتها الظروف المحيطة بالمفتي؛ فقد يصبح أصحاب الحق قلة قليلة، وليس لهم نصيب في الإعلام بما يمنع رأيهم وصوتهم أن يصل إلى الناس، لأن الذين لهم السطوة، ويملكون الكلمة الإعلامية ليسوا مع أصحاب الحق، بل اصطفوا إلى جانب من يساير الباطل[2]. فيوصلون صوت هؤلاء للناس، وقد يقدمونهم في صورة وفي مقام من يحتكر الحق، ويمتلك الحقيقة، ومن ثم لا يمكن لعامة الناس أن يرُدُّوا ما يصدر عن هؤلاء، هنا يجب أن ننتبه إلى أن الفطرة التي أودعها الله فينا هي حجة علينا، وعليه يجب أن يتحرك فينا صوت الفطرة الذي يمنح للنفس وللقلب الإيعاز السوي الذي يتناغم مع الحق، ولا يستسيغ الباطل مهما كانت الصورة التي قد يظهر بها، سيما ظهوره بعناوين مخادعة توهمنا أنها من صميم الدين. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ **[سورة الأعراف: 172]**

---

1 أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث أبي ثعلبة، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2008م، رقم الحديث: 18215، 6/ 304.

2 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 3/ 1364.

فقد أخذ الله الميثاق من ذرية آدم حين أودع فيهم الفطرة التي هي نظام يولد به الإنسان؛ ونعني به حالة الصفاء التي أوجده الله عليها في بداية خلقه[1]، وبها ينكشف له طريق الهداية والاستقامة، وهذه الحالة يجب أن يعمل الإنسان ويجتهد دوما للحفاظ عليها من الغفلة، وعوارض الحياة الدنيا، حتى تؤدي وظيفتها كضمانة تكوينية توجه الإنسان حيث الهداية، وتنبهه في مواضع الغواية والزلل.

الفرع الثالث. إنكار البعد الغيبي في فهم الدين.

ذهب العلماء إلى أن الغيب هو ما لا يتمثل أمام الحواس، ولا تدركه العقول، فقد جاء في مفردات ألفاظ القرآن الكريم أن «الغيب مصدر... اسْتُعْمِل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان... والغيب في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ **[سورة البقرة: 3]** ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بداءة العقول، وإنما يُعْلَم بخبر الأنبياء –عليهم السلام- وبِدَفْعِه يقع على الإنسان اسم الإلحاد» [2] .

وجاء في كتاب التعريفات أن «الغيب المكنون والغيب المصون هو السر الذاتي، وكنهه الذي لا يعرفه إلا هو، ولهذا كان مصونا عن الأغيار، ومكنونا عن العقول والأبصار» [3] .

وجاء في التحرير والتنوير أن «المراد بالغيب ما لا يُدْرَك بالحواس مما أخبر الرسول –صلى الله عليه وسلم – صريحا بأنه واقع أوسيقع؛ مثل وجود الله وصفاته، ووجود الملائكة والشياطين، وأشراط الساعة، وما استأثر الله بعلمه» [4]، كما جاء في حديث الإيمان لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- حيث قال:

---

1 تناولت هذا الموضوع بتفصيل أكثر في المطلب الأول من المبحث الثالث للفصل الأول في هذا البحث.

2 الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 616، 617.

3 الجرجاني، التعريفات، ص 229.

4 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 229.

« الإيمانُ أنْ تؤمنَ بالله ومَلَائِكتِه وكتُبِهِ ورسُلِه ولِقَائِه، وتُؤْمِنَ بالْبَعْثِ الآخر...» [1].

فالغيب إذن أمر متعلق بما هو ثابت الوجود، لكنه متعذر عن حواس الإنسان، ومداركه العقلية المحدودة، أو بعبارة أخرى يتعلق بالأسئلة الوجودية، والأسرار الغيبية الكبرى التي ليس بمقدور العقل البشري الإجابة عنها، باعتماد العلم الطبيعي التجريبي؛ لأنها لا تدخل في نطاق أدواته العلمية، كما أنها ليست ظواهر حسية يمكن إخضاعها للتجربة، لذلك فإن الوحي، وما جاء به الأنبياء هو السبيل الأوحد للإجابة عن تلك الأسئلة الكبرى،[2] ومن ثم لا تتحقق نعمة التدين السوي، ونعمة الفلاح والتقوى بالاهتداء إلى الدين الحق، وإلى الصراط المستقيم إلا بتصديق ما جاء به الوحي. قال عز وجل:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ **[سورة البقرة: 1 – 5]**

فالإيمان بالغيب –كما في هذه الآيات– جاء مقترنا بأهم المعاني الروحية، والالتزامات التعبدية والأخلاقية الكبرى للدين الحق، وهي: الهدى، التقوى، إقامة الصلاة، الإنفاق، ثم ذكرت الآية الأثر المترتب عن كل ذلك وهو الفلاح، فأهل التقوى «تجمعهم الوحدة الشعورية الإيجابية الفعالة؛ الوحدة التي تجمع في نفوسهم بين الإيمان بالغيب، والقيام بالفرائض، والإيمان بالرسل كافة، واليقين بعد ذلك بالآخرة» [3]

فهذا التكامل الذي تمتاز به العقيدة الإسلامية، وتمتاز به النفس التي تؤمن بهذه العقيدة، هو الذي ينشأ عنه التدين السوي الذي ارتضاه الله لعباده، وبعث لأجل ذلك أنبياءه ورسلَه، كي

1 أخرجه البخاري في صحيحه (صحيح البخاري)، كتاب التفسير، باب "إن الله عنده علم الساعة"، رقم الحديث: 4777، ص 1200.

2 تناولت هذه الفكرة بتفصيل أكثر في المطلب الثالث من المبحث الثالث في الفصل الأول لهذا البحث.

3 سيد قطب، في ظلال القرآن، 1/ 39.

يعيش المؤمنون «بمنهج حياة متكامل، شامل للشعور والعمل، والإيمان والنظام؛ فلا تقوم حواجز الحس دون الاتصال بين أرواحهم، والقوة الكبرى التي صدرت عنها، وصدر عنها هذا الوجود، ولا تقوم حواجز الحس بين أرواحهم، وسائر ما وراء الحس من حقائق، وقوى، وطاقات، وخلائق، وموجودات.

والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا بما تدركه حواسُه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك بأن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس، أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس، وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كلِّه ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي إحساسه بالكون، وما وراء الكون من قدرة وتدبير. »[1]

وقد ورد في القرآن الكريم ما يوضح كيف يكون إنكار الغيب سببا في إنشاء تصورات خاطئة عن الدين، ومن ثم الوقوع في خطيئة الانحراف عن الدين الحق، مع أن المتدين يفترض فيه أنه من أتباع الدين الحق، ذلك لأن هؤلاء لم يستطيعوا تجاوز ما تدركه حواسهم، ولم يستوعبوا ما وراء الكون من قوة وتدبير. يقول عز وجل في وصف حال بني إسرائيل مع سيدنا موسى –عليه السلام–:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٖ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٖ لَّهُمْۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٞ تَجْهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٤٠ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٞ ١٤١ ۞وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةٗ وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢﴾[سورة الأعراف: 138 – 142]

---

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 1/ 39.

إلى أن قال عز وجل:

﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [سورة الأعراف: **148 – 150**]

قبل الوقوف على ما في هذه الآيات من دلائل تثبت كيف يكون إنكار الغيب سببا في في انحراف الفهم وانحراف الممارسة للدين، أود في البداية أن أقدم عرضا موجزا لقصة سيدنا موسى – عليه السلام– وقومه بني إسرائيل حين غادروا مصرَ، هروباً من بطش فرعون، وقد أخذ حينها بنوا إسرائيل ما كان لديهم من الحليّ والذهب، وبعد أن عَبَرُوا البحر ورأَوْا معجزة انشقاقه، وهلاك فرعون ومن معه، رأوا قوماً من الوثنيين يعبدون الأصنام والتماثيل، فأُعْجِبُوا بهم وبما يعبدون، متجاهلين تعاليم نبي الله موسى –عليه السلام– الذي دعاهم إلى توحيد الله وتنزيهه عن كل تمثال وصنم ! بل ذهبوا أبعد من ذلك، وطلبوا منه أن يجعل لهم آلهةً شبيهة بتلك التماثيل والأصنام ! فنهاهم سيدنا موسى –عليه السلام– وحذرهم، مذكرا إياهم بنعمة الله يومَ أنجاهم من فرعون وبطشه، فتظاهر القوم بأنهم قد كفوا عما كانوا يطلبون، لكن صدورهم كانت لا تحمل إيمانا صادقا، وكانت تخفي عكس ما يُظهِرون، لذلك حين وجدوا الظرف مناسبا [1] لم يتأخروا

1 فقد استغلوا فترة غياب سيدنا موسى عليه السلام حين ذهب لملاقاة ربه في مُدّة المعاد، الذي واعد الله فيه موسى ليكلمه وينزل عليه الألواح، وكانت المدة في البداية ثلاثين يوماً ثم صارت أربعين يوماً، ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: **142**] وكان سيدنا موسى –عليه السلام– قد استخلف أخاه سيدنا هارون –عليه السلام– في بني اسرائيل طوال مدّة غيابه. (ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 468)

لحظة في التمكين لرغبتهم؛ فنحتوا تمثالاً لِعِجْل ثم اتخذوه إلاها وعبدوه، فازدادوا بذلك ضلالا أنساهم كل آيات الله ومعجزاته التي عاينوها بأنفسهم.

فالسامري الذي كان ماهرا في نحت التماثيل، استطاع بمكره ودهائه أن يخادعهم؛ حيث كان قد احتفظ ببعض التراب المبارك من أثر جبريل – عليه السلام- على الأرض، وطلب من بني اسرائيل أن يُحْضِروا له كل الذهب والحليّ الذي كان معهم، فجمعه وصَهَرَه في درجات حرارة عالية، حتى انصهر وأعاد تشكيلَه في صورة عِجْل، أي صَنَع من الذهب تمثالاً كبيراً على شكل عِجْل، ثم رمى عليه التراب الذى أخذه من الأثر المبارَك، وجعل له فتحة في أمامه وفتحة في آخره، وبطريقة فيها إجادة وإتقان تمكن من جعله يُصْدِر صوتاً كلما دخلت إليه الرياح، وكأن العِجْل نفسَه يُصدر الخُوَار (صوت العجل الحقيقي) مما أوهم بني اسرائيل أن العجل الذهبي حقيقي، وفيه قوى خارقة ! [1] .

وبذلك يكون السامري قد استغل جهل هؤلاء، ليزعزع إيمانهم بالله الواحد الأحد، بعد أن أقنعهم أن هذا العجل الذهبي هو ربهم، وهو رب موسى الذي دعاهم إلى الإيمان به، وأمرهم بعبادته.[2]

هذا مجمل القصة حاولت إيجازها وصياغتها بما ينسجم مع هذا العنصر من البحث، وهي تكشف عما كان عليه قوم موسى من السذاجة في إنشاء تصورهم الاعتقادي عن الله، بسبب تجاهلهم للبعد الغيبي، وجعل معرفتهم بالله رهينة مداركهم الحسية المحدودة، لذلك كان جهلهم بالله

1 جاء في تفسير ابن كثير أن هناك اختلافا بين المفسرين، منهم من قال: إن العجل صار لحما ودما له خوار، ومنهم من ذهب إلى أنه تمثال من ذهب، يدخل فيه الهواء فيُصَوِّت كالبقر (ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 476/3.)

2 ينظر: ابن حجر العسقلاني، تحفة النبلاء من قصص الأنبياء للإمام الحافظ ابن كثير، مكتبة الصحابة الشارقة، مكتبة التابعين القاهرة، ط1، 1419هـ - 1998م، ص 325 – 338. وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 467 – 478 وينظر: الشوكاني، فتح القدير، ص 496 – 501.

واضحا، فأرادوه صورة محسوسة ماثلة أمام أعينهم، لذلك مالت أهواؤهم وعقولهم الساذجة إلى تلك التماثيل التي وجدوا القوم عليها عاكفين ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ﴾ فقالوا لموسى –عليه السلام– ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾

فقد أرادوا أن يعبدوا إلاها من صنع أمزجتهم، وبما يرضي أهواءهم، لذلك أرادوه « مجعولا برغم أن الإله بكمالاته وطلاقة قدرته جاعل، ولكن عقليتهم لم تستوعب النعم الغامرة، وقلوبهم مغلقة لم يعمها الإيمان، وقالوا: اجعل لنا إلاها ! وأرادوا أن تُنْحَت لهم الأصنام ... وهذا ما يجعلنا نفهم أن عقولهم لم تستوعب حقيقة الإيمان لذلك يقول لهم موسى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ولم يقل لهم: "لا تعلمون" بل قال: "تجهلون" لأن هناك فارقا بين عدم العلم بالشيئ، وبين الجهل بالشيئ، فعدم العلم يعني أن الذهن قد يكون خاليا من أي قضية، أما "الجهل" فهو يعني أن تعلم مناقضا للقضية، إذن فهناك قضية يعتقدها الجاهل، ولكنها غير واقعية، أما الذي لا يعلم فليس في باله قضية»[1]

فكذلك كان حال بني إسرائيل الذين أكرمهم الله بنعمة النبوة، فحررهم نبي الله موسى – عليه السلام– مما كانوا عليه من ذل وجهالة تحت قهر الطاغوت، فعرَّفهم بالدين الحق، وبوجوب إخلاص العبادة والخضوع لله الواحد الأحد، ومع هذا العلم الذي تعلموه، والبلاغ الذي تلقوه، والحجة التي أقيمت عليهم، ظلت الأهواء المتسلطة على عقولهم، وظلت الجاهلية المترسبة في نفوسهم، تدفعهم نحو فهم مناقض للتوحيد والتنزيه، بحثا عن عقيدة تتمثل لهم في صورة مادية محسوسة لا روح فيها، وعليه فإن هذه النفوس والعقول تمتلك الاستعداد للاندفاع إلى الجاهلية، وإلى الشرك عند أول فرصة تتاح لها !

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 7/ 4330

وهذا ماحدث لقوم موسى مع السامري وعجله، ولأن القوم مصرون على أن يكون إيمانهم بالله مرتبطا بمداركهم الحسية، اشترطوا على نبي الله موسى –عليه السلام– أن يروا الله جهرة مقابل الإيمان به ! فقال عز وجل على لسانهم:

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة: 51 – 56]

جاء في بعض الروايات التي أوردها ابن كثير في تفسيره أنه « لما رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، وقال لأخيه وللسامري ما قال... اختار منهم سبعين رجلا؛ الخَيِّر فالخَـيِّر، وقال: انطلقوا إلى الله وتوبوا إلى الله بما صنعتم، وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا، وتطهروا، وطهروا ثيابكم، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقَّته له ربُّه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال له السبعون... حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا للقاء الله... ياموسى اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل. فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه الغمام حتى تغَشَّى الجبل كله، ودنا موسى، فدخل فيه، وقال للقوم ادنوا، وكان موسى إذا كلَّمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب، وَدَنَا القومُ حتى إذا دخلوا في الغمام وقَعُوا سجودا، فسمعوه وهو يُكلِّم موسى؛ يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل، فلما فرغ إليه من أمره، انكشف عن موسى الغمام، فأقبل إليهم، فقالوا لموسى:

﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ » [1]

فالموقف هنا يتعلق بالسبعين نفرا الذين هم من خيرة بني إسرائيل؛ اختارهم سيدنا موسى –عليه السلام– لميقات ربه، ومع ذلك بدا ما بدا منهم من تعنت وإنكار للغيب، وإصرار على معرفة الله بحواسهم، فطلبوا أول الأمر أن يسمعوا الله وهو يكلم نبيه موسى، تم لهم ما أرادوا، وإذا بهم يتدرجون ويُصَعِّدون في سقف مطالبهم الجريئة، فاشترطوا أن يكون تصديقهم بالله مرتبطا بتجليه سبحانه وتعالى أمام أعينهم لكي يروه جهرة ! ولنا أن نتصور حال عموم بني إسرائيل إذا كان هذا هو حال خاصتهم ! فبنوا إسرائيل هم بنوا إسرائيل ! « يعيشون كثافة حس، ومادية فكر، واحتجابا عن مسارب * الغيب... والآيات الكثيرة، والنعم الإلهية، والعفو والمغفرة... كلها لا تغير من تلك الطبيعة الجاسية** التي لا تؤمن إلا بالمحسوس، والتي تظل مع ذلك تجادل وتماحل*** ولا تستجيب إلا تحت وقْع العذاب والتنكيل، مما يوحي بأن فترة الإذلال التي قضوها تحت حكم فرعون الطاغية قد أفسدت فطرتهم إفسادا عميقا، وليس أشد إفسادا للفطرة من الذل الذي ينشئه الطغيان الطويل، والذي يحطم فضائل النفس البشرية» [5] ويقضي على ما أودعه الله فيها من استعدادات الانقياد الطوعي والإرادي للحق.

---

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 264- 265.

* من "سَرَبَ: السَّارب: الذاهب على وجهه في الأرض...ومنه قوله تعالى: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [سورة الرعد 10] ؛ أي: ظاهر. " ومنه يكون المعنى المراد هو ظاهر الغيب. (الجوهري، الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية– ، دار الحديث القاهرة، ط1 / 1430هـ – 2009م، مادة: سرب، ص 530، 531.)

** من "جَسَا: ضد لَطُفَ، وجَسَيَّت اليدُ وغيرها جُسُوًّا : يبست، وجَسَا الشيخ جُسُوًّا، بلغ غاية السن، والماء جمُد"، ومنه يكون المعنى المراد هو الطبيعة القاسية ذات المنزع المادي(الجوهري، الصحاح، مادة: جسا، ص 182)

*** من "المَحْل وهو المكر والكيد، يقال: مَحَلَ به: إذا سعى به إلى السلطان فهو ماَحِل ... وتَمَحَّل، أي: احتال" ومنه يكون المعنى المراد: المتحايل والماكر المخادع.(الجوهري، الصحاح، مادة محَل، ص 1066.

5 سيد قطب، في ظلال القرآن، 1/ 72.

فهذه النماذج من البشر لا تستجيب، ولا تنقاد أو تخضع إلا تحت وقْع سياط القوة، والقهر، والإذلال، لذلك سرعان ما تبدي تمردا عنيفا كلما خف عنها القهر، وانقطع عنها وقع السياط، ومن ثم لا عجب إنْ كانت هذه القاعدة السلوكية المنحرفة هي التي تحكمت في مواقف بني إسرائيل من رسالات أنبياء الله، فهؤلاء كلما حل عليهم غضب الله وعقابه، ذلوا واستكانوا، وسألوه المغفرة وقبول التوبة، وإذا ما تقبل الله توبتهم، وأسبغ عليهم من نعمه الوافرة الجزيلة، عادوا إلى سالف غيهم وتمردهم، وتطاولهم على الذات الإلهية، وعلى مقام النبوة !

فأي تطاول أعظم مِن أنْ نرى أنَّ أولئك الذين كثيرا ما كانوا يدعون أنهم من أتباع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ومع ذلك تراهم يصرون على تكذيب أنبيائهم في الكثير مما جاؤوا به من أنباء الغيب، ويصرون بجهل كبير، وتعنت مقيت على أن تكون معرفتهم لله عز وجل مرتبطة بمداركهم الحسية المحدودة !؟ ومن ثم وبسبب إنكارهم الغيب، تراهم يبحثون دوما عن إله محدود، محسوس، متاح لأسماعهم ! تدركه أبصارهم ! وتتحسسه أيديهم ! فحين «تدرك شيئا بعينك فمعنى ذلك أن عينك أحاطت بالشيئ المُدْرَك وحيزته بالتفصيل... فإذا كانوا قد طلبوا أن يروا الله جهرة، فمعنى ذلك أنهم طلبوا أن تكون آلة الإدراك – وهي العين – محيطة بالله، وحين يحيط المُدْرِك بالمُدْرَك يقال: قَدَرَ عليه، وهل ينقلب القادر مقدورا عليه؟ » [1]

وقد أكدت فتنة الأصنام التي وجدوا عليها قوما يعكفون، وبعدها فتنة عجل السامري أن بني إسرائيل وبالرغم من كونهم قد أظهروا إيمانهم بنبي الله موسى – عليه السلام – إلا أن صدورهم ظلت مستمسكة بما يراودها من شكوك أدت في نهاية الأمر إلى إنكار الغيب، فكان ذلك سببا في انحراف تصوراتهم الاعتقادية إلى حد الإشراك بالله عز وجل، بعد ادعاء توحيده والإيمان به،

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 5/ 2777.

وقد توارث اليهود على مر العصور هذه التصورات المنحرفة، وأظهروا سلوك أسلافهم مع خاتم الأنبياء – عليه الصلاة والسلام- قال عز وجل:

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ **[سورة النساء: 153]**

جاء في سبب نزولها أن اليهود «سألوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم- كتابا من السماء، كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان، بتصديقه فيما جاءهم به»[1] فقد ورث اليهود في زمن رسول الله تعنت أجدادهم، فوقفوا منه الموقف العدائي الذي وقفه أسلافهم ضد الأنبياء من قبل، فطلبوا منه –عليه الصلاة والسلام- أن يأتيهم بكتاب من السماء، أي كتاب مخطوط يُنْزِله عليهم من السماء، مجسَّما، يلمسونه بأيديهم؛ أي لا يختلف عن الألواح التي جاء بها نبي الله موسى –عليه السلام- إلى أسلافهم بعد لقاء ربه عز وجل. قال سبحانه وتعالى في ذلك:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ **[سورة الأعراف: 154]**

فالكتب التي سأل اليهود رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أن يأتيهم بها، أرادوها مادية محسوسة، لا تختلف عن ألواح موسى –عليه السلام- وهذا إصرار مرتبط بموروثهم التاريخي القائم على العناد، وطلب المعجزات التي تدركها حواسهم، وتستجيب لفضولٍ يراودهم، ولِهَوًى تسلط على نفوسهم؛ فأسلافهم لما سألوا موسى أن يريهم الله جهرة، ما أرادوا التيمن بالله، ولا التنعم بالمشاهدة، ولكنهم أرادوا عجبا ينظرونه، فلذلك قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ ولم يقولوا ليتنا نرى ربنا، فكذلك أراد أن يفعل خلفهم من بعدهم مع رسول الله، حين سألوه أن يُنَزِّل عليهم

---

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/ 646.

كتابا من السماء، وكأن وظيفة أنبياء الله أن يستجيبوا لما يطلبه الناس من الخوارق والمعجزات، مسايرة لفضولهم، ولا شك أنه لو كان الحال كما أرادوا، لكان ذلك مما يحط في مقدار الرسالة، ومقام النبوة.[1]

فقد اقترن إنكار اليهود لمسألة الغيب، بالإصرار والعناد المقيت على أن يكون طريق المعرفة بالمدارك الحسية فقط، مما أدى إلى الانحراف في تصوراتهم الاعتقادية، وإنكار ما جاء به الأنبياء الذين كانوا قد ادعوا الإيمان بهم، ومن أهم الأمور التي أنكروها هي نبوة من يأتي بعد النبي الذي أظهروا إيمانهم به، وهذا هو الانحراف الأكبر، لأنه يصور الدين الحق وكأنه مجموعة أديان مختلفة، بل يصور الأنبياء وكأن لكل منهم مصدره الذي أخذ منه الدين الذي جاء به، ففرقوا بذلك بين الله ورسله، وفرقوا وحدة الرسالة التي جاء بها أنبياء الله –عليهم الصلاة والسلام- قال عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢ ﴾ **[سورة النساء: 150 – 152]**

فقد أنكر اليهود «رسالة عيسى ورسالة محمد، كما كان النصارى يقفون بإيمانهم عند عيسى... وينكرون رسالة محمد كذلك، وكان القرآن الكريم ينكر على هؤلاء وهؤلاء؛ ويقرر التصور الإسلامي الشامل الكامل عن الإيمان بالله ورسوله، بدون تفريق بين الله ورسله، وبدون تفريق كذلك بين رسله جميعا... وكل كفر بوحدة الرسل أو وحدة الرسالة هو كفر بوحدانية الله في الحقيقة، وسوء تصور لمقتضيات هذه الوحدانية، فدين الله للبشر ومنهجه للناس هو هو، لا يتغير في أساسه، كما أنه لا يتغير في مصدره... إن الإيمان وحدة لا تتجزأ؛ الإيمان بالله إيمان بوحدانيته

1 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 6/ 14، 15.

-سبحانه- ووحدانيته تقتضي وحدة الدين الذي ارتضاه للناس لتقوم حياتهم كلها -كوحدة- على أساسه، ويقتضي وحدة الرسل الذين جاءوا بهذا الدين من عنده » [1]

يقول عز وجل:

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٨٤ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥ ﴾ **[سورة آل عمران: 83 – 85]**

فدين الله دين واحد، هو الدين الحق الذي دعا إليه أنبياؤه ورسله، لذلك وجب على أهل الكتاب الذين كانت لهم مقدمات الإيمان أن يؤمنوا بجميع أنبياء الله ورسله. قال تعالى:

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ **[سورة آل عمران: 110]**

« فهناك فرق بين أن تكفر وليس عندك مقدمات الإيمان وأدلته، وأن تكفر وأنت تعرف مقدمات الإيمان؛ كقراءة التوراة والإنجيل؛ لقد قرأ أهل الكتاب التوراة والإنجيل، ورأوا الآيات البينات وعرفوا البشارات، لذلك فهم عندما كفروا برسول الله فسقوا أيضا مع الكفر ... لأن مقتضى معرفتهم للبشارات والآيات أن يعلنوا الإيمان برسالة رسول الله، فالواحد منهم عرف الحق، ثم خرج وفسق عنه ».[2]

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 3/ 797، 798.

2 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 3/ 1678.

فمقتضى هذا الإيمان عدم إنكار الغيب؛ لأن من ينكر الغيب يعني أنه قد أنكر أمرا جوهريا في الدين؛ ومن ثم لن يكون مؤهلا لأنْ يكون مؤمنا بالله حق إيمانه؛ توحيدا وتنزيها، ومن ينكر الغيب سيجهل حتما مقام النبوة، ومنزلة الأنبياء، ويعيش دوما حالة التردد والاضطراب بين تصديقهم تارة، والتشكيك في رسالتهم تارة أخرى؛ فتراه يؤمن ببعض الأنبياء إيمانا مشروطا غيرَ مستقر على وتيرة ثابتة، ويقف من بعضهم الآخر موقف استخفاف وجحود وإنكار، ومن كان هذا هو موقفه من الله وأنبيائه، لا ننتظر منه أن يبدي إيمانا خالصا بكل ما له صلة بعوالم الغيب التي ليست متاحة أمام مدراكه الحسية المحدودة، مثل الإيمان بالبعث والملائكة، ولا ننتظر منه أيضا أن ينشئ تصورا اعتقاديا خلاصته أن الإيمان وحدة لا تتجزأ؛ فيؤمن بالله وجميع أنبيائه ورسله إيمانا يقينيا ثابتا؛ باعتبارهم حملة رسالة واحدة، وهي تبليغ الدين الحق الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده .

المبحث الثاني: الأسباب الاجتماعية والسياسية لانحراف التدين ونماذجه.

ويتضمن

المطلب الأول: الأسباب الاجتماعية لانحراف التدين ونماذجه.

المطلب الثاني: الأسباب السياسية لانحراف التدين ونماذجه.

المبحث الثاني: الأسباب الاجتماعية والسياسية لانحراف التدين ونماذجه.

تم تخصيص هذا المبحث لإبراز أهم الأسباب الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى انحراف التدين، اعتمادا على ما جاء في القرآن الكريم، وهو يتكون من مطلبين؛ **المطلب الأول** كان مخصصا لتناول الأسباب الاجتماعية لانحراف التدين ونماذجه، أما **المطلب الثاني** فقد كان مخصصا لتناول الأسباب السياسية لانحراف التدين ونماذجه، مع تعضيد ذلك بشواهد قرآنية، تعرض نماذج عن هذا الانحراف المرتبط بالأسباب الاجتماعية والسياسية.

المطلب الأول: الأسباب الاجتماعية لانحراف التدين ونماذجه

يتكون هذا المطلب من ثلاثة فروع؛ في الفرع الأول تم بيان بعض ما جاء به القرآن الكريم من تعاليم وأحكام عامة لضمان حياة اجتماعية مثالية، أما الفرع الثاني فقد كان لبيان سببية الموروث الاجتماعي في الصد عن دين الله، وقد كان الفرع الثالث لبيان كيف يكون الخروج عن نمط الحياة الاجتماعية التي رسمها الوحي سببا في انحراف التدين.

الفرع الأول . القرآن والحياة الاجتماعية المثالية

خلق الله الإنسان وجعل حقيقته الإنسانية مرتبطة بوجوده الاجتماعي، لأن الإنسان بطبعه وبذاته اجتماعي، من حيث ما في الإنسان من الاستعدادات والإمكانات التي لا يمكن بلوغها إلا في ضوء الحياة الاجتماعية، فضلا عن حاجاته الحياتية التي ليست قابلة للإشباع إلا في الوسط الاجتماعي، لكن هذا لا يعني أن الحياة الاجتماعية أمر غريزي وطبيعي خارج عن دائرة الاختيار، كما هو حال بعض الحيوانات؛ كالنحل والنمل التي تستهدي بالغريزة، فتعيش في مجتمعاتها بصورة آلية حتمية؛ أي تعيش حياة مُسَخَّرَةً لها كي تؤدي وظيفتَها الخاصة بها من غير إرادة واختيار، فالإنسان لا يستطيع العيش منفردا لما يتمتع به من استعدادات كامنة لا تظهر إلا

في مجال الحياة الاجتماعية، ولا تعمل إلا في نطاقها، وهذا لا يتنافى مع استقلال العقل النسبي وإرادة الفرد واختياره، فتكون بذلك الحياة الاجتماعية عقد اختياري بحكم العقل والإرادة والرغبة[1]

لذلك كان من الطبيعي أن يعمل الإنسان على التمكين لحقيقته الإنسانية في مجتمع ينسجم مع تلك الحقيقة، وتحكمه منظومة قيم، تُسَن على أساسها قوانين صالحة وأحكام عادلة، ومن هذا المنطلق كان هم الإنسانية منذ القدم متمثلا في ضرورة العمل على تركيب أجزاء الصورة الاجتماعية التي ينبغي لها أن تؤطر هذا العالم بكل تفاصيله، وبما أن صور الحياة الاجتماعية تختلف باختلاف الأصول الاعتقادية في حقيقة العالم والإنسان الذي هو جزء من أجزائه، كان من الطبيعي أن تختلف الرؤى والتصورات بخصوص حقيقة العالم والإنسان، ومن ثم اختلاف أشكال الصور، وأنماط الحياة الاجتماعية التي حاول الكائن البشري أن يرسمها، وينسق أجزاءها المعقدة بما يساعده للوصول إلى حياة اجتماعية، تنسجم مع النظام المحكم والدقيق الذي أودعه الله في هذا الكون[2].

وقد كان رصيد التجربة الإنسانية عبر التاريخ، وإلى مبعث خاتم الأنبياء – صلى الله عليه وسلم – رصيدا فيه الكثير من الإخفاقات، لكنها لا تخلو في الآن نفسه من بعض المكاسب والإنجازات التي اهتدى إليها الإنسان بفطرته وبعقله، وبالتعاليم التي دعا إليه أنبياء الله من قبل.

لذلك قال رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم –:

«إنّمَا بُعِثْتُ لأتمِّمَ صالحَ الأخْلاقِ» [3]

---

1 ينظر: مرتضى مطهري، محاضرات في الدين والاجتماع، ترجمة جعفر صادق الخليلي، الدرر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط2، 1429هـ – 2008م، ص 416، 417.

2 ينظر: محمود نعمة الجياشي، المجتمع الديني في فكر العلامة الطبأطبائي رحلة في تفسير الميزان، دار الفقاهة للنشر والتوزيع العراق، ط1، 1426هـ، ص 6، 7.

3 أخرجه أحمد في مسنده (مسند أحمد)، مسند أبي هريرة، رقم الحديث:9187، 454/4، وأخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد، باب حسن الخلق، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث:273، المطبعة السلفية القاهرة، دط،1375هـ، ص78.

فهذا الحديث الشريف بقدر ما يوضح جوهر الرسالة التي بُعِث لأجلها خاتم الأنبياء؛ وهي الأخلاق بكل ما يتكثف في هذه الكلمة من القيم الحميدة ومعاني الفضيلة، نجد فيه أيضا إشارة إلى الواقع الأخلاقي للناس قبل المبعث النبوي الشريف، فالحديث ليس فيه ما ينكر وينفي عن الناس نفيا مطلقا وجود عنصر الفضيلة، أو وجود حد أدنى من بعض الأخلاق والعادات الاجتماعية المحمودة، لذلك قال – عليه الصلاة والسلام-: "**لأتَمِّمَ صالح الأخلاق**" فهو لن يبدأ دعوته في واقع تنعدم فيه الأخلاق والقيم كلية، بل هناك رصيد سابق من الأخلاق، وهو رصيد يحتاج إلى تثمين، وإلى استكمال وإتمام.

فالعمل والانشغال ببناء مجتمع ينسجم مع إنسانية الإنسان، كان ولا يزال من أكبر المشكلات التي شغلت الإنسان عبر تاريخ البشرية، وقد واجه الإنسان هذه المشكلة منذ نشأت في واقعه الإنساني ما يسمى بالحياة الاجتماعية، وانبثقت الإنسانية الجماعية؛ متمثلة في أفراد تجمعهم روابط مشتركة، وقد تكونت هذه الروابط تحقيقا لمتطلبات الفطرة، ومتطلبات الطبيعة التي هي في حاجة إلى توجيه وتنظيم، وبقدر ما يكون هذا التنظيم منسجما مع الواقع الإنساني ومصالحه، يتحقق استقرار المجتمع وسعادته.

وقد دفعت هذه المشكلة بالإنسانية لأنْ تخوض مشقة الصراع، وعناء معركة الاجتهاد في كل ميادين الفكر والسياسية، فجاد العقل البشري بشتى المذاهب والتيارات التي كانت ترمي إلى إقامة البناء الاجتماعي، وهندسته ورسم خططه، ووضع ركائزه، وقد كانت تلك المعركة شاقة، مرهِقةً، مليئة بالمآسي والمظالم، ومليئة بالمغامرات التي خاضها العقل البشري في رحلة البحث عن الحقيقة، وهي معركة لا تخلو مما يُضْحك ويُبْكي، لذلك اقترنت السعادة مع الشقاء، بسبب ما كان يتمثل في تلك الألوان الاجتماعية من مظاهر السذاجة، والشذوذ والانحراف عن الوضع

الاجتماعي الصحيح، ولولا ومضات شعَّت في محطات لافتة من تاريخ الإنسانية في هذا الكوكب، لكان المجتمع الإنساني يعيش في معاناة ومأساة مستمرة [1] .

وبقدر ما كانت هذه التجربة الإنسانية ذات رصيد فيه ما يستحق التثمين، فإنها كانت أيضا ذات رواسب صنعت انحراف الإنسان عن تعاليم الدين الحق، لذلك نجد في القرآن الكريم الكثير من التعاليم والأحكام التي تصوِّب مسيرة الإنسان، وتضمن بناء مجتمع مثالي صالح يتناغم مع إنسانيته، متى كان هذا الإنسان متفاعلا مع تلك التعاليم والأحكام، ملتزما بها بشكل طوعي، قربة لله عز وجل، ويمكن أن نوجز الخصائص العامة لهذا المجتمع في جملة نقاط هي:

1- مجتمع التنوع للتعارف

لا يكون فيه التفاضل والتمايز إلا على أساس التقوى والعمل الصالح.

يقول المولى تبارك وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ **[سورة الحجرات: 13]**

ويقول – عليه الصلاة والسلام-:

«**أَلَا لَا فضْلَ لِعربِيّ على أعْجَميٍ، ولا لِعَجَمِيّ على عربِيٍ، ولا لأحْمَرَ على أسْوَدَ، ولا أسْوَدَ على أحْمَرَ إلا بالتَّقْوَى**» [2]

فدين الله للبشرية جمعاء؛ باختلاف أعراق الناس وأنسابهم، وألوانهم، وألسنتهم، وأوطانهم، وكل ما يتْبَع ذلك من تنوع في ثقافاتهم التي اكتسبوها من بيئاتهم المختلفة؛ فكل هذا التنوع لن

---

1 ينظر: محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات بيروت، ط3، 1430هـ – 2009م، ص50.

2 أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 24132، 9/ 550.

يؤدي إلى الفرقة والاختلاف مادام الجميعُ يتَّبع الدين الحق، الذي أكد بنص الآية أن الحكمة من التنوع هو التعارف والتعايش في ظل انتماء الجميع إلى القيم التوحيدية الكبرى المتعالية عن الانتماءات الفرعية، والجزئية الضيقة، والمحدودة، ومن ثم لا تفاضل بين مكونات المجتمع الإسلامي المتنوعة إلا بالتقوى؛ بكل ما يتكثف في كلمة التقوى من معاني الورع، والخيرية، والاستقامة والصلاح.

2 – **مجتمع التكامل** القائم على التواد والتراحم، وعلى مبدأ التعاون، والتكافل في كنف الأخوة الإيمانية.

قال عز وجل:

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ... ﴾ **[سورة الحجرات: 10]**

﴿... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ **[سورة المائدة: 2]**

وقال عليه الصلاة والسلام:

«المُؤمنُ للمُؤمِنِ كالْبُنْيانِ يشُدُّ بَعْضُه بَعْضًا» [1]

«مَثَلُ المُؤمنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى» [2]

فقد قامت العلاقات الإنسانية التي نشأت خارج منظومة الدين الحق على رابطة الدم والنسب، والتعصب للون، أو اللغة، أو الأرض، فكان ذلك مدعاةً للفتن والحروب، بدل أن يكون

---

1 أخرجه البخاري في صحيحه (صحيح البخاري)، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، رقم الحديث: 6026، ص1511، وأخرجه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم)، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: 6585، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، ط2، 1421هـ – 2000م، ص 1131.

2 أخرجه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم)، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: 6586، ص 1131.

هذا الاختلاف سببا للتعارف وإثراء الحياة الإنسانية بما أبدعته الثقافات المختلفة في شتى الأقطار وفق خصوصية كلٍّ منها، لذلك دعا القرآن الكريم إلى تأطير المجتمعات الإنسانية وفق تعاليم السماء وأحكامها، لتحرير «الإنسان من كل هذه العصبيات، وتلك التفاهات، وأبى عليه أنْ يُسْتَعْبَدَ لأرض أو للون أو لجنس؛ لأن الإنسان صاحب عقل وإدراك يسمو بهما على سائر المخلوقات، وما يربطه بغيره يجب أن يقوم على الفكر الواحد والشعور الواحد[1] » وتقوم وحدة الفكر ووحدة الشعور على مرجعيتين رئيستين هما:

«"فكرة الإنسانية"... تربط الإنسان بأخيه الإنسان مهما تباعدت الديار واختلفت الآراء، وعلى هذه الفكرة تقوم دعائم السلام العالمي، والصلات الإنسانية الرحيمة.

"وأخوة الإيمان" هي الفكرة التي يحضنها مجتمع الإسلام، فتعطيه مقومات الشخصية الاجتماعية المستقلة التي تجعله رائد البشر إلى طريق الله بعيدا عن أمراض النفوس وأهوائه »[2]والمجتمع القائم على الأخوة الإيمانية شبهه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالجسم البشري؛ فكما أن الجسم يتألف من مجموعة من الأعضاء والجوارح، وأن لكل عضو وظيفته المحددة والدقيقة، كذلك يكون حال المجتمع، حيث يتألف من أفراد، يقوم كلٌّ منهم بوظيفته التي يستطيع القيام بها، ويحتاجها المجتمع، ولا شك أن أعضاء الجسم تختلف في مقامها وقيمتها ودرجة أهميتها بحسب طبيعة وظيفتها؛ فبعضُها يُصْدر أمرا، وبعضُها ينفذ الأمر، وهكذا هو حال المجتمع؛ فمهما كان نوع نظامه لا بد أن يخضع لقانون تقسيم الأعمال والوظائف؛ كلٌّ بحسب قدرته ومهارته، وموقعه ومقامه وكفاءته؛ فبعضهم يأمر و يُنَظِّر ويُخَطِّط، وبعضهم الآخر يعمل وينفذ[3].

وعليه فإنه إذا ما حدث أيُّ مرض أو اختلال في أية وظيفة من وظائف الجسم الاجتماعي، سينعكس ذلك على صحة المجتمع وسلامته، بل إن ذلك سيعيق نموَّه وتطورَه، مثلما

---

1 عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن في بناء المجتمع، مكتبة الخانجي (مصر)، ط1، 1399هـ – 1979م، ص 353.

2 نفسه، ص 353.

3 ينظر: مرتضى مطهري، محاضرات في الدين والاجتماع، ص 414.

يحدث لجسم الإنسان إذا ما أصابه المرض، لكن الأهم من ذلك كلِّه، هي تلك الروح التي أودعها الله في الجسد وجعل حياته مقرونة بها، وروح المجتمع التوحيدي هي الأخوة الإيمانية التي تسمو بالعلاقات الإنسانية، وتمنحها معاني راقية فيحيا المجتمع الحياة الحقة التي بقدر ما تُشْعره بإنسانيته التي تميزه عن غيره من المخلوقات، فإنها تُشْعِره – من جهة ثانية - بنعمة الإيمان والتدين التي تميزه عن غيره من المجتمعات اللامتدينة، وتميزه أيضا عن غيره من المجتمعات المنحرفة في تدينها.

3- مجتمع الخيرية والصلاح

القائم على قاعدة الوسطية، ومبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. قال عز وجل:
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ...﴾ [سورة آل عمران: **110**]

وقال – عليه الصلاة والسلام- في حث أمته على فعل الخير والقيام بالمعروف:

«عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. قالوا: فإنْ لَمْ يَجِدْ؟ قالَ: فَيَعْمَلُ بيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ ويَتَصَدَّقُ. قالوا: فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ: فيُعِينُ ذا الحاجَةِ المَلْهُوفَ. قالوا: فإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ: فَيَأْمُرُ بالخَيْرِ – أوْ قالَ: بالمَعروفِ– قالَ: فإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ: فيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فإنَّه له صَدَقَةٌ.» [1]

وقال –صلى الله عليه وسلم- في حث أمته على النهي عن المنكر:

1 أخرجه البخاري في صحيحه (صحيح البخاري)، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، رقم الحديث: 6022، ص1510.

«مَنْ رَأَى منكمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمان» [1]

فالمجتمع المؤمن الذي يلتزم وينضبط بالأحكام والضوابط الشرعية والأخلاقية التي نص عليها الوحي، هو الذي يرقى إلى مقام الأمة الناصحة لغيرها من الأمم؛ الأمة التي تكون قدوة للأمم الأخرى، أو حجة وشاهدة عليها، هذا –طبعا- إذا ما عَمَّ الخيرُ والصلاح في هذه الأمة، وامتثلت لأمر الله عز وجل، ولِمَا جاء به نبيُّها الكريم – صلى الله عليه وسلم- الذي هو حجة على أمته وشاهد عليها. يقول عز وجل:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ...﴾ **[سورة البقرة: 143]**

فقد قضت مشيئة الله سبحانه وتعالى لعباده «أن يعيشوا مادية الحياة بقيم السماء، وهذه وسطية الإسلام؛ لم يأخذ الروح وحدها، ولم يأخذ المادة وحدها، وإنما أوجد مادية الحياة محروسة بقيم السماء، فحين يخبرنا الله سبحانه أنه سيجعلنا أمة وسطا تجمع خير الطرفين، نعرف أن الدين جاء ليعصم البشر من أهواء البشر» [2] .

ومن ثم جاء لِيُمَكِّنَ المؤمنين الذين أخلصوا إيمانهم لله منْ أنْ يَبْلُغوا مقام الحُجَّيةِ والشهادة على الناس؛ أي أن الحجة في المستقبل ستكون لكم أيها المؤمنون، «وسيضطر العالم إلى الرجوع إلى ما يقننه دينُكم... فكأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه ستحدث معركة في الكون، لن يفصل فيها إلا شهادة هذه الأمة... ثم يخبرنا الحقُّ تبارك وتعالى أن الرسول –صلى الله عليه وسلم-

1 أخرجه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم)، كتاب الإيمان، باب بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم الحديث: 177، ص 42.

2 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 1/ 627.

سيكون شهيدا علينا. هل كان عملُنا وتحركُنا مطابقا لما أنزله على الرسول –صلى الله عليه وسلم– وبلَّغَه الرسولُ –عليه الصلاة والسلام– لنا؟ أم أننا اتبعنا أهواءنا وانحرفنا عن المنهج؟» [1].

لذلك لكي يكونَ المجتمع المؤمن مصداقا عمليا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ يجب أن يدرك أن أساس ذلك كلِّه هو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وفق مقتضيات الإيمان بالله سبحانه وتعالى ﴿...تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾.

والمعروف «يراد به ما عَرِفتْه العقولُ والطباع السليمة، والمنكر ضدَّه، وهو ما أنكرته العقول والطباع السليمة» [2] ويرى الطاهر بن عاشور أن معنى تفضيل الأمة «بالأمر بالمعروف مع كونه من فروض الكفايات... أنه لا يخلو مسلم من القيام بما يستطيع القيام به من هذا الأمر، بحسب العلم ومنتهى القدرة؛ فمن التغيير على الأهل والولد، إلى التغيير على جميع أهل البلد، أو لأن وجود طوائف القائمين بهذا الأمر في مجموع الأمة أوجب فضيلة لجميع الأمة... وفي هذا ضمان من الله تعالى بأن ذلك لا ينقطع من المسلمين إن شاء الله تعالى» [3]

فالمجتمع المؤمن لا بد أن يمتثل لتعاليم الإسلام وشريعته وما تضمنته من أحكام شرعية لها علاقة بتقوية الروابط الاجتماعية، وتآلف أفراد المجتمع، وإشاعة الفضيلة والأخلاق الحميدة بين أبنائه، ونذكر من ذلك: بر الوالدين، الإحسان إلى الجار، صلة الرحم، توقير الكبير، العطف على الصغير، إفشاء السلام، إماطة الأذى عن الطريق، مساعدة المحتاج، عيادة المريض، كفالة اليتيم، الصدق في التعامل، الإخلاص في العمل، حفظ الأمانة... وغيرها من الفضائل والأخلاق الحميدة التي دعانا الإسلام إليها.

---

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 1/ 627، 628.

2 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 4/ 27.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 4/ 49.

فكما يحرص المجتمع المؤمن على إشاعة الخير والصلاح في كل تفاصيل حياته الفردية والعامة، من الطبيعي أن يعمل على منع إشاعة الفاحشة والمنكرات بين أفراده، ويمنعها أن تشيع في كل مناحي حياته أيضا، وهو بقدر ما يندفع إلى ذلك بسلامة الفطرة الإنسانية التي أودعها الله فيه، يفعل ذلك أيضا طاعة لله عز وجل، وقربة إليه؛ لأن الحق سبحانه وتعالى هو مَن أمر عبادَه بذلك، بعد أنْ أمَدَّهم بتعاليم السماء، وأنعم عليهم بتشريع، يحكمهم ويوجههم، ويؤطر حياتهم تأطيرا كاملا وشاملا، يوازن بين متطلبات حياتهم الفردية وخصوصياتها، ومتطلبات حياتهم العامة والتزاماتها، كما يوازن أيضا بين متطلبات واقعهم المادي، ومتطلبات حياتهم الروحية التي فطرهم الله عليها.

4- مجتمع الحوار والتواصل الاجتماعي

قد يضم المجتمع المتدين بدين الحق أقليات من فئات أو أفراد من مذاهب، وطوائف، وديانات مختلفة، كما قد يضم أفرادا غير متدينين؛ أي غير ملتزمين بتعاليم الدين الذي ينتسبون إليه، وقد يضم من لا يؤمن بأي دين ... فهؤلاء جميعهم يمثل كلٌّ منهم مكونا من مكونات النسيج الاجتماعي، مما يستدعي اعتماد الحوار لتحقيق التواصل، ولا بد أن يقوم هذا الحوار على تفعيل قيم الدين الأصيلة، والمعارف الدينية الحقيقية، وتحريرها من التباسات التدين المنغلق على الرصيد السابق، المرتبط بذاكرة الأنا القومية والطائفية والمذهبية، من غير انتباه إلى خطورة التعصب وتأثيره السلبي على جوهر المبادئ الاجتماعية للدين.

ولعل الأمر المهم في فتح العلاقات التي تربط المتدين بغيره من المتدينين أو غير المتدينين؛ هو أن يتزود «بالقدرة المعرفية على فهم (الآخر) فهمًا يُنَمِّي في نفسه روح اكتشاف المشتركات العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية للانتقال بموروثات العقل الديني من مرحلة التصورات الجامدة، إلى مستوى من التصورات النافعة التي تخدم الأغراض الاجتماعية للتواصل الاجتماعي» [1] الذي

1 حسين أحمد شحادة، اجتماعيات الدين والتدين – دراسات في النظرية الاجتماعية الإسلامية – ص 89.

يقوم على بناء اجتماعي موحد، يتمتع بقدرة الاستيعاب لمكوناته المختلفة، بالشكل الذي يوفر الشروط الأساسية والموضوعية للحوار البناء، والجدال بالتي هي أحسن، فالحضارة الإسلامية ما كانت لتستطيع «في ماضي عهدها أن تقدم لنا هذا التراث الضخم في مختلف ضروب المعرفة بالدين؛ إلا لأنها فتحت صدرها للجدال العلمي دون حجر على حرية التعبير وحرية التفكير» [1].

يقول عز وجل:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت: 46]

وعليه وانطلاقا مما سبق، فإن خيرية الأمة الإسلامية التي خصَّها الله بها ليست هبة من الله تجعل المسلمين أفضل من غيرهم لمجرد كونهم مسلمين، بل إن خاصية الخيرية والتفضيل لا تتحقق إلا إذا التزمت الأمة تكليفَها وواجباتها الإيمانية والأخلاقية والعملية التي كلفها الله بها؛ فالتمييز هنا تمييز عمل، لا يتحقق إلا إذا أمر المسلمون بالمعروف ونهوا عن المنكر وآمنوا بالله، فهم خير أمة أخرجت للناس بما حققوه في أنفسهم من خير وصلاح، ثم بما يقدمون لهداية الناس، وبما يقدمون لقيادة الناس نحو المعروف وعمل الخير، وصرفهم عن المنكرات، بروح إيمانية تُخْلص النية لله سبحانه وتعالى، وتجعل هذه الأعمال خالصة لوجهه الكريم، وامتثالا لتشريعه الحكيم، كل ذلك من أجل عمارة الأرض وإقامة العدل، وتعميم الخير.

الفرع الثاني ـ دور الموروث الاجتماعي السيئ في الصَّد عن دين الله.

لعل من أبرز التحديات التي واجهت الأنبياء في دعوتهم إلى دين الله، تلك التحديات التي يعود سببها إلى تمسك الكثير من المجتمعات واستئناسها بعاداتها، وببعض الجوانب السيئة من موروثها الاجتماعي المتجذر في تاريخها القديم، مما منح هذا الموروث صبغة القداسة، ومنحه أيضا

1 حسين أحمد شحادة، اجتماعيات الدين والتدين – دراسات في النظرية الاجتماعية الإسلامية، ص 90.

قدرة التأثير في صناعة التصورات، ومن ثم كانت تلك التصورات ذات تأثير لافت في صياغة الموقف الرافض، والمعارض، والمعادي لِمَا كان يدعو إليه أنبياء الله –عليهم الصلاة والسلام– وقد نختزل منشأ تلك التصورات في أمرين اثنين هما:

أولا: نزعة التقليد

فنزوع الإنسان إلى التقليد بقدر ما هو تعبير عن التمسك بما أَلِفَه واعتاد عليه، فإنه أيضا يعبر عن التوجس والخوف من كل ما هو جديد، وبخاصة إذا ارتبط هذا الجديد بالمجهول، أو كان مخلخلا لبعض القناعات الجاهزة والموروثة التي كثير ما تتبناها فئات عريضة من المجتمع دون أن تمتلك قدرة الاستدلال على صحتها، ودون أن تمتلك حالة الوعي بها، فكل جديد هو في حقيقته تنبيه للعقل الكسول كي يبحث ويتقصى ويستيقظ من وهم امتلاك الحقيقة، ومن ثم غلق المجال أمام إمكانية المراجعة لاحتمال وجود حقيقة بديلة، وعليه كانت أهم عقبة واجهت الأنبياء في تبليغهم دين الله هي نزوع الناس نحو التقليد، والتمسك بما كان عليه آباؤهم وأجدادهم . قال تعالى:

﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ **[سورة الزخرف: 22، 24]**

لقد تكررت مفردة "**ءَاثَٰرِهِم**" مرتين في سياق يؤكد إصرار القوم على أن اهتداءهم لا يكون إلا بأثر آبائهم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾، وأن اقتداءهم لن يكون أيضا إلا بأثر آبائهم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾، فمشروعية الولاء والإيمان بالنسبة إليهم يصنعها النسب ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا﴾ ويصنعها إرث الآباء المعنوي في بُعْدِه الاجتماعي والأخلاقي، وعليه جاءت

هذه الآيات الكريمة لتؤكد قوة تأثير الموروث الاجتماعي على الموقف من رسالة الأنبياء، حيث بلغ هذا التأثير درجة فقدان القابلية أو الاستعداد للتفكير، والتدبر فيما جاء به أنبياء الله، ومن ثم استسلموا لنزعة التقليد والتمسك بما هو سائد في مجتمعهم وإنْ كان باطلا؛ فهم لا حجة لهم في رفض الدين الحق و «في عبادتهم الأصنامَ إلا تقليد آبائهم... وجعلوا اتباعهم إياهم اهتداءً لشدة غرورهم بأحوال آبائهم؛ بحيث لا يتأملون في مصادفة أحوالهم للحق» [1]

ويرى الرازي أن هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في إثبات ما ذهبوا إليه بطريق عقلي، ولا بدليل نقلي، بل اعتمدوا تقليد الآباء والأسلاف، والقول بالتقليد في أمور الاعتقاد هو أمر باطل من حيث العقل؛ لأن التقليد أمر مشترك بين أهل الباطل وبين أهل الحق، فكما هو قبيح عقلا أن يتمسك أهل الباطل بباطلهم بحجة التقليد، فقبيح عقلا أيضا أن يعتمد أهل الحق التقليدَ للوصول إلى الحق، فلو كان التقليدُ في الاعتقاد طريقا إلى الحق لوجب أن تكون الأضدادُ والمتناقضاتُ كلُّها حقا معلوما[2]، ولا شك أن هذا مما لا يقبله العقل؛ لأن التقليد وما يترتب عنه من تَبَنٍّ للمعتقدات والأفكار الجاهزة، والقناعات الموروثة، فيه تعطيل لنعمة العقل ووظيفته في البحث والتمحيص، بتدبر، وتمعن، وتفكر يفضي إلى صناعة الوعي بالمعتقد.

ويرى الرازي أن ما يحمل القوم على التمسك بالتقليد هو حب التنعم في طيبات الدنيا، وحب الكسل، وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال، لذلك وصف القرآن الكريم هذه الطائفة من الناس بالمترفين ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[3] والمترفون هم الذين أترفتهم النعمة، وصار كلُّ ميلهم إلى الشهوات، لذلك يبغضون تحمل المشاق في طلب الحق[4] ، بل إن هؤلاء في واقع الحال يخشون الدين الحق؛ لأنه يحمل إليهم قيما مضادة، تخالف موروثهم الذي

---

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/ 187.

2 ينظر: الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 27/ 207

3 الأمة هنا بمعنى الملة أو الدين (ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/ 187.

4 ينظر: الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 27/ 207

رسموا بمقتضاه نمطا محددا لحياة اجتماعية، غير متوازنة، من حيث العدالة بين فئات المجتمع، وغير متوازنة أيضا من حيث متطلبات الإنسان باعتباره جسدا، وباعتباره عقلا ووجدانا وروحا، لذلك تحرص فئة المترفين على أن يبقى نمط الحياة الذي يوفر لهم ظروف الترف والانغماس في الشهوات، هو النمط السائد الذي لا يقبلون أن يكون مستهدفا بقيم جديدة، تُحْدِث فيه تغييرا جذريا، يقدم مفهوما جديدا للحياة الحقة التي تحرر الإنسان من جور الإنسان، ومن سلطان الجسد.

ومن دون شك أن هذا النمط من الحياة الاجتماعية هو نمط منبثق عن الدين الباطل الذي هو في الأصل من صنع البشر، ومن ثم يندرج ضمن موروثهم الاجتماعي الأكثر فاعلية وتأثيرا في تشكيل حاجز الصد عن الحق، والإعراض عن دين الله.

يقول الحق سبحانه وتعالى مصورا عناد قوم هود وإصرارهم على التمسك بعبادة آلهتهم:

﴿ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾ **[سورة هود: 53-55]**

إن الخطاب الذي وجهه قوم هود لنبيهم يؤكد درجة تجذر الموروث الاجتماعي، وقوة تأثيره في التمكين للدين البشري، ومن ثم رسوخ الاعتقاد بالآلهة التي هي في مخيالهم الاعتقادي مجرد صورة مكبرة عن البشر، ومن ثم فهم بحكم ماهم عليهم من عادة الاستئناس والاستسلام والتبني لموروثهم ذاك، أعلنوا إصرارهم في التمسك بآلهتهم، رافضين تصديق نبي الله هود، والإيمان بنبوته -عليه السلام- وحجتهم في كل ذلك هو عدم تقديمه البينة لهم.

والمعلوم أن البينة التي تطلبها أمثال هذه المجتمعات الوثنية للتصديق بالأنبياء لا تخرج عن الفضول المرتبط بمداركهم الحسية، وما تتطلع إليه من خوارق الأمور، ولم يكتف القوم بذلك، بل انتقلوا إلى مستوى آخر من مستويات صناعة الجدل عن طريق المغالطة التي رسموا بها لأنفسهم صورة أتباع الدين الحق الذين رضيت عنهم الآلهة، ومقابل ذلك رسموا لنبي الله هود – عليه السلام

- صورة من حل به غضب الآلهة ولعنتها بسبب كفره بها، ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ فهم خاطبوا هودا - عليه السلام - بقولهم «ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبَل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها» [1] .

ولا شك أن كل ذلك كان من أجل الاستخفاف بدعوته -عليه السلام- والاستهزاء به، والتقليل من شأنه، وشأن رسالته بما ينفر الناس عنه، ويُبَغِّضُهم فيه، ويمنعهم من التأثر به، ومن الإيمان برسالته، وأمام هذه الحرب النفسية القائمة -غالبا- على أساليب الدهاء والمكر والمخادعة والمغالطة، كان رده - عليه السلام -كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾

فمضمون رده أنه قد أدى تكليف الله، وبلَّغ قومه برسالة الحق، مقيما عليهم الحجة، مُشْهِدًا الله على تبليغه، ومشهدا إياه سبحانه وتعالى على عنادهم وإصرارهم في تمسكهم بشركهم، وكما هو شأن الأنبياء دوما، أبدى سيدنا هود مطلق إيمانه برسالته، وكله يقين أن آلهة الضلال لا تنفع ولا تضر، وليس بمقدورها ان تنال منه، أو تصيبه بسوء.

ثانيا: مبدأ الوصاية المطلقة لكبراء القوم على أفراد المجتمع.

الحديث عن الوصاية المطلقة لكبراء القوم على أفراد المجتمع لا يخص ممارسة السلطة في حدود المتطلبات التي تفرضها الحياة الاجتماعية العادية، بل هي سلطة تتجاوز تلك الحدود العادية إلى درجة ممارسة الوصاية على العقل وعلى الوجدان البشري، بالشكل الذي يجعل الإنسان مسلوب الإرادة في اختياراته المتعلقة بحياته الشخصية، وبالأخص ما يرتبط بحياته الروحية والاعتقادية التي يرى فيها صلاح أمره واستقامة حياته.

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 329، 330.

وقد أورد القرآن الكريم نماذج من بعض المواقف المعادية لدعوة الأنبياء، وهي مواقف ناشئة عن التصورات الخاطئة التي صدَّت الناس عن دين الله، بسبب إكراهات البيئة الاجتماعية وموروثها القائم على العصبية، وتسلط زعماء القوم، فضلا عن مركزية القرار والموقف المرتبط بالزعامة والوجاهة الاجتماعية، مما يسلب الفردَ أحيانا حريته في اتخاذ الموقف والقرار؛ لأن طبيعة النظام الاجتماعي السائد نمَّطَ العقلَ وقيَّده، وأفقده متعة البحث، ونعمة التفكير.

يقول عز وجل في محكم تنزيله، مصورا موقف بعض الكبراء في قوم نوح من دعوة نبيهم الذي بعثه الله إليهم نذيرا وناصحا أمينا:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ **[سورة هود: 25، 31]**

«يخبر الله تعالى عن نوح –عليه السلام– وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام. أنه قال لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي ظاهر النذارة لكم من عذاب الله إنْ أنتم عبدتم غير الله، ولهذا قال: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾»[1] هذا هو مضمون دعوة نبي

---

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 316.

الله، فهي دعوة إلى التوحيد وترك الأصنام، وإخلاص العبادة لله عز وجل، دعوة قِوامها التبليغ والإنذار، حرصا على هداية الناس، وخوفا عليهم من عذاب يوم أليم ﴿...إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾، فما هو رد القوم على هذه الدعوة؟ وما موقفهم منها؟ وبماذا برروا موقفهم؟

هي تساؤلات نجد لها في الآيات السابقة جوابا يكشف بوضوح، كيف كان الموروث الاجتماعي حاجزا منع الناس من معرفة الحق، والاهتداء إلى دين الله، وهذا ما سأحاول بيانه في جملة نقاط هي:

1- من الذي تصدى للرد عن دعوة سيدنا نوح نيابة عن عامة القوم؟

إنهم الملأ من قومه ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ...﴾ والملأ هم «الأشراف من الناس» [1] وهم في هذه الآية «السادة والكبراء من الكافرين» [2] فمِنْ دون ريب أن تَقَدُّم هؤلاء لإبداء الموقف نيابة عن عامة القوم، يكشف درجة الوصاية التي كان يمارسها هؤلاء على عقول الناس وقلوبهم، بحجة الوجاهة الاجتماعية، ولا شك أيضا أن ما منع هؤلاء من الإيمان بدعوة سيدنا نوح –عليه السلام– هو حرصهم على وجاهتهم وامتيازاتهم الاجتماعية؛ فهم ينظرون إلى النبوة من زاوية الزعامة الاجتماعية التي قد يفقدونها إذا ما آمنوا بنبي يدعوهم إلى التوحيد، وما يرتبط به من قيم أخلاقية واجتماعية لم يألفوها؛ مثل التواضع، والعدالة الاجتماعية، وحفظ كرامات الناس... وغيرها من القيم التي لا تخدم سلطتهم الاجتماعية، ولا تكرس نفوذهم الاجتماعي، لذلك كانت محاججة القوم لنبي الله نوح –عليه السلام– قائمة على مبررات واهية تعبر عن أفقهم الضيق، وتكشف عن منطق الأنانية الذي يحكم تفكيرهم، ويوجه سلوكهم وموقفهم.

---

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (ملأ)، 5/ 346.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 316.

2- لماذا رفض القوم نبوة نوح – عليه السلام- ولم يؤمنوا بدعوته ؟

أ- لقد كان أول رد واجهوا به نوحا –عليه السلام- ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ ؛ «أي لست بِمَلَكٍ ولكنك بشرٌ، فكيف أوحي إليك من دوننا؟» [1] فهم يرون «أن الجنس البشري أصغر من حمل رسالة الله، فإنْ تكن رسالة فليحملْها مَلَكٌ أو مخلوق آخرَ، وهي شُبْهة جاهلة، مصدرها عدم الثقة بهذا المخلوق الذي استخلفه الله في أرضه، وهي وظيفة خطيرة ضخمة لا بد أن يكون الخالق قد أودع في هذا الإنسان ما يكافئها من الاستعداد والطاقة، وأودع في جنسه القدرة على أن يكون من بين أفراده مهيأون لحمل الرسالة، باختيار الله لهم» [2]

فقد كان «لكفار قوم نوح السبق في تدوين فقه النظر الأعمى "مانراك وما نرى" وهذا الفقه الذي وُضِعت بذرتُه الأولى على أرضية قوم نوح، أثمر فيما بعد، وقامت على ثماره قاعدة عريضة؛ عمودها الفقري **"لَا أُرِيكُمُ إِلَّا مَا أَرَى"** وهذه القاعدة تعهدها فرعون، وألقى بها إلى المستقبل لتأخذ الأشكال والوجوه التي تلائم كل عصر من العصور، لقد بدأ كفار قوم نوح بمصادرة النبوة في قولهم ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ وهذه المصادرة تبتغي في المقام الأول قطع شعاع الهدى عن الناس ليظلوا على شعاع الإغواء والتزيين الذي يشرف عليه الشيطان الرجيم، ورفض قوم نوح إطاعة النبي البشر هو من جنس رفض الشيطان السجود لآدم» [3]

وفي كل الأحوال يمكن القول: إن أصل المشكلة أن هؤلاء الملأ لا ينظرون إلى النبوة على أنها اصطفاء إلهي، بل ينظرون إليها على أنها امتياز اجتماعي، لذلك كان استفهامهم تعجبيا إنكاريا؛ حيث أبدوا استغرابهم وتعجبهم، كيف لا تكون النبوة فيهم وهم الكبراء والسادة في قومهم ! ؟ لذلك أنكروها حين كانت في غيرهم.

---

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 316

2 سيد قطب، في ظلال القرآن، 4/ 1871.

3 سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم، ص 36.

ب- بعد إنكارهم نبوة النبي نوح -عليه السلام- للسبب المذكور آنفا، اعترضوا أيضا على الرسالة والدعوة التي جاءهم بها، لكن لم يتجهوا إلى مضمون الدعوة لإبداء رأيهم، واعتراضهم على تعاليم الرسالة، بل كانت وجهتهم صوب أتباع الرسالة؛ أي لم يتخذوا موقفا من الدعوة ذاتها، بل كان موقفهم من الدعوة متجها أو مُنْبَنِيًا على نوعية أتباعها، ومرتبتهم الاجتماعية، فقالوا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾وكأن معيارَ الحقِ في نظرهم ليس الحقُّ ذاتُه، إنما معيارُ معرفة الحقِّ هم الأشخاص، وليس كل الأشخاص، بل يجب أن يكون هؤلاء من كبراء القوم وسادتهم ووجهائهم الذين لا يُعْرَف الحقُّ – حسب زعمهم- إلا بهم ! ومن ثم كان من الطبيعي، وبمقتضى هذا التفكير النمطي، الخاضع لطبيعة النظام الاجتماعي السائد أن يعترض القوم على دعوة النبي نوح -عليه السلام- متذرعين بحجج واهية، ليست لها أية علاقة بقواعد التفكير السليم، بقدر ما لها علاقة بالتصورات الخاطئة الناشئة عن بعض الأعراف الاجتماعية التي تحولت مع مرور الزمن إلى قوانين مقدسة تؤطر العقل، وتقيد التفكير، وتوجه الموقف، ومن ثم -وبحسب منطقهم- لا يمكن بأي حال من الأحوال مخالفتُها والخروجُ عنها.

ت- بعد إنكارهم الرسالةَ للاعتبارين المذكورين سالفا، وبالأخص الاعتبار المتعلق بالمرتبة الاجتماعية لأتباعها، لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل نلاحظ أن درجة التصعيد في الموقف، كانت بكثير من الاستعلاء الطبقي الذي لا يلتفت إلى إنسانية الإنسان، ولا إلى قدرة هذا الإنسان على التفكير السليم، واتخاذ الموقف السليم، بصرف النظر عن منزلته ومقامه في مجتمعه، لكن النظرة الطبقية الاستعلائية عند القوم ترى أن مَن لا وجاهة له ولا جاه، هو بالضرورة مسلوب العقل والحكمة والإرادة. ﴿هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ وكأن لسان حالهم في خطابهم المُوجَّه إلى نوح -عليه السلام-يقول: «ما نراك اتبعك إلا أراذلنا كالباعة والحاكة وأشباههم، ولم يتبعك

الأشراف ولا الرؤساء منا، ثم إن هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن تَرَوٍّ منهم، ولا فكرة ولا نظر، بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك ...أي في أول بادئ الرأي» [1]

ولا شك أن قولهم هذا يُنْبئ عن النظرة الاستعلائية التي هي نتيجة للنمط الاجتماعي السائد، القائم على التوجه المادي في الحياة، الذي لا يلتفت إلى إنسانية الإنسان، ولا يؤمن بقدرة الإنسان على صناعة التميز، والاستقلال بالقرار، والاهتداء إلى الرأي السليم، مهما كان مستواه المادي، ومهما كان موقعه في مجتمعه، وعليه وانطلاقا من مُسَلَّمَاتِهِم ومقدماتهم الخاطئة انتهوا إلى نتيجة مؤداها أنَّ من اتبع نوحا من أولئك البسطاء هم متسرعون، وليسوا مؤهلين لا للتفكير السليم، ولا لاتخاذ القرارا والموقف السليم، وأنَّ الدين الذي دعا إليه نوح –عليه السلام– لم يمنح أتباعَه أيَّ فضل، أو امتياز يميزهم عن غيرهم؛ فهم لا يزالون على حالهم من البساطة، يعانون البؤس والفقر، ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾.

وكأن من علامات صدق النبوءة –في نظرهم– أن يحصل أتباع النبي على مقابل دنيوي، يتمثل ربما في امتيازات اجتماعية أو مادية جزاء هذا الولاء ! فيعلو شأنُهم بها، لذلك قالوا: «ما رأينا لكم علينا فضلة في خَلْق وفي خُلُق، ولا رزق ولا حال، لمَّا دخلتم في دينكم هذا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾؛ أي فيما تدعونه لكم من البر والصلاح والعبادة والسعادة في الدار الآخرة إنْ صرتم إليها.

هذا اعتراض الكافرين على نوح –عليه السلام– وأتباعه، وذلك دليل جهلهم، وقلة علمهم وعقلهم، فإنه ليس يُعارُ على الحق رذالةُ مَن اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح، وسواء اتبعه الأشراف أو الأراذل، بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف، ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل، ولو كانوا أغنياء» [2]

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 316.

2 نفسه، 4/ 316.

ث- بعد أن تلقى نبي الله نوح -بِحِلْم وصبر وسماحة- ما كَالَهُ القومُ لَهُ ولرسالته وأتباعه من اتهامات مؤذية، سببها النظرة الاجتماعية القائمة على الاستعلاء، والتصورات الخاطئة المستوحاة من بيئتهم الاجتماعية، أظهر لهم ثقته بالله، وإيمانه برسالته، وبالحق الذي كلفه الله بتبليغه، فكان رده مَصَوِّبا ومُصَحِّحا لتلك التصورات، خال من أي ادعاء واستعلاء، وكان حريصا على التبليغ، وإقامة الحجة حين كشف للقوم أنه صاحب دعوة تحمل قيما إلهية مضادة لما هم عليه من تصورات خاطئة، لذلك جاء ردُّه مُحَمَّلا بجملة من التنبيهات التي تصحح تصورات الملأ الكافر، ومن أبرز هذه التنبيهات:

- أن النبي لا يُلزم غيرَه بأنْ يؤمنوا به ﴿...أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾؛ «لأن الإيمان يحتاج إلى قلوب لا قوالب، وإكراه القوالب لا يزرع الإيمان في القلوب، والحق سبحانه يريد من خلقه قلوبا تخشع، لا قوالب تخضع، ولو شاء سبحانه لأرغمهم وأخضعهم كما أخضع الكون كلَّه... بل شاء سبحانه أن يجعل الإنسان مختارا، ولذلك لا يُكرِه اللهُ سبحانه وتعالى أحدا على الإيمان» [1] لكن لا بد من التبليغ وإقامة الحجة على الناس، حتى يتحمل الإنسان مسؤولية اختياره أمام الله، وأن الدين ليس مطية للحصول على الامتيازات، أو لممارسة الزعامة وحراسة النوايا، والوصاية على عقول الناس، وعلى علاقة الخلق بخالقهم.
- أن الإيمان لا علاقة له بالثروة والجاه، وغاية المؤمن أن يلقى جزاء إيمانه والتزامه عند الله سبحانه وتعالى، لا عند غيره من البشر، وعليه فإن من آمن مِن الضعفاء بنوح -عليه السلام- لم يجدوا عنده مالا يغريهم، ولا جاها يستقطبهم، بل وجدوا عنده ما يُقَدّر فيهم إنسانيتهم، ويستجيب لنداء الفطرة التي فطرهم الله عليها، فآمنوا برسالته ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ...ۚ﴾ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ...﴾ فسيدنا نوح -عليه السلام- كان قد نبَّه القوم إلى مسألة مهمة؛ وهي أن الدين ليس مجالا لتحقيق مكاسب شخصية،

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 11/ 6437، 6438.

أو امتيازات مادية، بل هو خضوع وانقياد لرب الأرباب الذي جعل النَاس كلَّهم سواء؛ لا فرق بين قويِّهم وضعيفِهم، ولا غنيِّهم وفقيرِهم، ولا رئيسِهم ومرأوسهم من حيث العبودية لله عز وجل، والخضوع له سبحانه وتعالى، إنما الفرق يصنعه التقوى والعمل الصالح والخالص لوجهه الكريم عز وجل.

➢ أن النبي ليس مَلَكًا ولا مخلوقا عجيبا من غير جنس البشر، وهو لا يعلم الغيب إلا ما أذِنَ به الله، وليس رهن إشارتكم ليلبي ما يتطلع إليه فضولُكم من الخوارق والمعجزات، التي جعلتموها شرطا للإيمان والطاعة، بل هو مُبَلِّغ ومُنْذِر وَهَادٍ ﴿...وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ...﴾.

➢ أن النبي جاء ليبلغ ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، لذلك كان سيدنا نوح –عليه السلام– «يتلطف في توجيه أنظارهم، ولمس وجدانهم، وإثارة حساسيتهم لإدراك القيم الخفية عليهم، والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لها، ويبصرهم بأن الأمر ليس موكولا إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها، وفي الوقت ذاته يقرر لهم المبدأ العظيم القويم، مبدأ الاختيار في العقيدة، والاقتناع بالنظر والتدبر، لا بالقهر والسلطان» [1] .

ومن ثم التأكيد على أن الأمر لا ينحصر في ظواهر الأشياء التي يبنون عليها مواقفهم ويزنون بها أحكامهم، بل الأمر مرتبط بقاعدة أساسية وهي قاعدة الاختيار الطوعي للعقيدة بعد الاقتناع بها بكل ما يستدعيه الاقتناع من حق في التساؤل، ومن ضرورة في التفكير والتدبر بعيدا عن أية إكراهات خارجية تتسلط على الإنسان، وتسلبه الإرادة وحق الاختيار ﴿...وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فهو –سلام الله عليه– ينظر إلى الخلق بعين الله وميزانه؛ فلا يُحَقِّر الناسَ، ولا يقلل من شأنهم،

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 4/ 1873، 1874.

بسبب فقرهم وبساطة حالهم، والأكثر من ذلك أنه يحسن الظن بأتباعه الذين أظهروا الإيمان بدعوته؛ لأنه ليس مُطَّلِعا على نواياهم التي لا يعلمها إلا الله عز وجل.

ويورد القرآن الكريم نموذجا آخر من المواقف المعادية لدعوة الأنبياء، وهو موقف -كما سبق الذكر- ناشئ عن مركزية القرار والموقف المرتبط بالزعامة والوجاهة الاجتماعية، مما يسلب الفردَ حريته في اتخاذ الموقف والقرار. قال تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٠ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١ ﴾ [سورة الزخرف: 30، 31]

جاء في تفسير ابن كثير أن القريتين المقصودتين هما: مكة والطائف، أما الرجلان فقد تعددت فيهما الروايات؛ فقيل: هما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي، وقيل: الوليد بن المغيرة ومسعود بن عمرو الثقفي، وقيل أيضا أنهم يعنون عُتْبة بن ربيعة بمكة وابن عبد ياليل بالطائف، وقيل: الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفي، وبصرف النظر عن تعدد الروايات بخصوص الرجلين المقصودين فإن مراد القوم رجل كبير[1]؛ أي صاحب جاه ووجاهة في القريتين، واللافت في الأمر أن المنطق الذي اعتمده المشركون في الاعتراض على نبوة النبي الخاتم -صلى الله عليه وسلم- هو ذاته المنطق الذي كان قد اعتمده المشركون من قبل في الاعتراض على نبوة نبي الله نوح -عليه السلام- فهم ينكرون تماما فكرة الاصطفاء الإلهي للأنبياء من خاصة عباده، بل يصرون على استصحاب مرجعيتهم الاجتماعية في تعيين مفهوم النبوة، ومن ثم في تحديد موقفهم من الأنبياء.

فالنبوة -على افتراض تسليمهم بها- هي في نظرهم لا يمكن أن تكون إلا زعامة وامتيازا، ومن ثم فالعرف الاجتماعي يقتضي أن تكون هذه الزعامة لكبراء القوم وسادتهم، لذلك هم لا يمتلكون أي استعداد لأنْ يؤمنوا بنبي من غير زعمائهم، ولا أن يؤمنوا بقيم تخالف الأعراف التي

1 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/ 225، 226.

تحكمهم وتوجههم، وهذا «لجهلهم أن رتبة الرسالة إنما تستدعي عظيم النفس بالتخلي عن الرذائل الدنية، والتحلي بالكمالات والفضائل القدسية، دون التزخرف بالزخارف الدنيوية» [1].

لذلك﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ... ﴾لينبههم عما هم فيه من الغفلة والضلال، ويرشدهم إلى الهداية والتوحيد ﴿...قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ فهؤلاء بالإضافة إلى ما هم عليه من جهل وكفر وضلال، أظهروا عنادا للحق واستخفافا به فسموا القرآن سحرا، ولا شك أن ادعاءهم هذا يضمر اعترافا ضمنيا أن القرآن يتعالى عن كلام البشر ومن ثم هو كلام الله المعجز الذي لا عهد للعرب بمثله، لذلك وبدل الإقرار بهذه الحقيقة التي أعجزتهم لكونها متعالية عن نَظْم البشر، تمادوا في كِبْرهم وعنادهم فوصفوا القرآن بوصفهم ذاك، وهم بهذا الوصف والتجني أرادوا مصادرة الحقيقة، ومَنْع الناس من الاهتداء إليها، ومقابل ذلك توجيههم إلى تبني هذا الحكم النمطي الجاهز الذي لا يتيح للناس فرصة التفكر والتدبر؛ لأن هناك من فكر وقرر نيابة عنهم، وبصورة فيها من التعسف ومن المصادرة ما يحول بينهم وبين معرفة الحق والاهتداء إليه.

الفرع الثالث . دور الموروث الاجتماعي السيئ في الانحراف عن دين الله.

قد ينتسب المجتمع إلى الدين الحق، ومع ذلك يبدي بعض أفراده، وربما بعض فئاته تجاهلا صريحا لتعاليم الوحي؛ حرصا على التمسك بالنمط الاجتماعي السائد، والاستسلام لبعض العادات المخالفة لتعاليم الدين الحق، والخضوع لبعض الإكراهات والرواسب المترتبة عن حضور الموروث الاجتماعي وبعض الأعراف والعادات السلوكية السيئة التي قد تتجاوز نطاق الفرد، وتتحول إلى سلوك اجتماعي عام.

وعليه فإن المتفحص لتاريخ المجتمعات البشرية سيجده من دون شك حافلا بالعديد من التجارب والشواهد التي تبين كيف أن أفرادا أو جماعاتٍ في هذا المجتمع أو ذاك يعملون بكل ما

1 الألوسي، روح المعاني، 25/ 78.

لديهم من قوة، ونفوذ، ومكر، ودهاء، للتأثير على نظام الحياة الاجتماعية، ومن ثم خلق نمط اجتماعي مضطرب، تؤطره النعرات وبعض العادات السيئة المرتبطة بالموروث السيئ، ولم يكن أتباع الديانات السماوية عبر كل العصور بمنأى عن هذه الظاهرة، مما أدى إلى انحراف أفرادها أو فئات عريضة منها عن الدين الحق، بسبب التمسك بالحياة الاجتماعية المنحرفة، أو الوقوع في الغفلة التي تجعلهم منخرطين في تلك الحياة بكل تداعياتها السيئة.

وقد أورد القرآن الكريم صورا معبرة عن ذلك في العديد من المواضع، نذكر منها ما جاء في سورة البقرة، عن ظاهرة التعصب في المجتمعين؛ اليهودي والنصراني، التي نشأ عنها عقل إلغائي، يرفض الإيمان بسائر الأنبياء، بدعوى احتكار معرفة الحق والهداية، وهم بذلك يكونون قد انحرفوا عن الدين الحق الذي يدعون انتسابهم إليه، وخالف كل منهم دعوة نبيه إلى الإيمان والتصديق بجميع أنبياء الله، الذين أرسلهم الله مبشرين ومنذرين، ودعاة حق وهداية.

قال عز وجل:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ **[سورة البقرة: 113]**

جاء في سبب نزولها أنه لما قَدِمَ أَهْلُ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –عليه الصلاة والسلام– أَتَتْهُمْ أَحْبَارُ يَهُودَ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ أحد اليهود مخاطبا النصارى: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَكَفَرَ بِعِيسَى وَبِالْإِنْجِيلِ. وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى لِلْيَهُودِ: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ. وَجَحَدَ نُبُوَّةَ مُوسَى وَكَفَرَ بِالتَّوْرَاةِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلك:[1]

1 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 386. وينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص 25.

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فقد بلغ تعصبهم حدا تجاوز نطاق السلوك الفردي المعزول، ليتحول إلى سلوك عام وظاهرة اجتماعية توارثوها جيلا بعد جيل، جعلت كلا منهم يرى نفسه، ومجتمعَه مصداقا للحق والهداية والصواب، ومقابل ذلك يرى غيرَه مصداقا للباطل والضلالة، ومن ثم «ادَّعَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّتِهَا» [1] مع أن الجميع في الأصل يتبعون دينا مصدره واحد؛ هو الله عز وجل، والكل «يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقَ مَنْ كَفَرَ بِهِ، أَيْ: يَكْفُرُ الْيَهُودُ بِعِيسَى وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ، فِيهَا مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى بِالتَّصْدِيقِ بِعِيسَى، وَفِي الْإِنْجِيلِ مَا جَاءَ بِهِ عِيسَى بِتَصْدِيقِ مُوسَى، وَمَا جَاءَ مِنَ التَّوْرَاةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَكُلٌّ يَكْفُرُ بِمَا فِي يَدِ صَاحِبِهِ» [2].

ولا شك أن هذا التعصب لا يعبر بالضرورة عن التعلق الشديد بالدين، الذي يؤدي إلى الحرص الشديد على التمسك بتعاليمه، بقدر ما هو موقف رافض ومُعَادٍ للدين الجديد ولرسالة النبي الخاتم –عليه الصلاة والسلام– وهم لأجل ذلك عملوا على توظيف الدين توظيفا مُغْرِضًا؛ بحيث كان الأحبار والرهبان حريصين على استغلال رصيدهم السابق بالانتساب إلى الأنبياء لضمان استمرار «تأثيرهم الكبير في حياة الناس الاجتماعية وأفكارهم... فقد كانوا يقيمون الحواجز بين الناس وبين الدعوة إلى الله؛ لأنهم يخافون على مراكزهم وعلى امتيازاتهم من الزوال والذوبان أمام الواقع الرسالي الجديد، ولذا فإنهم يفتعلون الخلافات الجانبية ويضللون الناس، بما كانوا يضيفونه إلى ما يمثلونه من رسالات وكتب منزلة من زيادات لا تتفق مع الحقيقة، ليخلقوا بذلك وضعا

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 384.

2 نفسه، 1/ 386.

جديدا يلغي كل إمكانات التقارب»[1] التي من دون ريب كانت ستتحقق لو آمنوا جميعهم برسالة النبي الخاتم – عليه الصلاة والسلام- التي هي خلاصة وامتداد لرسالات الأنبياء قبله.

وقد أورد القرآن الكريم العديد من الصور والمواقف التي تؤكد هذه النزعة التي لم يكتف أصحابها بموقف الرفض والإنكار لرسالات الأنبياء، بل انتقلوا إلى تدبير المؤامرات، بالشكل الذي يعيق رسالة نبي الله محمد –عليه الصلاة والسلام- فعملوا على إثارة النعرات والعصبيات القديمة، لعلها تكون طريقا مناسبا يهيئ لهم الظروف الملائمة التي تُعَبِّد لهم طريق تسلل إلى عواطف الناس وأهوائهم؛ لربطهم بنمط حياتهم الاجتماعية القديمة القائمة على أساس الانتماء للقبيلة، بكل ما يترتب عن هذا الانتماء من ولاء وحمية.

قال عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٠١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾ **[سورة آل عمران: 100-103]**

جاء في سبب نزول هذه الآيات أن مجلسا جمع بعض رجال الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج اللتين كان بينهما في الجاهلية حربٌ ودماء وعداوة، حتى مَنَّ الله عليهم بالإسلام وبالنبي -صلى الله عليه وسلم- فأطفأ الله الحرب التي كانت بينهم، وألفَّ بينهم بالإسلام، فبينما رجل

1 محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، 1/ 128.

من الأوس ورجلٌ من الخزرج كانا يتحدّثان، كان بقربهما يهوديّ يذكِّرهما بما كان بينهم من العداوةَ، حتى تَسابَّا ثم اقتتلا.

فنادى كلٌّ منهما قومَه، فخرجوا بالسلاح، فتأهبوا للاقتتال، فجاءهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فلم يزل يمشي بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ليسكنهم، فقام بين الصفين فرفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صوته وقرأ قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ فلما سمعوا صوته أنصتوا وجعلوا يستمعون، فلما فرغ ألقوا السلاح، وعانق بعضهم بعضا[1].

وفي كل الأحول إن ما حدث يعبر عن أمرين اثنين:

أولهما: أن المجتمع المسلم لم يخلو من العناصر الدخيلة المفسدة التي لا يروق لها أن ترى ذلك التحول الإيجابي الذي أحدثه الإسلام في حياة الناس، لذلك كان يسعى الدخلاء على المجتمع، وبالأخص اليهود إلى توظيف كلِّ ما لديهم من حيل، ودسائسَ ماكرة لتعطيل حركة التغيير، والرجوع بالناس إلى ما كانوا عليه في سالف عهدهم أيام الجاهلية؛ كي يبقوا تحت سلطتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية «فقد كان اليهود في المدينة يملكون السلطة الاقتصادية؛ لأنهم يجيدون التعامل في المال، وكل من يريد مالا يذهب إليهم ليقترض منهم بالربا، وكان لليهود أيضا التفوق والتميز العلمي؛ لأنهم يعلمون الكتاب، بينما كان غالبية أهل مكة والمدينة من الأميين الذين لا يعرفون كتابا سماويا، وكذلك كان هناك تميز آخر لليهود هو خبرتهم في الحرب» [2] وعليه كان من الطبيعي وفق منطق المصلحة الدنيوية أن يعمل اليهود على ضرب المجتمع المسلم في أهم عنصر من عناصر قوته وهي الوحدة؛ باستغلال ما كان بينهم من أحقاد وضغائن أيام الجاهلية،

1 ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 5/ 631، 632، وينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص 69 – 71.
2 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 3/ 1649، 1650.

حتى تتهيأ لهم الظروف المناسبة لاستعادة النمط الاجتماعي الذي يناسبهم، ويُمَكِّنهم من ممارسة الوصاية والسلطة الرمزية لتحقيق المصلحة.

ثانيهما: إن ضِعَاف النفوسِ من بعض المسلمين الذين لا تزال فيهم بعض رواسب الجاهلية كانوا يمتلكون الاستعداد النفسي، وقابلية العودة إلى نعرات الجاهلية، لذلك سرعان ما تم استدراجهم، فتجاوبوا، وتفاعلوا، وانفعلوا، وتأهبوا للاقتتال في لحظة عصبية وحمية، أبعدتهم عن حقائق الدين وأحكامه وتعاليمه، ولا شك أن هذا السلوك المتمثل في طاعة أهل الكتاب يحمل كما يقول سيد قطب: «معنى الهزيمة الداخلية والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة الإسلامية، كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صُعُدا في طريق النماء والارتقاء، وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس ... وما كان يُفْزِع المسلمَ حين ذاك؟ ما يفزعه أن يرى نفسَه منتكِسًا إلى الكفر بعد الإيمان، وراجعا إلى النار بعد نجاته منها إلى الجنة، وهذا شأن المسلم الحق في كل زمان ومكان، ومن ثم يكون هذا التحذير بهذه الصورة سوطا يلهب الضمير، ويوقظه بشدة لصوت النذير» [1] الذي خاطب هؤلاء بصفتهم الإيمانية، تنبيها وتذكيرا لهم أن هويتهم الإيمانية ليست عنوانا، أو اسما يحمله المسلم للحصول على مؤشر الانتساب إلى الدين، بقدر ما هي مضمون يترتب عنه فهم ووعي على مستوى التصور والتفكير، وتنشأ عنه ضوابط على مستوى الالتزام، تضبط الانفعال، وتوجه السلوك الوجهة السليمة، حتى لا يحدث الانحراف عن تعاليم الدين، مهما تكون ظروف الابتلاء والامتحان التي كثيرا ما يكون إيمان المؤمن عرضة لها. فقال عز وجل تنبيها إلى ذلك:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ ﴾

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 1/ 438، 439.

فقد جاء الإسلام ليؤسس نظاما لحياة اجتماعية تحكمها قيم الإسلام، وينضبط أفرادُها بأحكام الشريعة وضوابطها، وعليه فإن العودة إلى كل ما هو مذموم في الحياة الاجتماعية على عهد الجاهلية، سيؤدي حتما إلى الانحراف عن الدين، لذلك كان تحذير القرآن شديدا، وحاسما، وصادما بالتأكيد على أن هذا السلوك هو رِدَّة عن قيم الإيمان، وعودة إلى حياة الكفر، فكيف للمؤمنين أن يقبلوا ويرضوا بذلك، وآيات الله تتلى عليهم، ورسول الله لا يزال حيا بين أظهرهم! ؟ بل كيف للمؤمن في أي عصر ومَصْر أن يرتد عن دينه وأن يستبدله بالذي هو أدنى من نزوات البشر وأهوائهم؟

فإذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قد استوفى أجله في هذه الحياة الدنيا فإن آياتِ الله باقيةٌ، ومقامَ النبوة باقٍ، وهديَ الرسالة الخاتمة يظل خالدا ليكون حُجَّةً على المؤمنين، ونحن اليوم إذْ نتلوا القرآنَ، فإن القرآنَ حجةٌ علينا، كما هو حجة على من كان قبلَنا من أسلافنا الذين عاصروا عهد النبوة.

وعليه فإن العصبيات التي شاعت في زماننا هذا بعناوين؛ عرقية، أو سياسية، أو أيديولوجية، أو مذهبية، أو حتى رياضية ... وغيرها من العصبيات الجديدة التي أفرزتها ظروف العصر هي في واقع الحال لا تختلف عن عصبيات الجاهلية؛ لأنها تؤدي إلى النتيجة نفسها، وتترتب عنها آثار سلوكية منافية لتعاليم الدين وأحكامه، فكما كانت العصبية الجاهلية سببا في التزمت، والانغلاق، والتخلف، ناهيك عن زرع الأحقاد، وإراقة الدماء، فإن العصبيات الجديدة باتت هي الأخرى سببا في ضعف الأمة وتخلفها، وزرع الفتن والأحقاد والاقتتال بين أبنائها، الذين انشغلوا بمعارك هامشية، بحثا عن عداوات وهمية في دائرة الأمة، فغفلت الأمة عن عدوها الحقيقي الذي كان يتربص بها منذ أمد بعيد، يعود إلى عهد النبوة، وهو مستمر إلى يوم الناس هذا.

فإذا كانت مؤامرات اليهود وحبال مكرهم ومكائدهم قد فشلت حين ألقوا بها للإيقاع بأسلافنا من المسلمين في عهد نبينا –عليه الصلاة والسلام– فإن دسائس أحفادهم يبدو أنها قد أفلحت في النيل من وحدة المسلمين، وتكريس الفرقة والعداوة بينهم، مما يؤكد بصورة أو أخرى أن عداوة اليهود للمسلمين ليست حالة انفعالية أو مزاجية، ترتبط بظرف عابر، أو بسياق تاريخي محدد، بقدر ما هي عداوة متجذرة في وجدانهم وفي وعيهم الجمعي، فهم أصحاب مشروع يتلقفونه جيلا بعد جيل، ويعملون بنَفَس طويل على مر العصور للتمكين له دون كلل أو ملل.

ولأجل ذلك يتصيدون المداخل الأنسب لضرب الأمة من الداخل، ولعل أهم مدخل اعتمدوه هو مايتلعق بالموروث الاجتماعي السيئ، سيما ظاهرة التعصب للعِرْق والعشيرة، أو للطائفة والمذهب، وغيرها من الانتماءات الثانوية الموازية التي تزاحم الانتماء الجوهري والأصيل إلى قيم الدين الحق، التي تدعو إلى الوحدة وإلى التآخي والتراحم، ونبذ الفرقة والعصبية، وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى مصادرة وعي الأمة وإرادتها، وتزييف مشاعرها، واستنزاف طاقاتها، وهدر قدراتها، بتوجيه اهتماماتها الوجهة الخاطئة، وجعل ارتباطها بدينها الذي هو مصدر قوتها ارتباطا فاترا، وهزيلا، وشكليا لا يرقى إلى الحد الذي يثمر أمة الخيرية، والصلاح، والقوة، والاقتدار.

المطلب الثاني: الأسباب السياسية لانحراف التدين ونماذجه

يتكون هذا المطلب من ثلاثة فروع؛ في الفرع الأول تم بيان بعض ما جاء به القرآن الكريم من تعاليم وأحكام عامة لضمان حياة سياسية مثالية، أما الفرع الثاني فقد كان لبيان كيف كان الواقع السياسي القائم سببا في الصد عن دين الله، وقد كان الفرع الثالث لبيان كيف يكون الخروج عن تعاليم الدين الحق سببا في انحراف التدين.

الفرع الأول. القرآن الكريم والحاكمية المثالية.

يؤكد يوسف القرضاوي أنه وبالنظر إلى ما جاء في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم[1]، فإن «كلمة (السياسة) لم ترد في القرآن الكريم، لا في مكيِّه، ولا في مدنيِّه، ولا أي لفظة مشتقة منها وصفا أو فعلا ... وقد يتخذ بعضهم من هذا دليلا على أن القرآن -أو الإسلام- لا يعنى بالسياسة ولا يلتفت إليها. ولا ريب أن هذا القول ضَرْب من المغالطة، فقد لا يوجد لفظ ما في القرآن الكريم، ولكن معناه ومضمونه مبثوث في القرآن » [2] ويقدم يوسف القرضاوي شواهد تثبت صحة ما ذهب إليه ومن ذلك على سبيل التمثيل «كلمة (العقيدة) فهي لا توجد في القرآن، ومع هذا مضمون العقيدة موجود في القرآن كله، من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، بل العقيدة هي المحور الأول الذي تدور عليه آيات القرآن الكريم.

ومثل ذلك كلمة (الفضيلة) فهي لا توجد في القرآن، ولكن القرآن مملوء من أوله إلى آخره بالحثِّ على الفضيلة، واجتناب الرذيلة» . [3]

---

1 ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، دط، 1364هـ.

2 يوسف القرضاوي، مفهوم كلمة "السياسة" في القرآن والسنة، تاريخ النشر 27/ 10/ 2013،

https://www.islamweb.net/ar/article تاريخ العودة إلى الموقع: 2022/12/02 الساعة: 06.19،

3 نفسه، تاريخ العودة إلى الموقع: 2022/12/02 الساعة: 06.51،

فكذلك القرآن الكريم لم ترد فيه كلمة (السياسة) لكن ورد فيه ما يدل عليها، ويُنبئ عنها، مثل: [1]

كلمة (المُلْك)

والمُلْكُ يعني حكم الناس، وأمرهم، ونهيهم، وقيادتهم في أمورهم. قال تعالى:

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: 54]

﴿... وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ...﴾ [سورة البقرة: 251]

كلمة (التمكين)

والتمكين كما قال ابن عاشور هو: «التوثيق. وأصله إقرار الشيء في مكان، وهو مستعمَل هنا في التسليط والتمليك، والأرض للجنس، أي تسليطهم على شيء من الأرض، فيكون ذلك شأنهم فيما هو ملكهم، وما بسطت فيه أيديهم» [2]. قال عز وجل في محكم التنزيل:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة الحج: 41]

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف: 56]

كلمة (الاستخلاف)

1 ينظر: يوسف القرضاوي، مفهوم كلمة "السياسة" في القرآن والسنة، تاريخ النشر 27/ 10/ 2013، https://www.islamweb.net/ar/article تاريخ العودة إلى الموقع: 2022/12/02 الساعة: 06.59

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/ 280.

كما في قوله تعالى:

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف: 129]

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ...﴾ [سورة النور: 55]

كلمة (الحكم)

في قوله تعالى:

﴿ ... وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة المائدة: 45]

﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة المائدة: 50]

وقد لخص القرآن الكريم المبادئ العامة والعناوين الكبرى التي تنبني عليها الحاكمية المثالية في الآية التي وصفها ابن تيمية على أنها آية الأمراء؛ ذلك لأن العلماء -كما أضاف- قالوا: إن هذه الآية نزلت في ولاة الأمر.[1] الذين خاطبهم الله عز وجل فقال:

﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة النساء: 58، 59]

1 ينظر: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع جدة، دط، دت، ص 5.

فهذه الآية بما أنها -كما يقول ابن تيمية- قد أوجبت آداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فإن ذلك جِماع السياسة العادلة والولاية الصالحة،[1] التي تقوم على جملة من العناصر التي يمكن استخلاصها من الآية السابقة وهي:

1- الحاكمية أمانة

لبيان عظمة الأمانة جعلها الإسلام مرتبطة بالإيمان وملازمة له؛ وإذا ما انتفت الأمانة عن سلوك المرء سينتفي معها إيمانه، لذلك قال – عليه الصلاة والسلام-: ((**لَا إيـمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ**))[2]

ويطلق « آداء الأمانة على قول الحق والاعتراف به وتبليغ العلم والشريعة على حقها» [3] وعليه يمكن القول: إن الأمانة مضمون إيماني، وقيمة أخلاقية كبرى لا يتحقق معناها النظري، ولا يكتمل أثرها العملي، إلا بتقوى الله عز وجل، ثم بتحصيل قيم أخلاقية معضِّدة كالصدق والإخلاص والوفاء والحرص... فضلا عن القدرة على تحمل المسؤولية في حفظ الأمانة وآدائها بالصورة الواجبة.

و كلما اتسعت الدائرةُ المؤتَمَنَة، تعظم مسؤولية حفظ الأمانة؛ فالذي يكون مؤتمنا على الشأن العام للرعية، ليس كمن يكون مؤتمنا في شأن معين من شؤون الحياة لفئة معينة من الناس، وليس من يكون مؤتمنا على نفسه فقط، كمن يكون مؤتمنا على والديه وعلى أهله وعياله؛ فحيثما كانت هناك مسؤولية يجب أن تؤدى، وحيثما كانت هناك حرمة يجب أن تراعى، فثمة أمانة يجب أن تحفظ وتصان وتؤدى، وتظل أعظم أمانة على الإطلاق هي الأمانة التي تكون في ذمة الحاكم

1 ينظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص 6.
2 أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، رقم الحديث: 12717، 5/ 382.
3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 5/ 92.

والراعي، وهذا ما نبه إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه عنه أبو ذر الغفاري –رضي الله عنه-:

((**قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قالَ: فَضَرَبَ بيَدِهِ علَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قالَ: يا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنَّهَا أَمَانَةُ، وإنَّهَا يومَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلَّا مَن أَخَذَهَا بحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عليه فِيهَا.**))[1] .

فسيدنا أبو ذر الغفاري وهو مَنْ هو في الورع والتقوى، والاستقامة، والصدق، والإخلاص حتى قال فيه – عليه الصلاة والسلام:

((**مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ**)) [2]

حين التمس من الرسول –صلى الله عليه وسلم- أن يُوَلِّيه ليكون عاملا في إحدى الأمصار، كان رده عليه الصلاة والسلام " **إنَّكَ ضَعِيفٌ**" لتحمل أعباء هذه الأمانة العظيمة؛ ليس لأن سيدنا أبا ذر قد يخون الأمانة، بل لأن القيمومة على شؤون الناس بقدر ما هي بحاجة إلى من يتحقق فيه شرط التقوى، والصدق، والإخلاص، فهي بحاجة أيضا إلى من يتمتع بشخصية قيادية قوية، حكيمة، نبيهة؛ لها دراية بشؤون الحكم، ومعرفة عميقة وواسعة بواقع الناس، وخبايا النفوس والطباع، والقدرة على تمييز المواطن التي تستدعي اللين من المواطن التي تستدعي الشدة... وغيرها من المهارات التي قد لا يتوفر بعضُها في سيدِنا أبي ذر، ومن ثم لا يكفيه أن يكون صادقا ومخلصا ليكون أمينا؛ لأن الأمين من يكون صادقا ومخلصا، ويكون في الآن نفسه مقتدرا وكُفُؤًا لإدارة شؤون الرعية، وتحمل المسؤولية كاملة في آداء الأمانة العظيمة على أفضل وجه، وأكمل صورة.

1 أخرجه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم)، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم الحديث: 1825، ص 819.
2 أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين وغيرهم، مسند عبدالله بن عمر، رقم الحديث: 6675، 3/ 538.

وقد فصل ابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية كيف يؤدي الحاكم الأمانة، موضحا أن الأمانات التي في عنق الحاكم نوعان:

أحدهما: **الولايات**؛ أي يجب على ولي أمر المسلمين أن يُوَلِّي على كل عمل، وعلى كل أمر من أمور المسلمين من هو أصلح لذلك[1] لقوله – عليه الصلاة والسلام-:

((مَنْ وُلِيَ مِنْ أَمْرِ المسْلِمين شيئًا فأَمَّرَ عليهم أَحَدًا مُحَابَاةً فعليه لعنةُ اللهِ لا يَقبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا ولَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّم))[2]

والولاية كما جاء في كتاب **"السياسة الشرعية"** لابن تيمية تقوم على ركنين هما: القوة والأمانة؛ فأما القوة فهي قوة في العلم والعدل مع القدرة على تنفيذ الأحكام، وحفظ مصالح الرعية، أما الأمانة فهي استحضار لرقابة الله، بكل ما يعنيه ذلك من تقواه وخشيته سبحانه وتعالى، وترك خشية الناس، وألا يكون المؤتمن على شؤون الناس ممن يشتري بآيات الله ثمنا قليلا، اتباعا للأهواء، وابتغاء نيل المكاسب الزائلة من حطام الدنيا.[3]

ثانيهما: **الأموال**؛ فالحكام ليسوا مُلَّاكًا للأموال، كي يتصرفوا فيها بحسب أهوائهم، بل إنما الحكام أمناء ونواب ووكلاء، عليهم أن ينفقوا مال الرعية بالحق والعدل، وفيما يرضي الله عز وجل من أعمال الخير والصلاح التي تعود بالنفع على عموم الرعية.[4]

وعليه فالقرآن الكريم إذْ جعل الحكم مرتبطا بشرط الأمانة؛ كمفهوم واسع، وكقيمة أخلاقية كبرى، تتحقق بتضافر قيم أخلاقية أخرى، فإن ذلك يعد –في واقع الحال- تأكيدا على البعد الأخلاقي الذي يجب أن يسود الحياة السياسية، وبالأخص منظومة الحكم التي متى كان

---

1 ينظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص 5 - 39.

2 أخرجه الحاكم في مستدركه (المستدرك على الصحيحين)، كتاب الأحكام، رقم الحديث: 7024، 4/ 104، 105.

3 ينظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص 17- 25.

4 ينظر: نفسه، ص 40 – 55.

أفرادها أمناءَ مخلصين وصادقين، فإن ذلك ومن دون ريب سيؤدي إلى حفظ حقوق الرعية، ومصالحها التي تأتي في صدارتها مصلحة حفظ الدين، والتمكين لأحكامه وتعاليمه.

2- الحاكمية عدالة

السياسة كما جاء في كتاب **"الطرق الحُكْمية"** لابن القيم هي نوعان؛ سياسة ظالمة تحرمها الشريعة، وسياسة عادلة هي من الشريعة [1] ولأن العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها للمجتمعات والدول إلا معه[2]، أدرجه الماوردي في كتابه **"أدب الدين والدنيا"** ضمن القواعد التي يقوم عليها صلاح المجتمع واستقراره، فقال: « وأما القاعدة الثالثة فهي عَدْلٌ شَامِلٌ: يَدْعُو إلَى الْأُلْفَةِ، وَيَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَتَتَعَمَّرُ بِهِ الْبِلَادُ، وَتَنْمَى بِهِ الْأَمْوَالُ، وَيَكْثُرُ مَعَهُ النَّسْلُ، وَيَأْمَنُ بِهِ السُّلْطَانُ، وليس شيءٌ أسْرعَ في خراب الأرضِ، ولا أفْسَدَ لضمائرِ الخَلْقِ من الجَور؛ لأنه ليس يقف على حدٍّ، ولا ينتهي إلى غاية ولكلِّ جزءٍ منه قسْطٌ من الفساد حتى يُستكملَ» [3].

فحيثما كان العدل يكون الخير وتكون السكينة، ويسود الاستقرار، ويَشِيعُ التآلف بين أبناء المجتمع الواحد، فيكون كلُّ ذلك محفزا لهم لخدمة بلادهم، والاجتهاد في عمارتها بضمير حي، وبدافع ذاتي، لأن كلاًّ منهم يعلم سلفا أنه يحيا في وسط، وينتمي إلى أمة وإلى وطن تُحْفَظ فيه الكرامات، وتصان فيه الحقوق، ولا تُبْخَس فيه جهود العاملين المخلصين، بخلاف ما يكون عليه الحال في المجتمعات التي تعاني القهر والظلم والاستبداد، حيث يحيا أبناؤها مُحْبَطِين، بنفوس مكلومة، وخواطر منكسرة، وإرادة مشلولة، تنعدم معها الهمة، والحماسة، والاندفاع إلى خدمة

1 أبو عبدالله بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، الطرق الحُكْمية في السياسة الشرعية، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع جدة، دط، دت، 1/ 7، 8.

2 أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أدب الدين والدنيا، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج بيروت، ط1، 1434هـ، 2013م، ص 226.

3 الماوردي، أدب الدين والدنيا، ص 225.

البلاد وعمارتها، هذا في أحسن الأحوال، وفي أسوئها قد يتحول الأمر إلى حالة سعي في خراب البلاد وتدميرها، بسبب ما يصيب النفوس من ضيق، وما يعتريها من قلق جراء شعور الناس بالظلم والجور.

فالظلم يجعل الحياة وكل الوجود عالما ضيقا بأهله، فتضيق نفوسهم بما يملأها من انفعالات الغضب والحقد والطمع وغيرها من الانفعالات السلبية، والطباع القبيحة من أمراض النفس التي تدفع بصاحبها لأنْ يسلك مسلك الشر والباطل، لذلك قال الإمام علي –رضي الله عنه– «فإن في العدل سَعة، ومَن ضاق عليه العدلُ، فالجور عليه أضيق» [1] فالعدل يسع الجميع ويرضيهم، ولا يضيق إلا بمن انحرفت طبائعهم، وتمكن الطمع والجشع من نفوسهم، وهؤلاء الذين تضيق نفوسهم في أجواء الحياة العادلة، هي من دون شك ستزداد ضيقا في المحيط الذي يسوده الجور؛ لأن مؤشر الطمع والجشع لديهم سيزداد ارتفاعا ليزداد مع الضغط الداخلي المنبعث من النفس الحريصة على اقتناص الفرص واستغلال مثل هذه الظروف، لتحصيل مكاسب دنيوية بطرق لا تليق بكرامة الإنسان، ولا تعبر عن القيم الفطرية التي كان عليه أن يحيا بها، وأن يضبط سلوكه وفقها.

وعليه فإن العدل في حقيقته هو عامل قوي من العوامل التي يتحقق بها الشعور الصادق بالانتماء إلى الأمة والوطن، وتترتب عنه آثار سلوكية وأخلاقية تكون ضمانة للنهضة الحضارية، واستقرار المجتمع، لذلك أكد القرآن الكريم في أكثر من موضع على العدل كقيمة إنسانية، تقوم عليها الحياة التي تليق بكرامة الإنسان. فقال عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ **[سورة المائدة: 8]**

1 علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، جمعه ونسق أبوابه الشريف الرضي، شرح وضبط نصوصه محمد عبده، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت، ط 1، 1410هـ – 1990م، ص 119.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل: 90]

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات: 9]

فهذه الآيات في عمومها تؤكد أن الله عز وجل قد أمر عباده بالعدل، ودعاهم إلى اعتماده أساسا، ومنهجا في تنظيم أمور دنياهم، وشؤون حياتهم، وما قد يعتريها من خلافات وخصومات، بما يؤكد أن العدل طريق العبد ومسلكه لنيل القرب الإلهي، وتحصيل التقوى، والفوز بمحبة الله عز وجل ورضاه، لذلك قال – عليه الصلاة والسلام –:

((إنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إلى اللهِ يومَ القيَّامَةِ، وأدْناهُم منه مجلسًا، إمامٌ عادلٌ، وأَبْغَضَ النّاسِ إلى اللهِ وأبْعَدَهم منه مجلسًا إمامٌ جائرٌ))[1]

فكما أن العدل استقامة والتزام بتعاليم الدين وأحكامه، بما يجلب محبة الله ورضاه، وبما أن العدل أيضا قيمة من القيم الأخلاقية الكبرى، التي تثمر الحياة المنشودة التي تليق بكرامة الإنسان، فإن الجور زيغ وانحراف عن تعاليم الدين وأحكامه، وفي ذلك مجلبة لسخط الله وغضبه، فالإمام الجائر وهو يمعن في ممارسة الجور، ليس منحرفا في ذاته فحسب، بل هو صانع للانحراف ومؤطر له؛ لأنه هو من يتسبب في انحراف الآخرين عن قيم الدين، بعد أن يكون قد هيأ لهم كامل الظروف والأسباب التي تنتج مناخا عاما يُفْقِد الرعيةَ الإحساسَ بالأمان والسكينة، ويحرمها من تحصيل حقوقها، فيظهر في الرعية من هو قليل الصبر، عديم الحِلْم؛ لا يفكر إلا بما يرضي شهوة الغضب لديه، ولا يهمه إنْ كان في ذلك ما ينافي شريعة الله ويخالف أحكامها، فالمهم عنده أنْ

1 أخرجه الترمذي في سننه (سنن الترمذي)، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الإمام العادل، رقم الحديث: 1392، 3/ 11.

يستجيب لذاك المارد الخبيئ بداخله، الذي يحجب صوت الفطرة، ويحجب الحقيقة الإنسانية التي بمقتضاها يحيا الإنسان.

3- الوحي أساس انتظام العلاقة بين الراعي والرعية

«بعد ما أمر سبحانه ولاة الأمور بالعموم أو الخصوص بأداء الأمانة والعدل في الحكومة أمر الناس بإطاعتهم في ضمن إطاعته عز وجل، وإطاعة رسوله –صلى الله عليه وسلم- حيث قال عز من قائل: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: الزموا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ المبعوث لتبليغ أحكامه إليكم في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أيضا» [1].

فحال الأمة لا يستقيم إلا بهذا التكامل والتناغم بين راع أمين وعادل، ورعية تطيع مَن هو أهل لهذه الطاعة وجدير بها، فالله سبحانه وتعالى لما أمر الأمة أن تحكم بالعدل «عَقَّبَ ذلك بخطابهم بالأمر بطاعة الحكام وولاة أمورهم، لأن الطاعة لهم هي مظهر نفوذ العدل الذي يحكم به حكامُهم، فطاعة الرسول تشتمل على احترام العدل المشروع لهم وعلى تنفيذه، وطاعة ولاة الأمور تنفيذ للعدل، وأشار بهذا التعقيب إلى أن الطاعة المأمور بها هي الطاعة في المعروف » [2] فالحاكم لا يستقل بالطاعة أصالة، بل طاعة الرعية له يجب ان تكون في طول طاعة الحاكم لله عز وجل، وطاعته لرسوله – عليه الصلاة والسلام- لأن هذه الطاعة في حقيقتها هي طاعة للوحي، وللشريعة التي بها يتحقق العدل على يد ولي الأمر المؤتمن على الدين وعلى الرعية، وعليه فإن مَنْ يشق عصا الطاعة، ويخرج عن ولي أمر المسلمين الحاكم بالعدل كما نص عليه الوحي وسنته أحكام الشريعة، يكون قد انحرف عن الدين وإنْ انتسب إليه.

1 الألوسي، روح المعاني، 65/5.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 5/ 96.

فالوحي وما أتى به من تشريع هو المؤشر الذي على أساسه تنتظم علاقة الراعي بالرعية، «ولما كانت الحوادث لا تخلو من حدوث الخلاف بين الرعية، وبينهم وبين ولاة أمورهم، أرشدهم الله إلى طريقة فصل الخلاف بالرد إلى الله وإلى الرسول، ومعنى الرد إلى الله، الرد إلى كتابه كما دل على ذلك قوله في نظيره:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة النساء: 61]

ومعنى الرد إلى الرسول، إنهاء الأمور إليه في حياته وحضرته، كما دل عليه قوله في نظيره:

﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ [سورة النساء: 61]

فأما بعد وفاته أو في غيبته، فالرد إليه؛ الرجوع إلى أقواله وأفعاله، والاحتذاء بسنته[1]»

وعليه تكون القيم الكبرى التي تنتظم وفقها الحياة السياسية للمجتمع المؤمن قائمة على مبدأ العدالة، وحفظ الأمانة، والامتثال لتعاليم الوحي وأحكام الشريعة في شؤون الحكم وأمور الرعية؛ فالرعية إذا ما اقتنعت وشعرت بأنها تحت راية إمام عادل، أمين، ستبدي له السمع والطاعة، وستستأمنه على أمر دينها وأمور دنياها، وفي ذلك ما يبعث على الطمأنينة والسكينة وانبثاث الثقة بينهم.

4- الحاكمية هي سلطان صالح ومصْلِح

يقول عز وجل في محكم تنزيله:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة الحج: 41]

فمتى تحقق للمؤمنين ما وعد به ربهم من نصر وتمكين في الأرض، كان لزاما عليهم أن «يأتوا بما أمر اللهُ به من أصول الإسلامِ فإنَّ بذلك دوامَ نصرِهم، وانتظامَ عَقْد جماعتهم، والسلامةَ

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 5/ 98.

من اختلال أمرِهم، فإنْ حادوا عن ذلك فقد فرَّطوا في ضمان نصرِهم وأمرُهم إلى الله. فأما إقامةُ الصلاةِ فلدلالتها على القيام بالدين وتجديدٍ لمفعوله في النفوس، وأما إيتاءُ الزكاة فهو ليكونَ أفرادُ الأمة متقاربين في نظام معاشِهم، وأما الأمرُ بالمعروف والنهيِ عن المنكر فلتنفيذِ قوانينِ الإسلامِ بين سائر الأمة من تلقاء أنفسهم» [1].

لذلك دعا الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى تحصين أنفسهم بالعبادة الحقة الخالصة لله، كي تكون ضابطا يضبطهم، ومُوجِّهًا يوجه حركتهم في الوجود، بما يحقق مبدأ عمارة الأرض بالخير والصلاح، تحقيقا لرسالة الاستخلاف التي كلفهم الله بها، فقال عز وجل في محكم تنزيله:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: 45]

فمن المؤشرات الدالة على صلاح المؤمنين بعامة، والحاكم بخاصة، أنْ يحرص على التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بنية خالصة، وبقلب صادق، وهو يقوم بواجباته العبادية، التي لها أثرها في إصلاح النفس، وفي دفع حركة الإنسان في الوجود نحو الخير والصلاح، وبذلك يكون الحاكم العابد الذي يخلص عبادته لله سبحانه وتعالى قد حَصَّن نفسَه بالعبادة، وأمِنها من الوقوع في الفواحش والمنكرات، فيتحقق له بذلك الصلاح الذي يجعله مُؤَهَّلا لأنْ يكون مصلِحا، فيأمر بالمعروف لأن المعروفَ تحقق فيه، وينهى عن المنكر؛ لأن المنكرَ مُنْتَفٍ فيه.

الفرع الثاني: دور السياسة الفاسدة في الصد عن دين الله.

لقد كانت علاقة الحكام بالدين على مر العصور محل جدل وتجاذب، ذلك لأن الكثير من الحكام والملوك يرفضون أية سلطة تفوق سلطتهم، أو تنافسها وتزاحمها، بالشكل الذي قد يؤدي إلى الحد من انتشارها وامتدادها أفقيا (جغرافيا)، أو هيمنتها وتسلطها عموديا (علاقة الحاكم

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/ 280.

بالمحكوم)؛ لأن شهوة التملك والتسلط لدى هؤلاء هي المسيطرة على النفوس، ومن ثم كثيرا ما تتحول إلى سلوكات، تتم ترجمتها عبر ممارسات عملية ميدانية، تبحث لها عن معادل موضوعي في الواقع الخارجي؛ كي يكون مصداقا وصورة تعكس وتعبر عما في نفوس هؤلاء من جبروت وحب للتسلط والتملك، يقمع من هو عصي على الإخضاع والانقياد، و في الوقت ذاته يسعى بكل ما أوتي من قوة ومكر لمحاربة أية سلطة أخرى تفوق سلطته أو تعادلها.

لذلك كان من الطبيعي أن يقف أمثال هؤلاء ضد دعوة الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– التي جاءت بقيم متعالية، تربط الناس بالعبودية الحقة لله عز وجل، وتحررهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وتدعوهم إلى قيم الخير والصلاح، وتنهاهم عن إشاعة الفاحشة والفساد، وقد أورد القرآن الكريم العديد من المواقف التي تصور ما كان عليه هؤلاء من طغيان وفساد وظلم، أرادوا أن يصدوا به الناس عن دين الله عز وجل، ولعل فرعون –الذي ورد ذكره في أكثر من موضع في القرآن الكريم – هو أصدق نموذج يعبر عن ذلك، حيث وصفه الله عز وجل في كتابه الكريم بالطغيان الذي بلغ حد ادعاء الألوهية، وأعلى مراتب الربوبية التي تستوجب –في زعمه– خضوع العباد لها خضوعا مطلقا. فقال عز وجل في شأنه:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ
يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾

[سورة النازعات: 15–25]

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم
بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ

ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة غافر: 28، 29]

لقد تلقى نبي الله موسى أمرا من ربه كي يقوم بواجب التبليغ، وإقامة الحجة على فرعون، لعله يهتدي ويتطهر من الكفر والطغيان، وينعم بنعمة العبادة (عابدا لله) والعبودية (عبدا لله) المستحقة لله عز وجل، لكن فرعون قابل هذه الدعوة وهذا النصح بعناد ومكابرة، رافضا الخضوع للحق، غيرَ معترف بما جاء به سيدنا موسى –عليه الصلاة والسلام– من بينات وآيات معجزات، مُصِرًّا أنْ لا إلهَ يخضع له قومُه إلا هو، وأنْ لا رَبَّ من أرباب الأرض ترقى إلى مقام ربوبيته، فهو إلاههم الأوحد الذي يجب أن يخضعوا له خضوعا مطلقا، وهو ربهم الأعلى الذي تسلط على رقابهم، وتَمَلَّكَ زمام أمورهم، ومن ثم ليس لهم الحق أن يخرجوا عن طوعه وسيطرته. ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ .

ففرعون وملأه لا يريدون قبول هذه الدعوة التي تهدد أهم ركن من الأركان التي يقوم عليها كيانهم، «إنْ كان الله هو "ربُّ العالمين" فلا حكمَ إلا لشريعة الله، ولا طاعةَ إلا لأمر الله، فأين يذهب شرعُ فرعون وأمرُه إذن، وهو لا يقوم على شريعة الله ولا يرتكن إلى أمره؟ إن الناسَ لا يكون لهم "ربٌّ" آخرَ يعبدهم لحكمه وشرعه، إنْ كان الله هو ربُّهم، إنما يخضع الناسُ لشرع فرعون وأمره حين يكون ربهم هو فرعون» [1] .

وعليه فإن فرعون لن يقبل هذا، وهو الذي كان يعيش تلك الحالة من الطغيان والتجبر، وتضخم الذات إلى الحد الذي كان يرى فيه ذاته أنها في مقام تنتفي فيه عنها صفة البشرية، لذلك لم يكتف فرعون برفض الدعوة والموعظة الحسنة التي قدمها له نبي الله موسى –عليه الصلاة والسلام– بل ازداد طغيانا وصَعَّد الموقف، ليتجاوز الرفض والتكذيب وعصيان الله عز وجل، إلى

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 3/ 1347.

المعارضة بحقد، وكيد، ومكر، وعداء، فاستنفر هو والملأ من قومه كلَّ أتباعهم وجنودهم ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾ «أي ولى مدبرا معرضا عن الإيمان، يسعى؛ أي يعمل بالفساد في الأرض، وقيل: يعمل في نكاية موسى، وقيل: أدبر يسعى هاربا من الحية. فحشر أي جمع أصحابه ليمنعوه منها، وقيل: جمع جنوده للقتال والمحاربة، والسحرة للمعارضة. وقيل: حشر الناس للحضور. فنادى أي قال لهم بصوت عال﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ أي لا ربَّ لكم فوقي» [1]

فقد تصاعد الموقف وانتقل من الإعراض والإنكار إلى المعارضة المعادية، التي اتخذت أشكالا وأساليب متنوعة سعى من خلالها فرعون ومَن معه مِن حاشيته بجد واجتهاد، وتدبير وتخطيط لمواجهة الدين الحق وصد الناس عنه باعتماد الحرب النفسية والعقاب الجسدي:

1- الحرب النفسية

وهي حرب قائمة على:

أ- السخرية والاستهزاء

لقد كانت رسالة نبي الله موسى –عليه السلام- محل سخرية واستهزاء من فرعون وبطانته بغرض النيل منها والتقليل من شأنها، صدًّا للناس عنها. قال عز وجل في ذلك:

﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾
[سورة القصص:38]

ففي الوقت الذي كان فرعون ينكر أن يكون لقومه إلاهٌ غيرُه، راح يتطاول ساخرا، حين طلب من وزيره "**هامان**" أن يبني له بناءً وصرحا عاليا، لعله يبصر من خلاله إلاهَ موسى أو

1 القرطبي، أحكام القرآن، 19/ 200.

يتحسسه، ففرعون وهو يفعل ذلك ليس من باب الإمعان في تكذيب موسى –عليه السلام– وإنكار دعوته فحسب، بل ما يهمه هو أن يعمل على إشاعة سلوك السخرية والاستهزاء، حتى يصبح ذلك موقفا عاما يتبناه عامة الناس؛ كي يُعرضوا عن دعوة موسى –عليه السلام– ليستمر جبروت فرعون، ويستمر معه مصادرة حرية الناس في الاختيار، واتخاذ القرار؛ بتسلطه على عقولهم، وعلى قلوبهم، فهو لا يكفيه أن يتسلط على الأجساد فقط؛ بل يجب أن يتسلط على المضمون المعنوي لهذه الأجساد، حتى يستطيع التحكم في توجه الناس ومصيرهم؛ ويكتمل استعباده لهم، فهو الذي كان قد خاطبهم بمنطق ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ .

ب – التشكيك والمغالطة

لقد استغل فرعون ما كان عليه حال الناس يومئذ من جهل وسذاجة في التفكير؛ لممارسة سياسة التشكيك والمغالطة، التي قامت أيضا على استغلال الجاه والمال. قال تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ **[سورة يونس: 88]**

إنه دعاء موسى وهو يبث شكواه بين يدي الله عز وجل، فبعد أنْ «بالغ في إظهار المعجزات الظاهرة القاهرة، ورأى القوم مصرين على الجحود والعناد والإنكار، أخذ يدعو عليهم، ومِن حق مَن يدعو على الغير أن يَذْكر أولا سببَ إقدامه على تلك الجرائم، وكان جرمُهم هو أنهم لأجل حبهم الدنيا تركوا الدين؛ فلهذا السبب قال موسى –عليه السلام– ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا ﴾ والزينة عبارة عن الصحة، والجمال، واللباس، والدواب، وأثاث البيت، والمال، وما يزيد على هذه الأشياء من الصامت والناطق[1]» فضلا عن السلطان والجاه...

1 الرازي، مفاتيح الغيب، 17/ 155.

لكن ذلك ما زاد القوم إلا ضلالا وطغيانا، بل إن أموالهم تلك أعانتهم على غواية الناس، والدفع بهم إلى حياة الكفر والضلال، حين جعلوا الناس يظنون أنك يارب «إنما أعطيت هؤلاء هذا لحبك إياهم واعتنائك به» [1]

فقد عمل فرعون ومن معه بكل ما يملكون من قوة، ومكر على النيل من مصداقية الرسالة النبوية لموسى –عليه السلام– فسعوا إلى زرع الشك بين الناس، والتهوين من شأن هذه الدعوة، فوصفوا نبي الله موسى على أنه ساحر عليم، وأنه وافد عليهم وطالب دنيا ومُلْك، يريد أن يسلبهم أرضهم ويخرجهم منها، ولا شك أن هذا الادعاء بقدر ما فيه من مغالطة، هو لا يخلو أيضا من التحريض، وتأليب الناس عليه، ليس من أجل رفض دعوته ورسالته أو النفور منها فحسب، بل إن المطلوب بالدرجة الأولى هو السعي لمحاربته، والتصدي له للقضاء على دعوته؛ باعتماد كل الأساليب والوسائل المتاحة لهم.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝١١٠ ﴾ [سورة الأعراف: 109–110]

وقد استمر فرعون وملأه في مغالطة الناس بإصرارهم على تقديم نبي الله موسى – عليه السلام– في صورة ساحر، وتفسير ما جاء به من معجزات على أنها سحر، لذلك أرسلوا في طلب جمْع من السحرة لعلهم يُعجزون موسى بسحرهم، لكن إرادة الله كانت فوق مكرهم، فحدث ما جعلهم ينقلبون صاغرين، فآمنوا برب العالمين، وخروا له ساجدين. قال عز وجل:

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝١١١ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝١١٢ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝١١٣ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝١١٤ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۝١١٥ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝١١٦ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 290.

تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف: 111–123]

لقد شعر فرعون بحجم الورطة، وفداحة الموقف الحرج الذي أوقع نفسه فيه أمام أعين، الناس، الذين كان يسعى لأنْ يَحُولَ بينهم وبين دعوة موسى –عليه السلام– حتى يضمن استمرار تسلطه عليهم، فما كان له مِن بُدٍّ إلا أن يستمر في مشروع التشكيك والمغالطة؛ ليوجه خطابه للسحرة ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ «أي جرت بينكم وبينه مواطأة في هذا لتستولوا على مصر» [1]

فهو إذن قدم تفسيرًا آخر يراوغ به الناس ويخادعهم مؤكدا أن ما حدث كان أمرا مُدَبَّرا من موسى –عليه السلام– وأن هؤلاء السحرةَ قد تواطأوا معه؛ لأن موسى –في زعم فرعون– هو معلمهم الأكبر الذي علمهم السحر، لذلك هم مدينون له بولاء لم يُظْهِروه من قبل، ومن ثم ما حدث يثبت أن هؤلاء السحرة تلاميذة مطيعون لمعلمهم الأكبر؛ فلم ولن يعصوا له أمرا، ففرعون كان يعلم « وكل من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل؛ فإن موسى –عليه السلام– بمجرد ما جاء من "مدين" دعا فرعون إلى الله، وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن مُلْكه ومعاملة سلطنته، فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر، ممن اختار هو والملأ من قومه، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل. وقد كانوا من أحرص الناس على ذلك، وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون، وموسى –عليه السلام– لا يعرف أحدا منهم ولا رآه ولا اجتمع به، وفرعون يعلم ذلك،

1 القرطبي، أحكام القرآن، 7/ 260.

وإنما قال هذا تسترا وتدليسا على رعاع دولته وجهلتهم كما قال تعالى :﴿فاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوه﴾ [الزخرف:54] فإن قوما صدقوه في قوله :﴿أَنَا رَبُّكُم الْأَعْلَى﴾ [النازعات:24] من أجهل خلق الله وأضلِّهم» [1]

ج- العقاب الجسدي:

بعد أن استنفد فرعونُ وملأُه حربَهم النفسية؛ بكل أساليبها الماكرة ذات الآثار المدمرة لتلك النفوس التي بقدر ما هي ضعيفة بسبب مناخ الرعب والتخويف الذي فرضه فرعون لفترة طويلة من الزمن، هي ضعيفة أيضا؛ لأن الناسَ يومئذ كانوا قد جعلوا الإيمانَ بالله سبحانه وتعالى رهينَ مداركهم الحسية، ومشروطا بما يرونه من معجزات تنسجم مع السياق الاجتماعي الذي كان يعج يومها بالسحر والسحرة، فبعد ذلك كله انتقل إلى مستوى آخر من الحرب؛ وهي الحرب المادية العنيفة باعتماد العقاب الجسدي الذي زرع به الرعب في نفوس الناس، لعل ذلك يكون سببا في الحول بينهم وبين اتباع الدين الحق، بل حتى تلك الفئة القليلة التي آمنت برسالة موسى –عليه السلام– أخفت إيمانها ولم تعلنْه خوفا من كيد فرعون وبطشه. قال عز وجل:

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [سورة يونس: 83]

الآية فيها تأكيد صريح على أن الفئة التي آمنت بنبي الله موسى –عليه السلام– هي فئة قليلة ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ وقيل: إن الذرية المقصودة هنا هم الأحداث والشباب؛ أي أولاد مَن دعاهم نبي الله موسى إلى دين التوحيد، لكن آباءهم استمروا على الكفر، وقيل: إن الذرية هم قومٌ كان آباؤهم من قوم فرعون، وأمهاتهم من بني إسرائيل، وقيل: أراد بالذرية مؤمني بني إسرائيل، وقيل الذرية هم مَن آمن مِن قوم فرعون، وفيهم آسية امرأة فرعون، وخازنه،

---

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 458.

وامرأة خازنه وماشطتها[1]، وفي كل الأحوال هم فئة قليلة كانت قد آمنت في أجواء الخوف والرعب، وهي تخشى أن يفتنها فرعونُ في دينها؛ ذلك لأن فرعونَ كان قد أطلق تهديدَه، و وجَّه وعيدَه لكل مَن يتبع دينَ موسى، بأنه سيذيقهم أشدَّ أنواع العذاب، كما جاء في القرآن على لسانه:

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الأعراف: 124]
﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: 127]

فهذا التهديد هو في واقع الحال لم يكن وليد تلك الحادثة التي أعلن فيها السحرة إيمانَهم بنبوة موسى –عليه السلام– وبالدين الذي جاءهم به، بعد أن أعجزهم وكشف ضعفهم أمام مشيئة الله عز وجل وقدرته، بل إن ذلك التهديد والوعيد هو امتداد لمسيرة طويلة من الترهيب والتخويف الذي مارسه فرعون لصد الناس عن دين الله، وتثبيت هيمنته المطلقة، وتسلطه على رقابهم. قال تعالى:

﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف: 129]

فقد تملَّك الخوفُ والفزعُ قومَ موسى –عليه السلام– حين سمعوا ما هددهم به فرعونُ، وهو يتوعدهم بأشد أنواع العقاب والعذاب، بقطع الأيدي والأرجل ... فقالوا: قد ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ «وذلك لأن بني إسرائيل كانوا قبل مجيء موسى –عليه السلام– مستضعفين في يد فرعون اللعين، فكان يأخذ منهم الجزية، ويستعملهم في الأعمال الشاقة، ويمنعهم من الترفه والتنعم، ويقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، فلما بعث الله تعالى موسى

1 ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 12/ 246-248، وينظر: القرطبي، أحكام القرآن، 8/ 369، وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 11/ 150. وينظر الزمخشري، الكشاف، ص 471. وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 287.

-عليه السلام- قوي رجاؤهم في زوال تلك المضار والمتاعب، فلما سمعوا أن فرعون أعاد التهديد مرة ثانية عظم خوفهم وحزنهم، »[1] وهذا ما أبلغوا به نبي الله موسى –عليه السلام- لأنه كان أملهم في النجاة والتخلص من ظلم فرعون وجبروته، وقد كان ردُّه – عليه السلام- أن الله يعدهم بزوال هذا القهر والطغيان، لكن اللهَ سينجز وعدَه في الوقت الذي قدَّره لهلاك فرعون، وزوال مُلْكِه، ليُمَكِّنَ لهم من بعده، فيكون هذا التمكين امتحانا لهم.﴿ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾

ولا شك أن ما حدث لموسى –عليه السلام- وأتباعه مع فرعون وحاشيته، حدث لغيره من الأنبياء وأتباعهم مع سائر الملوك، أو مع مَن كانت لهم الوجاهة والإمارة والتحكم في الشأن العام للناس ولو على مستوى القبيلة، فهذا نبي الله شعيب –عليه السلام- حين دعا أهل مدين* إلى توحيد الله عز وجل، وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى، وحين دعاهم إلى قيم الخير والصلاح، ونهاهم عن الفساد، وحين وقف مستنكرا أعمالهم القبيحة التي كان الهدف منها صد الناس عن دين الله، لقي مقاومة عنيفة من كبراء القوم الذين طغوا واستكبروا، فساوموا نبي الله شعيبا وخيَّروه بين أن يغادر بلادهم هو ومَن معه من المؤمنين برسالته، أو أنْ يعود أتباعه الذين آمنوا به وبرسالته إلى الدين الباطل لهؤلاء الكبراء المستكبرين. قال تعالى:

1 الرازي، مفاتيح الغيب، 14/ 221، 222.

* مدين هم قوم من سلالة مَدْيَان، وهو من أبناء إبراهيم الخليل –عليه الصلاة والسلام- كان قد استقر في هذا المكان، وصار اسم "مدين" عَلَما يدل عليه، وعلى المكان الذي استقر فيه، ويطلق أيضا على القبيلة التي هي من ذريته، ومدين قريبة من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز، قريبا من بحيرة قوم لوط، أما اسم القرية فقد كان يعني قديما البلد الذي تتوفر فيه كل متطلبات الحياة، بدليل أنهم كانوا يقولون عن مكة "أم القرى"، (ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 310/10، وينظر: ابن حجر، تحفة النبلاء من قصص الأنبياء، ص 247، وينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 7/ 4235 – 4243.)

﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ
جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا
تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥ وَلَا
تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ
وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦ وَإِن
كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ
ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ ﴾

[سورة الأعراف: 85–88]

فالموقف الذي وقفه بعض الملوك وسادة الأقوام المختلفة من الدين الحق، كان موقفا عدائيا، ليس على المستوى الشخصي فحسب، بل عملوا على تعميمه كي يصبح موقفا عاما يشمل عموم الرعية، وقد استغلوا سلطانهم لحَمْل الناس على ذلك، واعتمدوا كل الطرق والوسائل التي نجد منها ما كان يقوم على المغالطة، والافتراء، والتدليس، ومنها ما كان يقوم على العنف، والتخويف، والترهيب، لذلك استنكر نبي الله شعيب صنيع أهل مدين حين كانوا يقفون على قارعة كل طريق؛ لبث الإشاعة بين الناس ومخاطبتهم بما ينفرهم من دين الله، ويصدهم عن دعوته ورسالته –عليه الصلاة والسلام–

﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ ﴾ فقد كانوا «يقْعُدُونَ على طريق من قصد شعيبًا وأراده ليؤمن به، فيتوعَّدونه ويخوِّفونه، ويقولون: إنه كذاب! » [1]

فصدور القوم قد ضاقت بما كان يدعو إليه نبي الله شعيب من قيم ربانية تحفظ كرامة الناس، وهذا ما كان يهدد استمرار تلك الزعامة القائمة على امتهان كرامة الناس واستغلالهم وسلب إرادتهم، لذلك استنفر سادة القوم وصعَّدوا موقفهم العدائي؛ فتوعدو شعيبا بالنفي من القرية (قرية مدين) كما توعدوا أتباعه أيضا بهذا النفي والتهجير، إنْ لم يتركوا هذا الدين الذي جاءهم به شعيب، ليعودوا إلى ملتهم السابقة مُكْرَهين غير مُخَيَّرين.

فهؤلاء الملأ ما كان لهم لينذروا شعيبا –عليه السلام- بإخراجه من القرية لو لم يكن لهم سلطان عليها، ولو لم يكن لهم تأثير على قومهم الذين أوهموهم بقولهم: إنكم خاسرون إذا ما اتبعتم دينَ شعيبٍ؛ لأنكم باتباعكم إياه ستخسرون شرفَكم ومجدَكم؛ فإيمانُكم به هو اعتراف وإقرار منكم بأن آباءَكم وأجدادَكم؛ مبعثُ عِزِّكم وفخرِكم، هم في ضلال ومعذبون في النار، بل إن إيمانَكم بدعوته سيجعلكم تخسرون ثروتكم التي جمعتموها من تجارتكم ومن تطفيفكم الكيلَ والميزانَ، ومن تبخيسكم تجارة الغرباء، وأي خسارة أعظم من خسارة الشرف والثروة ؟[2]

وقد تكررت هذه التجربة مع الكثير من أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام- فهذا نبي الله صالح حين نهى قومه عن الشرك ودعاهم إلى التوحيد قابلوا دعوته بالرفض والإعراض، ثم كادوا له وهَمُّوا لقتله –عليه الصلاة والسلام- يقول عز وجل:

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 10/ 312، 313.

2 ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 9/ 10، 11.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ
٤٥ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٤٦
قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ٤٧ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ٤٨ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٤٩ ﴾ [سورة النمل: 45، 49]

فقد كانت تلك الفئة من الرؤوس والكبراء الذين كانت لهم الغلبة والهيمنة على أمر ثمود، يدْعون قومهم إلى الضلالة والكفر مُكَذِّبين دعوةَ النبيِّ صالح –عليه الصلاة والسلام– وآل بهم الحال إلى أنْ عقروا الناقة، وكادوا لصالح أيضا، بأنْ يُبَيِّتُوه* في أهله ليلا فيقتلوه غِيْلةً[1].

فهؤلاء كما جاء وصفهم في القرآن الكريم ﴿ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وليس في المدينة فقط، وإفسادهم لا يخالطه شيء من الصلاح ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ فعادتهم أنْ يستمروا في الإفساد،[2] لأن مَن ليس صالحا ليس بمقدوره أن يكون مصلحا، ولا يمتلك استعدادًا ولا قابليةً لأنْ يؤمنَ بدعوةٍ صالحةٍ مُصْلِحةٍ جاء بها نبيٌّ صالح مصلح؛ يأمر الناسَ بالمعروف وينهاهم عن المنكر، بل إن هؤلاء بقدر القوة التي كانوا يبدونها في الإعراض عن الدعوة النبوية، تراهم يعملون بالقدر ذاته وبالقوة نفسها في صد الناس عن هذه الدعوة.

فالذين كانت بأيديهم زمام أمور الناس بعنوان المُلْكِ، أو بعنوان الزعامة القومية، أو بأي عنوان آخر يعبر عن مضمون الحاكمية، هؤلاء جميعهم كانوا يرون أن القيم التي جاء بها الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– تشكل خطرا عليهم، وعلى مصالحهم المتمثلة أساسا في التمكين لشهوة التسلط لديهم، بما يضمن استمرار الزعامة واستغلال الناس، لذلك واجهوا الأنبياء وأتباعهم بردة

* التَّبْيِيتُ والبَيَاتُ: مُباغَتَةُ العَدُوِّ لَيْلًا. وعَكْسُهُ التَّصْبِيحُ: الغارَةُ في الصَّباحِ (ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 19/ 283.

1 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/ 197-199

2 ينظر: الآلوسي، روح المعاني، 19/ 212، 213.

فعل واحدة تكررت في أزمنة متعاقبة، وهي العمل على نفي الأنبياء وتهجيرهم وإخراجهم من ديارهم بغير حق. قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة إبراهيم: 13]

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [سورة الأعراف: 88]

﴿ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [سورة النمل: 56]

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ... ﴾ [سورة الحج: 40]

فأهل الزعامة والقرار في البيئة الجاهلية يرفضون أن يزاحمهم في بيئتهم كيان آخر هو في أصل طبيعته، وفي حقيقة مبادئه لا بد أن يكون كيانا مستقلا عنهم، ولا بد أن تكون له قيادة مستقلة، وأن يكون له ولاء مستقل، بتشريع وتعاليم وقيم مستقلة.

فهؤلاء المتسلطون في المجتمعات الجاهلية، لم يتركوا أي مجال لدعوة تضايقهم وتهدد مصالحهم، ولم يسمحوا لمجتمع يضم موحّدين أن يعمل داخل مجتمعهم؛ لأنهم لا يؤمنون إلا بالجهد الذي يندرج ضمن النسيج الاجتماعي الجاهلي، ويعمل لمصلحة زعماء الجاهلية لتوطيد سلطتهم وبسط هيمنتهم، ومن ثم كان من الطبيعي أن يتجهوا إلى الخيارات الاستئصالية والإلغائية؛ بإخراج الأنبياء وأتباعهم من ديارهم، كي تبقى تلك المجتمعات على جاهليتها، ولكي تبقى خالصة لهم في ولائها وفي تبعيتها، لذلك أخرجوا كل ما في صدورهم من غل وحقد، فلم يكتفوا بإخراج دعاة الحق من ديارهم فحسب، بل أظهروا قسوة ما بعدها قسوة، فمارسوا أشرس تعذيب، وأشد تعنيف ضد الأنبياء وأتباعهم. قال تعالى في ذلك:

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ ﴾ [سورة الأنبياء: 68- 70]

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [سورة الأعراف: 124]

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: 127]

فقد بذلوا كل ما يستطيعون، وعملوا بكل ما لديهم من مكر وحقد، ومارسوا كل ألوان التعذيب، لصد الناس عن الدين الحق، ودَفْعِهم للإعراض عن دعوة الأنبياء؛ لعلمهم أن اتباع الناس للدين الحق سيحررهم من وضع العبودية الذي فرضه هؤلاء عليهم، وسيجعلهم مرتبطين بقيم السماء التي تتناغم وتنسجم مع فطرة الإنسان، وتحفظ له كرامتَه الإنسانية، وحقَّه في الحياة الكريمة التي تليق به.

الفرع الثالث: الحاكمية الفاسدة ودورها في انحراف الناس عن دين الله.

ارتباط السياسة بالدِّين الحق يعصمها من الانحرافات الكبرى؛ ذلك لأن الدين الحق «إذا دخل في السياسة: هداها إلى الغايات العليا للحياة وللإنسان ... وتحقيق مقاصد الله من خلق الإنسان ... ومع الهداية إلى أشرف الغايات، وأسمى الأهداف؛ يهديها كذلك إلى أقوم المناهج، لتحقيق هذه الغايات، وجعلها واقعا في الأرض يعيشه الناس، وليست مجرد أفكار نظرية، أو مثاليات تجريدية» [1]

ولا شك أن رجل السياسة المتدين بالدين الحق تتشكل لديه تلك الحوافز الروحية والنفسية التي تدفعه إلى تجسيد قيم الحق والخير والصلاح، وفي الوقت نفسه تجعله متعففا عن الانجرار إلى

---

1 يوسف القرضاوي، مناقشة مقولة لا دين في السياسة، موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي https://www.al-qaradawi.net/node/3347، تاريخ النشر 2008/06/05م، تاريخ العودة إلى الموقع 2022/12/19م الساعة: 06.35.

الفساد، وعن الوقوع في المنكرات والشهوات؛ لأن «الدِّين يمنح السياسيَ الضميرَ الحيَّ أو (النفس اللوامة)» [1] التي تحول بينه وبين الحرام، وتحول بينه وبين ارتكاب المظالم والوقوع في المفاسد التي تأباها الفطرة السليمة المشبعة بقيم الدين الحق الذي «يصرف النفوس عن شهواتها، ويعطف القلوب عن إرادتها، حتى يصير قاهرا للسرائر، زاجرا للضمائر، رقيبا على النفوس في خلواتها، نصوحا لها في ملماتها، وهذه الأمور لا يُوصَل بغير الدين إليها، ولا يصلح سائر الناس إلا عليها، فكان الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها، وأجدى الأمور نفعا في انتظامها وسلامتها، ولذلك لم يُخَلِّ الله تعالى خلْقَه مذْ فطرهم غُفْلاً من تكليف شرعي، واعتقاد ديني، ينقادون لحكمه فلا تختلف بهم الآراء، ويستسلمون لأمره فلا تفترق فيهم الأهواء» [2].

وعليه فإن «تجريد السياسة من الدِّين يعني تجريدها من بواعث الخير، وروادع الشر. تجريدها من عوامل البر والتقوى، وتركها لدواعي الإثم والعدوان » [3]وإذا كان رجال الحكم والسياسة على هذه الحال، فإن ما يترتب عن ذلك من نتائج وآثار هي في واقع الحال لا تتعلق بالمكاسب والمصالح التي تتحقق حصرا في نطاق الحياة الشخصية للحاكم وحاشيته، بل له تداعياته على الحياة العامة لمن هم تحت ولايته وسلطته من عموم الرعية؛ ليس على مستوى الحياة المعيشية والاجتماعية فقط، بل الأمر يتجاوز ذلك إلى الحد الذي يصل فيه الحاكم إلى درجة تشكيل نمط إنساني معين بقناعات، وتصورات، وسلوكات تنسجم وتتناغم مع التوجه العام لسياسة الحاكم؛ ذلك لأن الحاكم الذي له السلطة على دور العبادة ومنابرها، وعلى مؤسسات التعليم ومناهجها،

1 يوسف القرضاوي، مناقشة مقولة لا دين في السياسة، موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي-https://www.al-qaradawi.net/node/3347، تاريخ النشر 2008/06/05م، تاريخ العودة إلى الموقع 2022/12/19م الساعة: 06.35.

2 الماوردي، أدب الدين والدنيا، ص 217.

3 يوسف القرضاوي، مناقشة مقولة لا دين في السياسة، موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي-https://www.al-qaradawi.net/node/3347، تاريخ النشر 2008/06/05م، تاريخ العودة إلى الموقع 2022/12/19م الساعة: 06.35

والثقافة والإعلام وبرامجها، ومع ذلك هو يعمل جاهدا لاستغلال تلك المواقع والمنابر في بناء الإنسان الذي يريده، وفي صناعة العقل بالوعي الذي يحدده، وبالطريقة التي تخدم أهدافه.

وبما أن الدين الحق يحمل قيما متعالية، وأحكاما تشريعية لا تنسجم مع أهواء الحكام وأمزجتهم ومصالحهم، عمل الكثير من الحكام عبر تاريخ البشرية جمعاء على اختطاف دين الله بالشكل الذي يمكنهم من إعادة إنتاج مفاهيمه لخلق نمط من التدين الذي لا يعبر بالضرورة عن مضامين الدين كما جاء بها الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– وإنما يعبر عن التوظيف البشري للدين، بهدف التسلط على الناس باسم المقدس، واستدراج الناس للانحراف أيضا باسم المقدس، ثم لإنتاج ثقافة التبرير للانحراف عن الدين باسم الدين، وممارسة التدليس والمغالطة للخروج عن الدين باسم الدين، فيصبح الفهم البشري للدين، وتصبح الممارسة البشرية للدين كأنها هي الدينُ ذاتُه في نظر العامة من الناس.

وقد أورد القرآن الكريم بعض الحقائق والمواقف لحكام انتسبوا إلى الديانات السماوية، لكن لم يلتزموا بقيمها وتعاليمها الأصيلة التي جاء بها أنبياء الله، فوظفوا الدين لخدمة سلطانهم، بدل أن يوظفوا المُلْكَ والسلطان من أجل التمكين لقيم الدين وتعاليمه، فحكموا بغير ما أنزل الله، فكانوا ممن حق فيهم قوله عز وجل:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥ ﴾ [سورة المائدة: 44، 45]

وقد أشار القرآن الكريم في سورة البروج إلى قصة لأحد هؤلاء الحكام الذين انتسبوا إلى إحدى الديانات السماوية، لكنه لم يحكم بتعاليمها، فكان متعسفا في استغلال سلطانه، وفي توظيفه الدينَ الحقَّ لاكتساب مشروعية الإبادة والاضطهاد للمخالفين له في الدين والاعتقاد. قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله:

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ **[سورة البروج: 4- 10]**

ارتبطت سورة البروج بقصة اختلف الرواة في تعيينها، وفي تعيين المراد منها في هذه الآية، لكن أكثر هذه الروايات تقتضي أن المفتونين بالأخدود قوم اتبعوا النصرانية في بلاد اليمن، أو في بلاد الحبشة على بعض الروايات، وذكرت فيها روايات متقاربة تختلف بالإجمال والتفصيل، والترتيب، والزيادة، والتعيين وأصحها كما يقول ابن عاشور ما رواه مسلم والترمذي[1] عن صهيب*

1 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/ 241.

* هذا نص الرواية من صحيح مسلم:

((كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيتَ الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني ، فقال إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله، فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك، قال: ربي، قال: ولك رب غيري، قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام= =

وفي كل الأحوال مهما تنوعت الروايات، فإن ما يهمنا هو جوهر الموضوع وروح الحادثة التي نجدها مبثوثة في كل الروايات التي تعبر في عمومها عن ظاهرة انحراف الحاكم عن الدين الحق الذي يُفْتَرَض أنه منتسب إليه، والعمل على استغلال دين الله، وتوظيفه بما يخدمهم، ويبرر لهم ممارساتهم الشنيعة في حق المخالفين لهم في الدين.

أما تعيين المصاديق الواقعية والتاريخية للقصة، فيمكن تحقيقه من خلال الاستعانة بسيرة ابن إسحاق التي اعتمدها بعض المفسرين[1] في تفسيرهم قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج،

==فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمئشار، فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك، قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك، قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال وما هو، قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صُدْغِهِ ، فوضع يده في صُدْغِهِ في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأُتِيَ الملكُ فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حَذَرُكَ، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت، وأَضْرَمَ النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّهِ اصبري فإنك على الحق)) (أخرجه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم)، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، رقم الحديث: 3005، ص 1297.)

1 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 368- 370، وينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 289/19، وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/ 241.

التي تشير إلى أن القصة جرت في نجران من بلاد اليمن[1]، وإنه كان ملك «ذو نواس، واسمه: زرعة، ويسمى في زمان مملكته بيوسف، وهو ابن تبان أسعد أبي كرب»[2] كان يهوديا استغل مُلْكَه في إكراه الناس على اعتناق الديانة اليهودية، باعتماد قوة السلطان، وبطش الجند الذين ارتكبوا محرقة شنعاء في حق نصارى نجران بسبب تمسكهم بنصرانيتهم، ورفضهم اتباع دين اليهود، [3]

وتضيف بعض الروايات أن أهل نجران الذين كانوا على دين عيسى لما جاءهم الملك ذو نواس اليهودي بجنود من حِمْيَر فَخَيَّرَهم بين النار واليهودية أبوا ترك دينهم، فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الأخاديد، وقيل سبعين ألفا، وذُكِر أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا[4].

فالملك ذو نواس الحِمْيَري اليمني كان يؤمن بالتوراة كتابا، وباليهودية دينا، وبموسى نبيا ورسولا، وأهل نجران كانوا يؤمنون بالإنجيل كتابا، وبالنصرانية دينا، وبعيسى نبيا ورسولا، وكل ذلك وحْيٌ من مَعِينٍ واحد؛ فَـ «الإنجيل الذي تدين بصحته وحَقِّيَته النصارى، يحقق ما في التوراة من نبوة موسى عليه السلام، وما فرض الله على بني إسرائيل فيها من الفرائض، وأن التوراة التي تدين بصحتها وحقيقتها اليهود تحقق نبوة عيسى عليه السلام، وما جاء به من الله من الأحكام والفرائض» [5]؛ لأن الديانتين لنبيين مبعوثين من رب واحد؛ هو رب اليهود والنصارى، هو رب الناس أجمعين، وهو رب العالمين.

---

1 ينظر: ابن إسحاق محمد ابن إسحاق اليساري المطلبي المدني، السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1424هـ، 2004م، 1/ 36-39.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 369.

3 ينظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، 1/ 37.

4 ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 31/ 118، وينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 1192.

5 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 2/ 435، 436.

فكلٌّ «يتلو في كتابه تصديق ما كفر به: أي يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم من الميثاق على لسان موسى بالتصديق بعيسى عليه السلام، وفي الإنجيل مما جاء به عيسى تصديقُ موسى، وما جاء به من التوراة من عند الله؛ وكل يكفر بما في يد صاحبه» [1] فموسى –عليه السلام- كان قد نبَّأ أتباعه بنبوة عيسى –عليه السلام- ودعاهم إلى تصديقه، والإيمان به نبيا ورسولا، لكن هذا الملك اليهودي انحرف عن تعاليم الدين الذي جاء به نبيُّه موسى –عليه السلام-

1- حين أنكر نبوة المسيح –عليه السلام- ومن ثم إنكار الدين الذي جاء به.
2- حين استنكر أن يؤمن نصارى نجران بعيسى – عليه السلام – وأنْ يكونوا أتباعا لدينه.
3- حين عمل على إكراه الناس بالتخلي عن دينهم واتباع دينه.
4- حين أراق الدماء وقتل الأبرياء، باسم الدين لكن بهدف تحصين المُلْك.

فهذا الانحراف تمت ترجمته عمليا إلى ممارسة سلوكية عدوانية خطيرة؛ لأن ردة فعل الملك اليهودي لم تكن سلوكا فرديا محدودا ومعزولا، بل هو موقف وقرار سياسي ارتبط بموقعه السياسي؛ كملك له جيش، وله سطوة وسلطة تمنحه القدرة على أن يفعل بهؤلاء النصارى مايشاء، فسلط عليهم العقاب بالطريقة والكيفية التي يشاء؛ لأنهم رفضوا أن يتركوا دينهم ليتبعوا اليهودية؛ دين هذا الملك الذي لم يكن يرى أن استقلال أهل نجران بدين غير دينه هو مجرد حرية في الاعتقاد وكفى، بل كان يرى الأمر على أنه شقٌّ لعصا الطاعة، وهو بدايةٌ لتشكيل كيانٍ مستقلٍّ، بقيادةٍ مستقلةٍ، وولاءٍ مستقلٍّ عن الملك، مما يهدد عرشَه ومُلْكَه.

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 2/ 437، 438.

ومن ثم فإن موقفَه لم يكن حرصا منه على الدين الحقِّ، بل هو خروجٌ عن الدين الحق وتشويهٌ له، من أجل المصلحة السياسية التي لا تنحصر في المكاسب المادية والتسلط على رقاب الناس فقط، بل إن المصلحة السياسية – في نظر أمثال هؤلاء- لا تتحقق كاملة إلا بضمان السلطة الدينية أيضا؛ لأن هذه السلطة تُعَضِّد السلطة السياسية، ولأن الولاء الذي يتحقق باسم الدين من شأنه أنْ يُمَكِّن الحاكم من التسلط على مشاعر الناس وقلوبهم، والتسلط على عقولهم ونمط تفكيرهم، فيكون متحكما في مواقفهم وفي قراراتهم وفي كل حركاتهم وسكناتهم، وبذلك يضمن لنفسه الانقياد الطوعي للرعية باسم الدين والمقدس، فيأمر وينهى ليطاع طاعة لا بصيرة فيها، ولا تردد فيها أو اعتراض.

وعليه فإن الدواعي السياسية في مثل هذه الحالات كثيرا ما تجعل الحاكم لا يفكر في حرمة الدين، ولا يهمه أمر الدين، ولا الالتزام بتعاليمه وأحكامه، فكل ما يهمه أن يفكر ويعمل على اختطاف الدين وتوظيفه توظيفا سياسيا، ينتهي به إلى الانحراف عن حقيقة الدين، ومخالفة تعاليمه وأحكامه، لأن ما يهمه بالدرجة الأساس هو أنْ يُوَطِّد أركان حُكْمِه ودعائمَه، وأنْ يخدم سلطانَه باسم الدين، لذلك كانت هذه الرغبة في التسلط سببا دفع بالْمَلِكِ اليهودي المنتسب إلى دين الله كي ينحرف عن الدين الحق كما جاء به نبي الله موسى –عليه الصلاة والسلام- لا كما فهمه أو مارسه المنتسبون إليه من اليهود في تجربتهم التدينية المنحرفة عن تعاليم التوراة الصحيحة.

وبالإضافة إلى هذا النموذج من التدين اليهودي المنحرف عن الدين الحق؛ لأسباب سياسية، نجد نموذجا آخر للتدين النصراني المنحرف عن الدين الحق؛ لأسباب سياسية أيضا.

يقول تعالى في سورة الفيل:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

[سورة الفيل:1–5]

جاء في الروايات أن أصحاب الفيل، هم قوم من النصارى كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، وتضيف الروايات أن أصول هؤلاء النصارى من الحبشة، كانوا قد استولوا على بلاد اليمن التي غزوها بعد أن بلغهم ما فعله الملك اليهودي بالنصارى، أو ما يعرف بقصة أصحاب الأخدود الذين لم يفلت منهم إلا شخص واحد، ذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام –وكان نصرانيا– فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة الذي كان قريبا من بلاد اليمن؛ يدعوه للانتقام، فأرسل النجاشي جيشا عظيما بقيادة أميرين هما: "أبرهة وأرياط" فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار، واستلبوا المُلْكَ من حِمْيَر، وهلك مَلِكُهم اليهودي "ذو نواس" غريقا في البحر، فصارت اليمن تابعة لمملكة الحبشة.

وبعد صراع بين الأميرين الحبشيين: أبرهة وأرياط حول من يتولى إمارة اليمن، انتهى الصراع بمقتل "أرياط" بعد مبارزة بينه وبين أبرهة الذي تولى بعده إمارة اليمن، فأرسل إليه النجاشي يلومه على ما كان منه، ويتوعده، فظل أبرهة يرسل إليه في كل مرة ويترقق له ويتذلل، ويصانعه بهدايا وتحف، حتى حاز رضا النجاشي، وبعدها أرسل أبرهة يقول للنجاشي: إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلَها مِثلُها، فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء، رفيعة البناء، عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء، سمتها العرب الْقُلَّيْس[1].

وبعد اكتمال بناء الكنيسة عزم أبرهة على أن يصرف حج العرب إليها، كما يحج إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك، وغضبت قريش

1 سمتها العرب الْقُلَّيْس؛ لارتفاعها؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها. (ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 484.

لذلك غضبا شديدا، حتى قصد بعضهم هذه الكنيسة، ودخلوها ليلا، فدنسوها وقيل أحرقوها، المهم أنهم أحدثوا فيها أمرا أثار حفيظة الأمير، ولما علم أبرهة أن ذلك من صنع بعض قريش غَضَبًا لبيتهم الذي ضاهى به هذه الكنيسة، أقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة، وليخربنه حجرا حجرا، فتأهب أبرهة لذلك، وسار زاحفا في جيش كثيف عرمرم؛ لئلا يصده أحد عنه، واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم يُرَ مثلُه، كان قد بعثه إليه النجاشي، ليهدم به الكعبة؛ بأن يجعل السلاسل في الأركان، وتوضع في عنق الفيل، ثم يزجر ليلقي الحائط جملة واحدة.

لكن قدرة الله عز وجل ومشيئته كانت هي الفاصلة، فحفظ الله بيته الحرام من شر "أبرهة" الذي ظل على عناده وتعنته وإصراره المنقطع النظير على هدم الكعبة، رافضا الاستجابة لشفعاء العرب وتوسلاتهم، أو الإصغاء للنصح الذي أسداه له سادتهم، كي يصرف النظر عما هو عازم عليه، فلقي مصيره المحتوم بسوء العاقبة [1] كي يبقى هو ومن معه عبرة لكل طاغية، ظالم، مفسد لا يراعي حرمات الله عز وجل.

فالذي يهمنا في هذا المقام أن أبرهة الحبشي ينتسب إلى ديانة سماوية هي الديانة النصرانية، ويؤمن بنبي هو نبي الله عيسى – عليه السلام- الذي ارتبطت نبوته واقترنت بكتاب سماوي هو الإنجيل، وقد ورد في الإنجيل وصف الكعبة وصفا كاملاً، وورد فيه أيضا تاريخ الكعبة قبل الإسلام، كما ورد فيه وصف لبئر زمزم، والصفا والمروه، بل تضمن الإنجيل وصفاً واضحاً لمناسك الحج[2] * .

---

1 ينظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، 1/ 38 – 51، وينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط3، 1410هـ – 1990م، 1/ 57 – 68، وينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 24/ 635 – 643، وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 483 – 488، وينظر: البغوي، معالم التنزيل، 8/ 535 –541.

2 ينظر: أحمد حجازي السقا، الحج إلى الكعبة في التوراة والزبور والإنجيل والقرآن، مكتبة النافذة (مصر)، ط1، 2003م ==

وهذا ليس بالأمر الغريب؛ لأن أنبياء الله – عليهم السلام- تلقوا الرسالة من مشكاة واحدة، وكلهم كانوا يدْعُون إلى دين واحد؛ هو دين الله، وعليه فإن عزم أبرهة الحبشي على هدم الكعبة لا يمكن تبريره على أنه ردة فعل طبيعية اتجاه سلوك ما، بقدر ما هو موقف أملته إكراهات السياسة النابعة من شهوة التسلط، والرغبة في السيطرة والبروز باستعلاءٍ وإلغاءٍ، يقوم أساسا على إنكار بعض الحقائق التي جاءت في كتاب سماوي يؤمن به وهو الإنجيل؛ أي هو إنكار لما جاء في الإنجيل بخصوص أبي الأنبياء وخليل الله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام- الذي بنى البيت كي يكون مثابة للناس وأمنا، وهو إنكار أيضا لبشارة المسيح – عليه السلام- بالنبي الخاتم الذي يأتي من بعده رحمة للعالمين، ليتخذ الكعبة قبلة للبشرية جمعاء في توجهها إلى عبادة الله عز وجل.

فهذا المَلِك تنكر لما يُفْتَرَض أنه يؤمن به؛ كل ذلك من أجل التمكين لطموحه السياسي، ولشهوته في التسلط، فعمل على توظيف دين الله لمحاربة دين الله ! والحديث عن توظيف دين الله؛ هو في واقع الحال حديث عن نمط معين من التدين؛ بحيث لا يتسلط فيه الدين على

● تأتي أهمية هذا الكتاب من مؤلفه الشيخ الأزهري الأستاذ في علم مقارنة الأديان، المختص والمتمرس في محاججة أصحاب الديانات الأخرى، ودحض تحريفاتهم وافتراءاتهم الملفّقة، وفي هذا الكتاب يدافع المؤلف عن الإسلام في عمقه من خلال قبلته المقدّسة الكعبة المشرفة ومنسك الحج إليها، مع بيان ذلك القدر العظيم للكعبة منذ القدم لدى أصحاب الأديان وكيف قاموا بتحريف وحجب تلك المكانة عن أقوامهم؛ حيث أنكر اليهود قدرها لما حرّفوا التوراة وقاموا بعمل مسجدهم في "أورشليم" وأمروا أشياعهم بالحج إليه؛ لينسى الناس على طول الأيام الحج إلى الكعبة، وفي المقابل قام النصارى منذ السنة الأولى لمولد سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ببناء مسجد في صنعاء اليمن وجعلوه قبلة؛ ليصرفوا أشياعهم عن مكة المكرمة؛ لذلك قام المؤلف بإثبات كل تلك المحاولات للنيل من كعبة المسلمين وبيان قدرها ومكانتها الصحيحة بما ورد فيها بالقرآن الكريم وبما كتب عنها في التوراة والزبور والإنجيل بشكل متطابق يُفحم المحرّفين ويردّ على ادعاءاتهم المنكرة، كما يعدّ هذا الكتاب الأول في تقديم وصفٍ للكعبة وتاريخها قبل الإسلام (ينظر: موقع قبلة الدنيا، تاريخ النشر: 2018/12/15م .

https://makkawi.azurewebsites.net/Book/1136/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AC- تاريخ العودة إلى الموقع: 2023/01/03، الساعة: 06.50.

الإنسان، إنما يصبح الإنسان هو المتسلط على الدين؛ متصرفا ومتحكما فيه، وموظِّفا إياه، ومُسَخِّرًا له بالشكل الذي يخدم أهواءه، وأغراضَه الشخصية، فيكون تدينه مخالفا للضوابط التي يجب أن تنتظم بها علاقة المتدين بدين الله، وفق قاعدة الخضوع، والتسليم، والالتزام، والتنكر لحظوظ النفس وأهوائها وشهواتها التي تحجب الفطرة، وتحجب البصيرة التي هي دليل الإنسان وضمانته في الاهتداء إلى الدين الحق والالتزام بأحكامه وتعاليمه.

فهذان نموذجان؛ أحدهما لحاكم يهودي، وثانيهما لحاكم نصراني؛ يمثل كل واحد منهما تجربةً في التوظيف السياسي للدين؛ لمحاربة الدين ذاتِه وتبرير الانحراف عنه، ولا شك أن هاتين التجربتين تلتهما تجارب مشابهة لحكام عرفهم اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الْمِلَل الأخرى عبر تاريخهم الطويل، وبتراكم هذه التجارب وهذ الممارسات، كان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على السلوك التديني لعموم اليهود والنصارى وغيرهم، وأن يتشكل لدى هؤلاء جميعهم نمط معين من التدين المتأثر بسياسة حكامهم وأمزجتهم ومصالحهم السياسية التي تتحدد بمقتضاها علاقتهم بالدين وموقفهم منه.

وحين تكون العلاقة بالدين قائمة على هذا الأساس المرتبط بالحاكمية الفاسدة المفسدة، هي من دون شك ستكون علاقة مخالفة لأحكام الدين الحق وتعاليمه، وسينشأ عنه عقل إلغائي، يعيش أصحابه وهم احتكار الحق في كل شيئ، وبالأخص احتكار الدين الحق، أو احتكار الفهم الصحيح للدين الحق، ومن ثم لا يؤمن هؤلاء ولا يَقْبَلون، بل لا يطيقون وجود من يخالفهم في هذه الحياة، وعلى هذا الأساس، ومن هذا المنطلق خاض النصرانيون حروبهم الصليبية الحاقدة ضد المسلمين، وأسس اليهود كيانهم الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين ومقدسات المسلمين، وعلى هذا الأساس أيضا نشأت الصراعات المذهبية والطائفية بين المنتسبين إلى الدين الواحد، فهؤلاء جميعا كلٌّ منهم يعلن انتسابه إلى دين الله، وإلى نبي من أنبياء

الله –عليهم الصلاة والسلام- لكنهم في الواقع العملي لتدينهم، تجدهم لا يؤمنون بدين الله كما جاء به أنبياء الله ورسله، بقدر ما يؤمنون بفهمهم الخاص للدين؛ أي يؤمنون بنمط معين من التدين، ويقدمونه على أنه هو الدين الحق الذي لا يجب مخالفته أو الخروج عنه.

خلاصة الفصل

تناولت الدراسة في المبحث الأول من هذا الفصل الأسباب الذاتية لانحراف التدين، وخلصت إلى أن هذه الأسباب منها؛ ما يتعلق بالنفس وأهوائها التي تندرج ضمن النشأة التكوينية الطبيعية المتعلقة بحركة الشهوة في النفس، ومنها ما يتعلق، بالنفس وأمراضها، التي هي حالة طارئة على النفس، ومنها ما يتعلق بالأسباب التصورية، بحيث تصبح وظيفة العقل مأسورةً في التفكير النمطي وفق ما هو سائد، ومن ثم يتحول إلى عقل تبريري، بصناعة المغالطة التي طالت الدين اعتقادا وتشريعا.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد كان مخصصا لتناول الأسباب الاجتماعية والسياسية التي غالبا ما تهيئ المناخ العام لانحراف التدين، أو تكون أحيانا سببا مباشرا في انحراف التدين؛ ففي الجانب المتعلق بالأسباب الاجتماعية تناول هذا العنصر بعض ما جاء به القرآن الكريم من تعاليم وأحكام عامة لضمان حياة اجتماعية مثالية، وبعدها حاولت الدراسة أن تبرز أهم التحديات الاجتماعية التي واجهت دعوة الأنبياء، بسبب تمسك الكثير من المجتمعات بموروثها الذي منحته صبغة القداسة، فكان له التأثير البالغ في صناعة التصورات التي على أساسها تم صد الناس عن دين الله، وبعدها تطرقت الدراسة لبعض المجتمعات التي بالرغم من انتسابها إلى الدين الحق، إلا أن فئات منها أبدت تجاهلا صريحا لتعاليم الوحي؛ حرصا على التمسك بالنمط الاجتماعي السائد.

أما في الجانب المتعلق بالأسباب السياسية تناولت الدراسة بعض ما جاء به القرآن الكريم من تعاليم وأحكام عامة لضمان حياة سياسية مثالية تقوم على مبادئ أساسية هي: التزام تعاليم الوحي وأحكامه، حفظ الأمانة، الحكم بالعدل، التحلي بالصلاح والسعي للإصلاح.

وبعدها تناولت الدراسة دور الحكام المفسدين في صد الناس عن دين الله؛ بسبب شهوة التملك والتسلط المسيطرة على النفوس، مع التأكيد على أن تجريد السياسة من تعاليم الدِّين الحق يعني تجريدها من بواعث الخير، وروادع الشر، فلا يكون الحاكم حينها ملتزما بدين الله، ولا حافظا للأمانة، ولا حاكما بالعدل، ولا صالحا مصلحا، بل إن علاقته بالدين؛ أنْ يعمل جاهدا على اختطاف دين

الله فيعيد إنتاج مفاهيمه لخلق نمط من التدين الذي يعبر عن التوظيف البشري للدين، بهدف التسلط على عقول الناس وقلوبهم باسم المقدس، وممارسة التدليس والمغالطة للخروج عن الدين باسم الدين، فيصبح الفهم البشري للدين، وتصبح الممارسة البشرية للدين كأنها هي الدينُ ذاتُه في نظر العامة من الناس.

الفصل الثالث

أثر التدين المنحرف على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم

المبحث الأول: أثر التدين المنحرف على الفرد.

المبحث الثاني: أثر التدين المنحرف على المجتمع

المبحث الأول: أثر التدين المنحرف على الفرد

ويتضمن

المطلب الأول: أثر التدين المنحرف في علاقة صاحبه بالله

المطلب الثاني: عاقبة انحراف العبد عن دين الله

الفصل الثالث: أثر التدين المنحرف على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم

المبحث الأول: أثر التدين المنحرف على الفرد

تناولت في الفصل الثاني الأسباب المؤدية إلى انحراف التدين، الذي بقدر ما هو نتيجة لتلك الأسباب، يصبح بدوره سببا تترتب عنه آثار سلبية على حياة الفرد والمجتمع، وعليه تم تخصيص هذا المبحث للوقوف على أبرز الآثار المترتبة عن التدين المنحرف على المستوى الذاتي للفرد المتدين، وهو يتكون من مطلبين؛ خُصِّص المطلب الأول للوقوف على أثر التدين المنحرف في علاقة المتدين بالله، بينما تم تخصيص المطلب الثاني لإبراز عاقبة المنحرفين عن دين الله.

المطلب الأول: أثر التدين المنحرف في علاقة صاحبه بالله

يتكون هذا المطلب من ثلاثة فروع؛ في الفرع الأول تم بيان أصل العلاقة التي يجب أن تربط العبد بخالقه، أما الفرع الثاني فقد كان لبيان كيف يؤدي الانحراف في التدين إلى استثقال العبادة، والتخلي عن التكليف، بينما كان الفرع الثالث لبيان كيف يكون التدين المنحرف سببا في مجافاة الدين والتعلق بالدنيا.

الفرع الأول. في أصل علاقة العبد بالله

لتحديد أصل العلاقة التي يجب أن تربط العبد بخالقه عز وجل، يمكن أن ننطلق من قوله سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [سورة العنكبوت: 56]

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات: 56]

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ [سورة مريم: 93]

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق وجعلهم عبيدا له؛ أي كلهم سواء في شأن العبودية؛ لأن الكل يخضع لإرادة الله ومشيئته، والكل فقير إلى الله، والكل مقهور وضعيف وعاجز أمام قدرة الله الواحد القهار المتعالي؛ ومهما كان الإنسان مؤمنا أم كافرا فإنه يعيش حالة العبودية لله، أما حالة العبادية لا يعيشها إلا المؤمن.

فالله سبحانه وتعالى جعل العبد « مختاراً: المؤمن تنازل عن اختياره لاختيار ربه، وفضَّل مراده سبحانه على مراد نفسه، فصار عبداً في كل شيء حتى في الاختيار، فلما فعلوا ذلك استحقوا أن يكونوا عبيداً وعباداً لله .أما الكافر فتأبَّى على مراد ربه، واختار الكفر على الإيمان، والمعصية على الطاعة، ونسي أنه عبد الله مقهور في أشياء لا يستطيع أن يختار فيها، وكأن الله يقول له: أنت أيها الكافر تمردْتَ على ربك، وتأبَّيْتَ على منهجه في (افعل) و (لا تفعل)، واعتدْتَ التمرد على الله. فلماذا لا تتمرد عليه فيما يُجريه عليك من أقدار، لماذا لا تتأبَّى على المرض أو على الموت؟» [1]

فالمؤمن والكافر يشتركان في العبودية لله، لكن حين تكون العبودية اختيارا قائما على الإيمان بالله، فإن العبد حينها يرتقي بنفسه إلى مقام العبادية الذي يميزه عن الكافر؛ وهنا تكمن المفارقة؛ بين مؤمن اختار أنْ يُسْلِم أمره لله طوعا، وبين كافر تأبَّى وجحد، فهو فرق « بين عبدٍ يُطيعك وأنت تجرُّه في سلسلة، وعبدٍ يخدمك وهو طليق حُرٌّ، وهكذا المؤمن جاء إلى الإيمان بالله مختاراً مع إمكانية أنْ يكفر، وهذه هي العبودية والعبادية معا» [2]

فالعبودية أمر واقع على جميع خلق الله ولا مناص منه، أما العبادية مقام لا يرتقي إليه إلا مَن آمن بالله، وأدرك ماذا يعنى الخضوع لإرادة الله، فرضي بذلك وهو مطمئن القلب؛ أي

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 18/ 11239.

2 نفسه، 18/ 11239

رضي أن يكون عبدا عابدا لله عز وجل، يمتثل لما أمره به الله، وينتهي عما نهاه عنه باقتناع ووعي وبصيرة، وباطمئنان وسكينة، تجعله يستشعر نعمة العبودية لله عز وجل، وبقدر ما يكون العبدُ خاضعا لله عز وجل، مُقِرًّا بضعفه، متذللا خاشعا لربوبيته، يكون حرا، قويا، عزيزا، إذا ما تعلق الأمر بغير الله، وهذا ما أكده الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- في إحدى أقواله المنسوبة إليه: «إلهي، كفاني فخرا أن تكون لي ربًّا، وكفاني عِزًّا أن أكونَ لك عبْدًا، أنت كما أريد، فاجعلْني كما تريد [1]».

فالفخر والاعتزاز بالعبودية لله عز وجل، هو مقام يختاره العبد، ولا يرتقي إليه إلا إذا أدرك معنى العبودية، التي لن يدرك معناها إلا إذا عرف الله حق المعرفة، وآمن به إيمان العارفين، الموحدين لله توحيدا خالصا لا يشوبه شك، ولا يعتريه وهْم.

لذلك متى كان العبدُ مُوفَّقا في إقامة صلته بربه عن وعي وبصيرة، كان ذلك رافد قوة وعزة؛ فالشعور بالفقر والحاجة إلى الله، ينشأ عنه شعور بالاستغناء عن غير الله، والشعور بالضعف وإظهار التذلل بين يدي الله، ينشأ عنه شعور بالقوة والعزة أمام غير الله، والخضوع لله ينشأ عنه الانعتاق والتحرر من أي قيد، ومن أية سلطة تتجه إلى غير مراد الله عز وجل، وهذا ما عبر عنه ربعي بن عامر –رضي الله عنه- حين دخل على رستم ملك الفرس فسأله الملك: «ما جاء بكم ؟ قال: الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج مَن شاء مِن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرْسَلَنَا بدينه إلى خَلْقِه لندعوَّهم إليه..» [2]

فهذه النفس الحرة الأبية، ما كان لها أن تقف هذا الموقف، بتلك القوة، وبتلك العزة، وهي تواجه مَلِكا من ملوك الفرس في قصره، وفي قلب مجلسه، لو لم تكن نفسا أخلصت العبودية

1 ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط3، 1424هـ - 2003م، 20/ 132.

2 الطبري محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (مصر)، ط3، دت، 520/3.

لله، وتشبعت بمعاني العبودية الحقة لله عز وجل، فارتقت بذلك إلى مقام العبادية، وعليه فإن العبد كلما كان مستغرقا في حالة العبودية لله عز وجل، كان سيدًّا على نفسه، غير خاضع أو ذليل مع غيره من البشر، مهما كان مقامهم الدنيوي، ومهما كان سلطانهم وعظمت سطوتهم؛ ذلك لأن «فلسفة العبودية في الإسلام قائمة أساسا على تحرير الإنسان من كل استعباد ليكون عبدا خالصا لخالقه ومولاه» [1]

وإذا ما حاول الإنسان «الانسلاخ من عبوديته لله عز وجل لابد وحتما سيقع في عبودية أخرى لغيره من المخلوقات، فتتنازعه شهواته ولذَّاتُه ليصبح عبدا للمال تارة، وعبدا للثياب والمظاهر تارة، وعبدا للتمَلُّك والسيادة والسلطان تارة، وعبدا للشُّهرة تارة و... إلى آخر هذه الأشياء ... فينتقل من مجرد إنسان طبيعي يقاوم نفسه في التعلق بهذه الأشياء، ليصير أسيرا لها بشكل كامل، حتى صحّ أن يُطْلَقَ عليه وصف العبد لها» [2] كما جاء في الحديث الشريف:

((تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ، وعبدُ الدِّرْهمِ، وعبد الخَمِيصَة)) [3]*

لا شك أن وصفه –عليه الصلاة والسلام– المتعلقين بأهوائهم، وشهواتهم، ومصالحهم الدنيوية بالعبودية لما يشتهون ويحبون، فيه تأكيد على أن هؤلاء يمارسون منتهى الخضوع لما هم متعلقون به من حطام الدنيا، في حين أن العبودية الحقة هي مطلق الخضوع والتسليم والطاعة

1 مصطفى البدري، خواطر حول مفهوم العبودية، ===
https://www.aljazeera.net/blogs/2017/2/2/%D8%AE%D9%88%D8%A7%D8%B7%D8%B1-%D8%AD%D9%88%D9%84-%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9
تم النشر بتاريخ: 2017/02/02م، وتمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 2023/01/29م الساعة: 06.40.

2 الموقع نفسه، وتمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 2023/01/29م الساعة: 07.05.

3 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم الحديث 2886، ص 712.

*الدينار هو النقد من الذهب، والدرهم فارسي معرب، جمعه دراهم، ونقول: دِرْهام وجمعه دراهيم؛ وهو النقد من الفضة، والخميص كساء أو ثوب مصنوع من خز أو صوف، لونه أسود. (ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص 345، 371، وينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 2/ 81، وينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب (القاهرة)، ط1، 1429هـ – 2008م، 1/ 742، 773)

والانقياد للمعبود الحق سبحانه وتعالى بلا تردد أو شرط؛ لأنه هو الواحد الأحد الذي يجب أن يخصه العباد بعبادتهم لما له عليهم من فضل الخلق والإنعام والإكرام.

وبذلك فقط يمكن للمؤمن أن يرتقي إلى مقام العبادية، فيكون عبدا متعلقا بربه، يجعل إرادته خاضعة لإرادة الله عز وجل، ولا يُقْدِم على أمر إلا إذا كان فيه مرضاة خالقه سبحانه وتعالى، فالعبودية بهذا المفهوم تحقق للعبد القرب إلى الله، والسير إلى المقصد النهائي الذي لأجله خلق الله الإنسان كي يكون عبدا لله عابدا إياه، لا يملك إرادة تخالف إرادة الله أو تقابلها، ولا يرى لنفسه قدرة مستقلة عن قدرة الله، فقدرة البشر هي بإذنه وتوفيقه سبحانه وتعالى، كما جاء في القرآن الكريم على لسان خليل الله إبراهيم -عليه السلام –

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام: **162**]

ففي الآية كما يقول الشعراوي: «أمران اختياران، وأمران لا اختيار للإنسان فيهما؛ الصلاة والمناسك كلاهما داخل في قانون الاختيار، لكن المحيا والممات لا يدخل أي منهما في قانون الاختيار؛ إنهما في يد الله، والصلاة والنسك أيضا لله، ولكن باختيارك، وأنت لا تصلي إلا لأنك آمنت بالآمر بالصلاة، أو أن الجوارح مافعلت كذا إلا لله، إذن فأنت لم تفعل شيئا من عندك أنت، بل وجَّهت الطاقات المخلوقة لتأدية المنهج الذي أنزله الله، إذن إنْ أردت نسبة كلِّ فعلٍ فانسبْه إلى الله» [1]

لذلك يحرص المؤمن في حركته وفي سكونه وفي كل أمر يندرج في نطاق إرادته، أو خارج نطاق إرادته أن يبتغي القربة إلى الله، وأن يستجلب مرضاته عز وجل، وإذا ما بلغ الإنسان المؤمن هذا المقام من العبودية والعبادية الخالصة التي تعبر عن منتهى البذل والاجتهاد في سبيل تحقيق

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 7/ 4021.

القرب إلى الله عز وجل، سيكون حينها مصداقا للحديث القدسي، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن الله عزّ وجلّ قال:

((مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ*.))[1]

فالعبودية بهذا المفهوم، وبهذه المقاصد والمآلات، ليست انتقاصا من كرامة الإنسان، ولا إذلالا له، بل هي منتهى التشريف؛ لما في ذلك من تحقيق لكمالات النفس الإنسانية التي تفضي بصاحبها إلى نيل محبة الله، بكل ما يترتب عن هذه المحبة من توفيق؛ خلاصته أن تكون فيه إرادة الإنسان، مقترنة بإرادة الله ومشيئته، لذلك وردت العبودية في القرآن الكريم على أنها وصف محمود لمن مدحهم الله وأثنى عليهم من خاصة عباده، فقال عز وجل عن الملائكة:

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ **[سورة الأنبياء: 26، 27]**

وقال عن المسيح عيسى بن مريم –عليه السلام– وعن الملائكة:

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ... ﴾

[سورة النساء: 172]

وجاء في القرآن أيضا على لسان المسيح – عليه السلام –:

1 أخرجه البخاري في صحيحه (صحيح البخاري)، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث: 6502، ص 1617.

* المَسَاءَة هي عكس المَسَرَّة.

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة مريم: 30 – 33]

وقال عز وجل في نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام–:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [سورة الإسراء: 1]

وقال سبحانه وتعالى في الصالحين من المؤمنين:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [سورة الفرقان: 63]

وغيرها من الشواهد القرآنية التي تؤكد تشريف الله لعباده بهذا المقام المحمود الذي يكون العبدُ قد أدرك فيه –على مستوى الوعي النظري– نعمة العبودية الخالصة لله، فيُقْبل عليها طوعا – على المستوى السلوكي والعملي– ابتغاء مرضاته عز وجل، وهذه العبودية لا تقتصر على شعائر تعبدية مخصوصة، بل هي عبودية تشمل كلَّ ما له صلة بحركة الإنسان في واقع حياته، وتشمل كلَّ ما يرتبط بعلاقاته الإنسانية والاجتماعية العامة؛ فكلما كان العبد منضبطا في حياته العامة بأحكام الدين وتعاليمه، وكلما كانت إرادته خاضعة لإرادة الله ومشيئته، يكون بذلك قد حقق معنى العبودية الحقة، ليرتقي إلى مقام العبادية الخالصة لله عز وجل، ويكون بذلك قد تحرر من أية عبودية أخرى.

فالمسلم هو الحر الذي لا تستعبده أية سلطة أخرى قد تتجه به إلى غير مراد الله عز وجل، سواء أكانت هذه السلطة منبعثة من إكراهات النفس وشهواتها، أم مرتبطة بالواقع الخارجي، وما يمليه من إكراهات تفرض سلطة فرد أو جماعة أو نظام يشتغل خارج الضوابط التي حددتها أحكام الدين.

الفرع الثاني . الوقوع في الكسل ومعصية استثقال العبادة

لا شك أن للتدين المنحرف أثرَه الكبير على علاقة الفرد بالدين، فكلما انحرف المنتسب إلى الدين عن أحكام الدين وتعاليمه، وكلما جهل أحكام الدين، وجهل طبيعة العلاقة التي يجب أن تربطَه بخالقه عز وجل، وكلما غفل عن الهدف الحقيقي الذي يجب أن يكون مَعْلَمًا ومُؤَشِّرا يضبط مسيرته في الحياة، إلا ووقعت هذه الفئة من المتدينين في معصية الله عز وجل، ويمكن إجمال مجموع تلك المعاصي في محورين رئيسين؛ **أحدهما** يتعلق بترك التكليف وبالأخص ما يتعلق بالعبادة التي لها أثرها في تهذيب النفس وتربيتها، وهذا ما سيتطرق له البحث في هذا الفرع، **أما الثاني** فهو ما يتعلق بالوقوع في بعض المُحَرَّمات الناشئة عن التعلق المذموم بالحياة الدنيا، وهو ما سيتطرق إليه البحث في الفرع الذي يليه.

فقد سبقت الإشارة في الفصل الأول أن الدين يقوم على المعتقدات، وما تستلزمه من إيمان وتسليم وخضوع وانقياد بعد فهم واقتناع، فيترتب عن ذلك التكليف، أو الشعور بمسؤولية القيام بالواجب، والالتزام بكل ما يفرضه هذا الاعتقاد من أحكام آمرة أو ناهية، وبما أن هذه المسؤولية تفرض على الإنسان في كثير من المواقف والمجالات أن يتنكر لرغباته، وأن يلتزم بعض الضوابط التي لا توافق ميل النفس اللامشروط إلى الشهوات، ورغبتها في اللهو والعبث والاسترخاء والتحرر من كل ضابط والتزام، فإن ضِعَاف النفوس، ومَنْ بِهم غَلَبَة الهوى لا يتوانون لحظة في اقتناص الفرص، وافتعال المبررات للتهرب من تكليفهم الشرعي، ومن واجباتهم الدينية [1] التي حتى وإنْ أقاموها، فإنهم يقيمونها بكسل واستثقال يعبر عن فتور، أو ربما عن جفاء أصاب علاقتهم

1 ينظر: محمد تقي المصباح اليزدي، دروس في العقيدة الإسلامية، دار الرسول الأكرم بيروت، ط 8، 1429هـ ـ 2008م، 1/ 120.

بربهم وبدينهم، ومَن كانت علاقته بربه وبدينه على هذه الحال، فذلك يعني أن هذه العلاقة افتقدت أهم شرط من شروطها الجوهرية المتمثلة في الصدق والإخلاص.

وإذا لم يكن العبد صادقا مع الله، مخلصا له الدين، سيجد نفسه -والعياذ بالله- في زمرة المنافقين، الذين ينتسبون إلى الدين شكلا، ولا يلتزمون أحكامه مضمونا، بالصورة التي يقتضيها الدين. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء: **142**]

فهؤلاء كما هو واضح من الآية الكريمة يقومون إلى الصلاة، لكنهم يقومون إليها متثاقلين؛ لا رغبة تبعثهم ولا نشاط يحركهم، وإنما هي عندهم تكليف استثقلته أنفسهم؛ فإذا كانوا بمعزل عن المؤمنين تركوها، وإذا كانوا معهم سايروهم بالقيام إليها، فهذا هو حال المنافقين في الصدر الأول، وهو ذاته حال من سار على سيرتهم واقتفى أثرهم في عصور لا حقة وإلى يوم الناس هذا؛ فهم لا يؤدون الصلاة إلا في مناسبات بعينها، من باب الانخراط في الجو العام للمجتمع الذي هم جزء منه، [1] وبذلك يكونون قد خالفوا ما كان عليه الصالحون من أسلافهم، وفضلوا أن يكونوا خَلَفَ سُوءٍ لهم، لأنهم يواصلون مسيرة السوء والضلال، ليكونوا امتدادا لِمَن كان له السبق في السوء والضلال. قال تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾

[سورة مريم: **59**]

1 ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 5/ 470، 471.

فهذا الفتور والاسترخاء والكسل الذي يصيب علاقة هذه الفئة من الناس بدينهم وبربهم، يمكن إيعازه إلى عوامل كثيرة منها:

1- ما يتعلق بأصل العلاقة بالدين، وكيف تم إنشاؤها وبناؤها أول الأمر؛ ذلك لأن بعضا منها قد ينشأ بصورة تكاد تكون آلية؛ تتدخل فيها عوامل الوراثة والتقليد، واتباع الأغلبية، والانضمام إلى ما هو سائد، كل ذلك بلا وعي وبلا اقتناع، ومن ثم هي علاقة وُلِدَت في الأصل فاترةً، تفتقد عناصر الوعي والهمة والصدق وكل ما من شأنه أن يجعل صاحبها مندفعا بشكل طوعي، وإرادة ذاتية إلى الالتزام بتعاليم الدين وأحكامه.

2- ما يتعلق بالاستخفاف بالذنوب مما يؤدي مع مرور الزمن إلى الإكثار من المعاصي التي تُلقي بغشاوتها على القلوب، فتحجب عنها نور الهداية، وتحرمها من نعمة التدين الصحيح، ومتعة العبادة وفضلها.

3- ما يتعلق بالصحبة السيئة التي تُشغل العبدَ عن رسالته في الحياة، فتلهيه عن واجباته الدينية، وعن تكليفه الشرعي؛ أي تُنسيهم في الله، فيُنْسيهم اللهُ أنفسَهم

﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ **[سورة: التوبة: 67]**

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾

[سورة: الحشر: 19]

4- ما يتعلق بالتقصير في تربية الروح على الذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، وتأمل آيات الله في الخلق والكون ... وغيرها من اللطائف التي هي من دون شك تهذب النفس وتقربها إلى الله وتحفزها، وتدفعها لأنْ تكون أكثر التزاما واهتماما بآداء التكاليف الدينية.

5- قلة تَذَكُّرِ الموتِ والمعاد، بسبب الانشغال بالدنيا وطول الأمل فيها، والغلو في الحرص على طلب متاعها، وتحصيل مُتَعها.

فتلكم العوامل وغيرها تتضافر لتظهر في صورة أو في سلسلة أهواء تتداعى، وتتراكم لينشأ عنها في نهاية المطاف هوى الاستسلام لِمَا تجنح إليه النفس من كسل واسترخاء قد يصل حد الجفاء للدين، والانقطاع عنه؛ لذلك تَعَوَّذ الرسول –عليه الصلاة والسلام– من الكسل فقال: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ..** »[1]

فالإنسان الذي يتمكن منه الكسل سيتشكل لديه إحساس من وحي تلك الأهواء بأن الأحكام التعبدية والعملية للدين هي مشقة كبيرة، وعبئ ثقيل يُنهك كاهلَه ويرهقه، ويشغله عما تزينه له أهواء النفس، وما تشتهيه من مُتع، وملذات، ومكاسب دنيوية تتصدر سُلَّم أولوياته واهتماماته في الحياة الدنيا، على حساب واجباته والتزاماته الدينية، وتكليفه الشرعي.

وقد عرض القرآن الكريم في بعض آياته ما يعبر عن هذا الفتور والاسترخاء الذي يَحُولُ بين المرء وواجب القيام بتكليفه الشرعي، فقال سبحانه وتعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ **[سورة الماعون: 4 ـ 7]**

فالمصلون هنا هم أهل الصلاة، وهم أهل القبلة، الذين آمنوا بالله وبرسوله، وبالعبادات والشعائر وبالأخص الصلاة منها، وإذا بهم عنها ساهون؛ إما عن إقامتها كلية، أو عن إقامتها في وقتها المقدر لها شرعا، أو عن إقامتها بأركانها وشروطها [2] فالمصلون إذن هم الذين دخلوا في زمرة المتصلين بالصلاة والمتصفين بها، لكن « هناك فرقا بين مُصَلٍّ بالقوة، ومُصَلٍّ بالفعل؛ المصلي بالقوة هو الذي دان بدين مَن يأمر بالصلاة، والمصلي بالفعل هو الذي يُبْرِز هذه المسألة إبرازا تطبيقيا... فإذا كانوا مصلين فكيف يسهون عن الصلاة؟ ! هنا يوجد أسلوبان؛ أحدهما إثبات،

1 أخرجه البخاري في صحيحه (صحيح البخاري)، كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة المحيا والممات، رقم الحديث: 6367، ص 1587.

2 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 493. وينظر: الشعراوي، تفسير جزء عم، ص 607.

والآخر نفي... فالعبادة لها شكل تقوم عليه، ولها موضوع تحققه، فقد يؤدي الإنسانُ الشكلَ، ولا يؤدي الموضوعَ »[1] لذلك أثبتت الآية للمصلي آداءَه شكل الصلاة، لكنها نفت عنه تحقيق موضوعِ الصلاة المتمثل في إخلاص العبادة لله، والتقرب إليه سبحانه وتعالى بكل ما يحققه ذلك من آثار إيجابية في تهذيب النفس، وتربيتها كما جاء في قوله تعالى:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: 45]

فالمطلوب هو « إقامة الصلاة لا مجرد آدائها، وإقامتها لا تكون إلا باستحضار حقيقتها والقيام لله وحده بها... ومن هنا لا تُنْشِئ الصلاةُ آثارَها في نفوس هؤلاء المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون؛ فهم يمنعون الماعون.. يمنعون المعونة والبر والخير عن إخوانهم في البشرية... لأنهم لم يقيموا الصلاة حقا، إنما أدوا حركات لا روح فيها، ولم يتجردوا لله فيها، إنما أدُّوها رياءً، ولم تترك الصلاة أثرها في قلوبهم وأعمالهم »[2] وبانتفاء هذا الشرط الأساسي والجوهري المتمثل في صدق التدين، وإخلاص الدين لله عز وجل القائل في محكم تنزيله:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ □سورة البينة: 5]

تكون هذه الفئة من المصلين قد أوقعت نفسها في مصيدة الشيطان الذي أخذ عهدا على نفسه بغواية بني آدم أجمعين، وإفساد علاقتهم بربهم، باستثناء المخلَصين منهم الذين أخلصوا دينهم لله عز وجل، وكانوا صادقين في علاقتهم بربهم سبحانه وتعالى الذي قضى وحكم على عباده بأنْ يعبدوه، وأراد أن تكون هذه العبادة وسيلة من وسائل القرب منه، وحركة روحية جسدية للانفتاح عليه، ولم يُرِدْها شكلا جامدا ليس فيه مضمونا في الروح، بل أراد أن تكون العبادة حالة

---

1 الشعراوي، تفسير جزء عم، ص 607.

2 سيد قطب، في ظلال القرآن، 6/ 3986.

في الإنسان تُغْني إنسانيته بالكثير من المشاعر الحميمة في مواقع رضاه عز وجل، وتحرك خطواته في دروب الخير في الحياة.

لذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه العبادة طوعيةً، تنطلق من فطرية العابدين له، والمتوجهين إليه بصفاء الإيمان وبساطته، وطهارة الروح ونقائها؛ بحيث ينطلق إليها الإنسان وهو كله لهفة وشوق كلهفة الظمآن إلى الينبوع الصافي وشوق الحبيب إلى حبيبه؛ فالعبادة يجب أن تكون معنًى في الروح وسرا في القلب، ونشاطا في الجسد، وحركة في الحب حتى تكونَ حركةً مُنتِجة يتقدم بها الإنسان في كل يوم خطوة إلى الله عز وجل، فيكتسب بذلك الوعي الذي يجعل هذه العبادة تتحول إلى خط من خطوط المعرفة التي تجعل العابد يزداد وعياً، وخُلُقا، وتعلقا بالله عز وجل، فيعبدَه عن وعي وبصيرة، ويكونَ متوازنا في عبادته، غيرَ منحرف عن الطريق المستقيم.[1]

وتجدر الإشارة في نهاية هذا العنصر من الدراسة أن وصف ما يكون عليه حال أهل الأهواء من فتور، وكسل، واستثقال للعبادة، جاء مقترنا بالصلاة على وجه التحديد؛ لكونها هي العنوان الأبرز الذي يعبر عن صلة العبد بخالقه، وتعبر أيضا عن العبادة كمفهوم عام، وكعلامة دالة على الإيمان والتدين، وعليه فإن المتدين كلما التزم بتكاليفه العبادية ،كان من أهل الخير والصلاح، وكان من أهل الاستقامة في حياته الخاصة والعامة، أما إذا كان الأمر غيرَ ذلك فسيكون حتما من أهل السوء والفساد والإفساد بكل ما يعبر عن ذلك من سلوكات منحرفة تلازم حياته الخاصة، وتلازم حياته العامة وبالأخص علاقاته مع غيره من أبناء مجتمعه، لذلك أكد القرآن الكريم على الأثر الأخلاقي والتربوي للصلاة فقال عز وجل:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ **[سورة العنكبوت: 45]**

1 ينظر: محمد حسين فضل الله، آفاق الروح،1/ 219، 220.

الفرع الثالث: التعلق المذموم بالدنيا

أولا: هل كلُّ تعلقٍ بالحياة الدنيا هو تعلق مذمومٌ؟

لا بد من الإشارة أنه من حيث المبدأ لا وجود لمانع شرعي، أو أخلاقي يمنع الإنسان من الارتباط بالدنيا؛ لأن الحياة الدنيا هي المجال الزماني والمكاني الذي يحقق فيه الإنسان معاشه، ويمارس وجوده، وينجز دوره ورسالته، ويراود مطامحه وآماله ... وعليه ليس من التعلق المذموم بالحياة حب الأهل والمال، والولد، والرغبة في حسن المأكل والمشرب، والمسكن والْمَرْكَب وغيرها من الأمور التي ترغب فيها النفس البشرية، وجُبِلتْ على حبها ما لم يكن ذلك كلُّه سببا في ترك طاعة الله، والوقوع في معصيته عز وجل. قال سبحانه وتعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ **[سورة آل عمران: 14]**

فحركة الشهوة في النفس الإنسانية –كما سبقت الإشارة – هي تعبير عن عناصر الحياة في هذه النفس، لذلك من الطبيعي أن تدفع هذه الحركة بالإنسان إلى الإقبال على الحياة، لكنه وأثناء ذلك لا بد من الانتباه إلى الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام، لذلك جاءت كلمة "**زُيِّــن**" في هذه الآية لتضع حدًّا « فاصلا بين المتعة التي يحلها الله، والمتعة التي لا يرضاها الله؛ لأن الزينة – عادة – هي شيئ فوق الجوهر؛ فالمرأة تكون جميلة في ذاتها، وبعد ذلك تتزين فتكون زينتها شيئا فوق جوهر جمالها.

فكأن الله يريد أن نأخذ الحياة ولا نرفضها، ولكن لا نأخذها بزينتها وبهرجتها، بل نأخذها بحقيقتها الاستبقائية... فإذا كان مما يؤكد حقيقة استبقاء الحياة فهو مطلوب ومقبول، ولكن إنْ

أخذ الإنسان الأمر على أكثر من ذلك، فهذا هو الممقوت »[1] لأنه بذلك يكون قد آثر زينة الحياة الدنيا على الدار الآخرة. قال – عليه الصلاة والسلام–:

« ... **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ** »[2]

لذلك وفي هذا السياق نلاحظ أن قوله عز وجل ﴿ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ ليس مجرد تعبير عن الميل العادي والطبيعي لجمع المال، بالقدر الذي يُمَكِّن جامعَه من قضاء حاجاته الطبيعية والعادية والضرورية، بل هي عبارة تحيلنا إلى ما في النفس الإنسانية من شهوات قوية، تصل حد الجشع والنَّهم الشديد، والشراهة الممقوتة لتكديس المال الكثير، كي يُستعانَ به لقضاء الكثير من الشهوات الأخرى التي تزيد عن حاجة الإنسان، أما إذا كان امتداد شهوته في العالم الخارجي بالقدر الذي يعينه على القيام بدوره في عمارة الأرض التي استخلفه الله فيها، وبالقدر الذي يعينه أيضا في قضاء حاجاته الطبيعية وفق ضوابطها الشرعية، فهذا يندرج ضمن دوره ووظيفته في الحياة.

لذلك قرنت الآية شهوات النفس بالخيل والأنعام والحرث؛ لما في ذلك من إشارة رمزية إلى دلالات الخصوبة، والنماء، والرفاهية التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها بدافع شهوة التملك، وقد عرض القرآن الكريم هذه الشهوات ليقرر «قيمتها الحقيقية، لتبقى في مكانها هذا لا تتعداه ولا تطغى على ما سواه ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ذلك كل الذي عرضه من اللذائذ المُحَبَّبَة وسائر ما يماثله من اللذائذ والشهوات، متاع الحياة الدنيا، لا الحياة الرفيعة، ولا الآفاق البعيدة... متاع هذه الأرض القريب... فأما من أراد الذي هو خير... خير من ذلك كله؛ خير لأنه أرفع في

---

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 3/ 1311.

2 أخرجه الحاكم في مستدركه (المستدرك على الصحيحين)، كتاب الرقاق، رقم الحديث: 7915، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1422هـ- 2002م، 4/ 359.

ذاته، وخير لأنه يرفع النفس ويصونها من الاستغراق في الشهوات، والانكباب على الأرض دون التطلع إلى السماء... من أراد الذي هو خير فعند الله من المتاع ما هو خير» [1]

فالمسألة ليست مسألةَ إنكار لما ترغب فيه النفس وتشتهيه، إنما هي دعوة للاعتدال، ودعوة للانتباه إلى أن عند الله ما هو خير، وأفضل، وأبقى. قال عز وجل:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ **[سورة القصص: 77]**

فلا ضير إنْ أخذ الإنسان نصيبه من الدنيا ونال حظه فيها، مغتنما ما وهبه الله إياه وما سخَّره له من نعم، ليكون في دنياه عبدا شكورا لله، محسنا للناس، مصلحا في الأرض غيرَ مفسد، كل ذلك قُرْبَةً لله عز وجل، وابتغاءَ مرضاته في الدنيا، والتطلع لحسن المآب والثواب في الآخرة.

ثانيا: متى يكون التعلق بالدنيا مذموما؟

لقد سبقت الإشارة أن حب المؤمن للدنيا ليس مذموما بالمطلق للاعتبارات التي تم ذكرها في العنصر السابق، إنما حب الدنيا والتعلق بها يكون مذموما حين يستولي هذا الحب على القلب، وتصبح متع الحياة الدنيا هي مبلغ الهم، ومنتهى المقصدِ والغاية، فيكون ذلك سببا في المعصية التي تفسد علاقة العبد بربه وبدينه، لذلك قال – عليه الصلاة والسلام–:

« مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاه أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى » [2]

فالتعلق بالدنيا حين يكون شديدا ومسيطرا على القلب، يُنْسي صاحبَه الموتَ ويُنْسيه المعادَ، ومن يغفل عن ذكر الموت وعن ذكر المعاد وما فيه من جزاء وحساب، سيغفل حتما عن

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 1/ 375.

2 أخرجه الحاكم في مستدركه، (المستدرك على الصحيحين)، كتاب الرقاق، رقم الحديث: 7897، 4/ 354.

كثير من القيم الأخلاقية وسيغفل عن إعداد العُدَّة ليوم لقاء الله الذي لا بد أن يعمل له العاملون، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [سورة الصافات: 61]

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

[سورة الكهف: 110]

والغفلة عن إعداد العُدة ليوم لقاء الله، لا تعبر عن شدة التعلق بالدنيا فقط، بل تعبر أيضا عن أبشع صور الاستخفاف بدين الله. قال عز وجل:

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ [سورة الأنعام: 70]

لقد كان الخطاب في مستهل الآية موجَّها للرسول –عليه الصلاة والسلام– ومَن اتبعه من المؤمنين كي يذروا؛ أي يَدَعُوا الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا؛ سواء أكان الأمر متعلقا بالمشركين، أم بِمَنْ هم على شاكلتهم من أهل الكتاب، وحتى من المؤمنين الذين غرتهم الحياة الدنيا الفانية، فآثروها على الحياة الآخرة الباقية؛ فإذا كان المشركون قد أنكروها، فإن المؤمنين الذين تعلقت قلوبهم بالدنيا لم يستعدوا لها؛ [1] وعدم الاستعداد للقاء الله بما يرضيه سبحانه وتعالى من العبادات، ومن الأعمال الصالحة، هو ذروة الاستخفاف بالدين وبيوم المعاد، ومن ثم هو ذروة الانحراف عن الدين والتجرؤ على الله، فحتى وإنْ ادَّعى هؤلاء انتسابهم إلى الدين، فإن هذا الانتساب يظل مشوَّها ويمثل صورة من صور انحراف التدين؛ لأنه انتساب بلا مضمون وبلا قيمة روحية لكونه غير مصحوب بالتزام عملي تتمظهر فيه أحكام الدين وتعاليمه.

فأصحاب العقول التي تغتر بالحياة الدنيا ستقع حتما في الغفلة والتيه؛ أما ذووا العقول الناضجة يفهمون الدنيا على أنها وسيلة ومجال ومزرعة إلى الآخرة، وهي أقل شأنا من أن تكون غاية، لذلك على المؤمن العاقل الناضج أن يمنح الدنيا القدر الذي تستحقه فقط من الاهتمام،

1 ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 7/ 518.

وأن يدرك أن غاية وجود الناس على الأرض هي أن يعمروها بالعمل الصالح وعبادة الحق، ومن انحرف عن ذلك فلينتظر عقابه يوم الحساب [1] .

فالحياة الدنيا لم تكن « لهوا وعبثا وفراغا واسترخاءً، بل كانت مسؤولية كبرى حتى في الحزن والفرح، واللذة والألم، والتعب والراحة، والفقر والغنى، والعسر واليسر، لذلك كانت الرسالات تجربة للإنسان في مضمون إحساسه بالعبودية، وخضوعه للألوهية، وانفتاحه على التوحيد، وحركة من أجل أن يكون للحياة هدف، وللوجود غاية في العبادة الخالصة لله، المُنْطَلِقة في خط عمارة الكون وإغنائه وتنميته وتطويره، فكانت أوامر الله للعباد اختبارا للطاعة التي هي عمق العبودية، وكانت نواهيه ابتلاءً لهم في شكرهم لنعمه، لينطلق الحرمان مما نُهِيَّ عنه في موازنة الإشباع في ما أنعم به عليهم. » [2]

فحين يبلغ المؤمن مرتبة يحقق، أو يعيش فيها تجربة التدين بمضمون العبودية الحقة، فإنه حينئذ يكون قد حقق التوازن في إشباع متطلبات عناصر الحياة الكامنة في نفسه، بحسب ما تفرضه ضوابط الدين، لذلك نجد في القرآن الكريم ما يستنكر كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى اختلال هذا التوازن، بسبب التمرد على أوامر الله ونواهيه استسلاما لهوى التعلق المذموم بالدنيا كما يوضحه الله سبحانه وتعالى في مواضع عدة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾

[سورة التوبة: 24]

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

[سورة الكهف: 46]

1 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 7/ 3712.

2 محمد حسين فضل الله، آفاق الروح، 1/ 29، 30.

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [سورة الحديد: **20**]

لقد وصفت الآيات السابقة الحياة الدنيا على أنها زينة، ولعب، ولهو، وتفاخر، وتكاثر، ومتاع الغرور، كل ذلك كان تحقيرا لشأنها، وبيانا لحقيقتها، وتنبيها للناس كي لا يستغرقوا في التعلق بها، والانجذاب إلى زينتها، والاندفاع إلى حطامها؛ وقد ذكرت الآيات بعض متعلقات الدنيا التي عادة ما تستدرج الإنسان، ويتخذها ذريعة كي يُفرغ كامل جهده ووقته واهتمامه بالحياة الدنيا؛ مثل ارتباط الحمية والعصبية بالأهل والعشيرة والولد، وجمع المال، والانشغال بالتجارة، وتشييد المساكن...

فلا مشكلة ولا اعتراض على الميل الجِبِلّي والطبيعي للإنسان إلى ما تم ذكره من مظاهر الحياة الدنيا ومتعلقاتها، بل المشكلة حين يتم تقديمها على طاعة الله عز وجل،[1] ويسلك بها صاحبُها مسلك المعصية، والمشكلة أيضا حين تتحول الدنيا في نظر المؤمن إلى زينة تستهويه فيُقبِل عليها بما يزيد عن قوام الحياة وحاجاته فيها،[2] والمشكلة أيضا حين تتحول الدنيا إلى تسلية ولهو يُشغل المؤمن عن دينه، و يشغله عن كل عمل صالح، فتتحول بذلك نظرته إلى المال والمسكن والمَرْكَب من كونه مجرد حاجة من حاجات الدنيا إلى كونه قيمة من قيَّمِها،[3] وهدفا من أهدافها الأساسية التي تزاحم قيم الدين، وتعطل ما يجب القيام به من تكليف، فيتم بذلك تقديم الدنيا الدنية عن طاعة الله عز وجل، بل يصل الأمر إلى الحد الذي ينسيهم البعث وما فيه من حساب

1 ينظر: الألوسي، روح المعاني، 10/ 71، 72.

2 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 24/ 14941، 14942.

3 ينظر: محمد حسين فضل الله، آفاق الروح، 2/ 225.

وجزاء في النشأة الأخرى، وهذا ما كان عليه حال اليهود، حيث كشف القرآنُ الكريمُ حرصَهم الكبيرَ وتعلقَهم الشديدَ بالحياة الدنيا، فقال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة البقرة 94-96]

يفترض في المؤمن بدين الله أنْ لا يخشى الموت؛ لأن الموت في حقيقته هو انتقال إلى النشأة الأخرى، حيث يرى المؤمنُ عاقبه إيمانه، ويفرح بلقاء ربه، فإذا كان اليهود يزعمون أن الآخرة لهم. فَلِمَ يخشون الموت؟ ولِمَ حِرْصُهم على الدنيا كحِرْص المشركين عليها، أو هم أشد حرصا؟ ﴿ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ أي أنهم حريصون « على طول عُمْر، لِمَا يعلمون من مآلهم السيئ، وعاقبتهم عند الله الخاسرة؛ لأن الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، فهم يَوَدون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم ...وهم أحرص الناس من المشركين الذين لا كتاب لهم » [1] لكونهم «يحبون الإخلاد إلى الأرض ويعملون كل ما يوصلهم إلى البقاء، فلا ثقة لهم بأنفسهم فيما يزعمون» [2] أو يدَّعونه من أنهم أمة مختارة ومفضلة تحقق لها الاصطفاء الإلهي !

لذلك هم «أحرص من جميع الناس حتى من الذين أشركوا ... إذْ أن المشركين لا يؤمنون ببعث ولا يعرفون إلا هذه الحياة، فحرصهم عليها ليس بالغريب، أما من يؤمن بكتاب، ويقر بالجزاء فمن حقه أن لا يكون شديد الحرص عليها » [3] اللَّهُمَّ إذا أصابه زيغ وانحراف عن تعاليم الدين الحق بفعل غلبة الهوى، وسيطرة حظوظ النفس، وما يتبع ذلك من غُلُوٍّ في التعلق بالدنيا

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 334.

2 المراغي، تفسير المراغي، 1/ 166.

3 نفسه، 1/ 166.

والانغماس في مُتعِها بالشكل الذي تتحول فيه الدنيا - وهي دار الفناء - إلى مركز اهتمام؛ فيه يتحدد وينحصر مجال الحركة، وفيه يتحدد سقف المطامح والأماني، في غفلة مقيتة تُنْسي الإنسانَ سُنَّة الموت، وحقيقة البعث، وعاقبة الأمور.

وعليه حذر الله عز وجل عبادَه المؤمنين من عاقبة الافتتان بالدنيا، ونسيان الآخرة بعد أن تبين لهم الحق بمعرفة الدين الحق فقال سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ **[سورة النحل 102- 107]**

روي في سبب نزول هذه الآيات أنّ جماعة من أهل مكة كانوا قد آمنوا برسالة نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام– ثم فُتِنُوا فمنهم من ارتدوا عن الإسلام، ومنهم مَن أُكْرِه فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، كعمار بن ياسر الذي نزلت فيه هذه الآية ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ ﴾ حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فوافقهم على ذلك مُكْرَها وجاء معتذرا إلى النبي، فقال له - صلى الله عليه وسلم- : "كيف تجد قلبَك ؟" قال: مطمئنا بالإيمان. فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم- : " إنْ عادوا فعُدْ "[1] *

1 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 605، وينظر: الواحدي ، أسباب النزول، ص162.

أما قوله عز وجل : ﴿بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧﴾ فقد نزل في عبد الله بن أبي سرح[1] الذي «كان قد أسلم، وكان يكتب للنبي –صلّى الله عليه وسلّم– فاستزله الشيطان، فارتد ولَحِقَ بدار الحرب، فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي –صلّى الله عليه وسلّم– بقتله فاستجاره عثمان، وكان أخاه لأمه فأجاره رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–» [2]

فقد كان المؤمنون في بداية الدعوة المحمدية عرضة؛ إما لابتلاء الترهيب والتعذيب وشتى أنواع الأذية، وإما لابتلاء الإغراء والمغالطة والترغيب، وبين تنوع الابتلاءات وتعددها ثبت على الدين مَن ثبت، وزاغ عنه مَن زاغ، ولعل الذي يهمنا في هذا الصدد هي تلك الفئة التي لم تثبت ولم تصمد أمام هذه الابتلاءات، فزاغت عن الدين بسبب استعدادها النفسي الناشئ عن حبها للدنيا وشدة التعلق بها وبحطامها، وتفضيلهم إياها عن الآخرة، وقد أخبر الله تعالى في هذه الآيات « عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غضب عليه؛

---

* وقد روي أنّ مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله. قال: فما تقول فيّ؟ قال أنت أيضاً، فخلاه. وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله. قال: فما تقول فيّ؟ قال أنا أصمّ. فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أما الأوّل فقد أخذ برخصة الله. وأمّا الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له » (ينظر: الزمخشري الخوارزمي== == أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة بيروت، 1430/3هـ – 2009م، ص 585.

1 ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، 10/ 192، وينظر: الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه وصححه، عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1425هـ – 2004م، 3/ 101

2 الخازن، تفسير الخازن، 3/ 101

لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذابا عظيما في الدار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا» [1]

وجملة (اسْتَحَبُّوا) كما يقول ابن عاشور هي «مُبالَغَةٌ في (أحَبُّوا) مثل اسْتَأْخَرَ واسْتَكانَ، وضَمَّنَ (اسْتَحَبُّوا) معنى (فَضَّلُوا) بِحَرْفِ (على)، أي لِأنهم قَدَّمُوا نَفْعَ الدنيا على نَفْعِ الآخِرَةِ؛ لأنهم قد استقر في قلوبهم أحَقِّيَّةُ الإسلام، وما رجعوا عَنه إلّا خَوْفَ الفِتْنَةِ، أو رَغْبَةً في رَفاهِيَةِ العَيْشِ، فيكُونُ كُفْرُهم أشَدَّ من كفر الـمُسْتَصْحِبِينَ للكفر من قبلِ البَعْثَةِ» [2]

وقدأورد القرآن الكريم نموذجا آخر من التعلق المذموم بالدنيا؛ الذي هو أثر من الآثار المترتبة عن الانحراف في التدين، وعدم الالتزام بأحكام الدين. قال عز وجل:

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ **[سورة التوبة: 75 – 78]**

قيل: إنها نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري[3] الذي تعلق بالدنيا، وغره طول الأمل فيها، وقد جاء في سبب نزولها أنه قال لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

« ادع الله أن يرزقني مَالًا. فقال رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: "وَيْحَكَ يا ثَعْلَبَةُ قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كثير لَا تُطِيقُهُ". قال: ثم قال مرَّة أخرى، فقال: "أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِثْلَ

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 605.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 14/ 296.

3 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 183/4. وينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص 145، وينظر: أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1/ 1422هـ – 2201م، 11/ 577، وينظر: الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 141/17.

نَبِيِّ اللَّهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ تَسِيرَ مَعِيَ الجِبَالُ ذَهَبًا وَفِضَّةً لَسَارَتْ". قال: وَالَّذِي بعثكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ دَعَوْتَ اللَّهَ فرزقني مَالًا لَأُعْطِيَنَّ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فقال رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– : "اللَّهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالًا". قال: فَاتَّخَذَ غَنَمًا، فَنَمَتْ كما ينمو الدُّودُ، فضاقت عليه الْمَدِينَةُ، فَتَنَحَّى عنها، فنزل وَادِيًا مِنْ أَوْدِيَتِهَا، حتى جعل يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ فِي جَمَاعَةٍ، وَيَتْرُكُ ما سِوَاهُمَا. ثم نمت وكَثُرت، فَتَنَحَّى حتى تَرَكَ الصَّلَوَاتِ إِلَّا الْجُمُعَةَ، وَهي تنمو كما ينمو الدُّودُ، حتى ترك الْجُمُعَةَ. فَطَفِقَ يتلقى الرُّكْبَانَ يَوْمَ الجمعة، يسألهم عَنِ الأخبار، فقال رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: "مَا فَعَلَ ثَعْلَبَةُ"؟ فقالوا: يَا رَسُولَ اتخذ غَنَمًا فضاقت عليه الْمَدِينَةُ. فأَخبروه بأمره فقال: "يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ". وَأنزل اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُه:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [سورة التَّوْبَةِ 103] قال: ونزلت عليه فَرَائِضُ الصَّدَقَةِ، فبعث رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– رَجُلَيْنِ على الصدقة: رَجُلًا مِنْ جُهَيْنَة، وَرَجُلًا مِنْ سُلَيْمٍ، وكتب لهما كيف يَأْخُذَانِ الصَّدَقَةَ من المسلمين، وقال لهما: "مُرا بِثَعْلَبَةَ، وَبِفُلَانٍ –رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ –فَخُذَا صَدَقَاتِهِمَا". فَخَرَجَا حتى أَتَيَا ثَعْلَبَةَ، فَسَأَلَاهُ الصَّدَقَةَ، وَأَقْرَآهُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فقال: ما هذه إِلَّا جِزْيَةٌ. ما هذه إِلَّا أُخْتُ الجِزْيَةِ. مَا أَدْرِي ما هذا انْطَلِقَا حتى تفرُغا ثُمَّ عُودا إِلَيَّ. فَانْطَلَقَا وَسَمِعَ بِهِمَا السُّلَمِيُّ، فنظر إلى خِيَارِ أَسْنَانِ إِبِلِهِ، فعزلها لِلصَّدَقَةِ، ثم اسْتَقْبَلَهُمَا بها فلما رَأَوْهَا قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نَأْخُذَ هذا منك. قال: بَلَى، فخذوها، فإن نفسي بذلك طَيِّبَةٌ، وَإِنَّمَا هي له. فأخذوها مِنْهُ. فَلَمَّا فَرَغَا مِنْ صَدَقَاتِهِمَا رَجَعَا حَتَّى مَرَّا بِثَعْلَبَةَ، فَقَالَ: أَرُونِي كِتَابَكُمَا فَنَظَرَ فِيهِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ إِلَّا أُخْتُ الْجِزْيَةِ. انْطَلِقَا حتى أَرَى رَأْيِي. فَانْطَلَقَا حتى أَتَيَا النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– فَلَمَّا رَآهُمَا قَالَ: "يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ" قبل أن يُكَلِّمَهُمَا، وَدَعَا لِلسُّلَمِيِّ بِالْبَرَكَةِ، فَأَخْبَرَاهُ بِالَّذِي صَنَعَ ثَعْلَبَةُ وَالَّذِي صَنَعَ السُّلَمِيُّ، فأنزل اللَّهُ، عَزَّ وَجَل:﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ إِلَى قَوْلِه: ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ قال: وعند رسول اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– رَجُلٌ من أَقَارِبِ ثَعْلَبَةَ،

فَسَمِعَ ذلك، فخرج حتى أتاه فقال: وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ. قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ كذا وكذا. فَخَرَجَ ثَعْلَبَةُ حتى أتى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فسأله أن يقبلَ منه صدقتَهُ، فقال: "إن اللَّهَ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ صَدَقَتَكَ". فَجَعَلَ يَحْثُو عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " هَذَا عَمَلُكَ، قَدْ أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي". فَلَمَّا أَبَى أَنْ يَقْبِضَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فقُبِض رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَلَمْ يَقْبَلْ منه شيئا. ثم أتى أبا بَكْرٍ، رضي الله عنه، حين اسْتُخْلِفَ، فقال: قد عَلِمْتَ مَنْزِلَتِي من رسول اللَّهِ، وَمَوْضِعِي من الأنصار، فَاقْبَلْ صَدَقَتِي. فقال أبو بَكْرٍ: لم يقبلْها منك رسولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَأَبَى أن يقبلَها، فَقُبِضَ أبو بكرٍ ولم يقبلْها. فلما وَلِي عمرُ، رضي الله عنه، أَتَاهُ فقال: يا أمير المؤمنين، اقْبَلْ صَدَقَتِي. فقال: لم يقبلْها رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ولا أبو بكرٍ، وأنا أقبلها منك! فَقُبِضَ ولم يقبلْها؛ ثم وَلِيَ عُثْمَانُ، رضي الله عنه، فأتاه، فسأله أن يقبلَ صدقتَه، فقال: لم يقبلْها رسولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ولا أبو بكرٍ ولا عمرُ، وأنا أقبلها منك ! فَلَم يقبلْها منه، وهلك ثَعْلَبَةُ في خلافة عـثمان» [1]

فقد بلغ به الأمل في الدنيا والتعلق بها وبحطامها حدًّا جعله ينكر العهدَ الذي عاهد به اللهَ ورسولَه؛ يوم قال: «لئن أعطانا اللهُ من فضله، ورزقنا مالا ووسَّع علينا من عنده ... لنُخْرجنَّ الصدقةَ من ذلك المال الذي رزقنا ربُّنا... ولنَعْملَنَّ فيها بعَمَل أهل الصلاح بأموالهم، من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله... فرزقهم الله وأتاهم من فضله ... فلم يصدَّقوا منه، ولم يَصِلُوا منه قرابةً، ولم ينفقوا منه في حق الله... وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه ...ببخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخْلافهم الوعدَ الذي وعدُوا اللهَ، ونقضهم عهدَه في

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 183 – 185.

قلوبهم»[1] ذلك كانت عاقبة أمره أنْ حرمه اللهُ التوبةَ بسبب عِناده، وحيلته، التي بلغت حد التجرؤ على الله ورسوله، بإصراره على المعصية ونقض العهد.

فالتعلق بمتاع الدنيا وحطامها يكون مذموما حين يبلغ حدا يُعْمي البصيرةَ، فتستولي هذه الدنيا على قلب الإنسان وتتسلط على عقله، وتستهويه بما تعرضه أمامه من أمور الحياة، فلا ينشغل بها على قدر الحاجة إليها، بل يَغْلُو في الانشغال بها إلى الحد الذي يفوق حاجته الطبيعية التي جُبِل عليها، فيكون هذا الغلو في التعلق بالدنيا سببا في تراكم الحجب التي تحجب نداء الفطرة وصفاءها، وقد يؤدي ذلك إلى إلغائها أو إضمارها وطمسها بما يجعل الإنسانَ يفقد الشعور بحاجته الطبيعية إلى الدين؛ إيمانا وتكليفا، وهنا يختل التوازن بين عناصر الحياة في النفس الإنسانية، وهذا من أخطر الآثار المترتبة عن الانحراف في التدين، ومن ثم يكون الابتعاد عن حقيقة الدين بقدر الابتعاد عن أحكامه وتعاليمه التي تضبط علاقة المتدين بخالقه وبغيره من الخلق.

فعلاقة المتدين بالله تقوم على العبودية الخالصة التي ترتقي به إلى مقام العبادية، متى كانت هذه العبودية عن وعي واختيار وبصيرة، وعليه فإن المتدين كلما كان منحرفا في تدينه كان لذلك أثرُه السلبي على علاقته بالله سبحانه وتعالى؛ وهو أثر يظهر في الكثير من التفاصيل المتعلقة بحياة المتدين المنحرف في تدينه، لذلك حاولت في هذا المطلب إجمال ذلك في محورين كبيرين:

أحدهما يتعلق باستثقال العبادة وكل ما له صلة بالتكليف الشرعي، **وثانيهما** التعلق بالدنيا الذي يكون على حساب التعلق بالله.

فاستثقال العبادة، أو التعلق المذموم بالدنيا كلاهما هو بُعْدٌ عن الله، وفي ذلك نكران للعبودية، ولمضامين الدين وتعاليمه وأحكامه، وهذا ما يؤدي إلى الوقوع في كل الفواحش والمعاصي التي نهى الدين عنها، فيترتب عن ذلك أثر أهم يتعلق بعاقبة المتدين ومصيره عند الله.

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 11/ 577

المطلب الثاني: عاقبة انحراف العبد عن دين الله

يتكون هذا المطلب من ثلاثة فروع؛ في الفرع الأول تم تناول مبدأ الثواب والعقاب في القرآن الكريم، أما الفرع الثاني فقد كان لبيان عاقبة المنحرف عن الدين في دنياه، ومقابل ذلك كان الفرع الثالث لبيان عاقبة المنحرف عن الدين في أخراه.

الفرع الأول: مبدأ الثواب والعقاب في القرآن الكريم

لقد سبقت الإشارة في الفصل الأول من هذا البحث أن الجذر اللغوي (د ي ن) له دلالة أو معنى مركزي يتمثل في الخضوع والانقياد للدين الذي آمن به الإنسان، كما ارتبط أيضا بمعاني ثانوية هي ذات صلة بالمعنى المركزي، منها معاني: الشريعة، والعبودية، والذل، والطاعة، الثواب والعقاب... وهي على صلة بجوهر المعنى المركزي وروحه، بل تثبت أن الجذر المعنوي الواحد لمفردة الدين في استعمالاتها القرآنية المختلفة، يعبر عن الصلة العميقة والمُحْكَمَة بين هذه العناصر الثلاث:

- **المعتقدات** (وما تستلزمه من إيمان وتسليم وخضوع وانقياد بعد فهم واقتناع)
- **الأفعال** (كل السلوكات العملية التي تعبر عن التزام التشريع والتعبد به)
- **النتائج** المترتبة عنها (الحساب وما يتبعه من ثواب أو عقاب).

فقد فطَرَ الله عباده على حبِّ المكافأة والمثوبة، لما في ذلك من أنْس وراحة للنفس ومسرة للقلب؛ لذلك يعمل الإنسان المتمتع بسلامة الفطرة على تحصيل المحامد والمكارم التي يستجلب بها المثوبة، ومقابل ذلك فطر اللهُ عبادَه أيضًا على بُغض العقاب، لما في ذلك من عناء ومشقة تُصِيب النفسَ والبدنَ، وعليه يحرص الإنسان على اتقاء الوقوع في المعاصي التي تجعله عرضة للعقاب، ويخضع مبدأ الحساب لشرط التكليف؛ أي متى كان الإنسان مكلفا

ومسؤولا، وجب عليه أن يتحمل نتائج أعماله، فيكون الثواب أو العقاب بحسب طبيعة العمل الذي يخضع لقاعدتي؛ الطاعة والالتزام بأحكام الدين، أو المعصية بمخالفة أحكام الدين.

أما من يتولى الإثابة والعقاب، فهو الله سبحانه وتعالى الذي أحاط بكل شيئ علما، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة من أعمال البشر؛ خيرها وشرها. قال عز وجل:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الزلزلة: 6-8]

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾
[سورة الكهف: 49]

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة غافر: 19، 20]

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ
مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: 47]

﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ
خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ
فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ
﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ
﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الحاقة: 17، 27]

فهذه الآيات في مجملها تؤكد على مبدأ الحساب، وما يتبعه من ثواب أو عقاب يوم تُعرَض أعمال الناس «ليواجهوها، ويواجهوا جزاءها، ومواجهة الإنسان لعمله قد تكون أحيانا أقسى من كل جزاء، وإن مِنْ عَمَلِهِ ما يَهْرِبُ من مواجهته بينه وبين نفسه، ويشيح بوجهه عنه

لبشاعته حين يتمثل له في نوبة من نوبات الندم ولذْع الضمير، فكيف به وهو يُـوَاجَه بعمله على رؤوس الأشهاد في حضرة الجليل العظيم الجبار المتكبر.

إنها عقوبة هائلة رهيبة.. مجرد أن يُرَوا أعمالهم، وأن يُوَاجَهوا بما كان منهم»[1] فيُعْطَى كلٌّ كتابَه، «فمن أخذ كتابه بيمينه فرح وقال: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ يعرضه... وهو فخور بما فيه، لأنه كتاب مشرِّف، ليس فيه ما يُخْجِل؛ لذلك يتباهى به ويدعو الناس إلى قراءته... وهذا بخلاف من أوتي كتابَه بشماله فإنه يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾إنه الخزي والانكسار والندم على صحيفة مُخْجِلة» .[2]

لذلك وجب على المؤمن أن ينتبه ويدرك أن جميع أعماله مهما بدت له هينة، ومهما حاول إخفاءها والتقليل من شأنها، هي مقيدة في عين الله وفي ميزان عدالته، لذلك يجب أن يستحضر رقابة الله، وعدالتَه عز وجل، وأنْ لا يحقر ولا يستصغر أي عمل من أعماله «خيرا كان أو شرا، ولا يقول: هذه صغيرة لا حساب لها ولا وزن، إنما يرتعش وجدانه أمام كل عمل من أعماله ارتعاشة ذلك الميزان الدقيق الذي ترجح به الذرة أو تشيل ! إن هذا الميزان لم يوجد له نظير أو شبيه بعد في الأرض .. إلا في قلب المؤمن »[3] الحريص على مرضاة الله عز وجل، بالامتثال لأوامره، والانتهاء عن نواهيه.

وبقدر ما يكون المؤمن حريصا على الطاعة حذرا من الوقوع في المعصية، تزداد دقة ميزان الحساب في قلبه، فيكون بذلك ممن يحاسِب نفسه قبل أن يُحاسَب، ويزنَ نفسَه قبل أن يُوزَن، عملا بقوله عز وجل:

---

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 6/ 3955.

2 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 14/ 8932.

3 سيد قطب، في ظلال القرآن، 6/ 3956.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ **[سورة الحشر: 18]**

فقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده «بما يوجبه الإيمان ويقتضيه من لزوم تقواه، سرا وعلانية، في جميع الأحوال، وأن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامره وشرائعه وحدوده، وينظروا ما لهم وما عليهم، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم وقبلة قلوبهم، واهتموا بالمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وتصفيتها من القواطع والعوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تَصْرِفُهم، وإذا عَلِموا أيضا، أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضيع لديه ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد» [1]. وعدم التقصير في حق الله عز وجل.

فالمؤمن الحريص على مرضاة الله، يجب أن يواظب على مراجعة النفس وتَفَقُّد أحوالها ومحاسبتها باستمرار، وعليه أن يتذكر دوما نعم الله ومننه عليه؛ لأن ذلك يوجب الحياء من كل تقصير في حق الله تعالى، وعليه فإن هذه الآية الكريمة هي أصل في محاسبة العبد لنفسه.[2]

فمحاسبة النفس هي أبرز صفة من صفات المؤمنين، المتقين، المستغفرين لذنوبهم؛ لعلمهم بحقيقة النفس وخطرها ومكرها؛ فهي أمَّارة بالسوء، تستسلم للهوى، وتدعو إلى المعصية، وتزين للعاصي سوء عمله، فتدفع به إلى الهلاك، ومع أن فكرة الحساب والجزاء ارتبطت بالآخرة، فإن من مقتضيات الحياة الدنيا أن يعيش أهلها في عدالة واستقرار وانتظام يحفظ كرامات الناس ويضمن حقوقهم، لذلك كان لزاما على ولاة الأمر أن يحاسبوا كل من يخل باستقرار المجتمع ونظامه؛ بمخالفته أحكام الإسلام، وانتهاك حرمات الله، يقول عز وجل:

---

1 عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمان بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع (الرياض)، ط2، 1422هـ – 2002م، 28/ 1006

2 ينظر: نفسه، 28/ 1006.

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة المائدة: 33]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة النور: 19]

وبهذه القاعدة القائمة على مبدأ الثواب والعقاب في الحياة الدنيا، وفي الحياة الأخرى، يتميز أهل الطاعة عن أهل المعصية، ويتميز أهل التقوى والاستقامة والصلاح، عن أهل الفجور والفساد والانحراف. قال تعالى:

﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ... ﴾ [سورة المائدة: 100]

﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [سورة صٓ: 28]

﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [سورة الجاثية: 21]

فالخبيث والطيب لا يمكنهما أن يستويا في ميزان الله، لما بينهما من تعارض يتصل بجوهر المعنى، المعبر عن حقيقة كلٍّ منهما وروحها وأثرها المترتب عنها، فكلٌّ منهما «لفظ عام في جميع الأمور، يُتَصَوَّر في المكاسب والأعمال، والناس والمعارف» [1] والكفر والإيمان، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والجيد والرديء، والمحبة والكراهية والحقد، والإصلاح والإفساد، والتقوى والفجور، والاستقامة والانحراف... «فالخبيث من هذا كلِّه لا يُفلِح ولا يُنجِب، ولا تَحْسُن له عاقبة وإن كَثُر، والطيب وإن قَلَّ هو نافع» [2]

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 6/ 327

2 نفسه، 6/ 327.

فهؤلاء وأولئك لا يستوون عند الله؛ لأن حكمته وعدالته عز وجل تأبى أن يكون المؤمن الذي يعمل الصالحات كالمفسد في الأرض، وتأبي أن يستوي التقي والفاجر الذي اجترح السيئات في مقام واحد، فلكل هؤلاء ماتستحقه أعمالهم من ثواب أو عقاب في الدنيا والآخرة، فالجزاء بقدر ما يرتبط بالآخرة، هو أيضا من مقتضيات الحياة الدنيا لتنظيم شؤون الناس، وضمان حقوقهم واستقرار حياتهم بما يليق ويناسب شأنية الإنسان وكرامته.

الفرع الثاني: التدين المنحرف وعاقبة صاحبه في الدنيا

لقد منح الله سبحانه وتعالى الحياة الطيبة لأهل الصلاح والاستقامة من عباده؛ لأنه سبحانه عز وجل لم يجعل طيب الحياة في رغد العيش ورفاهيته، وفي ترف المعاش وبذاخته، بل جعل طيب الحياة وخيريتها، وتحصيل الفلاح فيها مقترنا بطاعته، والاهتداء إلى صراطه المستقيم، وبذلك تكون حياة المؤمن طيبة «بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبَه، ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب»[1] .

قال عز وجل:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل: 97]

ومقابل ذلك سلط الله عز وجل حياة المشقة، ومعيشة الضنك على أهل الفساد والمعصية من عباده؛ فمهما بدت حياة هؤلاء مُنَعَّمة، ومُتْرَفَة وباذِخَة بألوان المتع، فإنها في حقيقتها الجوهرية ليست حياة مُكَرَّمَة، بل لا تحمل من الحياة إلا ضنك العيش وبؤسه ومرارته؛ لأنها انبنت على

1 السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، 14/ 521.

أساس باطل، وعلى توجه ضال مضل ابتعد أصحابُه عن الله عز وجل، وزاغوا وانحرفوا عن هدي أنبيائه ورسله –عليهم الصلاة والسلام–

قال سبحانه وتعالى:

﴿ ... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ... ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة طه: 123، 124]

وعليه كان لزاما على المؤمن أنْ يدرك أنَّ عذاب الله في الدنيا هو نذير يدعو إلى التوبة، ومن ثم وجب عليه أن يستشعر رقابة الله عز وجل في كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، كما قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– في بعض حِكَمه ومواعظه: «احْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ، فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ»[1] .

فمن يحرص على طاعة الله عز وجل، ويتقِ معصيته سبحانه وتعالى، سيحيا حياة طيبة، وسيجنِّبْ نفسَه ويقيها معيشة العناء والضنك؛ لأن الذنوب ومعصية الله كثيرا ما تكون سبب كل «نقص وبلاء وشر في الدنيا والآخرة ... فليس في العالم شر قط إلا الذنوب وموجباتها، وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال أمر مشهود في العالم، لا ينكره ذو عقل سليم[2]» قال عز وجل:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[سورةالنحل:112]

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [سورة الشورى: 30]

1 علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، 768.

2 أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي (يروت)، ط7، 1423هـ – 2003م، 1/ 424.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ...﴾ **[سورة الأنفال: 53]**

فالمعاصي تزيل النعم، وتُنْزِل النِّقَم والمِحن، وتَحْبِس الدعاء، وتورث الخيبة وقلة التوفيق، ومحو بركة العمر، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وخمول الذكر، وذهاب الرزق، وفقدان الحياء، ونفرة الخلق، وقسوة القلب، وحرمان العلم، ولباس الذل، وضيق الصدر، والهم، والغم [1]وغيرها من الآثار السيئة والمحن التي تنزل بالعصاة المفسدين في الأرض، المعرضين عن دين الله عز وجل.

يقول سبحانه وتعالى في محكم تنزيله:

﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ **[سورة الروم: 41]**

جاء في تفسير الكشاف أن «الْفَساد فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نحو: الجدب، والقحط، وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات، ووقوع المَوَتان في الناس والدواب، وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق الصيادين والغاصة، ومحق البركات من كل شيء، وقلة المنافع» [2] .

فكل ذلك إنما يحدث بسبب مفاسد ارتكبها الناس فأفسدت نظام الحياة الذي يليق بالإنسان، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون « على هيئة الصلاح، وأعده لاستقبال الإنسان إعدادا رائعا... فلن ترى فيه فسادا إلا فيما تتناوله يد الإنسان، أما ما لا تتناوله يد الإنسان فلا ترى فيه خللا... فهل خلقنا الحق سبحانه وخلق اختيارنا لنفسد في الكون؟ ... فالفساد يأتي

1 ينظر: محمد صالح المنجد، العقوبات المعَجلة للمعاصي، الموقع الإلكتروني الرسمي لمحمد صالح المنجد، https://almunajjid.com/speeches/lessons/292 ، تاريخ النشر: 16 جمادى الأولى 1420 هـ، تاريخ العودة إلى الموقع: 09 فيفري 2023م في الساعة: 07.13، وينظر: أنور إبراهيم النبراوي، آثار الذنوب والمعاصي، موقع صيد الفوائد، http://www.saaid.net/Doat/anwar/25.htm، دون تاريخ النشر، تاريخ العودة إلى الموقع: 10 فيفري 2023م في الساعة: 06.48

2 الزمخشري، الكشاف، 21/ 831.

حين تُدْخل يدك في شيئ، وأنت تطرح قانون الله في افعل ولا تفعل»[1] ؛ أي تترك طاعة الله، وتقبل على معصيته بما يشيع الفساد في الأرض، ويهتك قانون الصلاح الذي أقام الله عليه نظام هذا الكون، وأراد أن تقوم عليه علاقة الإنسان بهذ الكون، وعلاقة الناس ببعضهم؛ فالفساد يصبح ظاهرا للعيان حين يكون غالبا على قانون الصلاح «الذي أقام الله عليه نظام هذا الكون الذي لو نالته يد الإنسان لفسد هو الآخر» [2] كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ **[سورة المؤمنون: 71]**

فالغش، والظلم، والسرقة، والإهمال، والفاحشة ... وغيرها من السلوكات والممارسات المنحرفة هي مفاسد تندرج ضمن عنوان المعصية التي يترتب عنها عقاب دنيوي لحكمة ربانية، ولهدف تأديبي تربوي، حتى يعود الإنسان إلى حقيقته الفطرية ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ فحين «يذيق الله الإنسانَ بعض ما قدمت يداه، يوقظه من غفلته، ويُنَبِّه فيه الفطرة الإيمانية، فيحتاط للأمر ولا يهمل ولا يقصر، وتظل هذه اليقظة الإيمانية بمقدار وعْيِه الإيماني ... ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ؛ لأن الكلام هنا في الدنيا، وهي ليست دار جزاء؛ فالحق يذيقهم بعض أعمالهم ليلتفتوا إليه سبحانه، ويتوبوا ويعودوا إلى حظيرة الإيمان؛ لأنهم عبيده، وهو سبحانه أرحم بهم» [3]

لذلك حذرنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من الاستهانة بالذنوب مهما بدت لمرتكبيها صغيرة وبسيطة؛ لأن التعود على الاستخفاف بالذنب الأصغر، يُذْهِب الحياء، ويسلب من العبد وازعَه الديني، ويميت فيه محكمة الضمير؛ الذي يُفْتَرَض أن يبقى في حالة صحو ونشاط

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 18/ 11472.

2 نفسه، 18/ 11473.

3 نفسه، 18/ 11478.

كي يراقب به نفسَه ويزن به عملَه، كي يحصن نفسه من الوقوع في الهلاك، والوقوع في الذنب الأكبر. قال —عليه الصلاة والسلام–:

«إيَّاكم ومُحَقِّراتِ الأعْمَالِ إنَّهُنَّ لَيُجْمِعْنَ علَى الرَّجُلِ حتَّى يُهْلِكْنَه» [1]

وكلما طال بالعبد أمد الغفلة عن العلاقة التي تربطه بربه، وقع في المعصية وتمادى في ارتكابها، ومع تراكم المعاصي تصدأ القلوب وتقسو، وتتراكم الغشاوة التي تحجب الفطرة ليكون العبد بذلك محجوبا عن ربه.

قال عز وجل:

﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ **[سورة المطففين: 14–15]**

مع أن هذه الآية جاءت تتمة لآيات سابقة خص بها الله سبحانه وتعالى المكذبين بيوم الدين الذين قالوا عن آيات الله إنْ هي إلا أساطير الأولين* ، إلا أنها عبرت عن قاعدة إنسانية عامة، وسُنَّة نفسية ثابتة، تخص الكافر وغير الكافر من الغافلين عن دين الله؛ الذين صدأت قلوبهم بسبب تماديهم في الغفلة، وبسبب ما استمروا على اقترافه من المعاصي، واكتسابه من الأوزار والذنوب.

« فكثرة الغفلة هي التي أدت إلى هذا الران ... وهو الحجاب الذي يأتي على القلب، فكأن الذي لا يريد أنْ يُحجَب عن ربه، لا يَحْجِب قلبَه، ومن يَحْجِب قلبَه، سَيُحْجَبُ عن ربِّه،

---

1 أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط3، 2003م – 1424هـ، كتاب الشهادات، باب من تجوز شهادته ومن لا تجوز من الأحرار البالغين، الحديث رقم: 20761، 10/ 316.

* ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ ﴾ **[سورة المطففين: 10–13]**

لأن القلب هو محل الاعتقاد واليقين، فعندما تَحْجِبه بالإثم والاعتداء والمعاصي، فإنك تُحْجَب عن ربِّك »[1]

وإذا كان العبد محجوبا عن ربه فإن ذلك سيحول بينه وبين معرفة الحق، والاهتداء إليه، والعمل به، بل إن ذلك سيُفقده نعمة الإحساس بالعبودية لله عز وجل، فيصير عبدا لشهواته ولأهوائه، ولعل أخطر وأكبر عقاب يطال العبدَ في دنياه هو أن يجدَ نفسَه عبدا لغير الله، فيحيا عبودية مُذِلَّةً تسلبه كرامته الإنسانية، وتقتل فيه الفطرة التي فطره الله عليها، وإذا ما كانت الفطرة محجوبة عن الله بفعل تراكم المعاصي، فإن العبد سيفقد حتما نعمة التدين بدين الله الذي جاء به الأنبياء لحفظ كرامة الإنسان، وإسعاده في الدنيا والآخرة.

وقد جاء في الحديث الشريف ما يؤكد هذه الحقيقة القرآنية، فقال عليه الصلاة والسلام كما جاء في السنن الكبرى للبيهقي:

« إنَّ المؤمنَ إذا أذْنَبَ ذَنْبًا كانتْ نُكتة سوداءَ في قلبه، فإنْ تابَ ونَزَعَ واستغفرَ صُقِلَ منها قلْبُه، فإنْ عادَ رانتْ حتى يغلقَ بها قلبَه، فذاك الذي ذكر اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين: **14**]»[2]

وفي رواية أخرى للترمذي في الجامع الكبير:

«إن الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نكْتَةٌ سوداءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين: **14**]»[3]

---

1 الشعراوي، تفسير جزء عم، ص 16885.

2 أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب الشهادات، باب من تجوز شهادته ومن لا تجوز من الأحرار البالغين، رقم الحديث: 20763، 10/ 316.

3 أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، أبواب فضائل القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، رقم الحديث: 3334، 5/ 359.

فالإنسان يلقى أثر ذنوبه ومعاصيه وأثر عمله السيئ في دنياه، وأول هذا الأثر وأخطره على الإطلاق هو أنْ يفقد العبد حقيقته الفطرية التكوينية التي خلقه الله بها وفطره عليها، وتأتي بعد ذلك الآثار المترتبة عن كل أعماله؛ فإنْ فعل خيرا جنى ثمرة هذا الخير، وإنْ عمل شرا لقي عاقبة عمله السيئ، يقول رسولنا –عليه الصلاة والسلام-:

«لا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلَّا البِرُّ، ولَا يَرُدُّ القَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا» [1]

فهذا الحديث الشريف بقدر ما يوضح الأثر الحسن للبر والتقوى، والتقرب إلى الله بالذكر والدعاء، يبين أيضا الأثر السيئ للوقوع في الخطيئة وارتكاب المعاصي، ولعل أبرز هذه الآثار أنْ يُحْرَم المذنبُ الرزقَ، والحرمان من الرزق يعني أن يُحرمَ المذنب المنحرف عن دين الله من جميع أسباب تحصيل الرزق من صحة، وغيث، وبركة، وأمن واستقرار، ورأي حكيم، وتدبير سديد، وغيرها من الابتلاءات والمحن المختلفة التي تؤدي إلى حرمان المذنب من تحصيل الرزق، وضمان الحياة الطيبة.

وعليه وانطلاقا مما تقدم فإن العبد المنحرف عن دين الله يلقى في دنياه عاقبة انحرافه، فيحيا حياة بؤس ومعيشة ؛كلها عناء ومشقة وضنك، ومما لا ريب فيه أن حياة البؤس والمشقة لا ترتبط برغد العيش وترفه، أو بكل ما هو مادي في هذه الحياة الدنيا؛ لأن كثيرا من الناس قد يحيون حياة مترفة باذخة ترضي غرائزهم، وتساير أهواءهم، وتستجيب لمتطلبات أجسادهم، لكنها لا توفر لهم المتطلبات النفسية والروحية التي تمنحهم السكينة وراحة النفس الحقيقية؛ بعد أنْ صاروا عبيدا لدنياهم، ولشهواتهم وأهوائهم، ومتطلبات أجسادهم، ففقدوا بذلك نعمة العبودية الحقة لله؛ هذه

1 أخرجه ابن ماجة في سننه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية مصر، دط، دت، باب في القدر، رقم الحديث: 90، 35/1.

العبودية التي تمنحهم السكينة، وتوفر لهم الطمأنينة التي يتحقق بها معنى الحياة الطيبة التي ذكرها القرآن الكريم في قوله عز وجل:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ...﴾ [سورة النحل: 97]

فالعبد كلما كان متماديا ومستغرقا في غَيَابَات الغفلة عن حقيقة العلاقة التي تربطه بخالقه عز وجل، سيقوده ذلك حتما إلى الاستهانة بحدود الله، ومن ثم يتمادى في ارتكاب المعاصي، وفي البعد عن الله إلى أن يجد نفسه محجوبا عن ربِّه، ومحروما من نعمة العبودية الخالصة لوجهه الكريم سبحانه عز وجل، وبذلك يمكن القول: إن هذا الأثر المرتبط بجوهر حياة الإنسان، ينعكس سلبا على أهم مقصد خُلِق لأجله هذا الإنسان، وهو عبادة الله عز وجل:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات: 56]

وعليه فإن هذا المقصد العام والغاية الكبرى التي خُلِق لأجلها الإنسان حين تكون هي التي يطالها الأثر السيئ المترتب عن العمل السيئ للعبد المنحرف عن دين الله، فإنها تصبح أثرا عاما، يختصر أو يعبر عن كل أثر آخر من الآثار السيئة التي قد تصيب المنحرفين عن دين الله في دنياهم قبل آخرتهم.

فغفلة الإنسان أو تَنَكُّرَه لما يجب أن يكون عليه حاله من عبودية خالصة لله عز وجل، سيقوده حتما لأنْ يعيش عبودية أخرى لغير الله، وهي عبودية سيَفقد فيها فطرتَه، وكرامتَه الإنسانية، وسيَفقد فيها حقيقتَه الآدمية، وأيُّ عقاب أعظم وأشد من هذا العقاب الذي يَفْقد فيه الإنسانُ حقيقتَه الإنسانية؟ بل أي عقاب أعظم وأشد بكثير من ذلك العقاب الذي يفقد فيه الإنسان علاقته بربه؟ أي يفقد المعنى الذي يجب أن تكون عليه هذه العلاقة والمتمثل أساسا في تحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل، والوصول إلى مقام العبادية، وبقدر هذه العبودية الخالصة لله تتحقق الحرية من كل عبودية أخرى، وبذلك فقط تُحْفظ كرامة الإنسان.

الفرع الثالث: التدين المنحرف وعاقبة صاحبه في الآخرة

بداية لا بد من الإشارة إلى أن الحديث هنا يخص على وجه التحديد -كما هو واضح من عنوان الفرع - تلك الفئة التي أظهرت انتسابها إلى دين الله، لكنها انحرفت عنه، ولم تلتزم تعاليمه وأحكامه، في غفلة منها عن الآخرة والمعاد وما فيه من عقاب وثواب.

فالاعتقاد باليوم الآخر والمعاد من الأصول العقائدية التي تُجْمع عليها الديانات السماوية، ومما لا ريب فيه أن من مظاهر العدل الإلهي أن يكون هناك يومٌ يُحاسَب فيه الناسُ، على أفعالهم وأقوالهم التي لازمت سيرتهم في دنياهم، وختموا بها حياتهم، فيُثَاب المحسن، ويُعَاقَب المسيئ؛ لذلك اقتضت الحكمة الإلهية أنْ لا يكون الهدف من خلق الإنسان محصورا في حياة محدودة؛ هي الحياة الدنيا الآيلة إلى الفناء، بل لا بد من وجود عالم آخر يتحقق فيه الهدف من خلْق الإنسان وخلْق هذا العالم؛ وهو لقاء الله عز وجل.

فمهما نال أهل الاستقامة والصلاح ما يستحقونه من ثواب في الدنيا، ومهما كان العقاب المسلط على أهل الانحراف والفساد في الدنيا، فإن ثواب المحسنين ومعاقبة المسيئين في الحياة الدنيا يظل -في واقع الحال- مرتبطا بحياة ظرفية محدودة، لا يتحقق فيها الحساب والجزاء بالقدر الذي يستحقه المحسن أو المسيئ؛ فكلاهما لن يعرف حق المعرفة الأثر المترتب عن عملهما إلا في الحياة الأخرى وفي يوم المعاد، الذي يدرك فيه الإنسان بيقين أن الله لم يخلقه ولم يخلق الحياة الدنيا عبثا، بل هي امتحان للإنسان، وبهذا الامتحان يتحدد مصيره في النشأة الأخرى.

قال عز وجل:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ **[سورة المؤمنون: 115]**

فالاعتقاد بالمعاد له أثر إيجابي مُطَمْئِنٌ للنفس؛ لأنها تتلقى جوابا لما يطرحه الإنسان من تساؤلات بخصوص مصيره بعد الموت، ومن ذلك: هل الموت هو نهاية الحياة البشرية؟ أم أنَّ هناك نشأة وحياة أخرى بعد الموت؟ ولترسيخ فكرة الاعتقاد بالمعاد جاء في القرآن الكريم ما يُذَكِّر الغافلين وينبههم، ويحذرهم من سوء العاقبة والمصير في اليوم الذي يُبْعَث فيه الناس، ويُحْشَرون ليَمْثُلُوا بين يدي الله عز وجل؛ وهم بين فريق يلقى الله وهو راض عنه، وفريق يلقى الله وهو ساخط عليه.

لذلك وددت الحديث عن الحساب الأخروي في جانبه المتعلق بالعقاب النفسي والمعنوي، ثم العقاب المادي:

أولا– العذاب النفسي والمعنوي:

ويرتبط بمرحلة إدراك طبيعة الأعمال واكتشاف حقيقتها بعد الموت وقبل قيام الساعة، وبمقتضى تلك الأعمال يتم إنباء الميت بما سيكون عليه حاله ومصيره يوم القيامة، يقول –عليه الصلاة والسلام–:

((**إنَّ أحَدَكم إذا ماتَ عُرِض عليه مَقعَدُه بالغَداةِ والعَشيِّ إنْ كان مِن أهلِ الجنَّةِ فَ مِنْ أهلِ الجَنَّةِ، وإنْ كان من أهلِ النّارِ فَمِنْ أهلِ النّارِ، فيُقالُ هذا مَقعَدُكَ حتّى يبعَثَكَ اللهُ منه**))[1]

ويقول –عليه الصلاة والسلام–:

((**الميّتُ تحضُرُه الملائكةُ، فإذا كان الرَّجلُ صالحًا قالوا: اخرُجي أيَّتُها النَّفسُ الطيّبةُ كانتْ في الجسدِ الطيّبِ، اخرُجي حميدةً، وأبشري برَوْحٍ وريحانٍ، وربٍّ غيرِ غضبانَ، فلا يزال يُقال لها ذلك حتّى تخرجَ ثم يُعرَجُ بها إلى السَّماءِ، فيُفتَحُ لها، فيقالُ: مَنْ هذا؟ فيقولون: فلانٌ.**

1 أخرجه البخاري في صحيحه (صحيح البخاري)، كتاب الجنائز، باب الميت يُعْرَض عليه مقعدُه بالغداة والعشي، رقم الحديث: 1379، ص333.

فيقالُ: مرحبًا بالنَّفسِ الطَّيِّبةِ كانت في الجسدِ الطَّيِّبِ، ادخلي حميدةً، وأبشري برَوْحٍ وريحانٍ، وربٍّ غيرِ غضبانَ، فلا يزال يُقالُ لها ذلك حتّى يُنتَهى بها إلى السَّماءِ الَّتي فيها اللهُ عَزَّ وجَلّ، وإذا كانَ الرَّجلُ السُّوءُ قالوا: اخرُجي أيَّتُها النَّفسُ الخبيثةُ كانت في الجسدِ الخبيثِ، اخرُجي ذميمةً، وأبشِري بحميمٍ وغسّاقٍ، وآخرَ من شكلِه أزواجٌ، فلا يزال يُقال لها ذلك حتّى تخرُجَ، ثمَّ يُعرجُ بها إلى السَّماءِ فلا يُفتَحُ لها، فيقالُ: من هذا؟ فيقال: فلانٌ. فيقال: لا مرحبًا بالنَّفسِ الخبيثةِ كانتْ في الجسدِ الخبيثِ، ارجعي ذميمةً، فإنّه لا تُفتحْ لك أبوابُ السَّماءِ، فيُرْسَلُ بها من السَّماءِ، ثم تصيرُ إلى القبرِ.))[1]

وبعد هذا الإنباء تكون الأرواح بين أرواح سعيدة وأخرى تعيسة؛ بحسب أعمالها في الدنيا، لذلك وصف الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم ما يصيب أصحاب الأرواح التعيسة من حسرة وندم وألم، في تلك اللحظات العصيبة، التي يدرك فيها هؤلاء حقيقة أعمالهم، ويدركون حقيقة أهوائهم وشهواتهم، ويدركون حقيقة الدنيا التي كانت منتهى آمالهم وهمهم واهتمامهم، ومن ثم هم يدركون حتما عاقبة أعمالهم، وحقيقة مآلهم ومصيرهم بسبب انحرافهم عن الدين.

فكل ذلك يبعث على الشعور بالوجع النفسي والألم والخزي والندم ... لما كان عليه حال هؤلاء من غفلة، وتقصير، وجحود، لذلك يطلبون العودة إلى الحياة الدنيا؛ لاستدراك ما فاتهم، وتصحيح أعمالهم، لعلهم ينالون فرصة التوبة ومحو الخطايا؛ بالعودة إلى الله عز وجل، وإلى الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده.

فقال عز وجل:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

1 أخرجه ابن ماجة في سننه (السنن)، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم الحديث: 4262، 2/ 1423

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١ ﴾ **[سورة المنافقون: 9–11]**

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عما يُنْبَأ به الميتُ من ثواب أو عقاب في المرحلة الأولى من النشأة الأخرى؛ حيث يكون الناس بين فريقين؛ فريق تبيض وجوههم بلقاء الله وهو راض عنهم، وفريق تسود وجوههم يوم لقاء الله؛ لأنهم يلقونه وهو ساخط عليهم.

قال عز وجل:

﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧ ﴾ **[سورة آل عمران: 106–107]**

وهنا لا بد أن نشير إلى مسألة مهمة رفعا لأي لبس بخصوص العدل الإلهي، لأنه قد يتبادر إلى الذهن أن الله قد خلق بعض خلقه في بداية نشأتهم التكوينية بلون أسودَ، فكيف يكون هذا اللون علامة دالة على القبح وعلى ما لايرضي اللهَ عز وجل، لذلك وجب التنبيه إلى أن دلالة السواد والبياض في الدنيا غير دلالتهما في الآخرة، ثم إن الأمر لا يتعلق بتوصيف اللونين من حيث كونهما حالة تكوينية تلازم خِلْقة الإنسان ابتداءً، وإنما من حيث كونهما حالة طارئة عليه، لتطبع وجهه بما يكشف طبيعة أعماله؛ لأن أعماله هي التي تحدد ما سيكون عليه وجهه من بياض أو سواد، ومن ثم يصبح هذا اللون علامة دالة على طبيعة العمل أولا، ثم على ما في النفس من سرور برضا الله، أو ما بها من حسرة بسبب غضب الله ثانيا.

فالبياض والسواد في الحياة الدنيا كما يقول الشعراوي: « هما من آثار اختلاف البيئات في الدنيا، فالشخص الأسود يزيد الله في تكوينه عن الشخص الأبيض بما يناسب البيئة، لأن المادة

الملونة للبشرة في جسده موجودة بقوة، لتعطيه اللون المناسب لمعايشة ظروف البيئة، أما أبيض البشرة فلا يملك جسده القدر الكافي من المادة الملونة، لأن بيئته لا تحتاج مثل هذه المادة الملونة.

إذن فالسواد في الدنيا لصالح المسود، أما في هذه الآية، فهي تتحدث عما سوف نراه في الآخرة حيث يكون السواد والبياض مختلفين، تماما كما تتبدل الأرض غير الأرض، والسمٰوات غير السمٰوات، وكذلك يتبدل أمر السواد والبياض، إنه لن يكون سواداً أو بياضا من أجل البيئات. ولذلك ستتعجب يوم القيامة؛ لأنك قد ترى إنسانا كان أسودَ في الدنيا، وتجده أبيضَ في الآخرة، وتجد إنسانا آخر كان لونه أبيضَ في الدنيا ثم صار أسودَ في الآخرة.

فلا يظن ظان أن الإنسان الأسودَ في الدنيا مكروه من الله، لا، إن الله يعطي كل واحد ما يناسبه، بدليل أن الله قد أمده باللون الذي يقويه على البيئة التي يحيا فيها. وفي مجالنا البشرى، نحن نعطي المصل لأي إنسان مسافر إلى مكان ما، حتى نحميه من شر مرض في المكان الذي يذهب إليه، كذلك خَلْقُ الله في الأرض فقد أعطى سبحانه لكل إنسان في تكوينه المناعة التي تحفظه؛ فالله لا يكره السواد لأنه حماية للإنسان من البيئة. وهذه المسألة ستتبدل يوم القيامة كما تتبدل الأرض غير الأرض، وتبيض الوجوه المؤمنة، وتسود الوجوه الكافرة.

أو أن البياض والسواد كليهما، أمر اعتباري، بدليل أنك ترى واحدا أبيضَ ولكن وجهَه عليه غبرة ترهقه قترة، وترى واحداً آخر أسودَ اللونِ، ولكن نور اليقين يملأ وجهَه، وبريق الصلاح يشع منه، وأنت لا تقدر أن تمنع عينيك من أن تديم النظر إليه، ولذلك قال الحق:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة القيامة: 22-23] » [1]

وقد «قال أهل المعاني: ابيضاض الوجوه: إشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وبثواب الله، واسودادها: حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله» [2] لذلك « فالمؤمن حين يرى ما

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 3/ 1667، 1668.

2 البغوي، معالم التنزيل، 87/2.

أعده الله له من النعيم المقيم يقابل عطاء الله باستشراف نفس وسرور وانبساط، أما الذي يرى مقعده من النار فلا بد أن يكون مظلم الوجه.» [1]

فالخطاب موجه لمن كان مؤمنا، لكنه لم يثبت على الإيمان؛ إذْ انحرف عن مقتضيات الإيمان وعن أحكام الدين وتعاليمه، لذلك أكدت الآيتان تأكيدا صريحا عما في النشأة الأخرى « من آثار الجزاء بالعدل والفضل، ويتضمن ذلك الترغيب والترهيب الموجب للخوف والرجاء؛ فقال :﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾ وهي وجوه أهل السعادة والخير، أهل الائتلاف والاعتصام بحبل الله ﴿وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ وهي وجوه أهل الشقاوة والشر، أهل الفُرْقة والاختلاف؛ هؤلاء اسودت وجوههم بما في قلوبهم من الخزي والهوان والذِّلة والفضيحة، وأولئك ابيضت وجوههم، لما في قلوبهم من البهجة والسرور والنعيم والحبور الذي ظهرت آثاره على وجوههم » [2]

فالشعور بالخزي والندم والحسرة على التفريط والتقصير هو عذاب يصيب النفس ويؤلمها، ويتكثف الإحساس بهذا العذاب بصورة خاصة عند من كانوا على بينة ومعرفة بدين الله، وكانوا مؤمنين بأنه الدين الحق الذي يضمن لهم الهداية والنجاة من الهلاك والضلال، ويضمن لهم سعادة الدارين؛ الدنيا والآخرة، ثم انحرفوا عن ذلك وضلوا وهلكوا، بسبب الغفلة، أو بسبب حب الدنيا، والخضوع لشهوات النفس ... وغيرها من الأسباب الكثيرة التي كانت قد تسلطت على هؤلاء، فأبعدتهم عن حقيقة الدين، وعن تعاليمه وأحكامه الصحيحة، لذلك هم يتجرعون مرارة الندم، ويعيشون الإحساس القاسي بالخزي والحسرة.

وكيف لا يشعرون بالخزي والندم والحسرة، وقد فرَّطوا فيما عرفوه من أسباب سعادتهم ونجاتهم، وقصَّروا في الالتزام بتعاليم دينهم؟ بل وقد سلكوا طريقا غير الطريق الذي ارتضاه الله

---

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 3/ 1669.

2 السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، 4/ 150.

لعباده، لذلك يتمنى هؤلاء لو يعودون إلى الحياة الدنيا؛ لعلهم يعملون صالحا، ليستدركوا ما فاتهم من الخير، لكن هيهات هيهات.

ثانيا- العذاب الجسدي والمادي

في البداية لا بد من التأكيد على أمرين اثنين وهما:

1- تنزيه الله عز وجل عن أية مصلحة، أو رغبة في التشفي والانتقام بتعذيب العصاة، لذلك قال عز وجل:

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [سورة النساء: 147]

إنما هذا العذاب هو في واقع الحال من أجل مصلحة الإنسان نفسه، الذي تدفع به غرائزه وشهواته إلى الوقوع في الانحراف وارتكاب المعاصي والمفاسد والتمرد على أحكام الدين، لذلك لا بد له من رادع يردعه، ويمنعه من التمادي في غيه وظلمه وطغيانه؛ أي لا بُدّ من وجود عذاب وعقاب يجعله يعيش حالة خشية دائمة لله عز وجل، ومن ثم تتحول تلك الخشية إلى رادع يقي الإنسان المؤمن من الوقوع في المعاصي والانحراف عن دين الله، بل وحتى يثق الإنسان أيضا بعدالة الله عز وجل التي تأخذ مجراها في النهاية، وتجعل المجرم والظالم يصل في نهاية المطاف إلى مرحلة يدفع فيها ثمن طغيانه وبغيه في الآخرة التي لا وجود فيها لإمكانية الانفلات من العقاب، لعدم إمكانية إخفاء المعصية أو التحايل في نفيها، وإنكارها كما ألِفَ العصاة أن يفعلوا في الدنيا.

فكم من مجرم قضى حياته الدنيا من غير عقاب؛ لأنه لا يُعْرَف إجرامُه، أو لأن له قوةً وجاهًا وسلطاناً يحميه، وعليه فإن عدالة الإنسان لا تطال بالضرورة كلَّ ظالم ومجرم في الحياة الدنيا، فهل إذا انتهت هذه الحياة ينتهي كلُّ شيء، وإذا كان الحال كذلك، فأين العدالة ؟ وأين الحق ؟ وأين القصاص ؟!

2- جعْلُه سبحانه وتعالى العذابَ الجسديَّ في اليوم الآخر مختصا بالنار على وجه التحديد، يدخل في صميم حِكْمته التي مهما حاول المؤمنُ البحثَ في تفاصيلها لمعرفة أسرارها، فإنه في نهاية المطاف، وبمقتضى مبدأ العبودية لله عز وجل ما عليه إلا أن يُسَلِّم بمشيئة الله وبحكمته، وأن يذعن لها إذعان الموقنين الوجلين.

وقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تبين ما سوف يصيب المتدينين المنحرفين عن الدين الحق من عذاب جسدي في اليوم الآخر كقوله عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾

[سورة النساء: **29 – 30**]

فقد كان الخطاب موجَّها للذين آمنوا؛ حيث حذرهم المولى عز وجل من عاقبة الانحراف السلوكي عن تعاليم الدين؛ ونهاهم عن أكل أموال بعضهم بعضا بالباطل، كما نهاهم عن قتل أنفسهم بغير حق ... وغيرها من مظاهر الاعتداء والظلم التي قد يقع فيها المؤمن العاصي، المنحرف عن تعاليم دينه في سره وعلانيته، في غفلته وفي صحوه، وفي هذه الحال يكون انتسابه للدين مشوبا بما يفسد علاقتَه بهذا الدين.

في حين أن علاقة المتدين بدين الله يجب أن تنبني على الوعي والبصيرة، والصدق وإخلاص العبودية لله، حتى يتحقق الالتزام الذي يترتب عنه أثر سلوكي تتجلى فيه مظاهر العبودية الحقة والاستقامة على النهج القويم الذي ارتضاه الله لعباده، وعليه فإن من يأكل أموال إخوانه بالباطل، ويمعن في ارتكاب المعاصي التي نهى الله عنها، هو من دون شك منحرف عن الدين الحق، وإنْ ادعى انتسابه إليه، وهؤلاء توعدهم الله سبحانه وتعالى بسوء العاقبة في الدار الآخرة، فقال عز وجل في شأنهم: ﴿ ... وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ ... ﴾ .

فقد رتب الله سبحانه وتعالى «دخول الجنة على طاعته وطاعة رسوله، ورتب دخول النار على معصيته ومعصية رسوله، فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب، ومن عصى الله ورسوله معصية تامة يدخل فيها الشرك فما دونه، دخل النار وخلد فيها، ومن اجتمع فيه معصية وطاعة، كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية» [1]

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تؤكد أن العاقبة في الدار الآخرة؛ للعصاة المنحرفين عن الدين، غير الملتزمين بأحكامه هي نار جهنم؛ كقوله عز وجل في شأن من يتنكر لأحكام الشريعة، ويتعدى حدود الله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا
وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ
ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ
فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ
أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾
وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾
وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا
وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ
أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ
نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ
أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٨﴾ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ
لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾
يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا
مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ

1 السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، 4/ 183.

لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة النساء: 1 – 14]

لقد أكدت هذه الآيات التي تصدرت سورة النساء على جملة من «الأحكام التي ذُكِرَتْ في باب اليتامى والوصايا والمواريث. وسماها حدوداً، لأن الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين، لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق» [1]

ومن ثم فإن من يتجاوز أحكام الشريعة ويتعدَّ حدود الله، فإن الأثر الأخروي المترتب عن ذلك أنهم سيصلون سعيرا، ويدخلهم ربهم نار جهنم ليذيقهم عذابا مهينا.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾

﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾

1 الزمخشري، الكشاف، 4/ 226.

فمن وقع في ذلك يكون قد تجرأ على الله سبحانه وتعالى، ثم يكون قد تجرأ على رسوله الكريم – عليه الصلاة والسلام- بتغيير « ما حَكَمَ اللهُ به، وضادَّ الله في حُكْمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قَسَمَ اللهُ وحَكَمَ به» [1]

وأي انحراف عن الدين أخطر وأعظم من الانحراف الذي يكون فيه الجهر بمعصية الله، والتجرؤ عليه بتغيير حدوده وتجاوزها، ثم التجاسر على الشريعة التي جاءهم بها رسولُه الكريم –عليه الصلاة والسلام- وعدم الرضا بما قسمه سبحانه وتعالى لعباده، وبما سَنَّه لهم من أحكام، وقدَّره لهم من مقادير تخص أرزاقهم في الحياة الدنيا وما لهم فيها من حظوظ، وتخص نظام حياتهم وما يضبطه من أحكام وحدود؟

لذلك كان عذابُ النار في الآخرة مصيرَ كلِّ متدين ينتسب إلى دين الله، لكن هذا الانتساب لا يجد ما يقابله من الالتزام الحقيقي، ومن الالتزام السليم والسوي بتعاليم الدين وأحكامه؛ حيث ينحرف هؤلاء عن أحكام الشريعة وتعاليمها، ولا يلتزمون بما أمرهم به الله وبما نهاهم عنه؛ لا لشيئ سوى الإصرار المقيت على الانتصار الخادع لحظوظ النفس، والاستسلام الذليل لِغَلَبَةِ الهوى.

1 محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر عيسى البابي الحلبي، ط1، 1376هـ – 1957م، 5/ 151.

المبحث الثاني: أثر التدين المنحرف على المجتمع

ويتضمن

المطلب الأول: أثر التدين المنحرف على العلاقات الاجتماعية

المطلب الثاني: عاقبة المجتمع المنحرف عن دين الله

المبحث الثاني: أثر التدين المنحرف على المجتمع

تم تخصيص هذا المبحث للوقوف على أبرز الآثار المترتبة عن التدين المنحرف على مستوى الحياة الاجتماعية للمجتمع المتدين بدين الله، وهو يتكون من مطلبين؛ خُصِّص المطلب الأول للوقوف على أثر التدين المنحرف على العلاقات الاجتماعية، بينما تم تخصيص المطلب الثاني لإبراز عاقبة المجتمعات المنحرفة عن دين الله.

المطلب الأول: أثر التدين المنحرف على العلاقات الاجتماعية

تضمن هذا المطلب ثلاثة فروع يوضح كلٌّ منها أثر التدين المنحرف على العلاقات الاجتماعية؛ ففي الفرع الأول تم بيان كيف يكون التدين المنحرف سببا في انتشار العداوة والبغضاء، أما الفرع الثاني فقد كان لبيان كيف يؤدي الانحراف في التدين إلى انتشار الغش بكل مظاهره وبكل تداعياته، بينما كان الفرع الثالث لبيان كيف يكون التدين المنحرف سببا في تعطيل العمل بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

توطئة

لا شك أن المفترض في المجتمع المتدين الملتزم بتعاليم دينه أنْ يكون على قدر كبير من التماسك والتلاحم والتراحم؛ ذلك لأن هذا المجتمع تؤطره قيم الوحي التي تحفظ له كرامته الإنسانية، فعندما يحافظ الفرد المؤمن على علاقته السوية بالله عز وجل، فإن ذلك سيؤدي حتما إلى حفظ علاقة أفراد المجتمع ببعضهم، ناهيك عن حفظ علاقتهم بالحياة، ومحيطها، وقوانينها، وشروطها، وهذه هي الصورة الجميلة التي رسمها رسولنا –عليه الصلاة والسلام– للمجتمع المؤمن المتراحم المتلاحم، حين قال:

«مَثَلُ المُؤمنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَراحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى» [1]

وقوله –عليه الصلاة والسلام–:

«المُؤمنُ للمُؤمِنِ كالْبُنْيانِ يشُدُّ بَعْضُه بَعْضًا» [2]

وعليه فإن المجتمع كلما ابتعد عن قيم الوحي، وانحرف عن تعاليم الدين وأحكامه، وقع في محاذير جمة، تهز أركان ذلك البنيان المرصوص وتُصَدِّع تماسكَه، ويتسلل الوباءُ إلى ذلك الجسدِ القوي المتلاحمِ، لينخرَه حتى يتمكنَ منه الضعفُ، ويناله الهزالُ؛ بسبب انقطاعه عن قيم الوحي التي هي مصدر قوته وتماسكه وصلاحِ أمرِه.

فتشيع بذلك الفواحشُ والمفاسد والمنكرات بكل أشكالها ومظاهرها؛ منها تلك التي تؤدي إلى انتشار الميوعة والرذيلة، والانحلال الأخلاقي في المجتمع، مثل الزنا وشرب الخمر، وكل أنواع المجون الأخرى التي يقع فيها العصاة والمنحرفون عن الدين، وهم يُقِرُّون أنهم بأفعالهم تلك يكونون قد انحرفوا عن الدين وخالفوا أحكامَه، لكن هناك نوعا آخر من المنكرات؛ وهي تلك التي قد تتستر بستار الدين، وتحاول أن تكتسب مشروعيتها باسم الدين، لكنها في حقيقتها ترتبط بتصورات بعض المتدينين للحياة والدين، وهي تصورات غالبا ما تكون ذاتَ منشإ نفسي سقيمٍ غيرِ سوي، وذاتَ علاقة بالإرث الاجتماعي في جانبه السيئ مثل:

1 أخرجه مسلم في صحيحه، (صحيح مسلم)، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: 6586، ص 1131.

2 أخرجه البخاري في صحيحه، (صحيح البخاري)، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، رقم الحديث: 6026، ص1511، وأخرجه مسلم في صحيحه، (صحيح مسلم)، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: 6585، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، ط2، 1421هـ – 2000م، ص 1131.

- العصبيات المرتبطة بالانتماءات المختلفة، التي تكون في غالبها الأعم على حساب الانتماء للدين، وقيمه الكبرى الجامعة والموحدة للمؤمنين به.
- ممارسة الغش وكل أنواع الاحتيال التي قد لا تتوقف عند حد الاحتيال على البشر فقط، بل تصل حد التحايل على الدين ذاته، بإظهار الانتساب إليه، دون الآلتزام بتعاليمه، أو باعتماد مداخل كثيرة؛ كالتأويل لتكييف أحكام الدين وتوظيفها في تحقيق ما يظنه هؤلاء على أنه من ضرورات المصلحة.
- التخلي عن قيم التكافل والتراحم مما يتيح المجال لانتشار الكثير من الأمراض الاجتماعية الأخرى التي لا تنحصر في سلوكات فردية معزولة، بل تتحول إلى ظاهرة اجتماعية أثيرة، تؤدي إلى تصدع المجتمع وانهياره.

الفرع الأول: انتشار العداوة والبغضاء

لقد قطع الشيطان عهدا على نفسه، بأن يعمل على غواية بني آدم، واستدراجهم إلى المعاصي، وإشاعة الفاحشة فيهم، لصدِّهم عن الله وعن طريقه المستقيم، فجاء في القرآن قوله تعالى بلسان حال إبليس:

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧ ﴾ **[سورة الأعراف: 16– 17]**

فالشيطان كما جاء في القرآن الكريم كان قد أعلن عداوته المطلقة والمستمرة لبني آدم، لذلك دعا الله سبحانه وتعالى عبادَه أنْ يقابلوا هذه العداوةَ بعداوة مثلِها يتجنبون بها الوقوعَ في مكائد الشيطان وحبال غوايته.

فقال عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ **[سورة فاطر: 6]**

وللشيطان طرائق كثيرة، ومداخل متنوعة، وخطوات دقيقة يستدرج بها بني آدم للإيقاع بهم في شَرَك الفاحشة والمعصية، وهذا ما حذرنا منه الحق سبحانه وتعالى في قوله الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ...﴾ **[سورة النور: 21]**

ولعل من أشد الأمور إيلاما للشيطان وأكثرها استنفارا له؛ أنْ يتآلف المؤمنون وأن يتآخوا ويتحابوا، لذلك يعمل على إذكاء الفتن، وإيقاع العداوة، وزرع الأحقاد بينهم، وهو لأجل ذلك يتصيد المداخل التي تُمكِّنُه من تحقيق مشروعه والوصول إلى هدفه، قال عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ ﴾ **[سورة المائدة: 90- 91]**

جاء في سبب نزول هذه الآيات أن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال: صنع رجلٌ من الأنصار طعامًا، فَدَعانا. قال: فشربنا الخمرَ حتى انتشينا، وذلك قبل أن تحرم الخمر، فتفاخر الأنصار وقريش، فقالت الأنصار. الأنصار خير، وقالت قريش: قريش خير، فأخذ رجل من الأنصار لَحْيَ* جملٍ فضرب على أنفي ففزره*، فكان سعد أفزرَ الأنف. قال: فأتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فذكرت ذلك له فنزلت هذه الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ...﴾.[1]

---

1 ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 659/8.

وينظر: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر بيروت، دط، 1433هـ – 2011م، 158/7.

اللحي: العظم الذي تنبت عليه اللحية من الإنسان وغير الإنسان والمقصود به هنا فك الجمل (ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (لحى) 240/5.) ==

وقيل أيضا: إن تحريم الخمر نزل «في قبيلتين من الأنصار؛ شربوا حتى إذا ثملوا عربدوا؛ فلما صحوا جعل كل واحد منهم يرى الأثر بوجهه؛ ولحيته؛ وجسده؛ فيقول: هذا فِعْل فلانٍ بي؛ فحدث بينهم في ذلك ضغائن؛ فنزلت هذه الآيات في ذلك» [1].

فمشروع الشيطان يقوم على إبعاد العباد عن قيم الدين واستدراجهم إلى لمعصية، كمعصية شرب الخمر مثلا، لكون معصية شرب الخمر كثيرا ما تكون سببا للوقوع في معاصي أخرى؛ كإثارة الخصومات والإقدام على ارتكاب الجرائم، ناهيك عما يقع في الميسر مثلا من التحاسد على القمار، والغيظ والحسرة للخاسر، وما ينشأ عن ذلك من الشتائم والسباب والضرب. فمجرد حدوث ما يسبب العداوة والبغضاء بين المسلمين هو من دون شك مفسدةٌ عظيمة؛ لأن الله أراد أن يكون المؤمنون إخوةً؛ إذْ لا يستقيم أمرُ أمة تسود بين أفرادها البغضاءُ، ولا يستقيم أمر أمة انشغلت بما يصدها عن ذكر الله وعبادته سبحانه وتعالى [2].

لذلك حرص نبينا الكريم –عليه الصلاة والسلام- على تحذير أمته من كل سلوك مخالف لتعاليم الدين وأحكامه، ويهدد مبدأ الأخوة الإيمانية، ووحدة المجتمع المسلم وتماسكه؛ فقال صلى الله عليه وسلم:

=== *نفزره: يقال فزرت الشيئ؛ أي صدعته، والفزر يدل على الانفراج والانصداع (ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (فزر)، 502/4.)

1 ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم بيروت، دط، دت، ص575

2 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 27/7.

((لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا ولا تَدابَرُوا*، وكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاه فوْقَ ثلاثةِ أيَّامٍ.)) [1]

فالأصل في المجتمع المسلم أن يكون مجتمعَ أخوة، ومحبة، وتماسك، وتآلف، وتعاون، وتراحم، ولا ضير إنْ كانت هناك بين أفراده بعض الاختلافات، أو بعض الخصومات التي هي من طبيعة هذه الحياة، وأحوال الناس فيها؛ فلا يوجد مجتمع بشري يعيش أفرادُه بلا خلافات وبلا خصومات ونزاعات؛ لكن المهم أن لا يصل ذلك إلى حد العداوة والشحناء والبغضاء، وكل ما يتبع ذلك من أحقاد وسعي إلى الانتقام وغيرها من ألوان العداوة.

وعليه فإن كلَّ مخالفة للأصل المتمثل في الأخوة، وكلَّ خروج عن هذا المبدأ؛ يعني الوقوعَ حتما في آفة التباغض، والتحاسد والتدابر، وغيرها من الآفات والمعاصي الأخرى التي تتداعى بشكل تلقائي، ويحيل بعضُها إلى بعض؛ فالتباغض عنوان كبير كثيف الدلالة؛ ذلك لأنه حيثما يكون التباغض، تكون العداوة، ويكون الحقد، والانتقام، والكيد والمكر، وتكون الغيبة وغيرها من المثالب الذميمة التي هي في نهاية المطاف نتيجةٌ أو أثرٌ من الآثار والنتائج الناشئة عن مخالفة أحكام الدين وتعاليمِه.

ومن ثم فإن عدمَ الامتثالِ لما أمرنا به الدينُ أو عدم الانتهاء عما نهانا عنه، سوف يؤدي إلى الانحراف في السلوك الاجتماعي العام الذي يُفتَرَضُ فيه أن يكون مظهرا من المظاهر المعبرة عن الالتزام الديني، وممارسة التدين على مستوى السلوك العملي، بما يحفظ للمجتمع المسلم قيمَه الأخلاقيةَ والروحيةَ التي تمنحه أسباب القوة والراحة والاستقرار، وذلك بضمان الوحدة القائمة

1 أخرجه البخاري في صحيحه (صحيح البخاري)، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم الحديث: 6065، ص 1519.

* يقال: دابرتُ فلانا: عاديته ... وذلك أن يترك كلُّ واحد منهما الإقبال على صاحبه بوجهه. (ينظر: ابن فارس معجم مقاييس اللغة، مادة: (دبر) 324/2)

على مبدأ الأخوة الإيمانية، بكل ما تعنيه هذه الأخوة من حضور فاعل لقيم المحبة، والتراحم، والتكافل التي تحفظ للمجتمع المؤمن وحدته، وتوفر له ظروف الحياة المستقرة التي تعينه على النهضة، والأخذ بأسباب القوة، وبناء الحضارة.

وفي النهي عن معصية التباغض وآفة التحاسد، تأكيد صريح على ضرورة تحصيل قيمة التحابب، والتواد، والتآلف والتآخي.

قال رسولنا الكريم -عليه الصلاة والسلام-:

((لا يُؤْمِنُ أحَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيه -أوْ قال لِجَارِهِ- ما يُحِبُّ لنفْسِه)) [1]

فالتَّحَقُّقُ من إيمان المرء يكون بملاحظة ما يدل على إيمانه من علامات وخصال، هي في الأصل تعبر عن تحقيق الأثر السلوكي للإيمان؛ بتحصيل تلك القيم التي يتحقق بها مقصد هام من مقاصد الدين؛ ألا وهو المقصد الذي يقود المجتمعات المسلمة إلى الرقي بمستوى الوعي لديها، والرقي أيضا بما تحققه من انضباط في حياتها السلوكية والأخلاقية، كي تصل إلى مستوى رسالية الأمة الواحدة، التي تعتصم بحبل الله المتين في غير فرقة، وفي غير شحناء وعداوة، امتثالا لقول المولى عز وجل:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ **[سورة آل عمران: 103]**

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ **[سورة الأنبياء: 92]**

ولا شك أن الارتقاء إلى مقام الأمة الواحدة؛ المتآلفة، المتآخية، المعتصمة بحبل الله، ينبني في أساسه الأول على محبة الله عز وجل، وما يترتب عن هذه المحبة من آثار عملية،

1 أخرجه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم)، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أنْ يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، رقم الحديث: 170، ص 41.

تجعل المؤمن ودودا، سمحا، كريما مع أخيه المؤمن، وفي الوقت ذاته يكون عزيزا، أبيًّا في وجه كل كافر ومعتد ظالم، قال الحق سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ **[سورة المائدة: 54]**

فالقوم الذين «أحَبَّهُم اللهُ وأَحَبُّوه ذُكِروا في سياق الآية على أنهم بدَلٌ من قوم آخرين نزلوا عن هذه المرتبة، لم تُرَشِّحْهم خِلالُهم ومسالكُهم لمحبة الله، بل مازالوا يتدلُّون في مهاوي السوء حتى عُدُّوا مُرْتَدِّين عن الإسلام، والارتداد ... هو نتيجة سيرة طويلة يصحبها التفريط والالتواء... إنه يبدأ استثقالا للواجبات، واستحلاءً للآثام، ثم عُكُوفا على هذه وتمردا على تلك، ثم ميلا لأهل السوء، وانحرافا عن أهل الخير... وإذْ يُدْبِر هؤلاء عن الله وحقوقه، يجيئ آخرون في قلوبهم حياة ومودة، يحبون ربَّهم، ويلقون أمرَه بالإعظام والحفاوة، وولاؤهم لله يُدْنِيهم من كل مؤمن به، ويُكَرِّهُهُم في كل فاسق عن أمره، ويُطْلِقُهُم في العالم سِلْما لأوليائه، حربا على أعدائه، تنهض بهم رسالات الخير، وتنهزم أمامهم ألوان الشرور» [1]

فالمجتمع المؤمن كلما اتجه أفراده نحو طاعة الله، في غير تقصير، أو إدبار عن حقوقه عز وجل، كانوا مؤهلين لبلوغ مقام المحبة لله، التي تكون لهم فيضا لمحبة إخوانهم المؤمنين؛ فمحبة الله لا تتحقق إلا بإخلاص العبادة له، والحرصِ على طاعته بما يرضيه من الذِّكْر، والخير، والعمل الصالح، وبذلك تنتفي بين أبناء المجتمع المؤمن أسبابُ العداوة والتباغض، وما ينجم عنها من تداعيات، تؤدي إلى الوقوع في معاصي أخرى؛ كالغيبة، والكيد، والنميمة، والحقد، والحسد...

1 محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط3/ 2005م، ص 246

الفرع الثاني: انتشار الغش والخديعة.

جاء في معجم الصِّحاح أن «غشش: غشَّه يغُشُّه غِشًّا، وشيئٌ مغشوش، واستغشَّه: خلاف استنصحه» [1] وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة « غشَّ صديقه: خدعه، زيَّن له غير المصلحة، مُظْهِرا خلاف ما يُضْمِر ... غشَّ الشيئَ: خلَطَه بغيره مما هو أرخص منه... غِشٌّ: خداع مقرون بسوء النية، وقصد الإضرار بالآخرين» [2]

فالغش ظاهرة سلوكية منحرفة، تتأسس على وجود ظواهر سلوكية أخرى لا تَقِلُّ عنها انحرافا وهي الكذب والاحتيال، التدليس والتزييف، الطمع والجشع والإفراط في حب النفس... وغيرها من السلوكات المنحرفة التي يقع فيها الغشاشون ويعتمدونها في غشهم، بسبب ضعف الوازع الديني، مما يؤدي إلى الانحراف عن قيم الدين وتعاليمه وأحكامه.

فالغش من أخطر الظواهر التي تفسد متانة النسيج الاجتماعي، وتؤدي إلى اختلال العلاقات الاجتماعية، واهتزاز الثقة بين أبناء المجتمع الواحد، ومن ثم انتشار أمراض الأنانية وسوء الظن، فضلا عن الأحقاد والضغائن، لذلك جاء في معجم الصِّحاح -كما سلف الذكر- أن استغشَّه خلاف استنصحه؛ فالنصيحة تستلزم الصدق والإخلاص في النصح، وهذا ما لا نجده عند من يمارس الغش؛ فالغشاش يزيِّن لضحاياه ما ليس لهم فيه مصلحة ولا منفعة، بل يستغفلهم ليستدرجَهم إلى ما يضرهم ويؤذيهم، وهذا كلُّه ناشئ عن سوء نية للغشاش الذي يُقَدِّر مصلحته، ويجعل تحقيقها مرتبطا بقدر استغفاله للآخرين، وبقدر الضرر والأذى الذي يلحقه بهم، ومن ثم لا تتوانى هذه الفئة من الناس في الإقدام على كل عمل يرونه مناسبا لإشباع جشعهم، وتحقيق

1 الجَوْهري، الصِّحاح تاج اللغة وصِحاح العربية، مادة (غشش)، ص 849.

2 أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/ 1619

أطماعهم ومصالحهم الضيقة، ولا يهمهم إنْ كان ذلك موافقا أو مخالفا لأحكام الدين؛ فهم يقومون بكل ذلك دون أدنى تورع، ودون أدنى خوف من الله عز وجل.

وآفة الغش من الآفات المنبوذة في أعراف المجتمعات الإنسانية قاطبة، بصرف النظر عن كون هذه المجتمعات متدينة أو غير متدينة؛ لأن الأمر لا يتوقف عند حد مخالفة المنتسبين إلى الدين أحكام الدين وتعاليمه، بل إن هذه الآفة لها آثارها السيئة العامة التي تدمر المضمون الإنساني للحياة الاجتماعية، وهذه الآثار المدمرة لا يسلم منها أيُّ مجتمع إنساني، استفحلت فيه ظاهرة الغش، وانتشر فيه الغشاشون، لذلك حذر سيدُنا شعيبٌ أهلَ مَدْيَنَ من آفة الغش مع أنهم ليسوا مؤمنين.

فقال الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأعراف: 85]

فقد دعا شعيب –عليه السلام– أهل مدين إلى إيفاء «الكيل والميزان؛ لأنهم كانوا أهل معاملة بالكيل والوزن، وكانوا لا يوفونهما... والمعنى أتموهما وأعطوا الناس حقوقهم ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ البخس النقص وهو يكون بالتعييب للسلعة، أو التزهيد فيها، أو المخادعة لصاحبها، والاحتيال عليه، وكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، وظاهر الآية أنهم كانوا يبخسون في كل الأشياء، وقيل كانوا مكاسين يمكسون كل ما دخل إلى أسواقهم »[1]

1 أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي النجاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت، دط، 1412هـ – 1992م، 4/ 406.

وكذلك كان حال مجتمع المدينة المنورة في أول الهجرة، حيث شاعت ظاهرة التطفيف* في الميزان؛ بسبب اختلاط المسلمين والمنافقين[1].

فقال عز وجل في شأنهم:

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾
[سورة المطففين: 1-6]

جاء عن ابن عباس أن هذه هي أول سورة نزلت على رسول الله — عليه الصلاة والسلام- ساعة نزل المدينة، وكان بعض تجارها إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح، أما إذا باعوا بخسوا المكيال والميزان، فلما نزلت هذه السورة انتهوا، وصاروا أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا. وقال قوم: نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة، واسمه عمرو، كان له صاعان يأخذ بأحدهما، ويعطي بالآخر[2]

فهذان النموذجان (أهل مدين، و وبعض تجار أهل المدينة) مجرد صورة مصغرة على نوع من أنواع الغش، وعلى مظهر واحد من مظاهره التي ترتبط بالمعاملات التجارية، لكن الأمر في حقيقته متعلق بأولويات الحياة التي لا تنحصر في الكيل والوزن فقط، إنما تعني كل ما له علاقة باستيفاء الحقوق، والقيام بالواجبات «فكل آداء وكل إيفاء لا بد أن يخضع لمنطق الميزان والعدل والحق، فإن أراد الناس أن تستقر أمورهم؛ اقتصاديا ومعنويا وأدبيا واجتماعيا فعليهم أن يضعوا هذا المبدأ نصب أعينهم، وهو أن يستوفوا بالمعيار الذي يؤدون به فمن أراد أن يستوفي

---

1 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/ 190.

* من الشيء الطفيف، وهو القليل النزر، والمطفِّف: المقلِّل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن.(ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 185/24.

2 ينظر: البغوي، معالم التنزيل، 8/ 361، وينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 19/ 248.

حقا فلا بد وأن يؤديه حين يكون عليه يوما ما، ولا تجد فسادا في أي مجتمع إلا حين يخالف الناس هذه القاعدة» [1]

فالغش من حيث كونه لونا من ألوان الخداع، والخيانة، والكذب، والاحتيال لتحصيل امتيازات مادية أو معنوية، بطرق غير مشروعة، قد يحضر في الكثير من تفاصيل الحياة الاجتماعية للمجتمعات الفاسدة، لذلك فإن الغش من المنظور الأخلاقي الواسع نعني به مثلا:

- الغش في الحكم وفي ممارسة المسؤولية عموما.
- الغش في العهود والمواثيق؛ بنقضها ومخالفتها، أو ممارسة التأويل المتحايل؛ لتبرير عدم الالتزام بما جاء فيها.
- الغش في العمل؛ بعدم الإجادة والإتقان، أو بعدم التزام مواقيته وشروطه الضابطة له.
- الغش في الامتحانات المؤدي إلى تحصيل إجابات صحيحة بطرق غير مشروعة.
- الغش في تقييم الممتحنين وتقويمهم؛ فيرسب من يحق له النجاح، أو ينجح من يجب عليه الرسوب.
- الغش في تقديم النصيحة، المؤدي إلى سوء التوجيه والتقدير.
- الغش في نقل الأخبار المؤدي إلى التدليس وتزييف الحقائق، ومن ثم اتخاذ المواقف والقرارات الخاطئة.

وغيرها من أنواع الغش التي لا حصر لأنواعها، ولا لأساليبها، ومجالاتها، لكنها في نهاية الأمر تنطلق من بواعث مشتركة، لتفضي إلى نتيجة واحدة ومآل واحد، يتمثل في القضاء على كل قيمة من قيم الخير والصلاح، والالتفاف على كل جهد من جهود الخيِّرين المصلحين في الأرض، ومن ثم إشاعة الفساد في الأرض، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة على لسان نبي الله شعيب

1 الشعراوي، تفسير جزء عم، ص 205.

–عليه السلام- ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

وعليه فإن آفة الغش إذا ما شاعت في المجتمع، أفقدته روحَه الإنسانية المتضامنة المتراحمة، وأفقدته تماسكه وتكافله وتكامله وكل عناصر القوة فيه، لذلك كان التحذير حازما وشديدا من هذه الآفة، فقال –عليه الصلاة والسلام- :

((... ومَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا)) [1]

وروي أن رسول الله – عليه الصلاة والسلام-

«مَرَّ على صُبْرَة* طعامٍ، فأدخل يدَه فيها، فنالتْ أصابعُه بَلَلًا، فقال: ((**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**)) قال: أصابتْه السماءُ* يا رسولَ الله، قال: ((**أَفَلَا جَعَلْتَه فوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يراهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فلَيْسَ مِنِّي**))» [2]

وروي عنه – عليه الصلاة والسلام- أنه قال أيضا:

---

1 أخرجه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم)، كتاب الإيمان، باب قول النبي: "من غشنا فليس منا"، رقم الحديث: 283، ص 57.

*الصُّبْرَةُ أي: الكومة المجموعة من الطعام، سُمّيت صُبرةً لإفراغ بعضها على بعضٍ. (ينظر: يحي بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا، شرح صحيح مسلم، دار قرطبة الجزائر، ط2، 1414هـ – 1994م، كتاب الإيمان، باب باب قول النبي: "من غشنا فليس منا"، 2/ 143.

*أصابته السماء أي: المطر.

2 أخرجه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم)، كتاب الإيمان، باب قول النبي: "من غشنا فليس منا"، رقم الحديث: 284، ص 58.

((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رعيَّةً، يمُوتُ، يَوْمَ يمُوتُ وهو غَاشٌّ لرَعيتِهِ، إلَّا حَّرمَ اللهُ عليْهِ الجَنَّةَ)) [1]

إذن مَن وقع في معصية الغش، فهو ليس من أمة رسول الله –عليه الصلاة والسلام- وليس على دينه –صل الله عليه وسلم- ولا على هديه ونهجه القويم، ولا على سنته المطهرة الشريفة، لذلك حرم الله عليه الجنة، فبراءة رسول الله –عليه الصلاة والسلام- من هذه الفئة كانت واضحة وصريحة، لعل ذلك يكون تنبيها للغافلين الذين يستخفون بحدود الله وأحكام الشريعة، جراء الاستسلام لشهوات النفس، وحظوظها التي لا تتوقف ولا تنتهي، ولا تكتفي أو ترضى بنصيبها الذي قسمه الله لها في الدنيا.

ويبقى أخطر أنواع الغش؛ ذلك الغش الذي قد تتم ممارسته أحيانا من مرضى القلوب، وضِعاف النفوس باسم الدين، قال عز وجل:

﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة النحل: **91-92**]

نزلت الآية في بيعة النبي -صلى الله عليه وسلم – وكان مَن أسلم آنئذ قد بايع على الإسلام، لذلك دعا الله سبحانه وتعالى هؤلاء إلى الوفاء بعهد الله الذي عاهدوا، محذرا إياهم من نقض الإيمان بعد توكيدها؛ أي بعد تشديدها وتغليظها، خوفا من كثرة المشركين، وقلة أتباع محمد عليه الصلاة والسلام[2]، ولتشديد التحذير وجَعْلِه أكثر تأثيرا وإثارة للوعي والانتباه والاهتمام،

1 أخرجه الدارمي في سننه (سنن الدارمي)، المطبعة الحديثة دمشق، دط، 1349هـ، كتاب الرقاق، باب في العدل بين الرعية، 2/ 324.

2 السيوطي، الدر المنثور، 4/ 161

ضرب الله لهم المثل بتلك المرأة التي تنكث في كل مرة غزلها من بعد إحكامه، محذرا إياهم من أن يكون حالهم كحالها في الجنون، والخبل، والحمق، لِمَ لا ؟ وهي التي تفسد في كل مرة «ما غَزَلَتْهُ ﴿**مِن بَعْد قُوَّة**﴾ إحْكامٍ له وبَرْم ﴿**أنْكاثًا**﴾ ... وهو ما يُنْكَث أيْ يُحَلّ إحْكامُه، وهي امرأة حَمْقاء مِن مَكَّة كانَت تَغْزِل طول يَوْمها ثم تَنْقُضهُ ... أيْ لا تَكُونُوا مِثْلَها فِي اتِّخاذكُمْ ﴿**أيْمانكُمْ دَخَلًا**﴾ هُوَ ما يَدْخُل فِي الشَّيْء ولَيْسَ مِنهُ» [1].

والمراد هو أن ذلك الإيْمان الذي لم تحفظوه ولم تُرَاعُوا حرمتُه، لم يكن عن صِدْق نية، وصفاء سريرة، بل كان عن خوف، لذلك متى زالت عنكم أسباب الخوف أقدمتم على نقضه والتراجع عنه، فالإيْمان بهذه الصورة لم يكن في حقيقته الأولى إلا غشًّا و «خديعة ومكرا، ﴿**أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ**﴾ أي: تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم، فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم. فنهى الله عن ذلك، لينبه بالأدنى على الأعلى؛ إذا كان قد نهى عن الغدر والحالة هذه، فَلَأَنْ ينهى عنه مع التمكن والقدرة بطريق الأولى.» [2]

فالغش بقدر ما هو سلوك ذميم في ذاته، فإنه:

- **يتأسس ويقوم على** معاصي أخرى وسلوكات ذميمة مثل الكذب، والتحايل والمكر.
- **وينبعث من نفس** عاصية جشعة أنانية، تمكن فيها الطمع، وتجذر فيها الخبث واللؤم.
- **ويفضي الغشُّ بدوره إلى معاصي كثيرة ومآلات سيئة؛** بحيث نجد أن المجتمع الذي ينتشر فيه الغش، تشيع فيه الأذية بكل أشكالها وألوانها، كلما شاع فيه الكسب الحرام، والاعتداء على حقوق الناس.

1 جلال الدين بن محمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، دار ابن كثير للطباعة والنشر بيروت، دط، 1407هـ، ص 277.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 599.

قال عز وجل:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ **[سورة الأحزاب: 58]**

والمجتمع الذي ينتشر فيه الغش —حتما– ستنعدم فيه أيضا الثقة بين أبنائه، ومن ثم ينتشر بينهم سوء الظن والتجاسس، وتشيع فيهم الأحقاد والضغائن... وغيرها من الأمراض والآفات الناشئة عن ظاهرة الغش؛ كعنوان كبير ومكثف للمعصية التي تحيل إلى معاصي أخرى.

قال — عليه الصلاة والسلام–:

((إيَّاكم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا)) [1]

فانتشار الغش بما يتأسس عليه من معاصي، وبما يفضي إليه من معاصي أيضا، سيؤدي في نهاية المطاف إلى تفكك النسيج الاجتماعي، وانهيار وحدة المجتمع بفقده لروح الأخوة الإيمانية، بكل قيمها الروحية، والتربوية، والأخلاقية، والإنسانية؛ هذه القيم التي يقوم عليها المجتمع القوي المتكافل، المتكامل، المتراحم الذي لا ينحرف في تدينه عن تعاليم الدين وأحكامه.

فالمؤمن المتدين تدينا سليما وسويا، لا يكفيه مجرد الانتساب إلى الدين ليحكم لنفسه بأنه متدين، بل إن الأمر لا بد أن يكون مقترنا باستشعار الإحساس العميق والصادق بمسؤولية هذا الانتساب، والوعي به، والالتزام بما يقتضيه ويمليه؛ ليس من حيث القيام بالشعائر والأحكام التعبدية فحسب، بل إن التدين يجب أن يكون حاضرا في كلِّ سلوك من سلوكاته

1 أخرجه البخاري في صحيحه (صحيح البخاري)، كتاب الأدب، باب ما يُنْهى عن التحاسد والتدابر وقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَد**﴾، رقم الحديث: 6064، ص 1519.

العملية التي يمارس بها وجوده، ويعبر من خلالها عن ماهيته الإنسانية المتدينة، ودوره، ورسالته في جميع مجالات الحياة، وبكل حيثياتها، وتفاصيلها مهما بدت بسيطة أو هامشية.

الفرع الثالث: عدم الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر

لقد حث الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على فعل الخير، فدعاهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يرتقوا بتدينهم إلى مقام الأمة الواحدة؛ وهي الأمة الوسط التي ستكون شاهدة على الناس وحجة عليهم، وإليها يؤول المستقبل؛ يوم تعود إليها الأمم وترجع إلى ما يقننه دين هذه الأمة، ومقابل ذلك سيكون الرسول شهيدا على أمته؛ هل عملها وتحركها كان مطابقا لما جاء به الوحي، وبَلَّغَه النبي –عليه الصلاة والسلام– أم أن هذه الأمة اتبعت الأهواء وانحرفت عن المنهج، فضلت وأضلت؟ [1] .

قال عز وجل:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ **[سورة آل عمران: 104]**

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ **[سورة البقرة: 143]**

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ **[سورة الحج: 78]**

لقد أراد الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين «أن يعيشوا مادية الحياة بقيم السماء، وهذه وسطية الإسلام؛ لم يأخذ الروح وحدها ولا المادة وحدها، وإنما أوجد مادية الحياة محروسة بقيم

1 ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، 628/1.

السماء، فحين يخبرنا الله سبحانه أنه سيجعلنا أمة وسطا، تجمع خير الطرفين، نعرف أن الدين جاء ليعصم البشر من أهواء البشر» [1] ونعرف أيضا أن هذه الأمة، التي جعلها الحق سبحانه وتعالى ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ قد حباها سبحانه عز وجل، واجتباها للقيام بدور رسالي، ومهمة قيادية كبيرة، تقوم بالدرجة الأساس على إشاعة قيم الخير والصلاح في الأرض، وبين بني البشر﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾.

وعليه فإن «حملة العقيدة لايُكتب لهم الفوز حتى يبلغوا مستوًى معينا من الكمال الشخصي والرقي الاجتماعي والقدرة على إسداء الخير » [2] وعمارة الأرض بقيم الخير والصلاح؛ عملا بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بكل ما يستلزمه ذلك من حكمة، وبكل ما يستدعيه الأمر من شروط وضوابط، تعين على تحقيق المقصد، وبلوغ الهدف بما ينسجم معه من أساليب وطرائق تخدم مقاصد الدين، وتنضبط بأحكامه، فصلاح الحياة، وصلاح أحوال الناس فيها لا يتحقق إلا بما يُبْذَل من جهود، وبما يرتقي إليه المؤمنون من كفاءة واقتدار؛ لأن «الصلاح في الإسلام ليس خيمة من الغيبيات يهرع إليها العجزةُ، إنه اقتدار في عالم الشهادة، يتمكن المرءُ به أن يحمي إيمانَه المعقول، بكل الوسائل الممكنة في الأرض والسماء» [3]

قال المصطفى –صلى الله عليه وسلم –:

((مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ.)) [4]

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 627/1.

2 محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، ص 88.

3 نفسه، ص 91 .

4 أخرجه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم)، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم الحديث: 177، ص 42.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يتجذر في الإرادة البشرية، كي يصبحَ مَلَكَة فطرية تدفع بصاحبها لأنْ يكون حريصا على سلامة نفسِه، وعلى سلامة محيطه الاجتماعي، وصحة هذا المحيط من كل الأمراض والآفات، حتى يستقيم أمر المجتمع على قيم الخير والصلاح؛ لأن كلمة «الصلاح تعني الصحة النفسية والفكرية والاجتماعية، وأبعد الناس عنها هم المعلولون في تلك النواحي جميعا» [1]

فالمجتمع الذي لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر؛ هو مجتمع يكون قد استشرى فيه الفساد، واستفحل فيه الداء، هو مجتمع تلوثت فطرته، وعميت بصيرته، لذلك فإن أهله يفتقدون وجود المؤشر الفطري، أو الإيماني الذي يحرك فيهم بواعث الخير، فيقبلون عليه ويأمرون به، ويثير فيهم روادع الشر، فينتهون عنه ويحذرون منه، فالإيمان الحقيقي يجب أن يتحول إلى طاقة كامنة، توجه سلوك المؤمن، وتؤثر في تفكيره ومشاعره، ليكون صادقاً ومنسجما مع مايؤمن به.

ومن ثم عندما يجد المتدين نفسه أمام مواقف تسيئ إلى الدين، وتنتهك حرمته وقداسته، لا بد أن يقف موقفا يعبر فيه عن تلك الطاقة الإيمانية الكامنة بداخله؛ التي جعلته يشعر بالأذى والاستياء، فيُقْدِم على اتخاذ موقف عملي، يجسد به مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فالمؤشر السليم الذي تقاس به حياة الإنسان المؤمن لا يتمثل فيما يتوفر له من ظروف الرفاهية والراحة المادية، إنما يتمثل في حياته الروحية، ومدى تفاعله ودرجة تأثره وتحسسه مما يخالف القيم والمبادئ التي يؤمن بها.

قال عز وجل:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ ﴾ [سورة المائدة: 78- 79]

---

1 محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، ص 92.

قال أكثر المفسرين: إن المقصود هم أصحاب السبت، وأصحاب المائدة، أما أصحاب السبت فيعني بهم قوم داود، لما اعتدوا في السبت بأخذ الحيتان كما جاء في سورة الأعراف، قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمُسِخوا قِردةً، وأما أصحاب المائدة فهم الذين أكلوا من المائدة التي أنزلها الله من السماء، ومع ذلك لم يؤمنوا بالنبي عيسى، فقال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت، فأصبحوا خنازير[1].

فاللعن كما يقول صاحب تفسير المنار: هو «أشد ما يعبر الله تعالى به عن مقته وغضبه؛ فالملعون هو المحروم من لطفه وعنايته، البعيد عن هبوط رأفته ورحمته، وقد كان داود عليه السلام لعن الذين اعتدوا منهم في السبت، أو العاصين المعتدين عامة، والمعتدين في السبت خاصة، ثم لعنهم عيسى عليه السلام وهو آخر الأنبياء المرسلين منهم، وإنما كان سبب ذلك اللعن من الله الذي استمر هذا الاستمرار عصيانهم له عز وجل، واعتداءهم الممتد المستمر، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ وقد بين - جل ذكره - ذلك العصيان وسبب استمرارهم على تعدي حدود الله وإصرارهم عليه بقوله: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ أي كانوا لا ينهى بعضُهم بعضًا عن منكر ما من المنكرات، مهما اشتد قبحُها وعَظُمَ ضَررُها، وإنما النهي عن المنكر حفاظ الدين وسياج الآداب والفضائل، فإذا تُرِك تجرأ الفساقُ على إظهار فُسْقِهم وفجورهم، ومتى صار الدهماءُ يرون المنكراتِ بأعينهم، ويسمعونها بآذانهم، تزول وحشتُها وقبحُها من أنفسهم، ثم يتجرأ الكثيرون أو الأكثرون على اقترافه » [2]

وقد أورد البغوي عن أبي سعيد الشريحي رواية مرفوعةً إلى عبدالله بن مسعود أن النبي — عليه الصلاة والسلام- قال:

((كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا عَمِلَ الْعَامِلُ مِنْهُمُ الْخَطِيئَةَ نَهَاهُ النَّاهِي تَعْذِيرًا فَإِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَالَسَهُ وَآكَلَهُ وَشَارَبَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ عَلَى الْخَطِيئَةِ بِالْأَمْسِ، فَلَمَّا رَأَى

1 ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 8/ 586 – 588، وينظر الرازي، مفاتيح الغيب، 12/ 68، وينظر: البغوي، معالم التنزيل، 3/ 83-84، وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 160، وينظر السيوطي، الدر المنثور، 126/6.

2 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 6/ 489، 490.

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ السَّفِيهِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ* عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ))[1]*

فقد ضرب اللهُ ورسولُه للمؤمنين مثلا ببني إسرائيل؛ وهم من أهل الكتاب الذين ضلوا وانحرفوا عن الدين الحق، حين اتبعوا أهواءهم، فشاعت بينهم المعاصي والمنكرات، حتى ألِفوها وتعودوا عليها، وليس فيهم من يُنْكرها وينهى عنها، بل إنهم «لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الإصرار عليه» [2] وهم بصنيعهم هذا يكونون قد تنكروا لفطرتهم التي فطرهم الله عليها، وتنكروا لدين الله الذي انتسبوا إليه، وتنكروا لرسالة أنبيائهم الذين بُعِثوا فيهم، وادعوا الإيمان بهم.

فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو في حقيقته حماية للإنسان، وللحياة، وحرص على التمكين لقيم السماء؛ لأن حراسة «منهج الله تعطي الإنسان السلامة في حركة الحياة على الأرض، وقد جعل الحقُّ سبحانه وتعالى في النفس البشرية مناعة ذاتية؛ فساعة توجد في الإنسان شهوةٌ على أي لون سواء في الجنس أو في المال أو في الجاه، فقد يحاول الوصول إليها بأي طريق،

---

1 البغوي، معالم التنزيل، 3/ 84.

* هذه الرواية أخرجها أبو داود في سننه، وابن ماجة في سننه بطرق وألفاظ مختلفة، (ينظر: أبو داود، السنن، دار السلام للنشر والتوزيع (الرياض)، ط1، 1420هـ – 1999م، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم الحديث 4336، ص 609. وينظر ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث 4006، ص 1327، 1328.

*ومعنى **لَتَأْطُرَنَّهُ** على الحق **أطْراً**؛ أي: لتصرفنه عن ظلمه إلى الحق ... ولتقصرنه على الحق قصرا، وأصل الأطر العطف أي تعطفونه على الحق، وتُلزِمُونه بالحق حتى يستقيم حاله. (ينظر: أبو الحسن السندي، الودود في شرح سنن أبي داود، تحقيق محمد زكي الخولي، مكتبة لينه السعودية، ط1، 1431هـ –2010م، 4/ 260، 261، وينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (أطر)، 113/1.

2 الخازن، لباب التأويل في معاني التفسير، 67/2.

ولا يمنعه من ذلك إلا الضمير الذي يفرض عليه أن يسير في الطريق الصحيح؛ هذا الضمير هو خميرة الإيمان وهو الذي يلوم الإنسانَ إنْ أقدم على معصية، هذا إنْ كان من أصحاب الدين» [1]

لذلك حذر رسولنا الكريم – عليه الصلاة والسلام- أمته من مغبة الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل، داعيا إياها إلى عدم التراخي والتهاون في العمل بمبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأن انتشار المفاسد والمعاصي بين المؤمنين:

- يعني غياب الالتزام العملي بتعاليم الدين وأحكامه، ومن ثم فإن علاقتهم بربهم وبدينهم تفتقد الصدق مع الله والإخلاص له.
- تجعل مجتمعَهم فاقدا لعناصر القوة والاقتدار، التي تمنحهم شرف الاستحقاق الرباني وتؤهلهم لممارسة الاستخلاف في الأرض.
- تجعل مجتمعهم يفقد أهم خصية أو ميزة يجب أن يتميزوا بها؛ وهي خصية الصلاح والاستقامة في النفس أولا، ثم السعي إلى الإصلاح في المجتمع ثانيا، وهذا هو الأثر السلوكي المنشود من التدين السوي بدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده، حتى يكونوا أهلا للفوز بوعده المحتوم؛ القاضي بالتمكين لهم، واستخلافهم في الأرض، كما جاء في محكم تنزيله عز وجل:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [سورة النور: 55]

فمن شروط استخلاف الله للإنسان في الأرض، أن يكون إيمانه والتزامه بدين الله، مثمرا للاستقامة على طريق الحق والهداية، ومقترنا بالأعمال الصالحة؛ حتى يتحقق التمكين لقيم الدين وتعاليمه، وتتحقق بذلك عمارة الأرض بالخير، والعدل، والأمن، والسكينة، وبكل ما يليق بكرامة الإنسان، ويحقق مرضاة الله عز وجل.

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 6/ 3324، 3325.

المطلب الثاني: عاقبة المجتمعات المنحرفة عن دين الله

تضمن هذا المطلب ثلاثة فروع، يوضح كلٌّ منها عاقبة المجتمعات المنحرفة عن دين الله؛ ففي الفرع الأول تم بيان عاقبة المجتمعات المُؤَسِّسَة لنزعة الانحراف عن الدين، أما الفرع الثاني فقد كان لبيان عاقبة المجتمعات المنحرفة عن الفطرة، بينما كان الفرع الثالث لبيان عاقبة انحراف مجتمع أهل الكتاب عن الدين.

الفرع الأول: عاقبة المجتمعات المُؤَسِّسَة لنزعة الانحراف عن الدين

تعد حادثة قتل قابيل لأخيه هابيل بداية التأسيس للانحراف عن الفطرة والتوحيد؛ فقد «ذُكِر أن قابيل لما قتل هابيل، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن، أتاه إبليس، فقال له: إن هابيل إنما قُبِل قربانُه وأكلته النار، لأنه كان يخدم النارَ ويعبدها، فانْصَبْ أنت أيضا نارا تكون لك ولِعَقِبِك فبنى بيتَ نارٍ، فهو أول من نصب النارَ وعَبَدَها» [1]. وبذلك يكون إبليس قد أوجد لمشروعه منفذا إلى بني آدم من خلال قابيل؛ الذي كان بصنيعه ذاك مؤسِّسا لخط الإجرام، والانحراف عن الفطرة، وهذا الخط ظل ممتدا في تاريخ البشرية من ذلك العهد إلى يوم الناس هذا.

ومع مرور العصور بدأ الناس ينخرطون بشكل لافت في مشروع الضلالة والكفر ، فكان نوحا –عليه السلام– واحدا من الأنبياء الذين بعثهم الله عز وجل، وقد ذكره المولى سبحانه وتعالى في قصص كثيرة من القرآن الكريم، وذكر قومَه الذين كانوا يومئذ قد ابتعدوا عن دين التوحيد، وعن سنة العدل الاجتماعي، فاستعلى القوي على الضعيف، وصار الأقوياء المتمثلون في السادة والأشراف والمترفين من أصحاب الأموال والأولاد؛ يستبيحون حقوق الضعفاء ممن لا حظ لهم في المال والوجاهة، وقد سعى الأقوياء حينها لتأسيس ثقافة الانحراف؛ بغرس الخرافات في عقول أقوامهم، وكانت أول قاعدة اجتهدوا في تأسيسها يومئذ؛ هي قاعدة ربط الحق والحقيقة بالأقوياء

1 الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1/ 165.

والأشراف، فهؤلاء في زعمهم ما كان لهم أن يكونوا على تلك القوة، وتلك الوجاهة والنفوذ لو لم يكونوا على حق وعلى صواب؛ لأن قيمة الحق ودليل الحقيقة –في نظرهم- هي بمقدار ما تكون عليه من القوة، وبقدر ما تحصل عليه من امتيازات تتيح لك فرص التسلط وبسط اليد.[1]

ووفقا لهذه المقدمة التي أسست للثقافة الوثنية كان هؤلاء الأقوياء حريصين على إبعاد الناس وعزلهم عن التوحيد؛ لأنهم يعلمون أن ارتباط الناس بالتوحيد يعني بالضرورة ارتباطَهم بقيم الخير، والحق، والعدالة، والتحرر ورفض العبودية لغير الله عز وجل، لذلك عملوا على التأسيس للعقل الوثني الخرافي؛ بغرسهم الأصنامَ في كل مكان وربطوها بمضامين خرافية مُضِلَّة؛ ليحافظوا على مسيرة الانحراف بما يخدم مصالحهم، وقد ذكر القرآن الكريم من هذه الأصنام؛ وَدًّا، وسواعًا، ويغوثَ ويعوقَ، ونسْرًا،* وكان لكل صنم كُهَّان، وتقام له طقوس، وتعبده طائفة من الناس، وعلى رأس كل طائفة نجد الأشراف والأقوياء[2]، وهم في مجموعهم كانوا قد التقوا واجتمعوا على مشروع التأسيس للضلالة، والانحراف عن الفطرة السليمة التي فطرهم الله عليها.

---

1 ينظر: ابن حجر، تحفة النبلاء في قصص الأنبياء، ص 152 -155، وينظر: سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى –القرى الظالمة في القرآن الكريم- ص 29. 30.

* ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ **[سورة نوح: 23]**

وقد جاء في صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْهما:

((صارَتِ الأوْثانُ الَّتي كانَتْ في قَوْمِ نُوحٍ في العَرَبِ بَعْدُ؛ أمّا وَدٌّ كانَتْ لِكَلْبٍ بدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وأَمّا سُواعٌ كانَتْ لِهُذَيْلٍ، وأَمّا يَغُوثُ فَكانَتْ لِمُرادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بالجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وأَمّا يَعُوقُ فَكانَتْ لِهَمْدانَ، وأَمّا نَسْرٌ فَكانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاعِ، أسْماءُ رِجالٍ صالِحِينَ مِن قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمّا هَلَكُوا أوْحى الشَّيْطانُ إلى قَوْمِهِمْ: أنِ انْصِبُوا إلى مَجالِسِهِمُ الَّتي كانُوا يَجْلِسُونَ أنْصابًا، وسَمُّوها بأَسْمائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حتّى إذا هَلَكَ أُولَئِكَ وتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ)) .(أخرجه البخاري في صحيحه (صحيح البخاري)، كتاب التفسير، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، رقم الحديث: 4920، ص 1248.

2 ينظر: ابن حجر، تحفة النبلاء في قصص الأنبياء، ص 152 -155، وينظر: سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى –القرى الظالمة في القرآن الكريم- ص 30.

وعليه جاء سيدنا نوح –عليه السلام– وهو «أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام» [1] بمشروع رسالي يهدف إلى إعادة القوم إلى رشدهم، ودعوتهم إلى عبادة الله عز وجل، وتنبيههم إلى ما هم عليه من انحراف خطير يؤدي بهم إلى التهلكة والعذاب الأليم.

فقال سبحانه وتعالى في محكم التنزيل:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦﴾ [سورة هود: 25، 26]

لكن قومه أعرضوا عنه، وقابلوا دعوته بالرفض والصدود، منكرين نبوتَه، ومُكَذِّبين إياه، في تحدٍّ كثيرا ما كان يقترن بالسخرية والاستهزاء مما كان يحذرهم منه، فجاء في القرآن الكريم قوله عز وجل على لسان هؤلاء:

﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [سورة هود: 32]

فهم إذْ كانوا يعترضون على دعوته –عليه السلام– لم يتخذوا موقفا تصوريا من مضمون الدعوة وتعاليمها، لأنهم عاجزون وليس بمقدورهم أن يقوموا بذلك، بل كان كل موقفهم مُنْبَنِيًا على عقدتهم الاستعلائية، ومُنْطَلِقا من نزعتهم ونظرتهم الاستكبارية، التي بلغت حد الاستخفاف بنبي الله وبرسالته المقدسة، ثم الاستخفاف بالمرتبة الاجتماعية لأتباع هذه الرسالة، فجاء في القرآن الكريم على لسان هؤلاء:

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾[سورة هود: 27]

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 316.

وكأن معيارَ معرفة الحقِّ عند هؤلاء ليس الحقُّ ذاتُه، بل إن الحقَّ عندهم لا يُعْرَف، ولا يُهتَدَى إليه إلا بمعرفة مقامات الناس لكن بمنطق المفتونين بالدنيا، و ما لهم فيها من مراتب تمنحهم الجاه والقوة والسطوة ! فقد اجتهد كبراء قوم النبي نوح –عليه السلام– في التأسيس لقاعدة ربط الحق والحقيقة بالأقوياء والأشراف؛ من أجل تأطير الوعي الإنساني آنئذ، وفق تلك القاعدة، وبما يخدمهم ويضمن استمرار مصالحهم وامتيازاتهم؛ بضمان السيطرة والتسلط على عقول الناس ومشاعرهم، وتوجيههم الوجهة التي يريدون.

وأمام هذا الإصرار على الإعراض والصدود عن دعوة نبي الله نوح –عليه السلام– والمضي بعزم نحو التأسيس للانحراف، وتكريس نزعة الاستكبار، وسلوك التجبر والاستعلاء الذي يمتهن كرامة الإنسان لمجرد كونه ضعيفا، كانت عاقبة هؤلاء القوم أنْ رفع نبي الله نوح –عليه السلام– شكواه إلى ربه، بعد أن أقام الحجة، وأدى تكليفه في النصح والتبليغ والتحذير، فجاء في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان نوح –عليه السلام–:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ ﴾ **[سورة نوح: 5 – 11]**

واستمر سيدنا نوح –عليه السلام– في بث شكواه إلى ربه عز وجل إلى أن:

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ۝٢٤ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ

أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا
يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة نوح: **21 – 28**]

لقد قدمت الآيات صورة حسية تجعلنا نستحضر، ونستشعر ما كان عليه القوم من تعنت وغرور، واستكبار، وإعراض عن دعوة نوح –عليه السلام– فهم:

- كانوا قد أبدوا مبالغة منقطعة النظير في إرادة سد المسامع؛ حين أطلق القرآن اسم الأنامل على الأصابع؛ أي لو أمكن لهم لأدخلوا الأصابعَ كلَّها في آذانهم لفعلوا ذلك تعبيرا عن نكرانهم لما كان يدعوهم إليه نوح –عليه السلام–
- واستغشوا الثياب؛ أي جَعْلُها غِشاءً، وغِطاءً على أعينهم، تعْضيداً لسد آذانهم بالأصابع لئلا يسمعوا كلامه ولا ينظروا إلى إشاراته، وأكثر ما يُطلَق الغشاء على غطاء العينين، والسين والتاء في " **استغشوا** " للمبالغة[1].

«فيجوز أن يكون جعل الأصابع في الآذان، واستغشاءُ الثياب هنا حقيقة؛ بأن يكون ذلك من عادات قوم نوح؛ إذا أراد أحد أن يظهر كراهية لكلام من يتكلم معه، أن يجعل أصبعيه في أذنيه، ويجعل من ثوبه ساتراً لعينيه.

ويجوز أن يكون تمثيلاً لحالهم في الإعراض عن قبول كلامه، ورؤية مقامه بحال من يَسُكُّ سمعه بأنملتيْه، ويحجب عينيه بطرف ثوبه.

وجعلت الدعوة معللة بمغفرة الله لهم؛ لأنها دعوة إلى سبب المغفرة وهو الإيمان بالله وحده وطاعةُ أمره على لسان رسوله.

وفي ذلك تعريض بتحميقهم وتعجب من خُلُقهم؛ إذ يُعْرِضون عن الدعوة لما فيه نفعهم، فكان مقتضى الرشاد أن يسمعوها ويتدبروها» [2].

1 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 29/ 195.
2 نفسه، 29/ 195، 196.

فإصرارهم على إنكار دعوة نوح –عليه السلام– هو تعبير عن تحقيق العزم على فعلٍ ما؛ ومن ثم الإصرار على ما هم عليه من الشرك، بنزعة استكبارية ومبالغة في التكبر؛ لأنهم يرون أنفسهم أكبر من أن يأتمروا لواحد منهم، وتأكيد "**استكبروا** " بمفعوله المطلق هو دلالة على تمكن الاستكبار، وتنوين " **استكباراً** " للتعظيم، أي استكباراً شديداً[1].

فقد أغراهم استكبارهم ودفع بهم للتجرؤ على الله سبحانه وتعالى، وعلى نبيه نوح –عليه السلام– فقرروا القيام بمهمة أليمة، تدفع بهم إلى يوم أليم، وقد تمثلت هذه المهمة في اتفاق الأشراف والكبراء على رفع التحدي الذي لم يخلو من الغمز الساخر، ومن اللمز المُستَخِف استخفاف الجاهلين؛ أهل العُجْب والكبرياء؛ فطالبوا نوحا –عليه السلام– بعلامة تؤكد صدقَه؛ وهي أن يأتيهم بما كان يعدهم به من العذاب .

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ **[سورة هود: 32]**

فبعد كل ذلك العنت والإصرار على الكفر وأذية النبي، أعلنوا التحدي، فجاءهم أمر الله، وكان وعده حتما مقضيا، وكان عقابه نافذا في الدنيا وفي الآخرة؛

❖ **فأما عقابه لهم في الدنيا** أنْ سلط الله عليهم الطوفانَ.

فقال عز وجل:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۝٤٠ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ۝٤٣ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ

---

1 ينظر: نفسه، 29/ 196.

وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[سورة هود: 40 – 44]

فحين حان موعد نزول العذاب بالكافرين من قوم نوح، واكتملت الأسباب الدالة على استحقاقهم الهلاك والعقاب، «قال الله تعالى لنوح: احمل فيها من كل نوع من أنواع المخلوقات التى أنت فى حاجة إليها ذكر وأنثى، واحمل فيها أيضا من آمن بك من أهل بيتك دون من لم يؤمن، واحمل فيها كذلك جميع المؤمنين الذين اتبعوا دعوتك من غير أهل بيتك. وقد ختم سبحانه الآية الكريمة بما يدل على قلة عدد من آمن به فقال: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾.أى: وما آمن معه إلا عدد قليل من قومه بعد أن لبث فيهم قرونا متطاولة يدعوهم إلى الدين الحق ليلا ونهارا، وسرا وعلانية» [1] .

وقد خلد القرآن الكريم قصة هؤلاء القوم، وما حل بهم من عقاب وعذاب، حتى يكونوا آية للناس، وعبرة لمن يعتبر.

فقال عز وجل:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة يونس: 71 – 73]

لقد كان الكفار من قوم نوح خصوماً معاندين، حيث ظل نوح – عليه السلام– يترفق إليهم، ويتحنن لهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وصبر عليهم كل هذا الوقت، لكن بلا جدوى

1 طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم 7/ 206، 207.

لذلك لا بد من حدوث فاصل قوي، ولا بد لمؤشر التحدي أن يرتقي إلى سقف أعلى، فدعاهم إلى جمع الأمر ومعهم الشركاء، ثم بإصدار حكمهم عليه وعدم الإبطاء في تنفيذه، كان هذا هو التحدي الذي أخذ يترقى إلى أن وصل إلى قبول تنفيذ الحكم.؛ فالمناجزة بين نوح – عليه السلام– وقومه اقتضت التشديد، لعل بشريتهم تلين، ولعل جبروتهم يلين، ولعلهم يعلنون الإيمان بالله تعالى، ولكنهم لم يرتدعوا[1].

فكانت خلاصة هذا التحدي ونتيجته، أنْ نجَّى الله سبحانه وتعالى نبيَّه نوحا، ومَن معه مِن المؤمنين، وأهلك بالطوفان العظيم مَن حق عليهم الهلاك مِن الكافرين، المعاندين، المستكبرين.

❖ **أما عقاب الله لهم في الآخرة** فهي نار جهنم، التي أنذر بها الله سبحانه وتعالى كل مفسد في الأرض، وكل كافر ومستكبر عنيد.

قال تعالى:

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾[سورة نوح: **25**]

فهذا المصير الأليم إنما هو نتيجة حتمية لطبيعة الطريق الذي اختاره هؤلاء القوم وارتضوه لأنفسهم، فهم باختيارهم ذاك أغرقوا أنفسهم في جحيم الهلاك، ولن تنفعَهم أوثانُهم ولا أموالُهم للخلاص من هذه العاقبة وسوءِ المآل، فهم بشركهم وغوايتهم للناس وإبعادهم عن الله لم يُبْقُوا لأنفسهم مجالا للنجاة يومَ لا مُنْجِيَ من عذاب اللهِ إلا اللهُ.

الفرع الثاني: عاقبة المجتمعات المنحرفة عن الفطرة.

بداية لا بد أن أوضح أن المقصود بعنوان هذا العنصر؛ هي تلك المجتمعات التي كانت قبل مبعث سيدنا موسى –عليه السلام– غير المؤمنة بما كان يدعوهم إليه الأنبياء كـ: لوط وشعيب

1 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 10/ 6099، 6100.

وهود –عليهم السلام- ولم يقتصر كفرهم بدعوة الأنبياء فحسب، بل كفروا بإنسانيتهم في بُعْدِها الفطري التكويني؛ فالإنسان يولد على الفطرة التي هي نظام تكويني متأصل فيه؛ أي تعني الحالة التي أوجده الله عليها في بداية خلقه.

يقول رسولنا الكريم – عليه الصلاة والسلام-:

« مَا من مَولودٍ إلا يُولَدُ على الفِطرةِ، فأبَواهُ يُهوِّدانِه، أو يُنصِّرانِه، أَوْ يُمجِّسانِه...» .[1]

فالإنسان في أصل حقيقته التكوينية مجبول على حب الخير، وعلى حب العمل الصالح؛ بكل ما يعنيه ذلك ويعبر عنه من ميولات ذاتية واستعدادات جِبِلِّيَّة للاهتداء، والإيمان بالدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده، لذلك أخذ الله العهدَ من بني آدم جميعا، وهذا العهدُ يتمثل في الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، كي تكون حجةً عليهم في كل ما يقومون به.[2]

قال عز وجل:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ **[سورة الأعراف: 172]**

ففطرة الإنسان هي طريقه إلى الهداية، لذلك هي حجة الله عليه، ومن ثم فإن أنبياء الله -وعلى امتداد التاريخ الإنساني- كانوا قد بُعِثوا بدين الفطرة إلى نوع إنساني واحد، له رب واحد؛ ليُذَكِّروا الناس بما في فطرتهم من قابلية للهداية التي هم عنها غافلون، وليذَكِّرُوهم أيضا بما

1 أخرجه البخاري في صحيحه، (صحيح البخاري) كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: 1385، دار ابن كثير (دمشق – بيروت) ط1، 1423هـ – 2002م، ص 327.

2 تناولت ذلك بتفصيل أكثر في المطلب الأول من المبحث الثالث للفصل الأول من هذا البحث.

في جِبِلَّتِهم البشرية من استعدادات وميولات تجعلهم يحبون الخير ويُقْبِلون عليه، ومقابل ذلك تجعلهم يستنكرون المنكر، وينفرون من الشر ويدبرون عنه؛ لعلمهم ويقينهم أن سعادة الإنسان وراحتَه، وأن استقرارَ أيِّ مجتمع بشري، مشروطٌ بمبدإ سُنَنِي، يتمثل في القيام بفعل الخير والحث عليه، وفي الإحجام عن الشر والمنكر والنهي عنه، لذلك ما من إنسان أو مجتمع بشري يخالف هذا القانون الذي تنتظم به الحياة، سيصيبه عقاب الله عز وجل.

قال رسول الله –عليه الصلاة والسلام–:

((إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأُوا الـمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوه أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُم اللهُ بِعِقَابِه)) [1]

فالحديث هنا موجَّه لعموم الناس، ولكل من يسمح بأن تشيع فيهم الفواحش والمنكرات، ولا يتناهون عنها، فلا يظنن هؤلاء أن مجرد عدم انتسابهم أو إيمانهم بالدين، سيجعلهم في حِلٍّ من أمرهم، وبمنأى عن عقاب الله عز وجل، فالفطرة التي فطرهم الله عليها هي حجة عليهم، والخروج عن نظامها، هو خروج عن نظام الحياة وقوانينها، بكل ما يترتب عن ذلك من اختلالات واضطرابات لن تجلب لهم إلا السوء والخراب؛ لأنها حادت عن الأهداف الكبرى لحركة الإنسان في هذا الوجود، ولأنها خالفت المقصد الأسمى الذي لأجله خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون.

فقد خلق الله عز وجل السماواتِ والأرضَ، وجعلها مرتبطة «بحركة الإنسان من أجل التنافس على العمل الأحسن... وأودع فيها ما يُمْكن للإنسان أن يستفيد مما فيها، فجعله خليفتَه وسيد هذا الكون، وأراد منه أن يبنيه على النهج الذي يريده سبحانه من خلال عقله وإرادته، وما هيأه له من وسائل وأدوات، ليكون هذا الكونُ ساحة تنافس وعمل لا ساحة لهو، وعبث،

1 رواه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم الحديث:01، 51/1.

واسترخاء، وبطالة، وابتعاد عن المسؤولية ... ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [سورة الملك: 2] لا ليبلوكم أيكم أكثر مالا، وجاها، وجمالا، وموقعا، بل ليختبركم من خلال ما هيأه لكم في الحياة من فرص للوصول إلى كل النتائج الكبيرة في الحياة» [1]

فهناك ارتباط وثيق وسُنَني «بين النظام الكوني فيما أودعه الله فيه من قوانين ونُظُم، وفيما سخَّره من ظواهر وكائنات، وبين النظام الإنساني في حركة الإنسان في الحياة، ولذلك فإن النداء القرآني للإنسان يقول: أيها الإنسان كن الأحسنَ عملا، وإذا كنت الأحسنَ عملا فستكون الأحسنَ مصيرا، والأقربَ إلى الله، إنَّ لك مهمةً في هذه الحياة؛ فكما للشمس، وللقمر، وللنهر، والبحر، وللسهول، ولبقية الكائنات مهمةٌ، فمهمتك أن تكون عاملا في سبيل الله. » [2]

وعليه فإن المجتمعات البشرية التي تحيد وتزيغ عن الفطرة، هي في واقع الحال تكون قد انحرفت عن أصل نشأتها التكوينية، وتكون قد فقدت المؤشر الذي يوجه سلوكَها، ويضبط حركتَها في الوجود، ومن ثم تكون قد اختارت طريقا آخر، غير الطريق الذي يضمن لها الحياة الكريمة التي تليق بكرامتها الإنسانية؛ فالخروج عن نظام الفطرة، سيؤدي حتما إلى الخروج عن نظام الوجود والحياة، بمخالفة قوانينها وسُنَنِها، لذلك فإنه وبقدر ما سيبتعد الناس عن الفطرة ونظامها، سيبتعدون حتما عن قيم الخير والصلاح والإصلاح، وبمقدار بُعْدِهم عن هذه القيم، سيجدون أنفسهم في قلب منظومة الشر؛ التي تهيئ لهم مناخا سيئا يدفع بهم نحو ارتكاب المعاصي، والانخراط –بلا أي وازع – في شتى أنواع المفاسد والمنكرات، التي تؤول بهم مآلا سيئا، ولن تجلب لهم إلا الهلاك والخسران المبين.

وقد جاء في القرآن الكريم مايؤكد ذلك، كقوله تعالى في أقوام مَن سبق مِن الأنبياء والمرسلين:

---

1 محمد حسين فضل الله، حركة النبوة في مواجهة الانحراف –محاضرات تفسيرية في السور الثلاث المباركة يونس وهود ويوسف، دار الملاك بيروت، دط، 1417هـ – 1997م، ص 136.

2 نفسه، ص 136.

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ
٢٨ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٩ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْمُفْسِدِينَ ٣٠ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ
أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٣٢ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ
بِهِمْ ذَرْعًا ۖ وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ
٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد
تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٥ ﴾ [سورة العنكبوت: 28-35]

يقول تعالى مخبرا عن نبيه لوط -عليه السلام- إنه قد أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، التي لم يسبقْهم إليها أحد من العالمين؛ فهم إذْ كانوا يكْفُرُون بالله، ويُكَذِّبون رسولَه ويخالفونه، كانوا يُقْدِمُون أيضا على قطْعِ السبيل؛ بقتلهم الناسَ، والاعتداءِ عليهم وأخْذِ أموالهم بغير حق، وكانوا يسخرون من كل غريب يمر على ديارهم، وبسبب أفعالهم تلك ترك الناسُ المرورَ بهم؛ أي قطعوا السبيل عنهم بسبب تلك الأفعال المؤذية، ويضاف إلى ذلك كلِّه أنهم قطعوا السبيل عن بقاء النوع الإنساني؛ بالعدول عن النساء والانحراف عن الفطرة السوية، وكانوا يرتكبون في نواديهم ومجالسهم الكثير من الأفعال الذميمة، الشنيعة، المتناهية في القبح الذي تعافه النفوس السليمة وتتحاشاه، وتشمئز منه طباع الأسوياء من البشر، دون أن يُنْكِر بعضُهم على بعض شيئا من ذلك[1] .

1 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 276/6. وينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1/ 293 -296، وينظر: القنوجي، فتح البيان، 10/ 185، 186. وينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 19/ 11143 – 11145.

فقد وصفهم نبيهم لوط –عليه السلام- بأوصاف شنيعة، وكانت كل صفة من صفاتهم تلك « أقبح من سابقتهان والباعث لهم على ارتكاب تلك المنكرات، هو انتكاس فطرتهم، وفساد نفوسهم، وشذوذ شهواتهم. فماذا كان جوابهم على نبيهم – عليه السلام –؟ لقد كان جوابهم فى غاية التبجح والسفاهة، وقد حكاه القرآن فى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أي: فما كان جواب قوم لوط عليه، إلا أن قالوا له على سبيل الاستخفاف بوعظه وزجره: ائتنا يا لوط بعذاب الله الذي تتوعدنا به، إن كنت صادقا فى دعواك أنك رسول، وفى دعواك أن عذابا سينزل علينا، بسبب أفعالنا هذه التى ألفناها وأحببناها.

وهكذا نرى أن هؤلاء المجرمين، قد قابلوا نصح نبيهم تارة بالاستخفاف والاستهزاء كما هنا، وتارة بالتهديد والوعيد، كما فى قوله – تعالى– ﴿ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [سورة النمل: 56]، ولذا لجأ لوط – عليه السلام –إلى ربه، يلتمس منه النصرة والعون فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ؛ أي: انصرنى بأن تُنْزِل عذابَك على هؤلاء القوم المفسدين، الذين مردوا على ارتكاب فواحشَ، لم يسبقْهم بها من أحد من العالمين.» [1]

فقوم لوط لم يكونوا فاسدين في أنفسهم فقط، بل إن فسادَهم تعدى نطاق ذواتهم ليصيبوا به غيرهم[2]، فهم بأعمالهم تلك كانوا منحرفين عن الفطرة، مفسدين لنظامها السوي والدقيق، ومسيئين إلى حقيقة الوجود الإنساني في الأرض، ومُصَادِرين لِما يجب أن يكون عليه حال هذا الإنسان؛ من سعي إلى الصلاح والاستقامة والإصلاح، وحِرْصٍ على طلب الكمالات التي يرقى بها إلى مقام استخلاف الله في الأرض، وعمارة هذه الأرض بقيم الخير والصلاح التي

1 محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف مصر، دط، 1412هـ – 1992م، 11/ 32، 33.
2 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 19/ 11146.

تحفظ له كرامته الإنسانية، وتصون حقيقة وجوده من كل أنواع الزيغ والانحراف التي تمسخ فطرة الإنسان، وتمسخ الحياة الاجتماعية للمجتمعات الإنسانية، بل تمسخ الحياة برمتها.

وبما أن قوم لوط كانوا قد خرجوا عن الفطرة، وانحرفوا عن نظامها، وعن نظام الحياة وقوانينها، فمن الطبيعي أن يصيروا إلى مصير ومآل سيئ، وأن تكون عاقبة فِعالِهم الشنيعة وخيمةً. ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.فقد جاءت الملائكة لإبراهيم –عليه السلام- بالبشرى، ولم تذكر الآية مضمون هذه البُشْرى؛ وهي البشارة بإسحاق ويعقوب وذرية صالحة منهما، بينما جاءته بإنذار بأن الله سيُهلك أهل هذه القرية، وبالبشرى والإنذار يحدث التوازن؛ لأن الله سبحانه وتعالى بشَّر نبيَّه إبراهيم بذرية صالحة مُصْلحة في الكون، وفي الوقت ذاته أبْلَغَه بأنه سيُهلِك أهل القرية؛ الظالمين أهلُها الذين انحرفوا عن الفطرة وعن منهج الله[1].

فمن المكان الذي تلقى فيه إبراهيم –عليه السلام- البشرى، وسمع فيه خبر العقاب انطلقت ملائكة الله «في اتجاه القرية الظالمة التي أرادت أن تسن سنة يُعَطَّل بها النسلُ وتحت ردائها تشيع الفواحش وثقافة الانحطاط؛ انطلق الملائكة بعد أن وضعوا في ذاكرة المؤمنين معجزة المولود، والمعجزة لم توضع في الذاكرة الإيمانية بمفردها، وإنما وُضِع بجانبها خبر العقاب ليكون المشهد مولودا هنا، واستئصالا هناك؛ مولود هنا يحمل رسالة، واستئصال هناك لجموع غفيرة بلا رسالة وبلا هدف، يجلدون فطرتهم، ويلاحقون الضمير في كل مكان، لقد وضعوا في الذاكرة الإيمانية أن الذين يقطعون السبيل لا يملكون شيئا؛ لأن الذي يُجْري الماءَ قادر على أن يجريه في كل مكان وزمان» [2]

1 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 19/ 11147.

2 سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى، – القرى الظالمة في القرآن الكريم، ص 142.

والملاحظ في الآية أنها لم تذكر العلةَ في البُشْرى؛ فلم تقل لأنه كان مؤمناً ومجاهداً وعادلاً، في حين أنها ذكرت العلة التي بسببها يكون إهلاك أهل القرية ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾؛ لأن المتفضّل لا يمنُّ بفضْلِه على أنه عمل بما يُنتَظَرُ منه المقابَل، لكن المعذِّب يبين سبب العذاب[1]، ربما لِأَخْذِ العبرة، واتقاء سوء المآل.

وقد أخبرت الملائكة النبيَّ لوطا –عليه السلام– بالكيفية التي يُنْزِل اللهُ بها العذابَ على قومه الفاسدين، المفسدين، فجاء في القرآن على لسان ملائكته المقربين: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾، والرجز يعني «العذاب، أي: عذاباً من السماء، وهو الرمي بالحجارة، وقيل: إحراقهم بنار نازلة من السماء وقيل: هو الخسف والحصب كما في غير هذا الموضع، ومعنى كون الخسف من السماء: إن الأمر به نزَل من السماء: وسمي العذابُ بالرجز لأنه يُقْلِق المُعَذَّبَ؛ من قولهم: ارتجز إذا ارتجس، أي اضطرب» [2]

فالرجز والرجس هو «العذاب، من قولهم: ارتجز وارتجس إذا اضطرب، لِمَا يلْحَقُ المُعَذَّبَ من القلق والاضطراب» [3] بسبب العذاب المُسَلَّط عليه «يقال: ارتجز فلان، إذا اضطرب وانزعج؛ أي إنا منزلون بأمر الله تعالى وإرادته، على أهل هذه القرية – وهى قرية سدوم* التى كان يسكنها قوم لوط –﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾؛ أي عذابا شديدا كائنا من السماء، بحيث لا يملكون دفعه أو النجاة منه، بسبب فسوقهم عن أمر ربهم، وخروجهم عن طاعته، ثم بين سبحانه أن حكمته قد اقتضت. أن يجعل آثار هؤلاء الظالمين باقية بعدهم، لتكون عبرة وعظة لغيرهم فقال:

1 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 19/ 11147.

2 القنوجي، فتح البيان، 10/ 189.

3 الزمخشري، الكشاف، ص 819.

* سدوم من السَّدَم وهو ندم مع غم، وسدوم هي مدينة من مدائن قوم لوط، قيل: إن قاضيها كان يقال له سدوم ويضرب به المثل في الجور، وسدوم قرية تقع بين المدينة والشام (ينظر: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، دط، دت، 3/ 226، وينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 306/1.)

﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾؛ أي: ولقد تركنا من هذه القرية بعد تدميرها، علامة بينة، وآية واضحة، تدل على هلاك أهلها، حتى تكون عبرة لقوم يستعلمون عقولهم فى التدبر والتفكر » [1]

وقد تحدث القرآن الكريم في أكثر من موضع عن العقاب الذي أصاب قوم لوط، بسبب أخلاقهم السيئة، وانحرافهم عن نظام الفطرة، وإعراضهم عن هدي السماء، والاستخفاف بنبي الله لوط –عليه السلام- ومواجهة دعوته ونصحه لهم بالتهديد والوعيد؛ فبقدر ما كان مؤشر الحرص والسعي للإصلاح مرتفعا وعاليا عند النبي لوط -عليه السلام- كانت بالمقابل نزعة الاستكبار لديهم قوية، وكان مؤشر العناد، والتحدي، والإصرار على المعصية والانحراف مرتفعا لدى قومه وأبناء مجتمعه، الفاسدين المفسدين.

قال عز وجل:

﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ
﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ
﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾
[سورة الحجر: 66-75]

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ﴾ **[سورة هود: 82، 83]**

فإبادة قوم لوط وتدمير قريتهم؛ هو في واقع الحال استئصال للرذيلة من جذورها، وإبادة للدَّنس، وتدمير للفساد، ولكل مَن يمارس الإفساد في الأرض، حفاظا على الفطرة السوية، وعلى

1 طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 11/ 34، 35.

نظام الحياة، وفق ما حددته سنن الله في الخلق، ونواميسه عز وجل في ضبط نظام الكون وحركته التي جعل الله كلَّ شيئ فيها بقدر، لتتجه كل حركة من حركات نظام الكون نحو هدف ما، ولحكمة ما، ومن ثم فإن كل من يسير في اتجاه يعاكس به اتجاه حركة الوجود، فإنه يعمل على الإخلال بهذا النظام الرباني الدقيق، مما يجلب له سوء العاقبة والمآل، وأي عقاب أشد وأخزى للإنسان من عقاب الله سبحانه وتعالى.

وقد كان لقوم شعيب سيرةٌ في الانحراف عن الفطرة، وفي الفساد وممارسة الإفساد في الأرض؛ فقد كانوا يعبدون شجرة الأيكة؛ وهي نوع من الشجر المجتمِع والملتف في حوض من الماء، كما كانوا يقطعون السبيل ويُخِيفُون المارة، ويأخذون بالزائد، ويدفعون بالناقص، فبعث الله شعيبا منهم، ليدعوهم إلى عبادة الله، واعظا إياهم، وناصحا لهم[1]، لكنهم قابلوا دعوته تلك بالصدود والإعراض عنها، مهددين إياه، مكذبين له، مُصِرِّين على التمسك بما كانوا عليه من انحراف، وزيغ، وضلال، وهم بصنيعهم ذاك كانوا يمضون بسيرتهم الفاسدة في ذواتهم، ومسيرتهم المُفْسِدة لمجتمعهم وأرضهم إلى مصيرهم المحتوم بثبات قوي وبتعنت كبير، وعِناد منقطع النظير، فصاروا إلى ما صار إليه قومُ لوط، حيث أخزاهم اللهُ عز وجل، وسلط عليهم عقابه الشديد، وعذابه الأليم.

فقال فيهم عز وجل:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٣٦ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٣٧﴾

[سورة العنكبوت: 36–37]

---

1 ينظر: ابن حجر، تحفة النبلاء في قصص الأنبياء، ص 246.

فقد كانت عاقبة هؤلاء المفسدين الذين نقضو عهد الله بخروجهم عن الفطرة التي فطرهم عليها، وبتكذيبهم لنبيهم الناصح لهم، الداعي إياهم إلى صراط الله المستقيم؛ أنْ أخذتهم الرجفة التي هي «ميد الأرض بهم، وزلزلتها عليهم، وتداعيها بهم، وهذا نحو من الخسف ... و"الجثوم" – في هذا الموضع– تشبيه، أي: كان همودهم على الأرض كالجثوم» [1]ولا شك أن لهذا التصوير الحسي دورَه في تقريب المعنى من الأذهان، وجعْلِه ذا تأثير في النفوس بالشكل الذي يجعلها تتعظ، وتحترز من الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء القوم، حتى لا تلقى هذا المصير المخزي والأليم.

وكذلك كان الحال في قوم عاد الأقوياء الشِّداد الذين بارك الله أرضَهم وأموالَهم، فشيدوا قصورَهم ومبانيهم الضخمة العجيبة، وكانوا كلما ازدادوا قوة، وازداد مالهم وفرة، ازداد نكرانهم وصدودهم عما كان يدعوهم إليه نبي الله هود –عليه السلام– وازداد بذلك بُعْدُهم عن الله سبحانه وتعالى، إلى أن اتخذوا لهم أصناما مصنوعة من الحجارة والخشب، فازداد بذلك طغيانهم وتجبرهم على فقرائهم أكثر فأكثر، حتى شاعت الأحقاد والضغائن بين أقويائهم وضعفائهم.[2]

فقال فيهم عز وجل في أكثر من موضع في كتابه العزيز:

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾
قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ
يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ
﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ
مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

[سورة الأعراف: 65–69]

1 ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص1462.

2 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 433– 436، 6/ 152– 155، وينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 10/ 264–279.

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [سورة الشعراء: 128–139]

لقد كانت عاقبة هؤلاء الفاسدين المفسدين أنْ أهلكهم الله عز وجل بريح «باردة... شديدة الهبوب... حتى نقبت عن أفئدتهم» [1]

فقال فيهم عز وجل:

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الحاقة: 6–8]

لقد أهلكهم الله بريح باردة تحرق ببردها كإحراق النار؛ وهي شديدة الصوت "عاتية" أي عتت على خُزَّانها فلم تطعهم، ولم يطيقوها من شدة هبوبها؛ لأنها غضبت لغضب الله، وقيل: عتت على عاد فقهرتهم[2].

فقد سلط الله عليهم تلك الريح لمدة ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ «أي: كوامل متتابعات فجعلت الريح تضرب بأحدهم الأرضَ فيخر ميتا على أم رأسه، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة؛ كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان» [3].

فهذه الريح التي أرسلها الله على هؤلاء الظالمين لمدة سبع ليال وثمانية أيام، كانت قد دمرتهم تدميرا، «وصار الرائى ينظر إليهم فيراهم وقد ألقوا على الأرض هلكى، كأنهم فى ضخامة

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 208.

2 ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 259/18.

3 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 209.

أجسادهم... جذوع نخل ساقطة على الأرض، وقد انفصلت رؤوسها عنها. وعبر – سبحانه – بقوله: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ..﴾ لاستحضار صورتهم فى الأذهان، حتى يزداد المخاطب اعتبارا بأحوالهم، وبما حل بهم. والتشبيه بقوله: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ المقصود منه تشنيع صورتهم، والتنفير من مصيرهم السَّيِّئ، لأن من كان هذا مصيره، كان جديرا بأن يُتَحَامى، وأن تُجْتَنَب أفعالُه التى أدت به إلى هذه العاقبة المهينة»[1] .

ولعل اللافت في كل ما سبق من هذا الفرع أن عقاب الله لهذه الأقوام الخارجة عن نظام الفطرة، المفسدة في الأرض؛ هو عقاب يحضر فيه البعد التعجيزي (المعجزات)؛ فهؤلاء لطالما طالبوا الأنبياء بمعجزات تثبت صدق نبوتهم، وصحة ما يدعونهم إليه، وإذا ما جاءتهم آيات الله ومعجزاته أنكروها، بعد أن كانوا يلِحُّون في طلبها ! فتمادوا في كفرهم وطغيانهم، غيرَ مبالين ولا مكترثين بغضب الله وعذابه الذي كان يحذرهم منه الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– لذلك كانت نهايتهم في حد ذاتها آية من تلك الآيات، ومعجزة من تلك المعجزات، التي طالما أنكروها وسخروا من حقيقة وجودها، لتكون هؤلاء الأقوام آية وعبرة للمعتبرين.

الفرع الثالث: عاقبة انحراف أهل الكتاب عن الدين.

لقد أكد القرآن الكريم أن علاقة بني إسرائيل بأنبياء الله، لم تكن يوما علاقة طاعة وولاء والتزام، بل كانت علاقة تمرد، وتجرؤ، وأذية؛ لذلك لُعِن هؤلاء بلسان الأنبياء –عليهم السلام– فقال عز وجل في كتابه العزيز:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ **[سورة المائدة: 78]**

1 طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 15/ 71.

ولأن دعاء الأنبياء مستجاب، ولعنتهم لظالميهم نافذة، فإن عاقبة بني إسرائيل؛ أنْ صاروا إلى مصير سيئ وبائس؛ حيث ضُرِبَت عليهم الذِّلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله عز وجل؛ بسبب ما قترفوه من معاصي كثيرة، وأفعال شنيعة بلغت حدًّا لم يتورعوا فيه عن أذية الأنبياء وقتلهم—عليهم الصلاة والسلام—

قال تعالى:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ **[سورة آل عمران: 112]**

وقد جاءت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تصور، وتصف ما كان عليه مجتمع بن إسرائيل من انحرافات في معتقداتهم وفي أخلاقهم؛ وهي انحرافات لازمت حركة وجودهم في الحياة، ولازمت علاقتهم بأنبياء الله، وقد بلغت حَدًّا يكشف درجة طغيانهم وعنادهم، والتجرؤ على الذات الإلهية التي أرادوها أن تتمثل لهم في صورة مادية أمام مداركهم الحسية، لذلك لم يتوانوا في اتخاذ العجل إلاها يعبدونه من دون الله.

فقال عز وجل في شأنهم:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦ ﴾ **[سورة البقرة: 55 –56]**

﴿... فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ **[سورة النساء: 153]**

لقد تاب الله على قوم موسى بعد عبادتهم العجلَ، لكنهم عادوا مرة أخرى إلى عنادهم وماديتهم. فهم كانوا يريدون إلهاً مادياً يرونه، ولكن الإله من عظمته أنه غيْبٌ لا تدركه الأبصار فَكَوْنُ الله سبحانه وتعالى فوق إدراك البشر... هذا من عظمته جل جلاله، ولكن بني إسرائيل الذين لا يؤمنون إلا بالشيء المادي المحسوس، لا تتسع عقولهم، ولا قلوبهم إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى فوق المادة وفوق الأبصار[1]

فقد كان الموقف متعلقا بالسبعين نفرا الذين هم من خيرة بني إسرائيل، ويعبر هذا الموقف عما كان كان عليه حال مجتمعهم من انحراف عن دعوة الأنبياء؛ وقد اختارهم سيدنا موسى – عليه السلام– لميقات ربه، بعد توبتهم من عبادة العجل[2]، ومع ذلك بدا منهم ما بدا من تعنت وإنكار للغيب، وإصرار على معرفة الله بحواسهم، فطلبوا أول الأمر أن يسمعوا الله وهو يكلم نبيَّه موسى، تم لهم ما أرادوا، وإذا بهم يتدرجون ويُصَعِّدون في سقف مطالبهم الجريئة، فاشترطوا أن يكون تصديقُهم بالله مرتبطا بتَجَلّيه سبحانه وتعالى أمام أعينهم لكي يروه جهرة ! ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ فقد كانت **عاقبة انحرافهم عن منهج الله، وجحودِهم لِمَا جاء به نبي الله، وتجاسُرِهم على الذات الإلهية أنْ أخذتهم الصاعقة**؛ وهي كما جاء في تفسير ابن كثير؛ الموت، وقيل النار، وقيل صيحة من السماء؛ أي ما كان سببا في موتهم الذي كان عقابا لهم؛ لأنه كان موتا بغير أجل، لذلك بُعِثُوا بعد موتهم مرة أخرى، لكن هذا البعث كان في الحياة الدنيا؛ لعلهم يتوبون مما هم عليه من ضلال، ثم ليستوفوا أجلهم الذي قدَّره الله لحياتهم[3].

ومع ذلك ظلوا على عنادهم، وضلالهم فأخذتهم العزة بالإثم، ولم يتورعوا عن نقض ميثاقهم الذي قطعوه على أنفسهم مع الله؛ «حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة، وظهر منهم إباء عما

1 ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، 345/2.
2 تناولت ذلك في المطلب الثاني من المبحث الأول في الفصل الثاني.
3 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 264.

جاءهم به موسى –عليه السلام– ورفع الله على رؤوسهم جبلا، ثم أُلْزِموا فالتزموا وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى فوقِ رؤوسِهم خشية أن يسقط عليهم»[1]

فقال تعالى في شأنهم هذا:

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ **[سورة الأعراف: 171]**

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ **[سورة النساء: 154]**

فبنو إسرائيل لم يُقَدِّروا ألطاف الله عليهم حقَّ قدْرِها، ولم يتعظوا أو يرتدعوا مما أصابهم، ليُقلعوا عن غيهم، أو ليكفوا عن تماديهم في عنادهم واستكبارهم؛ فقد نقضوا ميثاقهم، وكفروا بآيات الله، وقتلوا الأنبياء بغير حق، وقذفوا بالباطل الصِّديقَةَ الطاهرة المطهرة مريم، وادَّعوا قتل المسيح –عليه السلام– لذلك حَقَّ عليهم عقاب الله عز وجل.

فقال فيهم الحق سبحانه وتعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

1 نفسه، 2/ 446.

كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ [سورة النساء: 155–161]

فقد نقض هؤلاء كل المواثيق «التي تقدمت؛ ومعنى الميثاق هو العهد المؤكد الموثق، ونقض الميثاق هو حلُّه، وهذا ما يستوجب ما يهددهم الله به، وكفروا بآيات الله التي أنزلها لتؤيد موسى – عليه السلام– وقتلوا أنبياء الله بغير حق. وادعوا – تعليلاً لذلك – أن قلوبهم غلف لا تسمع للدعوى الإيمانية، أي أن قلوبهم مغلفة مغطاة أي جُعل عليها غلافٌ، بحيث لا يَخْرج منها ما فيها، ولا يدخل فيها ما هو خارج عنها، وأرادوا بذلك الاستدراك على الله، فقالوا: قلوبنا لا يخرج منها ضلال، ولا يدخل فيها إيمان... فقلوبهم ليست غلفاً، ولكن هي لعنة الله لهم، وإبعاده لهم وطردهم واستغناؤه عنهم؛ لذلك تركهم لأنفسهم فغلبت عليهم الشهوات» [1]

فهذه «الذنوب التي ارتكبوها، مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى» [2]؛ لأنهم حيث «ارتكبوا أربعة أفعال جسيمة: **نقضوا الميثاق، وكفروا بآيات الله، وقتلوا الأنبياء بغير حق، ثم ادّعوا أن الله طبع على قلوبهم**، وحين جعل هذا الأفعال الأربعة جريمة واحدة، فهذا فضل ورحمة من، وبعد ذلك يذكر لهم جريمة أخرى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ وهنا نجد أنه سبحانه قد ساوى بين قولهم البهتان على مريم وبين كل الأفعال السابقة؛ لأنهم اعترضوا على رسالة ونبوة عيسى عليه السلام وهو نبي من أولي العزم من الرسل» [3] ويضاف إلى ذلك كلِّه؛ صدُّ الناس عن سبيل الله، وأخذُهم الربا الذي نهاهم الله عنه، وأكْلُهم أموال الناس بالباطل.

وعليه أخبر الله سبحانه وتعالى أنه «بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة، حرم عليهم طيبات كان أحلَّها لهم... وهذا التحريم قد يكون قدريا، بمعنى: أنه تعالى قيّضهم

1 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 5/ 2780
2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/ 447
3 الشعراوي، تفسير الشعراوي، 5/ 2785

لأنْ تأوَّلوا في كتابهم، وحرفوا وبدلوا أشياءَ كانت حلالا لهم، فحرَّموها على أنفسهم، تشديدا منهم على أنفسهم وتضييقا وتنطُّعا. ويُحتمَل أن يكون شرعيا بمعنى: أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياءَ كانت حلالا لهم قبل ذلك»[1]

فاليهود والنصارى على حد سواء لم يمارسوا تدينَهم بما يقتضيه الالتزامُ الحقيقيُ بدين الله كما تلقاه أنبياء الله –عليهم السلام– عن ربهم، وكما بلَّغوه لأقوامهم بأمانة من اجتباه الله لرسالته، بل تصرفوا في دين الله بالحذف والزيادة، وتأولوا معانيَه وأحكامَه وفق أهوائهم ومصالحهم، وبذلك حل دين البشر محل دين الله، وكان من الطبيعي أن يصير دين البشر موْضِعَ جدل وخِلاف، يؤدي في نهاية المطاف إلى التنازع والفرقة والاختلاف بين أبناء الدين الواحد.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ **[سورة آل عمران: 105]**

فقد باتت المجتمعات المشتتة لأهل الكتاب مضرب مثل لأخْذِ العبرة، وتحذير الأمة المسلمة من عواقب التنازع المؤدي إلى الفرقة والتشتت، الذي يؤدي بدوره إلى تلاشي اللحمة الاجتماعية، وتفكك نسيج العلاقات الاجتماعية، الذي يفضي في نهاية الأمر إلى ضعف الكيان الاجتماعي لأتباع الدين الواحد، ومن ثم يفقد عناصر القوة التي تعينه على تحقيق الحضور الإيجابي في الحياة، بما يحقق الأهداف الكبرى للرسالة السماوية التي ينتمي إليها.

قال تعالى:

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ **[سورة الأنفال: 46]**

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 467/2

فالتزام الدين الحق؛ بطاعة الله وطاعة مَن بعثه من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- هو الضمانة الحقيقية لسلامة المجتمعات المتدينة من كل أشكال الفرقة والخلاف، وما يترتب عنها من تنازع وتناحر يستنزف عناصر القوة في هذه المجتمعات لتصبح مجتمعات تعاني الفشلَ والإخفاقَ وكلَّ مظاهر الضعف والهزال.

فكل ما سبق يعبر بطريقة أو أخرى عن المزاج أو عن الملمح الاجتماعي العام الذي ميَّزَ مجتمعات أهل الكتاب، المنحرفة في عمومها عما جاءهم به أنبياؤهم — عليهم السلام- من تعاليم وأحكام، وبقدر ما أبعدهم انحرافهم عن قيم الوحي، كان هذا الانحراف قد أوقعهم أيضا في معاصي كثيرة سبق ذِكْرُ بعضِها، فكان لذلك أثره السيئُ على واقعهم الاجتماعي؛ حيث شاعت فيه المفاسدُ، وانتشرت فيه المظالمُ والجرائمُ، التي كانت عاقبتُها عليهم عاقبةَ سوءٍ وخسران، كما ذكرها القرآن الكريم في العديد من الآيات التي سبق عرضُ بعضِها على سبيل التمثيل، وهي تؤكد أن عاقبة ظلمهم وانحرافهم تتمثل في:

- لعنة الله وغضبه، وطرده إياهم من رحمته.
- لعنة الأنبياء التي هي من لعنة الله.
- الذل والمسكنة.
- الحرمان مما أحله الله لعباده من الطيبات.
- الفرقة والتنازع.
- العذاب الأليم في الآخرة.

خلاصة الفصل:

تناولت الدراسة في المبحث الأول من هذا الفصل أثر التدين المنحرف على الفرد، وذلك ببيان الأثر السيئ للتدين المنحرف على العلاقة بالله، لذلك كان لا بد من توضيح أصل العلاقة

التي تربط العبد بخالقه، وهي علاقة العبودية التي هي أمر واقع على جميع خلق الله، لكنها حين تكون اختيارا قائما على الإيمان بالله، فإن العبد يرتقي بنفسه إلى مقام العبادية الذي يميزه عن الكافر، وكلما انحرف المنتسب إلى الدين عن هذا المقام بعدم التزامه أحكام الدين وتعاليمه، وقع في المعاصي، التي يمكن إجمالها في عنوانين كبيرين؛ **أحدهما** يتعلق بترك التكليف وبالأخص ما يتعلق بالعبادة التي لها أثرها في تهذيب النفس وتربيتها، **أما الثاني** فهو ما يتعلق بالوقوع في بعض الـمُحَرَّمات الناشئة عن التعلق المذموم بالحياة الدنيا، لذلك كان لزاما أن نتحدث عن عاقبة التدين المنحرف على الفرد في دنياه وأخراه، انطلاقا من مبدأ الثواب والعقاب في القرآن الكريم.

أما في المبحث الثاني الموسوم بأثر التدين المنحرف على المجتمع، فقد حاولت الدراسة أن توضح أثر التدين المنحرف على العلاقات الاجتماعية، ويأتي في صدارة هذه الآثار؛ انتشار العداوة والبغضاء، وانتشار الغش والخديعة، بسبب مخالفة أحكام الدين وتعاليمه، وكلما شاعت المفاسد أَلِفَها الناس من غير رفض أو تضجر، لذلك تراهم لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، كما وضحت الدراسة عاقبة التدين المنحرف في الدنيا والآخرة للمجتمعات المؤسِّسَة للانحراف، والمجتمعات الخارجة عن نظام الفطرة، ومجتمعات أهل الكتاب.

خاتمة

خاتمة

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج وهي:

1- للدين معان معجمية كثيرة يلتقي جلُّها في الملمح الدلالي العام المتمثل في الانقياد والعبودية والخضوع، وهذا هو المعنى المركزي الذي يقوم عليه الجذر اللغوي " د ي ن".

2- المفهوم الاصطلاحي للدين في عموم الثقافة البشرية هو مفهوم إشكالي؛ بسبب النظرة التجزيئية وتعدد الرؤى المعرفية، ثم تعدد الأديان وتداخل مفهومها مع التدين؛ فالدين عند علماء المسلمين مصدره الله، يتلقاه الإنسان عن طريق النبي باقتناع يفضي إلى التزام يجلب له الخير والمنفعة، أما فلاسفة الغرب فمنهم من عرف الدين باعتبار الإنسان مستقبِلا وممارِسا له، ومنهم من عرفه بوصفه ماهية مجردة، وآخرون عرفوه بوصفه مفهوما مركبا.

3- في البحث عن الفرق بين الدين والمصطلحات ذات الصلة خلصت الدراسة إلى أن الملة والنحلة والشريعة ليست هي ذاتها الدين، بل بين الدين من جهة، والملة والشريعة من جهة ثانية توافق في بُعْد واحد هو التشريع، لكن ذلك لا يعني بالضرورة أن الملة هي ذاتها الشريعة؛ لأن الشريعة مرتبطة بالدين الحق فقط، بينما الملة قد تكون ملة حق أو ملة كفر، أما النِّحْلة من حيث كونها معتقدا فهي من صنع البشر، لا توافق بينها وبين الدين الحق مطلقا، وعن الفرق بين دين الحق ودين الباطل خلصت الدراسة إلى أن دين الحق هو الدين الوحياني الذي بلغه الأنبياء بهدف التغيير والتربية وربط العباد بربهم، ليهتدوا ويسعدوا في الدارين، أما دين الباطل فهو من صنع البشر لذلك هو متعدد، تتنوع فيه أشكال الضلال والضياع، ونتيجته واحدة هي إبعاد العباد عن خالقهم، ليكون مصيرهم الشقاء في الدارين.

4- التدين في اللغة أن يتخذ العبد لنفسه دينا ينقاد له طوعيا، أما التدين في الاصطلاح هو علاقة الإنسان بالدين فهما وممارسة.

5- التدين المنحرف قد يكون نتيجة غلبة الهوى، أو بسبب كونه قناعة جاهزة وإرثا قائما، وهذا النوع من التدين لا تترتب عنه أية آثار أخلاقية وسلوكية إيجابية، تنسجم مع مضمون الدين وأحكامه، أما التدين السوي فيقوم على المعرفة الواعية بحقائق الدين كاملة، والاقتناع بها، والالتزام بها، بما يحقق استقامة الفرد المتدين، وقد قدم القرآن الكريم العديد من النماذج، والمصاديق العملية للتدين بنوعيه المحمود والمذموم.

6- الدين الحق مصدره الله عز وجل، وقد بلغه عنه الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام- مذ خلق سيدنا آدم إلى أن بعث خاتم الأنبياء سيدنا محمد – عليه وعلى أنبياء الله جميعا أفضل الصلاة وأزكى التسليم- وهو دين الإسلام الذي هتف به كل الأنبياء، وإليه ينتسب كل أتباعهم ومن آمن برسالة كل الأنبياء.

7- دين الباطل مصدره الإنسان؛ فقد يكون شخص ما ذا شأن في قومه؛ كأنْ يكون زعيما أو وجيها أو مدّعي علم... فيُنْشِئ دينا لتحقيق مآرب شخصية، وهو إذْ ينشئ دينه ذاك قد ينشئه من وحي خياله وهواجسه وربما تأملاته، وقد ينشئه اعتمادا على تجارب بشرية سابقة في تأسيس أديان كثيرة، وقد ينشئه أيضا بالاعتماد على الدين الوحياني (الدين الحق) الذي يُمْعِن هؤلاء في تحريفه، وتكييفه، وتأويله، وإخضاعه لذواتهم وشهواتهم، بما يفقده مصدريتَه وحقانيتَه، وقداستَه الإلهية، بعد أن تحل محلها الإرادة البشرية، كما حدث مع النصرانية واليهودية مثلا

8- التدين عملية ثنائية مركبة؛ تشمل الدين بوصفه فاعلا، والإنسان بوصفه قابلا أو متلقيا وممارسا للدين، لذلك الحديث عن مصدرية التدين يشمل الدين كما يشمل المتدين أيضا؛ فالدين هو الأطروحة الإلهية التي تتضمن التعاليم الأخلاقية، والأحكام الاعتقادية والتشريعية التي يمكن أن نصطلح عليها بمرجعية التدين التي يعود إليها المتدين ويعتمدها في تدينه؛ أما المتدين فهو الإنسان الذي يتمثل مضامين الدين: في عالم؛ الأفكار والفهم والتصورات من خلال ما يقدمه

للدين من شروحات، وتفسيرات، وتأويلات للمعاني الاعتقادية والتشريعية والأخلاقية التي تضمنها الدين.

9- يمكن تتبع مصدرية التدين في الدائرة البشرية على عدة مستويات تترجم في عمومها تفاعل الدين بماهية الإنسان في أبعادها الروحية، والعقلية والاجتماعية، وتتمثل هذه المستويات في مستوى الفهم والمعارف الدينية، مستوى الممارسات العبادية، مستوى الممارسات العملية.

10- الفطرة في اللغة تعني ما أودعه الله في الإنسان من استعدادات وخصائص معينة هيأتْه للتدين، أما اصطلاحا فهي أمر تكويني متأصل في الإنسان يعبر عن حاجته إلى الدين، وامتلاكه قدرة الفهم والتمييز والاقتناع، للاهتداء إلى الدين الحق.

11- جاء في القرآن الكريم ما يؤكد أن الفطرة هي خَلْق الإنسان على وجه صالح للعبادة، حين أودع الله فيه القدرة على المعرفة والاختيار، ومنحه أسباب الهداية، فكان ذلك هو العهد أو الميثاق الذي أخذه الله على البشر حين أخرجهم من أصلاب آبائهم، ثم بعث الأنبياء مُذَكِّرِين إياه بذلك.

12- يندفع الناس وجدانيا إلى التدين تعبيرا أولا عن حاجتهم الفطرية إلى الدين، ثم تعبيرا عن نقصهم الذي يُشعرهم بالحاجة إلى إله قوي يتولاهم بالرعاية، وبسبب هذه النشأة التكوينية خاض الإنسان عبر تاريخه الطويل رحلة شاقة ومعقدة في البحث عما يستجيب لنداء الفطرة، وما ينشأ عنها من قلق السؤال عن أصل النشأة، وعن حقيقة المصير والمآل من أين؟ وكيف؟ وإلى أين؟ وغيرها من الأسئلة التي تؤكد حاجة الإنسان إلى المدد الغيبي وإلى دين ينظم حياته، ويحدد أهدافه فيها، ورؤيته إلى العالم والكون؛ فلا أحد يمنح الإنسان تلك القيم والمعاني المتعالية، غير الله عز وجل، مما يجعل العبد دائم الشعور بالحاجة لأنْ يتدين بدين عادل يحفظ له كرامته، ويمنحه السكينة والطمأنينة، والأمل الذي يدفع به نحو المطامح السامية؛

13-يلبي الدين حاجة الإنسان من الناحية المعرفية، حيث يقدم إجابات عن تساؤلاته الوجودية الكبرى، وعن تساؤلاته الاعتقادية التي ليست متاحة لمداركه، ويستعين الإنسان بالدين أيضا من الناحية التربوية للتحلي بالأخلاق الراقية، لأن الدين يعين على تشخيص الخلق الحسن من القبيح، ويحفز على الخلق الكريم، بهدف طاعة الله عز وجل، ويضاف إلى الحاجة المعرفية والتربوية للدين حاجة الإنسان الروحية المتمثلة في اعتماد الذكر لتحصيل السكينة والطمأنينة، بكل المعاني الواسعة والمتداعية للذِّكْر كمفهوم عام يختصر علاقة العبد بربه.

14-يحدث الانحراف لأسباب ذاتية تتعلق بالنفس وأهوائها؛ ذلك لأن النفس تعبر عن عناصر الحياة في البدن، والهوى واحد من هذه العناصر التي تندرج ضمن النشأة التكوينية الطبيعية المتعلقة بحركة الشهوة في النفس؛ فبقدر انتظام هذه الحركة يستقيم حال الإنسان، وبقدر اضطرابها إلى الحد الذي تسيطر فيه الشهوة على النفس يحدث الانحراف عن الفطرة وعن الدين، لذلك نجد أن مَنْ بِه غَلَبَة الهوى كثير الاندفاع إلى المعاصي، قليل الإقبال على الطاعات.

15-يحدث الانحراف لأسباب ذاتية تتعلق بالنفس وأمراضها، والأمراض التي تصيب النفس لا تدخل في نشأتها التكوينية، بل هي حالة طارئة عليها، ونذكر من ذلك أمراض: الحسد، والغرور، والعُجْب والكبر التي أورد القرآن الكريم بعض مصاديقها الواقعية، وهي مصاديق ونماذج توضح كيف تكون أمراض النفس سببا في انحرافات خطيرة تَجَرَّدَ المُصابُون بها من إنسانيتهم، وحين يتجرد المرء من إنسانيته سيتجرد حتما من قيم الدين وأحكامه وتعاليمه، ذلك لأن الإنسانية هي الوعاء الذي يستقبل الدين ويتلقاه، فإذا تلوث الوعاء سيلوث ما فيه وسيفقده تأثيره وفاعليته، ويصبح الدين عند هؤلاء إيمانا شكليا لا يترتب عنه التزام، ولا ينشأ عنه أثر طيب تتحقق به الاستقامة والصلاح، بل إن الدين الذي تتلقاه النفوس المريضة، ستعمل على تغييب حقيقته وتشويهها مهما كانت مقدسة وطاهرة، وسيحاول أمثال هؤلاء توظيف قداسة الدين لتبرير ما

هم عليه من أمراض نفسية وانحرافات سلوكية تكتسي صبغة دينية، لكنها في واقع الحال هي مظهر من المظاهر المعبرة عن الانحراف في فهم الدين وممارسته.

16-يحدث الانحراف لأسباب ذاتية تتعلق بالأسباب الفكرية ذات الأثر الاعتقادي، وهي أسباب تبدو في ظاهرها فكرية، لكنها في أصلها ذات منشإ نفسي، تترجم تَسَلُّط أهواء النفس على العقل البشري، حيث تعمل على توجيهه وتنميطه بالشكل الذي يجعل التفكير خاضعا لإكراهات نفسية، ومن ثم يتم تجنيد العقل ليؤدي وظيفة التبرير اللامعقول للكثير من الأمور إرضاء لِهَوًى أو لمرض في النفس، ومن هنا يَحِيدُ العقل عن وظيفته في التفكير بتجرد واستقلالية بما قد يُمَكِّنه من المعرفة، وإدراك حقائق الأشياء، لِيَتَّجِهَ اتجاها آخر بحيث تصبح وظيفتُه ومهارتُه محصورةً في التدليس وصناعة المغالطة، ليس في مجالات التفكير العادية المتاحة للعقل البشري فحسب، بل التدليس والمغالطة يطالان ما يتعلق بالدين اعتقادا وتشريعا، ومن ذلك:

17- من الانحرافات المتعلقة بالأسباب الفكرية؛ نجد التبني اللامعقول لنظرية الاصطفاء العام كما هو حال اليهود والنصارى الذين زعموا أن الله اصطفاهم، وأنهم أحباؤه وخاصته المنزهون من كل حساب أو عقاب، ومن ثم يحدث الانحراف عن الدين؛ لأنهم –بزعمهم ذاك- لا يكلفون أنفسهم عناء طلب الاستقامة، أو الالتزام بمضامين الرسالة التي يزعمون الانتساب إليها.

18- ومن الانحرافات المتعلقة أيضا بالأسباب الفكرية؛ الاجتهاد البشري بما يخالف الوحي، وهذا سلوك ناشئ أملته اعتبارات نفسية متضجرة من أحكام الوحي وتعاليمه، لذلك يسعى هؤلاء إلى البحث عن بديل بشري خارج ضوابط الوحي، بما يستجيب لحظوظ النفس ويرضيها، بخلاف الوحي الذي جاء ليحصن النفس من الأمراض، وليوجهها ويربيها وينظم شهواتها، وقد أورد القرآن الكريم العديد من المواقف التي تبين كيف سعى بعض المتدينين إلى التخلص من سلطة الوحي، بحثا عن بديل بشري تكون فيه النفس هي المتسلطة.

19- ومن الانحرافات المتعلقة بالأسباب الفكرية؛ نجد تجاهل البعد الغيبي في فهم الدين؛ فالإيمان بالغيب مرتبة يرتقي إليها الإنسان ليدرك أن هذا الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الذي تدركه حواسُه، فينشأ عن ذلك تصورٌ اعتقاديٌّ يدرك به الإنسانُ حقيقةَ الوجودِ، وحقيقةَ وجودِه هو في هذه الحياة، فيكون بذلك مؤهَّلا لأنْ يفهم هذا الكونَ، وما وراءه من قدرة وتدبير، لذلك وضح القرآن الكريم كيف يكون إنكار الغيب عند بعض المتدينين سببا في إنشاء تصورات خاطئة عن الدين، ومن ثم الوقوع في خطيئة الانحراف عن الدين الحق.

20- الأسباب الاجتماعية والسياسية غالبا ما تهيئ المناخ العام لانحراف التدين، أو تكون أحيانا سببا مباشرا في انحراف التدين.

21- قدم القرآن الكريم أهم التعاليم والأحكام العامة لضمان حياة اجتماعية مثالية تقوم على: مبدأ الاستيعاب لتنوع الأعراق وإنشاء التعارف بين أهلها، بحيث لا يكون التفاضل بينهم إلا على أساس التقوى، ومبدأ التكامل القائم على التواد، والتراحم، والتعاون، والتكافل في كنف الأخوة الإيمانية، ثم مبدأ الخيرية والصلاح، القائم على قاعدة الوسطية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

22- تضمن القرآن الكريم أهم التحديات الاجتماعية التي واجهت الأنبياء في دعوتهم إلى دين الله، بسبب تمسك الكثير من المجتمعات واستئناسها بعاداتها، وببعض الجوانب السيئة من موروثها الاجتماعي المتجذر في تاريخها القديم، مما منح هذا الموروث صبغة القداسة، ومنحه أيضا قدرة التأثير في صناعة التصورات، ومن ثم كانت تلك التصورات ذات تأثير لافت في صد الناس عن دين الله.

23- بعض المجتمعات مع أنها انتسبت إلى الدين الحق، إلا أن بعض فئاتها أبدت تجاهلا صريحا لتعاليم الوحي؛ حرصا على التمسك بالنمط الاجتماعي السائد، والاستسلام لبعض العادات المخالفة لتعاليم الدين الحق، والخضوع لبعض الإكراهات والرواسب المترتبة عن حضور

الموروث الاجتماعي وبعض الأعراف والعادات السلوكية السيئة التي قد تجاوزت نطاق الفرد، وتحولت إلى سلوك اجتماعي عام.

24- قدم القرآن الكريم أهم التعاليم والأحكام العامة لضمان حياة سياسية مثالية تقوم على مبادئ أساسية هي: التزام تعاليم الوحي وأحكامه، حفظ الأمانة، الحكم بالعدل، التحلي بالصلاح والسعي للإصلاح.

25- لقد كان للحكام المفسدين دور مؤثر في صد الناس عن دين الله؛ بسبب شهوة التملك والتسلط المسيطرة على النفوس، التي تتم ترجمتها عبر ممارسات عملية ميدانية مختزلة في سلوكات عدوانية، تقمع من هو عصي على الانقياد، وفي الوقت ذاته تواجه بعنف أية سلطة أخرى تزاحم سلطة هؤلاء، لذلك كان من الطبيعي أن يقف أمثال هؤلاء ضد دعوة الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام- التي جاءت بقيم متعالية، تربط الناس بالعبودية الحقة لله عز وجل، وتحررهم من عبادة العباد، وتدعوهم إلى قيم الخير والصلاح، وتنهاهم عن الفساد.

26- تجريد السياسة من تعاليم الدِّين الحق، يعني تجريدها من بواعث الخير، وروادع الشر، فلا يكون الحاكم حينها ملتزما بدين الله، ولا حافظا للأمانة، ولا حاكما بالعدل، ولا صالحا مصلحا، بل إن علاقته بالدين أنْ يعمل جاهدا على اختطاف دين الله بالشكل الذي يمكنه من إعادة إنتاج مفاهيمه لخلق نمط من التدين الذي يعبر عن التوظيف البشري للدين، بهدف التسلط على الناس باسم المقدس، واستدراج الناس للانحراف أيضا باسم المقدس، ثم لإنتاج ثقافة التبرير للانحراف عن الدين باسم الدين، وممارسة التدليس والمغالطة للخروج عن الدين باسم الدين، فيصبح الفهم البشري للدين، وتصبح الممارسة البشرية للدين كأنها هي الدينُ ذاتُه في نظر العامة من الناس.

27-أصل العلاقة التي تربط العبد بخالقه، هي علاقة العبودية التي حين تكون اختيارا قائما على الإيمان بالله، فإن العبد يرتقي بنفسه إلى مقام العبادية الذي يميزه عن الكافر.

28-للتدين المنحرف أثره السيئ على الفرد، حيث يقع في معاصي كثيرة، يمكن إجمالها في عنوانين كبيرين؛ **أحدهما** يتعلق بترك التكليف وبالأخص ما يتعلق بالعبادة التي لها أثرها في تهذيب النفس وتربيتها، **أما الثاني** فهو ما يتعلق بالوقوع في بعض المُحَرَّمات الناشئة عن التعلق المذموم بالحياة الدنيا.

29-للتدين المنحرف أثره السيئ على العلاقات الاجتماعية، ويأتي في صدارة هذه الآثار؛ انتشار العداوة والبغضاء، وانتشار الغش والخديعة، بسبب مخالفة أحكام الدين وتعاليمه، وكلما شاعت المفاسد أَلِفَها الناس من غير رفض أو تضجر، لذلك ينقطعون عن فضيلة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

30- للتدين المنحرف باعتبار مبدأ الثواب والعقاب، وباعتبار البعد السنني مآلاته السيئة وعواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع؛ وهي عواقب تصيبهم في الدنيا، وسيصيرون إليها في الآخرة.

تلك هي أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة، ولست أزعم أنني قد وفيت الموضوع حقه، كما لا أدعي أن ما توصلت إليه من نتائج هي نتائج حاسمة، قد تقطع الطريق على غيري من الباحثين، بل عملي هذا هي محاولة ضمن العديد من المحاولات السابقة التي من دون شك ستتلوه محاولات لاحقة لعلها تسلط الأضواء على جوانب أخرى ربما أكون قد غفلت عنها، وربما لم أتناولْها قصدا لأن مجالَ الدراسةِ ونطاقَها لا يسمح بذلك.

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾	الفاتحة	04	12
﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾	البقرة	120	29
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾	البقرة	185	37
﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾	البقرة	147	43/ 44
﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾	البقرة	79	45
﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾	البقرة	132	48
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾	البقرة	136	49
﴿الٓمٓ﴾	البقرة	1	70/ 90/ 206
﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾	البقرة	2	70/ 90/ 206
﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾	البقرة	3	70/ 90/205/ 206
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾	البقرة	4	70/90/206
﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾	البقرة	5	70/90/91/206
﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾	البقرة	136	77
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾	البقرة	183	82
﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾	البقرة	43	82
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾	البقرة	189	90

118	258	البقرة	﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾
121	255	البقرة	﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾
123	29	البقرة	﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾
124	30	البقرة	﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾
126	213	البقرة	﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾
137	164	البقرة	﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾
144	186	البقرة	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾
171	109	البقرة	﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾
193	47	البقرة	﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾
211	51	البقرة	﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾
211	52	البقرة	﴿ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾
211	53	البقرة	﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾
211	54	البقرة	﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾
385/213/212/211	55	البقرة	﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	البقرة	56	385/211
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ...﴾	البقرة	143	360/359/226
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾	البقرة	113	244/143
﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ...﴾	البقرة	251	251
﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	البقرة	94	311
﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	البقرة	95	311
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾	البقرة	96	311
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾	آل عمران	19	202/47/16/13
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	آل عمران	85	216/92/47/16
﴿ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	آل عمران	95	30
﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾	آل عمران	60	43
﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾	آل عمران	52	49
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	آل عمران	7	74
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	آل عمران	200	90
﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	آل عمران	86	92
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	آل عمران	87	92
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾	آل عمران	88	92

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	آل عمران	49	121/119
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	آل عمران	190	137
﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾	آل عمران	191	137
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾	آل عمران	23	176
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾	آل عمران	24	176
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾	آل عمران	19	202
﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾	آل عمران	83	216
﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾	آل عمران	84	216
﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾	آل عمران	110	216
﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ...﴾	آل عمران	110	227/225
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾	آل عمران	100	247/246/245
﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	آل عمران	101	246/245
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾	آل عمران	102	245

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾	آل عمران	103	249/245
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾	آل عمران	14	306/305
﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾	آل عمران	106	336/334
﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	آل عمران	107	334
﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾	آل عمران	104	380/360/359
﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾	آل عمران	112	385
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾	آل عمران	105	389
﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾	النساء	4	360/38
﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	النساء	46	79
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾	النساء	47	79
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾	النساء	48	79
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾	النساء	49	79

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ۝٥٠ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾	النساء	50	79
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾	النساء	50	173/172/79
﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾	النساء	103	82
﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾	النساء	114	82
﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾	النساء	11	361/139
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾	النساء	52	172
﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾	النساء	53	172
﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾	النساء	54	172، 251/173
﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾	النساء	182	297/184
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾	النساء	171	195
﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾	النساء	59	274/197
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾	النساء	65	201
﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾	النساء	82	203

﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾	النساء	153	385/214
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾	النساء	150	215
﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾	النساء	151	215
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾	النساء	152	215
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾	النساء	58	252
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾	النساء	59	259/252
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾	النساء	61	260
﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾	النساء	61	260
﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	النساء	142	300
﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾	النساء	147	337
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾	النساء	29	338
﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾	النساء	30	338
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾	النساء	1	339
﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾	النساء	2	339
﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾	النساء	3	339

﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمًا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًا﴾	النساء	5	339
﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾	النساء	6	339
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا﴾	النساء	7	339
﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًا﴾	النساء	8	339
﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا﴾	النساء	9	339
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا﴾	النساء	10	340 /339
﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	النساء	11	340 ،339
﴿ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرٍّۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾	النساء	12	340
﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾	النساء	13	340
﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾	النساء	14	340

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾	النساء	154	387
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	النساء	155	387
﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾	النساء	156	388/387
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾	النساء	157	387
﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	النساء	158	387
﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾	النساء	159	387
﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾	النساء	160	387، 388
﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	النساء	161	388
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	المائدة	48	36/35
﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾	المائدة	70	54
﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾	المائدة	71	54
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	المائدة	90	346/90
﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	المائدة	39	146
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	المائدة	27	163
﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	المائدة	28	164/163
﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	المائدة	29	164

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	المائدة	30	164
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾	المائدة	18	192/191
﴿... وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	المائدة	2	223
﴿ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	المائدة	45	298/252
﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	المائدة	50	252
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	المائدة	8	257
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	المائدة	44	277
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	المائدة	45	277
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	المائدة	33	322
﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ... ﴾	المائدة	100	322
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾	المائدة	91	346
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	المائدة	54	350

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾	المائدة	78	384/362/361
﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾	المائدة	79	362/361
﴿دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	الأنعام	161	32
﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	الأنعام	122	46
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾	الأنعام	74	51
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾	الأنعام	153	51
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾	الأنعام	159	73/51
﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	الأنعام	162	296/94
﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾	الأنعام	79	115/101
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾	الأنعام	75	115
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾	الأنعام	76	115
﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾	الأنعام	77	115
﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾	الأنعام	78	115
﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾	الأنعام	80	115
﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾	الأنعام	81	115
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾	الأنعام	1	128

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾	الأنعام	73	128
﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾	الأنعام	70	308
﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	الأعراف	6	53
﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾	الأعراف	172	203/104
﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾	الأعراف	172	373/204/105
﴿ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴾	الأعراف	25	122
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	الأعراف	54	211/128
﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾	الأعراف	138	210/207
﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	الأعراف	139	207
﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	الأعراف	140	207
﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾	الأعراف	141	207
﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾	الأعراف	142	208/207
﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾	الأعراف	148	208
﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	الأعراف	149	208
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	الأعراف	150	208
﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾	الأعراف	54	214

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾	الأعراف	129	270//269/252
﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴾	الأعراف	109	266
﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾	الأعراف	110	266
﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾	الأعراف	111	266
﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴾	الأعراف	112	266
﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾	الأعراف	113	266
﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾	الأعراف	114	266
﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾	الأعراف	115	266
﴿قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾	الأعراف	116	266
﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾	الأعراف	117	266
﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	الأعراف	118	267/266
﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴾	الأعراف	119	267
﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾	الأعراف	120	267
﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	الأعراف	121	267
﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾	الأعراف	122	267
﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾	الأعراف	123	267
﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	الأعراف	124	273/269
﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾	الأعراف	127	273/269
﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾	الأعراف	129	270/269
﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	الأعراف	85	355/352/271

﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾	الأعراف	86	272/271
﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾	الأعراف	87	271
قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾	الأعراف	88	274/271
﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	الأعراف	16	345
﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾	الأعراف	17	345
﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	الأعراف	65	382
﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾	الأعراف	66	382
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الأعراف	67	382
﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾	الأعراف	68	382
﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	الأعراف	69	382
﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	الأعراف	171	387
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ...﴾	الأنفال	53	325
﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ ﴾	الأنفال	46	389
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾	التوبة	33	43/18
﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾	التوبة	21	47
﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾	التوبة	29	57
﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾	التوبة	122	81

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	التوبة	105	84
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	التوبة	31	200
﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾	التوبة	67	301
﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾	التوبة	24	309
﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	التوبة	75	316/314
﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾	التوبة	76	314
﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾	التوبة	77	315/314
﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾	التوبة	78	314
﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾	التوبة	103	315
﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾	يونس	94	43
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾	يونس	71	371/48
﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	يونس	72	371/48
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾	يونس	84	48

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	يونس	26	84
﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	يونس	95	92
﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾	يونس	45	92
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	يونس	5	136
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾	يونس	88	265
﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾	يونس	83	268
﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾	يونس	73	371
﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	هود	17	43
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾	هود	61	125
﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	هود	7	132
﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾	هود	53	232
﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾	هود	54	233/232
﴿ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾	هود	55	255/233/232
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	هود	25	367/234

﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾	هود	26	267/235/234
﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾	هود	27	/237/235/234 /260/238/237 367
﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾	هود	28	239/234
﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾	هود	29	239/234
﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	هود	30	234
﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	هود	31	240/234
﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	هود	32	370/367
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾	هود	40	371 /370
﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	هود	41	370
﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	هود	42	370
﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾	هود	43	370
﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	هود	44	371 ،370
﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾	هود	82	380
﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾	هود	83	380
﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾	يوسف	76	13
﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾	يوسف	38	30

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾	يوسف	4	165
﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	يوسف	5	166/165
﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	يوسف	6	165
﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾	يوسف	7	165
﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	يوسف	8	167/165
﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾	يوسف	9	168/167/165
﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾	يوسف	10	165
﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾	يوسف	56	251
﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾	الرعد	12	122
﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾	الرعد	13	122
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	الرعد	28	142/123
﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾	الرعد	10	212
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾	إبراهيم	13	274
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾	الحجر	26	198
﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾	الحجر	66	380
﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾	الحجر	67	380
﴿قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾	الحجر	68	380
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾	الحجر	69	380
﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	الحجر	70	380

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾	الحجر	71	380
﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾	الحجر	72	380
﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ﴾	الحجر	73	380
﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾	الحجر	74	380
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾	الحجر	75	380
﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾	النحل	52	12
﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	النحل	36	48
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾	النحل	90	258
﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾	النحل	102	312
﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾	النحل	103	312
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	النحل	104	312
﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾	النحل	105	312
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	النحل	106	313/312
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	النحل	107	313/312
﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	النحل	97	330/323
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾	النحل	112	324
﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾	النحل	91	356

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾	**النحل**	92	357/356
﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾	**الإسراء**	83	52
﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾	**الإسراء**	84	52
﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾	**الإسراء**	34	84
﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾	**الإسراء**	35	84
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾	**الإسراء**	29	85
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾	**الإسراء**	30	85
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾	**الإسراء**	31	84
﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾	**الإسراء**	32	85
﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾	**الإسراء**	34	85
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾	**الإسراء**	36	86
﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾	**الإسراء**	13	105
﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	**الإسراء**	14	105
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾	**الإسراء**	70	124
﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾	**الإسراء**	37	183
﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾	**الإسراء**	38	183
﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	**الإسراء**	1	298
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا﴾	**الكهف**	103	92
﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	**الكهف**	104	92
﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾	**الكهف**	105	92
﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾	**الكهف**	106	92

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾	الكهف	28	158
﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾	الكهف	110	308
﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾	الكهف	46	310
﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾	الكهف	49	319
﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾	مريم	93	292
﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾	مريم	30	298
﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾	مريم	31	298
﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾	مريم	32	298
﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾	مريم	33	298
﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾	مريم	59	301
﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾	طه	114	136
﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾	طه	123	324
﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾	طه	124	324
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾	الأنبياء	25	48
﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾	الأنبياء	23	52
﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾	الأنبياء	56	101
﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾	الأنبياء	68	275
﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	الأنبياء	69	275
﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾	الأنبياء	70	275
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾	الأنبياء	26	297
﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾	الأنبياء	27	297

﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾	الأنبياء	47	319
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	الأنبياء	92	349
﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾	الحج	78	/359/29/13
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾	الحج	78	359/37
﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	الحج	54	44/43
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾	الحج	77	82
﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾	الحج	27	82
﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾	الحج	28	82
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾	الحج	11	91
﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾	الحج	12	91
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾	الحج	41	260/251
﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ... ﴾	الحج	40	274
﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾	المؤمنون	71	326/50
﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾	المؤمنون	1	90
﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾	المؤمنون	2	90
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾	المؤمنون	3	90

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾	المؤمنون	4	90
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾	المؤمنون	5	90
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾	المؤمنون	12	129
﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾	المؤمنون	13	129
﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾	المؤمنون	14	129
﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾	المؤمنون	15	130
﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾	المؤمنون	16	130
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾	المؤمنون	115	331
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾	المؤمنون	99	333
﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	المؤمنون	100	333
﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	النور	47	161
﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾	النور	48	161
﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾	النور	49	161
﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾	النور	50	161
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ...﴾	النور	55	364/252
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	النور	19	322
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ...﴾	النور	21	346
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾	الفرقان	63	298
﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾	الشعراء	128	383
﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾	الشعراء	129	383

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾	الشعراء	130	383
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	الشعراء	131	383
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾	الشعراء	132	383
﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾	الشعراء	133	383
﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾	الشعراء	134	383
﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	الشعراء	135	383
﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴾	الشعراء	136	383
﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾	الشعراء	137	383
﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾	الشعراء	138	383
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	الشعراء	139	383
﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	النمل	62	144
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾	النمل	45	273
﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	النمل	46	273
﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾	النمل	47	273
﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾	النمل	48	273
﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾	النمل	49	273
﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾	النمل	56	374/274
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾	القصص	38	264
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾	القصص	77	307
﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾	العنكبوت	45	304/ 303/261/71

﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾	**العنكبوت**	52	92
﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾	**العنكبوت**	65	110
﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾	**العنكبوت**	64	122
﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	**العنكبوت**	20	130
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾	**العنكبوت**	46	229
﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾	**العنكبوت**	56	292
﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	**العنكبوت**	28	375
﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	**العنكبوت**	29	376/375
﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾	**العنكبوت**	30	377/376
﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾	**العنكبوت**	31	379/377/376
﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾	**العنكبوت**	32	376
﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾	**العنكبوت**	33	376
﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾	**العنكبوت**	34	379/377/376
﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾	**العنكبوت**	35	379/376، 380
﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾	**العنكبوت**	36	381
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾	**العنكبوت**	37	381
﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	**الروم**	30	103/102/98/42

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾	الروم	11	130
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴾	الروم	20	198
﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾	الروم	41	326/325
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾	لقمان	33	177
﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾	السجدة	3	43
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾	الأحزاب	58	358
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾	فاطر	3	107
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾	فاطر	15	119
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾	فاطر	5	178/177
﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾	فاطر	6	346
﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾	يس	83	130
﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾	الصافات	11	198
﴿ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾	الصافات	61	308
﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾	ص	26	158
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	ص	82	197/180/179
﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾	ص	83	197/180/179
﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾	ص	75	197/180
﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾	ص	76	199 /198/180
﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾	ص	77	197/180
﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾	ص	78	197/180

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	ص	79	197/180
﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾	ص	80	197/180
﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾	ص	81	197/180
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾	ص	71	198
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	ص	72	198
﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾	ص	73	198
﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	ص	74	198
﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾	ص	28	322
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾	الزمر	2	13
﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾	الزمر	3	13
﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	الزمر	65	92
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾	الزمر	30	130
﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾	الزمر	31	130
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	الزمر	9	136
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	غافر	56	186
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾	غافر	28	262
﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	غافر	29	262، 263/ 265
﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾	غافر	19	319
﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	غافر	20	319

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	فصلت	53	107/42
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾	فصلت	30	68/61
﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾	فصلت	51	161/110
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾	الشورى	13	49
﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾	الشورى	19	144
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾	الشورى	30	324
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	الزخرف	31	241/169
﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾	الزخرف	32	169
﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾	الزخرف	22	230
﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾	الزخرف	23	231/230
﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾	الزخرف	24	230
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾	الزخرف	30	242/241
﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾	الزخرف	54	268
﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	الدخان	32	195/193
﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾	الدخان	33	195/193
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾	الدخان	34	195/193
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾	الدخان	35	195/193
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الجاثية	18	192/158/36 /35
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	الجاثية	23	45
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾	الجاثية	31	51

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴾	الجاثية	32	51
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	الجاثية	13	123
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	الجاثية	16	195/193
﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾	الجاثية	17	195/193
﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	الجاثية	19	193
﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾	الجاثية	21	322
﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾	محمد	14	158
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾	الحجرات	13	224/222
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ... ﴾	الحجرات	10	223
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾	الحجرات	9	258
﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴾	ق	6	137
﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴾	ق	7	137
﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾	ق	8	137
﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴾	الذاريات	06	12
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	الذاريات	56	/131/120/66 330/292
﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴾	الذاريات	57	120/66
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾	الذاريات	58	120/66
﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾	النجم	19	45
﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾	النجم	20	45

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾	النجم	21	45
﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴾	النجم	22	45
﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾	النجم	23	45
﴿ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾	النجم	24	45
﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾	النجم	25	45
﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾	النجم	19	78
﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾	النجم	20	78
﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾	النجم	21	78
﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴾	النجم	22	78
﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾	النجم	23	78
﴿ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾	النجم	24	78
﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾	النجم	25	78
﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴾	الرحمان	14	198/129
﴿ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴾	الرحمان	15	129
	الرحمان		
﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾	الحديد	25	46
﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾	الحديد	20	310
﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	المجادلة	11	136
﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾	الحشر	19	301
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	الحشر	18	321
﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾	الجمعة	11	75

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾	المنافقون	9	334
﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	المنافقون	10	334
﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	المنافقون	11	334
﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾	الملك	1	132/122/119
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾	الملك	2	/132/122/119 375
﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾	الملك	3	122/119
﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾	الحاقة	17	319
﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾	الحاقة	18	319
﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾	الحاقة	19	341/319
﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾	الحاقة	20	319
﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾	الحاقة	21	319
﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾	الحاقة	22	319
﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾	الحاقة	23	319
﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾	الحاقة	24	319
﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾	الحاقة	25	320/319
﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾	الحاقة	26	320/319
﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾	الحاقة	27	320/319
﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾	الحاقة	6	383
﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾	الحاقة	7	384 ،383
﴿ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾	الحاقة	8	383
﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾	نوح	23	366
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾	نوح	5	368

﴿فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا﴾	نوح	6	368
﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ ﴿وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾	نوح	7	368
﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا﴾	نوح	8	368
﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾	نوح	9	368
﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾	نوح	10	368
﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾	نوح	11	368
﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾	نوح	21	368
﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾	نوح	22	368
﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾	نوح	23	368
﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾	نوح	24	368
﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾	نوح	25	368، 372/369
﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾	نوح	26	369
﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾	نوح	27	369
﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾	نوح	28	369
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾	المزمل	01	83
﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	المزمل	02	83
﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾	المزمل	03	83
﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾	المزمل	04	83
﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾	المزمل	05	83
﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾	المزمل	06	83
﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾	المزمل	07	83
﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾	المزمل	08	83
﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾	المزمل	18	101
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾	القيامة	22	335
﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾	القيامة	23	335

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾	النازعات	15	262
﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾	النازعات	16	262
﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾	النازعات	17	262
﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾	النازعات	18	262
﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾	النازعات	19	262
﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾	النازعات	20	262
﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾	النازعات	21	262
﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ﴾	النازعات	22	264/262
﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾	النازعات	23	264/262
﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	النازعات	24	268/264/262
﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾	النازعات	25	262
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾	الانفطار	1	101
﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾	الانفطار	7	108
﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	المطففين	14	327/327
﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾	المطففين	15	327
﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾	المطففين	10	327
﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾	المطففين	11	327
﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾	المطففين	12	327
﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	المطففين	13	327
﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾	المطففين	01	353
﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾	المطففين	02	353
﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾	المطففين	03	353
﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾	المطففين	04	353
﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾	المطففين	05	353
﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	المطففين	06	353
﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾	البروج	4	278
﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾	البروج	5	278
﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾	البروج	6	278

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾	البروج	7	278
﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾	البروج	8	278
﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾	البروج	9	278
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾	البروج	10	278
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾	الأعلى	14	122/90
﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾	الأعلى	15	122/90
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾	الأعلى	16	122
﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾	الأعلى	17	122
﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾	الغاشية	21	107
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	الغاشية	17	137
﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾	الغاشية	18	137
﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾	الغاشية	19	137
﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾	الغاشية	20	137
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	الشمس	9	157/140/99/90
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾	الشمس	7	157/140/99
﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾	الشمس	8	157/140/99
﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	الشمس	10	157/140/106/99
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾	البينة	5	/323/131/69/64 302
﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾	الزلزلة	6	319
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾	الزلزلة	7	319
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾	الزلزلة	8	319
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾	الفيل	1	283
﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾	الفيل	2	283
﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾	الفيل	3	283
﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾	الفيل	4	283
﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾	الفيل	5	283
﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾	الماعون	4	302

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾	الماعون	5	302
﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾	الماعون	6	302
﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾	الماعون	7	302
﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾	الكافرون	6	33
﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾	الفلق	5	170

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

الحديث	الراوي	الصفحة
((مَا من مَولودٍ إلا يُولَدُ على الفِطرةِ، فأبَواهُ يُهوِّدانِه، أو يُنصِّرانِه، أَوْ يُمجِّسانِه.))	البخاري	102/ 373
((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))	الترمذي	136
((البِرُّ ما سَكَنَتْ إليهِ النَّفْسُ، واطْمَأَنَّ إليهِ القلبُ، والإِثْمُ ما لَمْ تَسْكُنْ إليهِ النَّفْسُ، ولَمْ يَطْمَئِنْ إليهِ القلبُ، وإنْ أَفْتَاكَ المفْتُون))	أحمد بن حنبل	204
((الإيمانُ أنْ تؤمنَ باللهِ ومَلَائِكتِه وكتُبِهِ ورسُلِه ولِقَائِه، وتُؤْمِنَ بالْبَعْثِ الآخر...))	البخاري	206
((إنَّمَا بُعِثْتُ لأتمِّمَ صالحَ الأَخْلاقِ))	أحمد بن حنبل والبخاري	220
((أَلَا لَا فضْلَ لِعربيٍّ على أعْجَميٍّ، ولا لِعَجَميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحْمَرَ على أسْوَدَ، ولا أسْوَدَ على أحْمَرَ إلا بالتَّقْوَى))	أحمد بن حنبل	222
((المؤمنُ للمُؤمِنِ كالْبُنْيانِ يشُدُّ بَعْضُه بَعْضًا))	البخاري ومسلم	344/223
((مَثَلُ المؤمِنينَ في تَوَادِّهِم وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ والْحُمَّى))	مسلم	223/ 344
((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. قالوا: فإنْ لَمْ يَجِدْ؟ قالَ: فَيَعْمَلُ بيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ ويَتَصَدَّقُ. قالوا: فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ: فيُعِينُ ذا الحاجَةِ المَلْهُوفَ. قالوا: فإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ: فَيَأْمُرُ بالخَيْرِ – أوْ قالَ: بالمعروفِ– قالَ: فإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ: فيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فإنَّه له صَدَقَةٌ))	البخاري	225
((مَنْ رَأَى منكمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ))	مسلم	226
((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))	أحمد بن حنبل	253
((قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قالَ: فَضَرَبَ بيَدِهِ علَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قالَ: يا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنَّهَا أَمَانَةُ، وإنَّهَا يَومَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلَّا مَن أَخَذَهَا بحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عليه فِيهَا))	مسلم	254
((مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ))	أحمد بن حنبل	254
((مَنْ وُلِيَ مِنْ أَمْرِ المسْلِمين شيئًا فأمَّرَ عليهم أحَدًا مُحابَاةً فعليه لعنةُ اللهِ لا يَقبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا ولا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جهَنَّم))	الحاكم النيسابوري	255

((إنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إلى اللهِ يومَ القيَّامَةِ، وأدْناهُم منه مجلسًا، إمامٌ عادلٌ، وأَبْغَضَ النّاسِ إلى اللهِ وأبْعَدَهم منه مجلسًا إمامٌ جائرٌ))	الترمذي	258
((تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ، وعبدُ الدِّرْهمِ، وعبد الخَميصَة))	البخاري	295
((مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ))	البخاري	297
((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ))	البخاري	302
((... وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ))	الحاكم النيسابوري	306
((مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاه أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى))	الحاكم النيسابوري	307
((إيَّاكم ومُحَقِّراتِ الأعْمَالِ إنَّهُنَّ لَيُجْمِعْنَ علَى الرَّجُلِ حتَّى يُهْلِكْنَه))	البيهقي	327
((إنَّ المؤمنَ إذا أذْنَبَ ذَنْبًا كانتْ نُكتة سوداءَ في قلبه، فإنْ تابَ ونَزَعَ واستغفرَ صُقِلَ منها قلْبُه، فإنْ عادَ رانتْ حتى يغلقَ بها قلبه، فذاك الذي ذكر اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾))	البيهقي	328
((إنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سوداءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾))	الترمذي	328
((لا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلَّا البِرُّ، ولَا يَرُدُّ القَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا))	ابن ماجة	329
إنَّ أحَدَكم إذا ماتَ عُرِض عليه مَقعَدُه بالغَداةِ والعَشيِّ إنْ كان مِن أهلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أهلِ الجَنَّةِ، وإنْ كان من أهلِ النّارِ فَمِنْ أهلِ النّارِ، فيُقالُ هذا مَقعَدُكَ حتّى يبعَثَكَ اللهُ منه	البخاري	332
((الميّتُ تحضُرُه الملائكةُ، فإذا كان الرَّجلُ صالحًا قالوا: اخرُجي أيَّتُها النَّفسُ الطيِّبةُ كانتْ في الجسدِ الطيِّبِ، اخرُجي حميدةً، وأبشري برَوْحٍ وريحانٍ، وربٍّ غيرِ غضبانَ، فلا يزال يُقال لها ذلك حتّى تخرجَ ثم يُعرجُ بها إلى السَّماءِ، فيُفتحُ لها، فيقال: مَنْ	ابن ماجة	332، 333

هذا؟ فيقولون: فلانٌ. فيقالُ: مرحبًا بالنَّفسِ الطَّيِّبةِ كانت في الجسدِ الطَّيِّبِ، ادخلي حميدةً، وأبشري برَوْحٍ وريحانٍ، وربٍّ غيرِ غضبانَ، فلا يزال يُقالُ لها ذلك حتّى يُنتَهى بها إلى السَّماءِ الَّتي فيها اللهُ عَزَّ وجَلّ، وإذا كانَ الرَّجلُ السُّوءُ قالوا: اخرُجي أيَّتُها النَّفسُ الخبيثةُ كانت في الجسدِ الخبيثِ، اخرُجي ذميمةً، وأبشِري بحميمٍ وغسّاقٍ، وآخرَ من شكلِه أزواجٌ، فلا يزال يُقال لها ذلك حتّى تخرُجَ، ثمَّ يُعرجُ بها إلى السَّماءِ فلا يُفتَحُ لها، فيقالُ: من هذا؟ فيقال: فلانٌ. فيقال: لا مرحبًا بالنَّفسِ الخبيثةِ كانتْ في الجسدِ الخبيثِ، ارجعي ذميمةً، فإنّه لا تُفتحْ لك أبوابُ السَّماءِ، فيُرْسَلُ بها من السَّماءِ، ثم تصيرُ إلى القبرِ.))		
((لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاه فوْقَ ثلاثةِ أيّامٍ.))	البخاري	348
((لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيه –أوْ قال لِجَارِه– ما يُحِبُّ لنفْسِه))	مسلم	349
((... ومَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا))	مسلم	355
مَرَّ على صُبْرَة* طعامٍ، فأدخل يدَه فيها، فنالتْ أصابعُه بَلَلًا، فقال: ((**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**)) قال: أصابتْه السماءُ يا رسولَ الله، قال: ((**أَفَلَا جَعَلْتَه فوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فلَيْسَ مِنِّي**))	مسلم	355
((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رعيَّةً، يَمُوتُ، يَوْمَ يمُوتُ وهو غَاشٌّ لرَعيتِهِ، إلَّا حَرَّمَ اللهُ عليْهِ الجَنَّةَ))	الدارمي	356
((إيَّاكم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا))	البخاري	358
((مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ.))	مسلم	360
((كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا عَمِلَ الْعَامِلُ مِنْهُمُ الْخَطِيئَةَ نَهَاهُ النَّاهِي تَعْذِيرًا فَإِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَالَسَهُ وَآكَلَهُ وَشَارَبَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ عَلَى الْخَطِيئَةِ بِالْأَمْسِ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ السَّفِيهِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ* عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ.))	أبو داود وابن ماجة	362، 363

((إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأُوا الـمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوه أَوْشَكَ أنْ يَعُمَّهُم اللهُ بِعِقَابِه))	أحمد بن حنبل	374

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

" أ "

ابن أبي الحديد عزالدين بن هبة الله بن محمد.

1- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط3، 1424هـ - 2003م

ابن الأثير: محي الدين بن أبي السعادات

2- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ط1، 1383هـ ـ 1963م.

آملي: جوادي

3- الإنسان والدين، ترجمة عبد الرحيم الحمراني، مؤسسة التاريخ العربي – مكتبة طريق المعرفة، ط1، 1430هـ ، 2009م

4- حقيقة الدين، ترجمة عادل لغريب، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية (بغداد)، دط، 1436هـ ـ 2015م.

5- العقيدة من خلال الفطرة في القرآن، دار الصفوة (بيروت)، د ط، 1429هـ ـ 2009م.

أحمد أرضاء مختار، آمنة محمد عبدالله العاني، أحمد خالد رشيد العاني.

6- مفهوم التدين، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية (ماليزيا)، المجلد3، العدد 4، أكتوبر 2017.

أبو أحمد: محمد علي.

7- في التذوق الجمالي لسورة يوسف، دار الهدى (الجزائر)، دط، دت.

أحمد فايز الحمصي: أحمد فايز.

8- قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط2،/ 1415هـ - 1995م.

أحمد مختار عمر.

9- معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب (القاهرة)، ط1، 1429هـ – 2008م

الألوسي البغدادي: محمود

10-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، دط، دت.

" ب "

ابن باديس: عبد الحميد

11-تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط2/ 1424 هـ ـ 2003م

البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل

12-صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر (دمشق بيروت)، ط1، 1423هـ 2002م.

13- الأدب المفرد، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث 273، المطبعة السلفية ومكتبتها (القاهرة)، دط، 1375هـ.

البغوي أبو محمد بن الحسين بن مسعود.

14-تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تحقيق محمد عبدالله النمر و عثمان جمعة مضيرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع (الرياض)، دط/ 1411هـ.

البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي

15-السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط3، 2003م – 1424هـ.

" ت "

الترمذي: محمد بن عيسى

16- الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ط1، 1996م.

التهانوي: محمد علي

17–موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج مكتبة لبنان (بيروت)، ط1، 1996م.

ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام

18–السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع (جدة)، دط، دت.

" ج "

الجرجاني: علي بن محمد

19–التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوريع (القاهرة)، دط، دت.

ابن الجوزي: جمال الدين

20–نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط1، 1404هـ ـ 1984م.

الجوهري:

21–الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية– ، دار الحديث (القاهرة) ط1 / 1430هـ - 2009م.

الجياشي: محمود نعمة

22–المجتمع الديني المجتمع الديني في فكر العلامة الطبأْطبائي رحلة في تفسير الميزان، دار الفقاهة للنشر والتوزيع (العراق)، ط1، 1426هـ.

" ح "

الحاكم النيسابوري: أبو عبدالله محمد بن عبدالله

23–المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط2، 1422هـ – 2002م.

الحموي: شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله

24–معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، دط، دت

ابن حنبل: أحمد

25–مسند أحمد بن حنبل، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 2008م

" خ "

الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي.

26– تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه وصححه، عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1425هـ – 2004.

الخباز: ضياء

27–الدين حاجة الإنسان الأزلية، شبكة ضياء، تم النشر بتاريخ: 2018/09/18 http://aldiaa.net/ تمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 23 /11/ 2019 في الساعة: 08.35

خسروبناه: عبد الحسين

28–حقيقة الدين؛ تفصيل فلسفي لاهوتي كلامي، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية (بيروت)، العدد3، 1437هـ - ربيع 2016م.

" د "

أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني

29–أبو داود، السنن، دار السلام للنشر والتوزيع (الرياض)، ط1، 1420هـ – 1999م

دراز: محمد عبد الله

30–الدين؛ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم (الكويت)، د ط، ط ت.

الدارمي: عبدالله بن عبدالرحمان بن الفضل بن بهرام

31–سنن الدارمي، المطبعة الحديثة (دمشق)، دط، 1349هـ

" ر "

الرازي: فخر الدين

32– تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت)، ط1، 1401هـ - 1981م.

الراغب الإصفهاني

33–مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق الدار الشامية (بيروت)، ط4، 1430هـ - 2009م، مادة (ملل).

" س "

ابن إسحاق محمد بن إسحاق اليساري المطلبي المدني.

34–السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1424هـ، 2004م

السعدي عبد الرحمان بن ناصر.

35–تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمان بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع (الرياض)، ط2، 1422هـ – 2002م

سعيد أيوب

36–الانحرافات الكبرى – القرى الظالمة في القرآن الكريم – دار الهادي للطباعة والنشر (بيروت)، ط 1، 1412هـ، 1992م.

السندي: أبو الحسن

37–الودود في شرح سنن أبي داود، تحقيق محمد زكي الخولي، مكتبة لينه السعودية، ط1، 1431هـ -2010م

السواح: فراس

38–دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة دمشق (سورية)، ط 4، 2002م.

سيد قطب

39–في ظلال القرآن، دار الشروق (القاهرة)، ط37، 1429هـ. 2008م.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر

40–الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت)، دط، 1433هـ – 2011م

" ش "

شحادة حسين أحمد

41–اجتماعيات الدين والتدين – دراسات في النظرية الاجتماعية الإسلامية – مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي (بيروت)، ط1، 2010.

شريعتي علي

42–دين ضد الدين، ترجمة حيدر مجيد، مؤسسة العطار الثقافية، ط1، 1423هـ، 2007م.

الشعراوي: محمد متولي

43–تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم (مصر)، دط، دت.

44–تفسير جزء عم، دار الراية للنشر والتوزيع (مصر)، دط، 1429هـ، 2008م.

الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم

45–الملل والنحل، تحقيق: أبو محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية القاهرة (مصر)، دط، دت.

الشوكاني: محمد بن علي

46–فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة بيروت (لبنان)، ط4، 2007م.

" ص "

الصدر: محمد باقر

47–فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات (بيروت)، ط3، 1430هـ – 2009م

جميل صليبا

48–المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، دط، 1982.

"ط"

الطبري: أبو جعفر محمد ابن جرير .

49–تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1/ 1422هـ – 2201م.

50–تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (مصر)، ط3، دت.

طنطاوي: محمد سيد

51– التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف مصر، دط، 1412هـ – 1992م

" ع "

ابن عاشور: محمد الطاهر

52–تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر (تونس)، دط، 1984م.

عبد الجواد ياسين

53–الدين والتدين التشريع والنص والاجتماع، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء (المغرب)، ط2، 2014م.

عبد الفتاح عاشور

54–منهج القرآن في بناء المجتمع، مكتبة الخانجي (مصر)، ط1، 1399هـ – 1979م.

عزيز خليل محمود

55–المفصل في النحو والصرف، دار البعث للطباعة والنشر (قسنطينة الجزائر)، دط، دت.

العسقلاني: ابن حجر

56–تحفة النبلاء من قصص الأنبياء للإمام الحافظ ابن كثير، مكتبة الصحابة (الشارقة)، مكتبة التابعين (القاهرة)، ط1، 1419هـ - 1998م.

ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق

57–المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم (بيروت)، دط، دت.

العقاد: عباس محمود

58–الإنسان في القرآن، دار نهضة مصر للنشر، ط 2، 2015م

علي بن أبي طالب

59–نهج البلاغة، جمعه ونسق أبوابه الشريف الرضي، شرح وضبط نصوصه محمد عبده، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر (بيروت)، ط 1، 1410هـ – 1990م

علي حرب

60–نقد الحقيقة (النص والحقيقة)، المركز الثقافي العربي (بيروت)، ط1، 1993.

علي عابدي

61–المبدأ الإنساني وجدل العلم والدين، مجلة الاستغراب الصادرة عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية (بيروت)، العدد 13، 1440هـ. 2018م.

" غ "

الغزالي: محمد.

62– الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق (القاهرة)، دط، دت.

63– الجانب العاطفي من الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط3/ 2005م.

" ف "

ابن فارس: ابو الحسين أحمد

64–معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (بيروت)، دط، 1399هـ، 1979م.

فضل الله: محمد حسين

65–آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت)، ط1 / 1420هـ. 2000م.

66–الحوار في القرآن؛ قواعده، أساليبه، معطياته، دار المنصوري للنشر قسنطينة (الجزائر)، دط، دت.

67– حركة النبوة في مواجهة الانحراف –محاضرات تفسيرية في السور الثلاث المباركة؛ يونس وهود ويوسف، دار الملاك بيروت، دط، 1417هـ – 1997م

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب

68–القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط 8، 1426هـ 2005م، مادة (دين).

69–بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية، لجنة إحياء التراث الإسلامي (القاهرة) دط، 1412هـ. 1992م

" ق "

القاسمي: محمد جمال الدين

70– محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر عيسى البابي الحلبي، ط1، 1376هـ – 1957م.

القرضاوي: يوسف

71–التدين المغشوش، تم النشر بتاريخ: 2007/04/19 https://www.aljazeera.net/programs/religionandlife تمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 18 جانفي 2018م في الساعة: 22.09.

72–مفهوم كلمة "السياسة" في القرآن والسنة، تاريخ النشر 27/ 10/ 2013، https://www.islamweb.net/ar/article تاريخ العودة إلى الموقع: 2022/12/02 الساعة: 06.19،

القرطبي: أبو عبدالله بن محمد بن أحمد الأنصاري

73–الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة)، دط، 1368هـ – 1949م.

قلعجي: محمد رواس و قنيبي: محمد صادق

74–معجم لغة الفقهاء، دار النفائس (بيروت)، ط2، 1408هـ ـ 1988م.

القنوجي النجاري: أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين

75–فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر(بيروت)، دط، 1412هـ – 1992م

ابن القيم الجوزية: أبو عبدالله بن أبي بكر بن أيوب

76-الطرق الحُكْمية في السياسة الشرعية، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع (جدة)، دط، دت.

77-مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي (يروت)، ط7، 1423هـ – 2003م، 1/ 424.

" ك "

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر

78-تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع (الرياض)، ط2، 1420هـ - 1999م.

" ل "

لاريجاني: محمد جواد

79-التدين والحداثة، ترجمة علي رضائي، الغدير للدراسات والنشر بيروت (لبنان)، ط1، 1421هـ - 2001م.

" م "

ابن ماجة: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني

80-سنن ابن ماحة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية (مصر)، دط، دت.

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب

81-أدب الدين والدنيا، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج (بيروت)، ط1، 1434هـ، 2013م.

المحلي: جلال الدين بن محمد و السيوطي: جلال الدين عبدالرحمان بن أبي بكر

82-تفسير الجلالين، دار ابن كثير للطباعة والنشر (بيروت)، دط، دت.

مالوري ناي

83- الدين الأسس، ترجمة هند عبد الستار، مراجعة جبور سمعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر (بيروت)، ط1، 2009.

محمد باقر

84-منهج التثبت في الدين (حقيقة الدين)، دار الكتب (بغداد)، ط2، 1438هـ.

محمد رشيد رضا

85-تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، دار المنار (القاهرة)، ط2، 1366هـ - 1947م.

محمد فؤاد عبد الباقي

86-معجم ألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث (القاهرة) مطبعة دار الكتب المصرية، دط، 1364هـ.

محمد محمد داود

87-معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، دط/ 2008.

المراغي أحمد مصطفى

88-تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ – 1946م.

ابن مسكويه: **أبو علي أحمد بن محمد**

89-تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1405هـ ـ 1985م

مسلم: القشيري النيسابوري أبوالحسن بن الحجاج بن مسلم

90-صحيح مسلم، دار السلام للنشر والتوزيع (الرياض)، ط2، 1421هـ – 2000م

مصطفى البدري.

91-خواطر حول مفهوم العبودية،

https://www.aljazeera.net/blogs/2017/2/2/%D8%AE%D9%88%D8%A7%D8%B7%D8%B1-%D8%AD%D9%88%D9%84-%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9

تم النشر بتاريخ: 2017/02/02م، وتمت العودة إلى الموقع بتاريخ: 2023/01/29م الساعة: 06.40.

مطهري مرتضى

92- محاضرات في الدين والاجتماع، ترجمة جعفر صادق الخليلي، الدرر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت)، ط2، 1429هـ - 2008م

93- الفطرة، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة (بيروت)، ط 2، 1412هـ - 1992م.

ملكيان: مصطفى

94- التدين العقلاني، ترجمة عبد الجبار الرفاعي، عرض مهدي النجار، مؤسسة الحوار المتمدن، العدد 2004، 2007/08/11م، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid105462

العودة إلى الموقع كانت يوم: الجمعة 18 جانفي 2019 في الساعة 05.21.

المنجد: محمد صالح

95- العقوبات المعَجِلة للمعاصي، الموقع الإلكتروني الرسمي لمحمد صالح المنجد، https://almunajjid.com/speeches/lessons/292، تاريخ النشر: 16 جمادى الأولى 1420 هـ، تاريخ العودة إلى الموقع: 09 فيفري 2023م في الساعة: 07.13

ابن منظور: جمال الدين

96- لسان العرب، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي، إبراهيم شمس الدين، نضال علي، الدار المتوسطية للنشر والتوزيع (تونس)، ط1، 2005م، مادة (دين).

الموسوي: علي

97- المواعظ الحسنة، دار الهادي للنشر (بيروت)، ط1، 1998م

" ن "

النبراوي أنور إبراهيم

98- آثار الذنوب والمعاصي، موقع صيد الفوائد، http://www.saaid.net/Doat/anwar/25.htm، دون تاريخ النشر، تاريخ العودة إلى الموقع: 10 فيفري 2023م في الساعة: 06.48

النجار: عبد المجيد

99- فقه التدين فهما وتنزيلا، منشورات قرطبة (الجزائر)، ط2، 1427هـ 2006م.

النووي: يحيى بن شرف محي الدين أبو زكريا

100- شرح صحيح مسلم، دار قرطبة، ط2، 1414هـ – 1994م،

" هـ "

الهاشمي: طه

101- تاريخ الأديان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت)، دط، 1963.

ابن هشام

102- السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط3، 1410هـ – 1990م.

الهيثمي: ابن حجر

103- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، تحقيق: مجموعة من الباحثين، المكتبة التجارية الكبرى (مصر)، دط، 1357هـ ـ 1983م.

" و "

الواحدي النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد

104- أسباب النزول، دار الضياء (قسنطينة)، دط، دت.

" ي "

اليزدي: محمد تقي المصباح

105- دروس في العقيدة الإسلامية، دار الرسول الأكرم (بيروت)، ط 8، 1429هـ ـ 2008م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة .... أ

إشكالية الدراسة: ....ب

أهداف الموضوع:..ج

الدراسات السابقة وجديد هذه الدراسة.. د

دوافع اختيار الموضوع..ه

1- الدافع الذاتي .... ه

2- الدوافع الموضوعية .... ه

منهج الدراسة..و

خطة البحث..ز

الفصل الأول. مفهوم الدين والتدين وحاجة الإنسان إلى الدين........11

المبحث الأول: مفهوم الدين 11

المطلب الأول: الدين لغة واصطلاحا 11

الفرع الأول ـ الدين لغة 11

الفرع الثاني ـ الدين اصطلاحا..14

أ. ديانات إلهية..22

ب ـ ديانات بشرية..22

الفرع الثالث: مفهوم الدين عند فلاسفة الغرب 23

أولا ـ تعريف الدين باعتبار الإنسان مستقبلا وممارسا له..23

ثانيا. تعريف الدين بوصفه ماهية مجردة..25

ثالثا ـ تعريف الدين بوصفه مفهوما مركبا..26

المطلب الثاني: الدين والمصطلحات ذات الصلة. 29

الفرع الأول ـ بين الدين ومصطلح الملة 29

الفرع الثالث ـ الفرق بين الدين ومصطلح النِّحْلة 38
المطلب الثالث ـ التمييز بين الدين الحق والدين الباطل..42
الفرع الأول ـ مفهوم الدين الحق ودين الباطل..42
أولا ـ مفهوم الدين الحق 42
ثانيا ـ مفهوم الدين الباطل 44
الفرع الثاني ـ خصائص الدين الحق..46
أولا. الهداية وحُسْن المعاش والمعاد (سعادة الدنيا والآخرة) 46
ثانيا. وحدة الدين الحق 47
الفرع الثالث ـ خصائص الدين الباطل..50
أولا. الضلال وسوء المعاش والمعاد 50
ثانيا. تعدد الدين الباطل 51
ثالثا. غياب الالتزام والمسؤولية..52
رابعا. مناهضة الدين الحق 53

المبحث الثاني: مفهوم التدين..56

المطلب الأول: التدين في اللغة والاصطلاح..56
الفرع الأول: التدين في اللغة 56
الفرع الثاني: التدين في الاصطلاح ببعده السلبي 57
الفرع الثالث: التدين في الاصطلاح ببعده الإيجابي 61
المطلب الثاني: التدين في القرآن الكريم..66
الفرع الأول : مفهوم التدين في القرآن الكريم 66
الفرع الثاني: التدين المحمود في القرآن الكريم 67
أولا. أن يكون سلوك المتدين مطابقا لأصل التوحيد 68
ثانيا. أن يُخْلِصَ المتدين دينه لله..69
ثالثا. أن يسعى المتدين لتحصيل كمال الدين وتكامله 69
1- الإيمان بالغيب 70

2- إقامة الصلاة...71
3- الإنفاق مما رزقه الله...71
4- الإيمان بما جاء به الأنبياء والرسل.......................................72
الفرع الثالث: التدين المذموم في القرآن الكريم 72
أولا. مفارقة حقيقة الدين وجعْل الدين سببا للتفريق 73
ثانيا. أولوية الدنيا عن الدين 75
المطلب الثالث . الفرق بين الدين والتدين.......................................77
الفرع الأول . مصدرية الدين والتدين...77
أولا. مصدرية الدين 77
ثانيا . مصدرية التدين 80
1- الدين مصدر للتدين...80
2- الإنسان مصدر للتدين..80
الفرع الثاني . خصائص الدين والتدين..87
الفرع الثالث . مآلات الدين والتدين...89
أولا. مآل المتدينين بدين الحق..89
ثانيا . مآل المتدينين بدين الباطل:...91

المبحث الثالث . فطرية التدين وحاجة الإنسان إلى الدين 95

المطلب الأول . فطرية التدين 95
الفرع الأول . مفهوم الفطرة في اللغة والاصطلاح..............................95
أولا. الفطرة في اللغة 95
ثانيا. الفطرة في الاصطلاح 96
الفرع الثاني . الفطرة في القرآن الكريم 101
الفرع الثالث . دافعية النفس الإنسانية إلى التدين.............................108
المطلب الثاني . حاجة الإنسان الوجدانية إلى التدين............................111
الفرع الأول . حاجة المجتمعات البشرية إلى التدين عبر التاريخ 111

الفرع الثاني ـ شعور الإنسان بالنقص والحاجة إلى المدد الغيبي: 117
الفرع الثالث ـ حاجة الإنسان إلى التدين لتحصيل الأمل والسَّكينة: 121
المطلب الثالث: حاجة الإنسان المعرفية والتربوية والروحية إلى الدين.. 127
الفرع الأول ـ حاجة الإنسان إلى الدين للإجابة عن تساؤلاته المعرفية: 127
1- أسئلة وجودية كبرى 127
2- أسئلة اعتقادية تتصل بالدين.. 134
الفرع الثاني: حاجة الإنسان التربوية إلى الدين: 138
أولا. اعتبار التشخيص.. 139
ثانيا ـ اعتبار الدافعية 140
ثالثا ـ اعتبار الهدف 141
الفرع الثالث: حاجة الإنسان الروحية إلى الدين 142
أولها ـ الخوف من المستقبل المجهول 143
ثانيها ـ التضجر من الماضي السيئ 144
1- تجاهل الدين.. 145
2- العودة إلى الدين 146
خلاصة الفصل الأول.. 147

الفصل الثاني. أسباب انحراف التدين ونماذجه من خلال القرآن الكريم........... 152

المبحث الأول: الأسباب الذاتية لانحراف التدين ونماذجه......... 152
توطئة.. 152
المطلب الأول: الأسباب النفسية 152
الفرع الأول: الهوى وعلاقته بالنفس... 153
الفرع الثاني ـ البغض والحسد... 162
أولا: مبدأ التفاضل بين الناس 162
ثانيا: مبدأ تسخير بعض الخَلْق لبعضهم الآخر 168

الفرع الثالث ـ الغُرور والعُجْب والكِبْر.......................................174
أولا. الغرور 174
ثانيا. العُجْب والكِبْر...179
المطلب الثاني: الأسباب التصورية..............................189
الفرع الأول ـ التبني اللامعقول لنظرية الاصطفاء العام..........190
الفرع الثاني ـ الاجتهاد البشري بما يخالف الوحي 197
الفرع الثالث ـ إنكار البعد الغيبي في فهم الدين. 205
المبحث الثاني: الأسباب الاجتماعية والسياسية لانحراف التدين ونماذجه..............219
المطلب الأول: الأسباب الاجتماعية لانحراف التدين ونماذجه.............219
الفرع الأول ـ القرآن والحياة الاجتماعية المثالية 219
1- مجتمع التنوع للتعارف..222
2- مجتمع الخيرية والصلاح......................................225
3- مجتمع الحوار والتواصل الاجتماعي...........................228
الفرع الثاني ـ دور الموروث الاجتماعي السيئ في الصَّد عن دين الله.................229
أولا: نزعة التقليد..230
ثانيا: مبدأ الوصاية المطلقة لكبراء القوم على أفراد المجتمع. 233
1- من الذي تصدى للرد عن دعوة سيدنا نوح نيابة عن عامة القوم؟..........235
2- لماذا رفض القوم نبوة نوح – عليه السلام- ولم يؤمنوا بدعوته ؟..........236
الفرع الثالث ـ دور الموروث الاجتماعي السيئ في الانحراف عن دين الله. 242
المطلب الثاني: الأسباب السياسية لانحراف التدين ونماذجه.............250
الفرع الأول. القرآن الكريم والحاكمية المثالية. 250
1- الحاكمية أمانة 253
2- الحاكمية عدالة 256
3- الوحي أساس انتظام العلاقة بين الراعي والرعية.................259
4- الحاكمية هي سلطان صالح ومصْلِح 260

الفرع الثاني: دور السياسة الفاسدة في الصد عن دين الله. 261

1- الحرب النفسية 264

أ- السخرية والاستهزاء... 264

ب – التشكيك والمغالطة 265

ج- العقاب الجسدي:.. 268

الفرع الثالث: الحاكمية الفاسدة ودورها في انحراف الناس عن دين الله. 275

خلاصة الفصل.. 288

الفصل الثالث: أثر التدين المنحرف على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم 292

المبحث الأول: أثر التدين المنحرف على الفرد 292

المطلب الأول: أثر التدين المنحرف في علاقة صاحبه بالله.. 292

الفرع الأول. في أصل علاقة العبد بالله 292

الفرع الثاني. الوقوع في الكسل ومعصية استثقال العبادة 299

الفرع الثالث: التعلق المذموم بالدنيا 305

أولا: هل كلُّ تعلقٍ بالحياة الدنيا هو تعلق مذمومٌ؟........................... 305

ثانيا: متى يكون التعلق بالدنيا مذموما؟ 307

المطلب الثاني: عاقبة انحراف العبد عن دين الله.. 318

الفرع الأول: مبدأ الثواب والعقاب في القرآن الكريم 318

الفرع الثاني: التدين المنحرف وعاقبة صاحبه في الدنيا 323

الفرع الثالث: التدين المنحرف وعاقبة صاحبه في الآخرة 331

أولا- العذاب النفسي والمعنوي:... 332

ثانيا- العذاب الجسدي والمادي.. 337

المبحث الثاني: أثر التدين المنحرف على المجتمع 343

المطلب الأول: أثر التدين المنحرف على العلاقات الاجتماعية.. 343

توطئة 343

الفرع الأول: انتشار العداوة والبغضاء 345
الفرع الثاني: انتشار الغش والخديعة. 351
الفرع الثالث: عدم الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر 359
المطلب الثاني: عاقبة المجتمعات المنحرفة عن دين الله.. 365
الفرع الأول: عاقبة المجتمعات المـُؤَسِّسَة لنزعة الانحراف عن الدين 365
الفرع الثاني: عاقبة المجتمعات المنحرفة عن الفطرة.. 372
الفرع الثالث: عاقبة انحراف أهل الكتاب عن الدين. 384
خلاصة الفصل: 390

خاتمة 393

فهرس الآيات 402

فهرس الأحاديث 438

قائمة المصادر والمراجع 443

فهرس الموضوعات 457

ملخص البحث 465

أولا: باللغة العربية.. 465
ثانيا: باللغة الإنجليزية.. 466
ثالثا: باللغة الفرنسية.. 467

ملخص البحث

ملخص البحث

أولا: باللغة العربية

اشتغلت هذه الدراسة على مقاربة إشكالية مدى تطابق تدين الإنسان مع دين رب الإنسان، باتخاذ القرآن الكريم معيارا وشاهدا على سلوكات المتدينين وتصوراتهم، لما للتدين المنحرف عن دين الحق من آثار خطيرة على المسار التكاملي للفرد، وللمجتمع ولبناء الحضارة الإنسانية عموما، مما يتطلب صياغة تصور عام حول تصوير القرآن الكريم للتجربة البشرية مع الدين؛ موقفا، وفهما، وممارسة، وتقويما.

وقد سعت هذه الدراسة إلى بيان الفرق بين أطروحة الدين؛ كوضع إلهي تولى الأنبياء تبليغه، والتدين ككَسْبٍ بشري؛ يعبر عن الفهم والممارسة البشرية للدين، ثم إبراز ماهية التدين الفطري الإيجابي والكشف عن مصاديقه العملية، وآثاره، وبعدها إبراز أنماط التدين السلبي المنحرف، والكشف عن أسبابه، وما أفضى ويفضي إليه من نتائج وآثار.

ولأجل ذلك حاولت تأطير المادة العلمية لهذه الدراسة في ثلاثة فصول؛ فكان الفصل الأول موسوما بـ: **مفهوم الدين والتدين وحاجة الإنسان إلى الدين**، تناولت فيه مفـهوم كل من الدين، والتدين، كما تناولت أيضا فطرية التدين وحاجة الإنسان إلى الدين، وقد وسمت الفصل الثاني بـ:**أسباب انحراف التدين ونماذجه من خلال القرآن الكريم**، تناولت فيه الأسباب الذاتية لانحراف التدين ونماذجه من القرآن الكريم، كما تناولت أيضاالأسباب الاجتماعية والسياسية لانحراف التدين ونماذجه من القرآن الكريم، أما الفصل الثالث الموسوم بـ: **أثر التدين المنحرف على الفرد والمجتمعمن خلال القرآن الكريم**، فقد تناولت فيهأثر التدين المنحرف على الفرد، وعلى المجتمع.

ثانيا: باللغة الإنجليزية

Abstract:

This study focuses on a problematic approach to the compatibility between human religiosity and the religion of the Creator, using the Quran as a criterion and witness to the behaviors and perceptions of the religious: the deviance of religiosity from the true religion having serious consequences on the holistic development of individuals, society, and the construction of human civilization in general. This requires the formulation of a comprehensive framework for the Quran's conception of the human experience with religion within the perspectives of encompassing stance, understanding, practice, and evaluation.

This study aims to elucidate the distinction between the divine thesis, as a divine setting entrusted to prophets for delivery, and religiosity as a human acquisition, representing human understanding and practice of religion. It then highlights the nature of positive innate religiosity, revealing its practical manifestations and effects, followed by the emphasis on patterns of negative religiosity, uncovering its causes, the resultant and resulting consequences and effects.

For this purpose, the scientific material of this study is structured into three chapters. The first chapter is entitled:"The Concept of Religion and Religiosity, and Human Need for Religion," addressing the concepts of religion and religiosity, exploring the innate nature, and the human need for religion. The second chapter is labeled: "Causes of Deviant Religiosity and its examples from the Quran," discussing the intrinsic reasons for deviant religiosity and its examples from the Quran, and the social and political reasons for deviant religiosity and its Quranic examples, as well. As for the third chapter entitled:" The Impact of Deviant Religiosity on the individual and Society through the Quran," it examines the impact of deviant religiosity on both the individual and society.

ثالثا: باللغة الفرنسية

Résumé :

Cette étude a abordé, dans une optique comparative, la problématique de la concordance entre la religiosité humaine et la Religion du Seigneur de l'homme, tout en prenant Le Saint Coran comme norme et témoin des comportements des personnes religieuses et leurs perceptions. À cause des conséquences dangereuses de la religiosité déviée, qui s'écarte de la Religion, sur la voie intégrale de l'individu, de la société et de l'édification de la civilisation humaine en général, il ressort de concevoir la perception générale du Saint Coran sur l'expérience humaine avec la Religion : attitude, compréhension, pratique et évaluation.

Cette étude a cherché d'éclairer la différence entre la thèse de la Religion en tant que parole divine transmise par les prophètes et la religion en tant que gain humain qui exprime la conception et la pratique humaine de la religion ; puis de montrer l'importance de la piété innée et positive en révélant ses processus et ses effets. Et par la suite, de mettre en évidence les modèles de la religiosité passive déviante par la révélation de ses causes, ses résultats et les séquelles qu'elle entraîne.

Et pour cela, j'ai essayé de concevoir cette étude scientifique en trois chapitres. Le premier chapitre intitulé : « Le concept de religion, la religiosité et la nécessité de l'homme à la religion », dans lequel j'ai traité à la fois du concept de religion et de religiosité, ainsi que la religiosité innée et le besoin humain de religion. Pour le deuxième chapitre : « Les raisons de la déviation de la religiosité et de ses modèles à travers le Saint Coran », j'aborde les causes de la déviation subjective de la religion et de ses modèles du Saint Coran, ainsi que les causes de la déviation sociale et politique de la religion et ses modèles du Saint Coran. Quant au troisième chapitre porte sur : « L'impact de la religion déviante sur l'individu et la société à travers Le Saint Coran », j'étudie l'impact de la religion déviante sur l'individu, et sur société.